التأريخ العقدي للمشارب الفلسفية ومدى تأثر مقالات الفرق المنحرفة بها

تأليف

أ.د محمد بن خليفة بن علي التميمي

التمهيد

إنَّ الحمدَ للّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده اللّه فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، صلَّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فإن للإيمان باللّه منزلة عظيمة، وأعلى درجات هذا الإيمان: تحقيق اليقين باللّه ورسوله ودينه، وذلك بِرُسوخ العلم في جَذْر القلب حتى لا تُضْعِفَه شبهةٌ ولا تُؤثِّرَ فيه فتنة، ومنزلة اليقين من الإيمان كمنزلة الروحِ من الجسد، قال ابن مسعود –رضي اللّه عنه–(ت: ٣٢ هـ): "اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ". [١]

وأوَّل اليقين: اليقين بالرَّبِّ، كما قالت الرسل لقومهم: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم: الآية: ١٠]، أي: أنتم تعلمون وتقرُّون أنَّه ليس في وجود اللّه ووحدانيَّته شَكٌّ قطُّ.

وأرفع النَّاس منزلةً أهلُ اليقين، ولَمَّا أراد اللّه أن يزيد خليلَه إبراهيمَ عليه السلام إيمانًا مع قوة إيمانه؛ أراه مَلَكُوت السموات والأرض، لِيَصِلَ إلى تلك المنزلة الرفيعة، قال جلَّ شأنه: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ} [الأنعام: الآية: ٧٥]، قال ابن كثير–رحمه اللّه–(ت: ٧٧٤ هـ): "أَيْ: نُبَيِّنُ لَهُ وَجهَ الدَّلَالِةِ فِي نَظَرِهِ إِلَى خَلْقِهِمَا عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ –فِي مُلْكِهِ وَخَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ". [٢]

والعبادة مع اليقين—ولو قلَّت—تَرفع العبدَ درجات، قال بكر بن عبد اللّه المزني–رحمه اللّه–(ت: ١٠٦ أو ١٠٨ هـ): "لم يفضل أبو بكر–رضي اللّه عنه –الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنما فضلهم بشيء كان في قلبه". [٣]

---

[١] أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل حديث رقم (٨)، وأخرجه موصولًا أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٥/ ٣٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٩٧١٦) مطولًا

[٢] تفسير ابن كثير (تفسير سورة الأنعام: الآية: ٧٥)، (٢/ ١٥٥).

[٣] نوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي (١/ ١٤٩).

وخَصَّ اللَّهُ أهلَ اليقين بالهُدى والفلاح مِن بَين العالَمين، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، [البقرة: الآيات: ٤-٥] وهم المنْتَفِعُون بالنظر في الآيات والبراهين، قال عزَّ وجلَّ: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات: الآية: ٢٠].

ومَن باشر اليقينُ قلبَه اكتملتْ فيه عباداتُ القلب التي يُحِبُّها الله على أكمل وجه-من الخوف والرجاء والتَّوكُّل وغيرها-.

قال ابن القيم -رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "الإِيْمَانُ قَلْبُ الإِسْلَامِ وَلُبُّهُ، وَاليَقِينُ قَلْبُ الإِيْمَانِ وَلُبُّهُ". [١]

وقال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد والقبول له". [٢]

وبقدر ما يورث الإيمان اليقين بقدر ما تورث الفلسفة الشك والارتياب والضياع.

قال ابن تيمية-رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ): "من تعوّد معارضة الشرع بالرأي، لا يستقر في قلبه الإيمان". [٣]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "إن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بني آدم حشوًا وقولًا للباطل، وتكذيبًا للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد-والله أعلم -تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك". [٤]

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ)-رحمه الله-: "والخارجون عن طاعة الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم- ومتابعتهم يتقلبون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة دار القرار. فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاث.

---

[١] درء التعارض (١/ ١٧٨).

[٢] إغاثة اللهفان (١/ ١٤).

[٣] الفوائد (ص: ٥٥).

[٤] نقض المنطق، ابن تيمية، (ص: ٢٤).

وأتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يتقلبون في عشرة أنوار، ولهذه الأمة ونبيها من النور ما ليس لأمة غيرها، ولا لنبي غيره، فإن لكل-نبي-منهم نورين، ولنبيها صلى الله عليه وسلم تحت كل شعرة من رأسه وجسده نور تام، كذلك صفته وصفة أمته في الكتب المتقدمة.

وقال-جل وعلا-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحديد: الآية: ٢٨] وفي قوله: {تَمْشُونَ بِهِ} [الحديد: الآية: ٢٨] إعلام بأن تصرفهم وتقلبهم الذي ينفعهم إنما هو النور، وأن مشيهم بغير النور غير مجد عليهم، ولا نافع لهم بل ضرره أكثر من نفعه". [1]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "الفلاسفة مهما تعللوا بالألفاظ التي توهم خلاف ما يعتقدون فإن أمرهم مكشوف، وفي حقيقة الأمر لا مبدأ عندهم ولا معاد ولا صانع ولا نبوة ولا كتب نزلت من السماء، ولا ملائكته نزلت بالوحي من الله". [2]

وفي خضم الصراع بين الحق والباطل، تمس الحاجة لبحث العلاقة بين المدارس الفلسفية ومن سار في فلكها من الفرق المخالفة، بما يبين التوافق بينهما في المعتقدات واأفكار، وأترك القارئ للاطلاع على ما جمعته وصغته في بحث الموضوع، فعسى أن أكون قد وفقت في بيان جوانبه، وجليت ما يحيط به من غموض والتباس، ولا ادعي الكمال فما كتبته ودونته هو محاولة باحث في وضع صورة تقرب الأمور وتضعها في نصابها، راجيًا من الله التوفيق والصواب والنفع بما كتبته ودونته، وأعتذر عن الأخطاء التي قد أكون قد وقعت فيها أو قصرت في بيانها، وعذري أن الكمال عزيز.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

[1] اجتماع الجيوش الإسلامية ٢/ ٤٢.

[2] ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، عبد الله محمد جار النبي، ص (٤٦٨).

المقدمة

وتحتوي على المطالب الآتية:

المطلب الأول: إشكالية البحث

المطلب الثاني: أسئلة البحث:

المطلب الثالث: أهداف البحث :

المطلب الرابع: أهمية البحث:

المطلب الخامس: حدود البحث.

المطلب السادس: مصطلحات البحث.

المطلب السابع: الدراسات السابقة

المطلب الثامن: منهج البحث.

المطلب الأول: إشكالية البحث.

تتمثل إشكالية البحث في عدة جوانب منها:

أولًا: صعوبة رسم صورة تشرح واقع تلك الفلسفات ومنطلقاتها والربط بين الأقوال المتأخرة منها بنظيرتها المتقدمة، بالرغم من كونها تدور في فلك واحد، إلا أنها عرف عنها كثرة الأقوال وتشعبها وتناقضاتها ويصدق عليها قول الله تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: الآية: ٨٢]، ومن هنا تمس الحاجة التعريف بها، وبيان الفروق بينها وإلى ربط الأقوال الفلسفية بعضها ببعض بما يوضح مدارسها ويبين مناهجها ويكشف جذورها، ويشرح الفروق بينها، وبما يرجع آخرها لأولها، وبما يوضح ما طرأ عليها من زيادات وتحولات وما وقع فيها من تذبذبات وتناقضات، بما يجعلها أشبه بشفرة معقدة تحتاج إلى فك وتحليل ليفهم حالها ومآلاتها.

ثانيًا: ومن إشكالية البحث وعورة مسالك تلك الفلسفات واستعمال أصحابها لرموز وإشارات وعبارات ومصطلحات تزيدها غموضًا وإشكالًا بسبب إغراقها في التلون والتخفي في محاولة أن تكون دائرة انتشارها في دوائر ضيقة ومحدودة من الأتباع بسبب ما تحمله من شذوذ وخروج عن الحق وصعوبة فهم عامة الناس لها، وكما لو أنها حكم عليها أصحابها بالشذوذ والغرابة بدرجة أنها لا تنتشر إلا بالتلقين لجماعة خاصة من الطلبة والأتباع. الأمر الذي جعلها تتناسب مع تبني بعض الفرق الباطنية لها وما كان لذلك من نتائج وخيمة في سفك الدماء واستباحة الأعراض وهدم القيم ونشر الفوضى.

ثالثًا: وإضافة إلى ذلك اختلاط تلك الفلسفات بالموروثات الوثنية المحيطة بها والتي كان لها الدور الأبرز في تشكلها والتأثير عليها، ومما زاد الطين بلة أن تلك الوثنيات متباينة في طروحاتها ومتناقضة في مضامينها ومتصادمة مع بعضها البعض، وحال أصحابها أشبه ما يكون بمحاولات يائسة لتطبيق ما حملته أفكارهم على

واقع متناحر متباين، وبهذا أسهمت بنشر الخرافة وهدم القيم التي تقوم عليها مصالح الناس، مع ما حصل منها من محاولة تشويه صورة الحق الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه.

رابعًا: ترتبط أقوال الفلاسفة بقوالب مسبقة تتحكم بها وبطرق عرضها وأساليب صياغتها وأدواتها، بالرغم من دعوى أصحابها التجرد المسبق عن تبني أقوال بعينها، ولكن هيهات فكل صاحب طريقة فلسفية لابد وأن يحمل منهجًا بعينه فمنهم من يسلك مسلك التشكيك، ومنهم يسلك مسلك التمويه والسفسطة، ومنهم من سلك مسالك الغنوصية، ومنهم من سلك مسالك اللاأدرية إلى غير ذلك من المسالك، ومن أجل ذلك لابد من ربط قول كل قائل بمسلكه الذي يعتمده بهدف فهم قوله ومقصده ومن ثم الرد عليه وتفنيد قوله.

خامسًا: صعوبة الحصول على معلومات صحيحة ومحايدة في وصف تلك الفلسفات وتأريخها وجذورها وتحليل أقوالها ومعتقداتها فالغالب الأعم على التلك الدراسات والبحوث التي تناولتها أنها غير محايدة، وتنطلق من منطلقات يعوزها صحة مصادرها وسلامة محتواها العلمي.

المطلب الثاني: أسئلة البحث.

في هذا البحث نحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما مفهوم الفلسفة وعلاقتها بالحكمة.

هل الفلاسفة كلهم ملاحدة.

ما المقصود بمدرسة الفلاسفة المشائين.

ما المقصود بمدرسة الفلاسفة الإشراقيين.

ما دور المدارس الفلسفية الكبرى في نقل الفلسفة ونشرها في البلاد التي دخلت الإسلام.

ما الأطوار التي مر بها انتشار الفلسفة بين المسلمين.

ما أقسام الفرق المخالفة المنتسبة إلى الإسلام ممن تأثروا بتلك الفلسفات، وما مدارسهم.

ما وجه الربط بين أقوال تلك الفلسفات والأقوال المتأثرة بها.

المطلب الثالث: أهداف البحث.

يهدف البحث لتحقيق النتائج الآتية:

أولًا: التعريف بالتأريخ العقدي للمدارس الفلسفية وأماكن انتشارها وذكر تاريخ موجز عنها يبين طبيعتها الجغرافية التعريف بأهم شخصياتها.

ثانيًا: بيان صلة الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام بمثيلاتها من الأمم المتقدمة وربطها بجذورها ومدارسها التي أثرت عليها.

ثالثًا: توضيح المسالك الفلسفية لدى الفلاسفة عمومًا وبيان مدى تأثر فرق المنتسبين للإسلام بتلك المسالك.

رابعًا: بيان مقاصد فرق المنتسبين للإسلام وغاياتهم من نشر الفلسفة بين أوساط المسلمين.

خامسًا: بيان جهود علماء أهل السنة والجماعة في التصدي لتلك المدارس وكشف حقيقتها وضررها على الإسلام والمسلمين.

المطلب الرابع: أهمية البحث

ترجع أهمية الموضوع إلى عدة أمور

الأمر الأول: أنه لا يكتفي في التعبد الاقتصار على معرفة السنة فقط بل لا بد من معرفة ما يناقضها من البدع كما لا يكفي في الإيمان التوحيد دون معرفة الشرك وإلى هذه الحقيقة العظيمة أشار العلي العظيم في قوله: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: الآية: ٢٥٦].

وهذا أمر أساسه في السنة واضح بين لحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ((كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)).[١]

[١] أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

وهذا الأمر أصل بعث الرسل لتحقيقه قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: الآية: ٣٦]، وأكده رسول الله –صلى الله عليه وسلم–بقوله ((من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله)). [١] ، فلم يكتف الله ورسوله–صلى الله عليه وسلم–بالتوحيد بل ضما إليه الكفر بما سواه وذلك يستلزم معرفة الشرك والكفر وإلا وقع فيه من حيث لا يشعر قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [يوسف: الآية: ١٠٢]. وكذلك القول في السنة والبدعة ولا فرق وهو واضح في وصية رسول الله عليه وسلم ((.... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة))[٢] ، حيث أمرهم بالتزام السنة واجتناب البدع ، وهذا أمر مشهود في الواقع فإنه لا تتم معرفة الشيء إلا بنقيضه. وقد قيل عمر–رضي الله عنه–: فلان لا يعرف الشر, فقال: "ذاك أوقع له فيه". [٣]

قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه .....ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه" .[٤]

قال ابن قتيبة الدينوري –رحمه الله–(ت: ٢٧٦ هـ): "ولن تكمل الحكمة والقدرة إلا بخلق الشيء وضده ليعرف كل واحد منهما بصاحبه فالنور يعرف بالظلمة والعلم يعرف بالجهل والخير يعرف بالشر والنفع يعرف بالضر والحلو يعرف بالمر لقول الله تبارك وتعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: الآية: ٣٦]، والأزواج الأضداد والأصناف كالذكر والأنثى واليابس والرطب وقال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ} [النجم: الآية: ٤٥]". [٥]

---

[١] أخرجه مسلم (٢٣).

[٢] أخرجه مطولاً أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤)، وأحمد (١٧١٤٤) باختلاف يسير، وابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (٢٣٠٥).

[٣] الذخائر والعبقريات (١/ ١١).

[٤] ومن شعر أبي فراس الحمداني انظر: دواوين الشعر العربي على مر العصور قصيدة رقم (١٨٤٢٠).

[٥] تأويل مختلف الحديث (ص: ١٤).

قَالَ يحيى بن معاذ الرازي-رحمه الله-(ت: ٢٥٨ هـ): "اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول، لكل واحد منها ضد، فمن سقط عنه، وقع في ضده: التوحيد ضده الشرك، والسنة ضدها البدعة، والطاعة ضدها المعصية"[١].

الأمر الثاني: الفلاسفة على اختلاف مدارسهم ومشاربهم شرهم ممتد وقديم، ولا تزال مقالاتهم باقية يسعى إلى ترويجها بشتى الوسائل والطرق وخطرهم يتمثل إنكارهم للغيب بكل أشكاله وصوره، ومعارضتهم الواضحة له. وقد اغتر بمقولاتهم كثير من الناس بخاصة الجهلة والعوام والأمر كما وصف الإمام مسلم-رحمه الله-(ت: ٢٦١ هـ): "وقد تكلم بعض منتحلي الحديث من أهل عصرنا في تصحيح الأسانيد وتسقيمها، بقول لو ضربنا عن حكايته، وذكر فساده صفحًا- لكان رأيا متينًا، ومذهبًا صحيحًا؛ إذ الإعراض عن القول المطروح أحرى لإماتته، وإخمال ذكر قائله، وأجدر ألا يكون ذلك تنبيهًا للجهال عليه، غير أنا لما تخوفنا من شرور العواقب، واغترار الجهلة بمحدثات الأمور، وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين، والأقوال الساقطة عند العلماء، رأينا الكشف عن فساد قوله، ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد - أجدى على الأنام، وأحمد للعاقبة-إن شاء الله-". [٢]

وهذا الموضوع جديد قديم، فما يخفى علينا أن الإلحاد اليوم قد انتشر وشاع، وضرب أطنابه، وما إلحاد اليوم إلا إلحاد الأمس، لا يختلف عنه، وهو امتداد له، تعددت الأسماء والإلحاد واحد، وتلك المدارس التي نسمع بها حديثا هي المدارس التي كانت قديمًا من حيث مضمون ما تدعو إليه، وقد كان للإلحاد دوره في هدم اليهودية، وكذلك في هدم النصرانية، وسعى ويسعى إلى هدم الإسلام بشتى الطرق، سواء كان ذلك الإلحاد ماديًا كما يسمونه، أو إلحادًا روحيًا.

الأمر الثالث: أن الصراع مع هؤلاء هو صراع وجود، فهم يعارضون الشرع في أصوله وثوابته

[١] الاعتصام للشاطبي (١/ ٩١).

[٢] صحيح مسلم: المقدمة ١/ ١٢.

وهم كما قال عنهم ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هجرية)-رحمه الله-: "رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء: كالمتفلسفة، والباطنية، والنصرية، والجهمية، والحلولية، والمعطلة، والمجسمة، والمشبهة، والراوندية، والكلآبية، والسليمية، وغيرهم من أهل البدع: قد تجاذلوا فيها بأزمة الضلال، وبان لي أن كثيرا منهم: إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية ... إلى أن قال: فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي: أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم، وقطع حجتهم وأضاليلهم، أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم، ويزيف دلائلهم، ذبا عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية". [١]

قال ابن تيمية-رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هجرية): "من تعوّد معارضة الشرع بالرأي، لا يستقر في قلبه الإيمان". [٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "إن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بني آدم حشوًا وقولًا للباطل، وتكذيبًا للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد-والله أعلم -تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك". [٣]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "والخارجون عن طاعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ومتابعتهم يتقلبون في عشر ظلمات:

ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة دار القرار، فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاث". [٤]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "الفلاسفة مهما تعللوا بالألفاظ التي توهم خلاف ما يعتقدون فإن أمرهم مكشوف، وفي حقيقة الأمر لا مبدأ عندهم ولا معاد ولا صانع ولا نبوة ولا كتب نزلت من السماء، ولا ملائكته نزلت بالوحي من الله". [٥]

---

[١] الأعلام العلية (ص: ٣٥).

[٢] درء التعارض (١/ ١٧٨).

[٣] نقض المنطق، ابن تيمية، (ص: ٢٤).

[٤] اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٤٢).

[٥] ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، عبد الله محمد جار النبي، (ص: ٤٦٨)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "قال الله تعالي {وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: الآية: ٥٥]، وقال: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: الآية: ١١٥]، والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة وسبيل المجرمين مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء وجلا سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده والطريق الموصل إلى الهلكة فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم وهم الأدلاء الهداة برز الصحابة على جميع من أتي بعدهم إلى يوم القيامة". [١]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "والناس أربع فرق:

الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علما وعملا، وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أخص ولها أسلك.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها؛ فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل، وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع شيئا مما يخالف سبيل المؤمنين صرف سمعه عنه، ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه. وهو بمنزلة من سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدعه إليها نفسه؛ بخلاف الفرقة الأولى؛ فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها لله

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفضلة، وسبيل المؤمنين مجملة.

وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع، فعرفها على التفصيل، ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك، بل عرفه معرفة مجملة، وإن تفصلت له في بعض الأشياء، ومن تأمل كتبهم رأى ذلك عيانا.

---

[١] اجتماع الجيوش الإسلامية ٢/ ٤٢.

وكذلك من كان عارفا بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالكا لها، إذا تاب ورجع عنها إلى سبيل الأبرار؛ يكون علمه بها مجملا، غير عارف بها على التفصيل معرفة من أفنى عمره في تصرفها وسلوكها.
والمقصود أن الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه لتجتنب وتبغض كما يحب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك". (١)
ومن خلال هذه المقدمة يتبين أهمية معرفة أصول المقالات ومصادرها التي تعود إليها فطالب العلم الدراس لعلم العقيدة تمر دراسته عبر أربع مراحل هي:

أولًا: معرفة أصول مسائل الاعتقاد على وجه الإجمال.

ثانيًا: معرفة تفاصيل مسائل الاعتقاد بأدلتها.

ثالثًا: معرفة الأقوال المخالفة والفرق التي تقول بها.

رابعًا: معرفة الشبه والردود عليها.

وبحثنا هنا يتعلق بالمرحلة الثالثة أي معرفة الأقوال المخالفة والفرق التي تقول بها، وفي هذا المجال تحديدًا لابد لطالب العلم أن يعرف الكليات قبل الجزئيات والأصول قبل الصور والفصول
قال ابن تيميّة-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "لابُدّ أن يكون مع الإنسان أصولٌ كليّةٌ يردُّ إليها الجزئياتِ؛ ليتكلم بعلمٍ وعدلٍ. ثم يعرفُ الجزئياتِ كيف وقعتْ، وإلّا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليّات؛ فيتولّدُ فسادٌ عظيم". (٢)
قال الشَّاطبي-رحمه الله-(ت: ٥٩٠ هـ): "فالحاصل أنه لا بد من اعتبار خصوص الجزئيات مع اعتبار كلياتها، وبالعكس، وهو منتهى نظر المجتهدين بإطلاق، وإليه ينتهي طلقهم في مرامي الاجتهاد". (٣)

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ١٥٩-١٦١).

(٢) منهاج السنة (٥/ ٨٣).

(٣) الموافقات (٣/ ١٨٠) .

قال السمعاني-رحمه الله-(ت: ٤٨٩ هـ): "مَن كان حافظًا للأحكام والفروع بدلائلها وعللها، مشرفًا على الأصول في ترتيبها ولوازمها، عارفًا شبهها وأدلتها وعللها، فهذا أكمل الفقهاء علمًا، وأصحهم فيه اجتهادًا، وهذه الطبقة هم الذين يرجع إليهم في الإجماع والاختلاف". (١)

قال أبو المعالي الجويني-رحمه الله-(ت: ٤٧٨ هـ): "مَن أراد أخذ المذهب من حفظ الصور؛ اضطربت عليه... ومَنْ تلقَّاهُ من معرفة الأصول استهان عليه أن يُدرك هذه الفصول". (٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٦ هـ): "ينبغي للمتعلم إذا درس بابًا؛ أن ينظر إلى أصوله ومسائله المهمة ؛ فيبحثها ويحققها ويحفظها ، ويعرف مآخذها ، وما هي مبنية عليه؛ فإنه يحصل على خير عظيم". (٣)

ومن هنا تمس الحاجة إلى ما يمكن تسميته فك شفرة الإلحاد الفلسفي من خلال ربط حاضره بماضيه ومعرفة مسالكه وطروحاته، ومعلوم أن علاج معضلة الإلحاد الفلسفي يجب أن تنبع من علاج جذوره لا من خلال النظر في ظواهره ونتائجه المدمرة.

المطلب الخامس: حدود البحث: حدود موضوعية حسب العنوان.

ففي خضم الصراع بين التوحيد والشرك، والحق والباطل، والنور والظلمة، والهدى والضلال، واليقين والشك، والخير والشر، تمس الحاجة إلى فهم حقيقة العلاقة بين الفرق المخالفة في الإسلام وبين ما سبقها من الفلسفات الأخرى، ونعني بالفرق المخالفة-على وجه التحديد-من كانت بدعتهم تتعلق بمعارضة النصوص، وذلك لأن البدع نوعان:

البدع نوعان:

(١) قواطع الأدلة (١/ ٤٨١).

(٢) نهاية الطلب (٤/ ٨).

(٣) المعين على تحصيل آداب العلم (ص: ٣٤) .

.

النوع الأول: بدع قد يكون أهلها متمسكون ببعض النصوص، مثلًا: من يكون من المرجئة، أو من يكون من الخوارج والمعتزلة في مسألة مرتكب الكبيرة، فهؤلاء يتمسكون بنصوص وهؤلاء يتمسكون بنصوص، نصوص جاءت بالوعيد لأهل الكبائر مثلًا {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} [النساء: الآية: ٩٣].

هذا نص، وذاك يتمسك بنص في الإرجاء، فهذه البدعة قد يكون لبعض لأهلها متمسك لشيء من النصوص دون الشيء الآخر.

وهؤلاء ليسوا محل بحثنا.

والنوع الثاني: بدع ليس لها متمسك من النصوص. ومن ذلك الخلاف في مسألة الصفات فهو ليس خلافًا في فهم النصوص، إنما هذه البدعة ليس لهم فيها أصل من الكتاب والسنة، وحتى هم يعترفون بهذا أن ليس لهم دليل من الكتاب والسنة على ما يقولون".

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فالبدع نوعان:

١-نوع كان قصد أهلها متابعة النص والرسول، لكن غلطوا في فهم النصوص، وكذبوا بما يخالف ظنهم من الحديث ومعاني الآيات؛ كالخوارج، وكذلك الشيعة المسلمين، بخلاف من كان منافقًا زنديقًا يظهر التشيع، وهو في الباطن لا يعتقد الإسلام. وكذلك المرجئة قصدوا اتباع الأمر والنهي، وتصديق الوعيد مع الوعد.

ولهذا قال عبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)، ويوسف بن أسباط-رحمه الله-(ت: ١٩٥ هـ)، وغيرهما إن الثنتين وسبعين فرقة أصولها أربعة: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والقدرية.

٢-وأما الجهمية النافية للصفات، فلم يكن أصل دينهم اتباع الكتاب والرسول؛ فإنه ليس في الكتاب والسنة نص واحد يدل على قولهم، بل نصوص الكتاب والسنة متظاهرة بخلاف قولهم، وإنما يدعون التمسك بالرأي المعقول". [١]

وبحثنا لا يتناول جميع من يدخل في القسم الثاني لأن هؤلاء ينقسمون إلى عدة أقسام:

[١] النبوات (١/ ٤٢٣-٤٢٤).

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "المعارضات الأربعة السارية في العالم، المسماة: بالمعقول، والقياس، والذوق، والسياسة.

فالأولى: للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين، الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة. وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل: قدمنا العقل. وعزلنا النقل. إما عزل تفويض، وإما عزل تأويل.

والثاني: للمتكبرين من المنتسبين إلى الفقه، قالوا: إذا تعارض القياس والرأي والنصوص: قدمنا القياس على النص. ولم نلتفت إليه.

والثالث: للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف والزهد. فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر. قدموا الذوق والحال. ولم يعبأوا بالأمر.

والرابع: للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأمراء الجائرين. إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة. قدموا السياسة. ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة: هم أهل الكبر. والتواضع: التخلص من ذلك كله". [1]

وبهذا التقسيم يتحدد المقصود من بحثنا وهم الصنف الأول والثالث بحسب تقسيم ابن القيم-رحمه الله-.

لكي نتطرق إلى موضوع البحث وفق حدوده المرسومة، فإن الأمر يتطلب أن يؤخذ الأمر من عدة زوايا،

الزاوية الأولى: زاوية تاريخية لأنها تصل الماضي بالحاضر، والسابق باللاحق، وتوضح شيئًا من زمن ظهور مقالاتهم وتسلسلها التاريخي والأماكن والأشخاص الذين تأثروا بها وحملوا أفكارها وسعوا في نشرها.

الزاوية الثانية: زاوية عقدية ومنهجية للتعرف على المسارات والمسالك التي سلكها هؤلاء وكيف تأثر بها من انتسب إليهم من المتقدمين والمتأخرين؟

الزاوية الثالثة: زاوية تتعلق بما يطلقون عليه مسمى علم ما وراء الطبيعة، (الميتافيزيقا) فهذا الجانب تناوله أولئك من عدة نواح.

---

[1] مدارج السالكين (٢/ ٣١٨).

وعليه فإن الحديث هنا يقتصر على المتأثرين بالفلاسفة من حيث الجوانب المتعلقة بالتأريخ العقدي المتعلق بجذورهم التي يرجعون إليها، ونشأتهم وبداية ظهورهم، ومن ثم الحديث عن ومدارسهم ومسالكهم التي سلكوها في نشر فكرهم، وأهم الشخصيات التي كان أثر في نشر فكرهم، دون الدخول في المسائل التفصيلية للمسائل التي أثاروها والشبه التي قامت عليها أقوالهم، والردود عليهم، فتلك الجوانب لها مجالها المختلف عما تتناوله هذه الدراسة.

المطلب السادس: مصطلحات البحث.

أولًا: التعريف بكلمة فلسفة.

"الفلسفة، اسم جنس لمن يُحِبُ الحكمة ويُؤثِرُها.

وأصل كلمة "فلسفة": هي كلمة يونانية مكونة من جزأين (فيلو) بمعنى: محب أو بيت، و(سوفيا) بمعنى: الحكمة، فالفلسفة معناها: محبة الحكمة[١]، أو بيت الحكمة.

ثانيًا: تعريف الفلاسفة.

الفلاسفة: هم الحكماء أو محبو الحكمة، هذا هو المعنى العربي للفلسفة. [٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "والمقصود أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختص بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا لما يقضيه العقل بزعمه". [(٣)]

---

[١] انظر: انظر : المعجم الفلسفي / صليبا (٢/١٩٠)، دائرة معارف القرن العشرين (٧/ ٤٠٤)، موسوعة المورد (٨/ ٢٤)، منهاج السنة (١/ ٣٠٩) ، الصفدية (٢/ ٣٢٣)، طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٦٠٤)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٢٠٣)، وموسوعة الفلسفة / بدوي (١/ ١٣١)، ومبادئ الفلسفة / ا. س. رابوبرت (٦-٧).

[٢] إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٤).

[٣] إغاثة اللهفان (ص: ٢٠٩).

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "والمقصود أن الفلاسفة هم حكماء اليونان، وكل أمة من أهل الكتب المنزله وغيرهم فلهم حكماء بحسب دينهم، كما للهند المشركين حكماء، وكان للفرس المجوس حكماء. وحكماء المسلمين هم أهل العلم بما بعث الله به رسوله وأهل العمل به. قال مالك: «الحكمة معرفة الدين والعمل». وقال ابن قتيبة وغيره: «الحكمة في اللغة هي العلم والعمل» فمن علم ما أخبرت به الرسل فآمن به وصدق بعلم ومعرفة، وعلم ما أمر به فسمع وأطاع ، فقد أوتي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرًا" .[١]

ثالثًا: المقصود بعلم ما بعد الطبيعة.

هو ما يسمى (الميتافيزيقا): (أو ما وراء الطبيعة) وهي شعبة من الفلسفة تبحث في ماهية الأشياء، وعلة العلل أي القوة المحركة لهذا العالم وكلمة (ميتافيزيقا) تتألف في الأصل من لفظتين يونانيتين هما : (ميتا) و معناها : (وراء) وكلمة (فيزيقا) ومعناها : (الطبيعة). [٢]

المطلب السابع: الدراسات السابقة

لم أقف خلال بحثي على بحث تناول هذا الموضوع من هذا الجانب على وجه التحديد، وهناك بحوث تناولت العلاقة من جوانب معينة، منها على سبيل المثال لا الحصر البحوث الآتية:

١-بحث بعنوان: "قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف". أ . د. سعود بن عبد العزيز الخلف الأستاذ في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية، ويقع في ستين صفحة.

---

[١] الصفدية (٢/ ٣٢٥).

[٢] انظر : موسوعة المورد (٧/ ٢٠)، المعجم الفلسفي (٢/٣٠٠)، وموسوعة الفلسفة (٢/ ٤٩٣).

٢-بحث بعنوان "الجزاء بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين-دراسة نقدية-"، للباحث: علي مصطفى موسى القضاة، وهو رسالة علمية قدمت لنيل درجة الدكتوراه، ويقع البحث في مائتين وخمس وسبعين صفحة.

٣- بحث بعنوان: "موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها"، تأليف: الدكتور صالح بن غرم الله الغامدي، وهو رسالة علمية قدمت لنيل درجة الدكتوراه، ويقع في ستمائة وأربع وستون صفحة.

٤- بحث بعنوان: "الآثار العقدية للوثنية اليونانية"، تأليف: الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل، ويقع في مائة صفحة.

٥- بحث بعنوان: "البعث عند الفلاسفة الإسلاميين"، للباحث الدكتور محمد حسن خليل أبو حطب، ويقع البحث في ست وأربعين صفحة.

٦- بحث بعنوان: "مسألة البعث الجسماني بين الفلاسفة والمتكلمين"، لكل من: شريهان سميح عطية آل خطاب، ورائد محمود دوينه، ومحمود لافي عبيدان، ويقع في أربع وثلاثين صفحة.

٧-بحث بعنوان "المعاد بين المتكلمين والفلاسفة (الغزالي وابن سينا أنموذجًا)"، للباحث: سالم جاسر النصافي، ويقع في ثلاثين صفحة.

٨- بحث بعنوان: "النفس الإنسانية في الحضارات القديمة وموقف الفلاسفة الإسلاميين منها"، للباحث: علي محمد علي محمد، ويقع البحث في ست عشرة صفحة.

٩- مقال بعنوان "الفلاسفة الإسلاميون بين المعتزلة والأشاعرة". للباحث علي مصطفى، ويقع في ثلاث صفحات.

والقائمة تطول.

المطلب الثامن: منهج البحث.

يعتمد منهج البحث على الجمع بين الجانب الوصفي والتحليلي معًا، وذلك بحسب ما تقتضيه الحاجة في فصول البحث ومباحثه ومطالبه، وذلك على اعتبار أن للبحث جوانبه التاريخية تتعلق بالنشأة والجذور والتطور

الحاصل في هذه المقالة والأشخاص والأماكن التي ارتبطوا بها، مما يستدعي الحصول على المعلومات ذات علاقة بالموضوع من بطون الكتب، ومن ثم صياغتها وسردها بشكل وصفي يراعي التسلسل الزمني بما يصف حالها وأطوارها ويعطي نبذة تعريفية عنها.

وأما الجوانب المتعلقة بالاعتقاد فهي جوانب تحتاج إلى التحليل الربط والاستنتاج، الأمر الذي يستدعي جمع المعلومات وتحليلها وربط بعضها ببعض، ومن ثم تقديمها للقارئ بصورة سهلة وميسرة يمكن استيعابها وتصورها؛ مع مراعاة البعد عن التعقيد والتفاصيل الدقيقة التي ليست هي مجال البحث.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة وثلاثة فصول

المقدمة

وتحتوي على المطالب الآتية:

المطلب الأول: إشكالية البحث

المطلب الثاني: أسئلة البحث:

المطلب الثالث: أهداف البحث :

المطلب الرابع: أهمية البحث:

المطلب الخامس: حدود البحث.

المطلب السادس: مصطلحات البحث.

المطلب السابع: الدراسات السابقة

المطلب الثامن: منهج البحث.

الفصل الأول:

مفهوم الفلسفة وإطلاقاتها.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحكمة.

المبحث الثاني: إطلاقات كلمة الفلسفة.

المبحث الثالث: التعريف بأصل نشأتها وأطوارها.

المبحث الرابع: هل الفلاسفة كلهم ملاحدة.

المبحث الخامس: طريقة ومنطق البحث الفلسفي للوصول إلى الحقائق.

المبحث السادس: الاتجاهات الفلسفية.

الفصل الثاني:

المشارب الفلسفية السابقة وتأثيرها على الفرق المخالفة.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: المشرب اليوناني.

المبحث الثاني: المشرب الصابئي.

المبحث الثالث: المشرب اليهودي.

المبحث الرابع: المشرب الغنوصي.

المبحث الخامس: المشرب الفارسي.

المشرب السادس: المشرب السمني.

الفصل الثالث:

تحديد أبرز الفرق المخالفة التي تأثرت بالفكر الفلسفي

المبحث الأول: الانحرافات العقدية لدى الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

المبحث الثاني: المتأثرون بالفكر الفلسفي المشائي.

المبحث الثالث: المتأثرون بالفكر الفلسفي الإشراقي.

المبحث الرابع: المتأثرون بالفكر الفلسفي الباطني.

الخاتمة.

الفصل الأول: مفهوم الفلسفة وإطلاقاتها.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحكمة.

المبحث الثاني: إطلاقات كلمة الفلسفة.

المبحث الثالث: التعريف بأصل نشأتها وأطوارها.

المبحث الرابع: هل الفلاسفة كلهم ملاحدة.

المبحث الخامس: طريقة ومنطق البحث الفلسفي للوصول إلى الحقائق.

المبحث السادس: الاتجاهات الفلسفية.

المبحث الأول: مفهوم الحكمة.

الفلسفة من حيث هي معناها: محبة الحكمة، والفيلسوف أصله: فيلاسوفا، أي: محب الحكمة، فهي مكونة من كلمتين فـ (فيلا) هي الحب، و (سوفا) هي الحكمة.

والحكمة شأن اهتمت به الأمم على اختلاف أجناسها وعلى اختلاف مسالكها ومذاهبها فالحكمة أمر مطلوب وأمر إنساني، ولكن ما نوع هذه الحكمة؟ هذا الذي تختلف فيه الأمم، فلا يظن الظَّانُّ أن الكلام عن الحكمة والفلسفة، دائمًا في الجانب السلبي، وإنما قد يكون له جانب إيجابي وله جانب سلبي.

فالجانب الإيجابي: أن الحكمة مطلب إنساني لا بد من البحث والتبحر فيه، وهو موجود في الإسلام، قال تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [البقرة: الآية: ١٢٩]،

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها، وأصح الطوائف حكمة: من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاءوا بها عن الله تعالى.

قال تعالى عن نبيه داود –عليه السلام–: {وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [ص: الآية: ٢٠].

وقال عن المسيح –عليه السلام–: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ} [آل عمران: الآية: ٤٨].

وقال عن يحيى –عليه السلام–: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم: الآية: ١٢]، والحكم هو الحكمة.

وقال لرسوله محمد–صلى الله عليه وسلم–: {وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [النساء: الآية: ١١٣].

وقال: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة: الآية: ٢٦٩].

وقال لأهل بيت رسوله–صلى الله عليه وسلم–: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ}[الأحزاب: الآية: ٣٤].

فالحكمة التي جاءت بها الرسل هي الحكمة الحق، المتضمنة للعلم النافع والعمل الصالح، للهدى ودين الحق، لإصابة الحق اعتقادًا وقولًا وعملًا، وهذه الحكمة فرقها الله سبحانه بين أنبيائه ورسله، وجمعها لمحمد–صلى الله عليه وسلم–، كما جمع له من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله، وجمع في كتابه من العلوم والأعمال ما فرقه في الكتب قبله، فلو جمعت كل حكمة صحيحة في العالم من كل طائفة، لكانت في الحكمة التي أوتيها صلوات الله وسلامه عليه جزءا يسيرا جدا، لا يدرك البشر نسبته". [1]

والحكمة الحقة تبني اليقين وتأسسه وتقيم دعائمه، وتؤدي للرسوخ في العلم بخلاف حكمة الفلاسفة فإنها تزرع الشك وتنزع اليقين وتؤدي للحيرة والضلال.

وبحمد الله تعالى لو سألنا أنفسنا عن هؤلاء الذين خالفوا منهج الرسل عن ماذا يبحثون؟ أيبحثون فيما وراء الطبيعة على حد قولهم؟ فما وراء الطبيعة هل يقصدون به الأمور الإلهية المتعلقة بالله وما يتبع ذلك من الإيمان بالملائكة، وبالكتب، وبالرسل، وباليوم الآخر، أو عن أصل هذا الكون.

فإن كان هذا مقصودهم–فبحمد الله–فالله–عز وجل– أرسل رسولًا وأنزل كتابًا أجاب عن كل الأسئلة التي يطرحونها ويتناولونها وأجاب بالوحي، ليس بآراء الرجال وترهاتهم وأفكارهم القاصرة ولا إلى غير ذلك من المسالك والطرق، فالحكمة التي أنزلها الله لنا حكمةٌ أجابت عن كل المسائل التي طرحت؛ ومثالًا على ذلك:

[1] إغاثة اللهفان (٢/ ١٠١٧–١٠١٨).

إذا كانوا يتكلمون عن أصل الخلق، فأصل الخلق بينه الله-سبحانه وتعالى-، في كتابه وعلى لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-فذكر لنا أصل خلق الإنسان، وأصل خلق الملائكة، وأصل خلق الجن، وكذا الحال مع باقي المخلوقات.

أو يتكلمون عن الغيبيات، الغيبيات بكل أنواعها تناولها الكتاب وتناولتها السنة.

أو يتكلمون عن الأخلاق وما يتعلق بها، فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة وافية كافية شاملة تبين الأمر من جميع نواحيه.

فالمسلم المطمئن المؤمن بالله وبكتابه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كُفي المؤونة، وما عليه إلا أن يَرِدَ هذا المورد وأن يأخذ منه.

وكذلك الطرق التي تسلك في بيان الحق، الحمد لله تعالى جاءت وافية في كلام الله وكلام رسوله، فإذاً الأمر الأول الحكمة أمر مطلوب.

أما الذي وقع في الشك والإلحاد فذاك له شأن، وله علاج، فالحق واضح في نفسه لكن الخلل إنما يأتي للناس من جهة أنفسهم، فمنهم من لا يبالي فهو معرض عن الحق بالكلية، ومنهم الجاهل المقلد الذي نشأ على الباطل فهو متمسك به معرض عن أي أمر غيره، ومنهم من حمله كبره وعناده عن استماع الحق والبحث فيه، ومنهم من أضلته الدعاوى الباطلة والتهم المغرضة التي سلطها أعداء الدين لصد الناس عن الهدى.

المبحث الثاني: إطلاقات كلمة الفلسفة.

كلمة الفلسفة لها ثلاثة إطلاقات:

الإطلاق الأول: المعنى الأعم.

فبعض الفلاسفة يطلق الفلسفة على جميع المعارف الإنسانية، فقد عرفها ديكارت[١]، بأنها: "العلم بالمبادئ الأول والعلم الكلي الشامل" ، وكان يشبهها بشجرة أصلها علم ما بعد الطبيعة، وساقها علم الطبيعة، وأغصانها العلوم الأخرى: كالطب، والميكانيكا، وعلم الأخلاق".[٢]

ولقد كان من رأي أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. - ٣٤٧ ق.م.)، وأرسطو ولد أرسطو (أرسطاطاليس /أرسطوطاليس) في عام ٣٨٤ ق.م. وعاش حتى ٣٢٢ ق.م)، أن الفلسفة إما أن تختلط بالعلم في أوسع معانيها، وإما أن تمثل المعلومات للعقل عن طريق أعم مداركه، وأعلى أصوله إن أخذت بأضيق معانيها".[٣]

فأدخلوا فيها فلسفة القانون، وفلسفة الفن، وفلسفة التاريخ، وأخيرا فلسفة الدين في الدراسات الفلسفية؛ ثم تعددت وظيفة الفلسفة ومهمتها في الفلسفة المعاصرة.

لأن الفلسفة عبارة عن مجموعة من المشكلات بحدها مثيرة للاهتمام، وهي في الوقت نفسه لا تختص بعلم دون آخر، وهذه المشكلات تثير شكوكًا حول المعرفة على وجه العموم ، والإجابة على تلك الشكوك تعتبر إنتاجًا فلسفيًا.

قال أبو حامد الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ): "أعلم: أن علومهم-بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه-ستة أقسام رياضية، ومنطقية، وطبيعية، وإلهية، وسياسية، وخلقية.

[القسم الأول]: أما الرياضية: فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم، وليس يتعلق منه شيء بالأمور الدينية نفيًا وإثباتًا.

---

[١] فيلسوف فرنسي، يعدونه رائد الفلسفة في العصر الحديث، وفي الوقت نفسه كان رياضيًا ممتازًا، ابتكر الهندسة التحليلية. ولد في فرنسا سنة (١٥٩٥ م) . من كتبه: مقال في المنهج، وتأملات في الفلسفة الأولى . توفي سنة (١٩٥٠ م). انظر : موسوعة الفلسفة (١/ ٤٩٠).

[٢] انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ١٦٠)، دائرة معارف القرن العشرين (٧/ ٤٠٤-٤٠٦)، معالم التجديد في الفلسفة الإسلامية لمقداد يلجن (ص: ١٣).

[٣] انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٧/ ٤٠٦).

[القسم الثاني]: وأما المنطقيات: وهي النظر في طرق الأدلة والمقاييس، وشروط مقدمات البرهان، وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه. وأن العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان.

[القسم الثالث]: وأما علم الطبيعيات: فهو بحث عن عالم السماوات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة: كالماء والهواء والتراب والنار، وعن الأجسام المركبة، كالحيوان والنبات والمعادن، وعن أسباب تغيرها وامتزاجها، وكذلك يضاهي بحث الطب عن جسم الإنسان، وأعضائهم الرئيسية والخادمة، وأسباب استحالة مزاجه.

[القسم الرابع]: وأما الإلهيات: ففيها أكثر أغاليطهم، فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس (أرسطو) (ت: ٣٢٢ ق.م)، فيها من مذاهب الإسلاميين، على ما نقله الفارابي (ت: ٣٣٩)، وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ).

[القسم الخامس]: وأما السياسيات: فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية، والإيالة السلطانية، وإنما أخذوه من كتب الله المنزلة على الأنبياء، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء عليهم السلام.

[القسم السادس]: وأما الخلقية: فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها، وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها، وإنما أخذوها من كلام الصوفية، وهم المتألهون المواظبون على ذكر الله تعالى، وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى بالإعراض عن ملاذ الدنيا، فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها إلى ترويج باطلهم". [1]

الإطلاق الثاني: المعنى الأخص.

وهو ما يسمى (الميتافيزيقا): (أو ما وراء الطبيعة) وهي شعبة من الفلسفة تبحث في ماهية الأشياء، وعلة العلل أي القوة المحركة لهذا العالم وكلمة (ميتافيزيقا) تتألف في الأصل من لفظتين يونانيتين هما : (ميتا) ومعناها:

---

[1] المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي (ص: ١٣٨-١٥١)، "باختصار".

(وراء) وكلمة (فيزيقا) ومعناها : (الطبيعة) [1]. وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

الإطلاق الثالث: وأخص من ذلك: أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو، وهم المشاءون خاصة.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وأخص من ذلك: أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، وهم المشاءون خاصة، وهم الذين هذب ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، طريقتهم، وبسطها، وقررها، وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين. وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة، ومقالتهم واحدة من مقالات القوم، حتى قيل: إنه ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م) وشيعته، فهو أول من عرف أنه قال بقدم هذا العالم.

والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه، وإثبات الصانع، ومباينته للعالم، وأنه فوق العالم، وفوق السماوات بذاته. (٢)

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "والفلاسفة يأخذون بزعمهم محاسن ما دلت عليه العقول، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يحرمه، وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك". (٣)

المبحث الثالث: التعريف بأصل نشأتها وأطوارها.

أصل نشأتها.

موضوع أصل نشأتهم اختلفت فيه آراء الباحثين قديمًا وحديثًا، بحيث يصعب استخلاص رأي متفق عليه على مسألة من مسائله. ٤

ويمكن استخلاص الأراء الرئيسة في ثلاثة أقوال:

---

[1] انظر : موسوعة المورد (٧/ ٢٠)، المعجم الفلسفي (٢/ ٣٠٠)، وموسوعة الفلسفة (٢/ ٤٩٣).

[2] إغاثة اللهفان (٢/ ١٠١٩).

[3] إغاثة اللهفان (٢/ ١٠١٠).

٤ انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٧/ ٤٠٦).

القول الأول: القائلين بأنها نشئت في المشرق

فمن قائل: إن الفلسفة–في أصل نشأتها–ولدت في الشرق، أولًا: في مصر، والهند، والصين، وفارس، ثم انتقلت منها إلى بلاد اليونان، وانتشرت وازدهرت فيها، وذاع صيتها في العالم، بحيث يخيل لمن يطالع تاريخ العقل البشري أن اليونانيين هم الذين وضعوا أساس الفلسفة قبل غيرهم. ١

القول الثاني: أنها نشئت في اليونان.

ومن قائل: إن البلاد اليونانية كانت مشرق الفلسفة ومحتدها الأول. وأنها (أي الفلسفة) نشأت نشأة طبيعية، من خصائص الشعب اليوناني نفسه". ٢

القول الثالث: أنه ليس لها مكان محدد

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والمقصود أن الفلاسفة هم حكماء اليونان، وكل أمة من أهل الكتب المنزلة وغيرهم فلهم حكماء بحسب دينهم كما للهند المشركين حكماء وكان للفرس المجوس حكماء". ٣

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الفلاسفة لا تختص بأمة من الأمم، بل هم موجودون في سائر الأمم، وإن كان المعروف عند الناس أن الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم هم فلاسفة اليونان، فهم طائفة من طوائف الفلاسفة". ٤

قال ابن القيم: "والفلاسفة لا تختص بأمة من الأمم، بل هم موجودون في سائر الأمم، وإن كان المعروف عند الناس الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم هم فلاسفة اليونان، فهم طائفة من طوائف الفلاسفة، وهؤلاء أمة من الأمم، لهم مملكة وملوك، وعلماؤهم فلاسفتهم.

---

١ انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٧/ ٤٩٩)، وموسوعة الفلسفة (١/ ٤١١).

٢ انظر: موسوعة الفلسفة (١/ ٤١١)، (٢/ ١٣٨).

٣ انظر: الصفدية (٢/ ٣٢٥).

٤ انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢١٠).

المبحث الرابع: هل الفلاسفة كلهم ملاحدة

المطلب الأول: أقسام الفلاسفة باعتبار مواقفهم تجاه الدين.

قال أبو حامد الغزالي–رحمه الله–(٥٠٥ هـ): "اعلم أنهم–على كثرة فرقهم، واختلاف مذاهبهم–ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون.

[الصنف الأول: الدهريون]

وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبدًا وهؤلاء هم الزنادقة.

[والصنف الثاني: الطبيعيون]

وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات؛ فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى، وبدائع حكمته، مما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها، ولا يطالع التشريح، وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان، لا سيما بنية الإنسان..! إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم – لاعتدال المزاج – تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به، فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضا، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم، ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم، كما زعموا، فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والنار، والحشر والنشر، والقيامة، والحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا إنهماك الأنعام. وهؤلاء أيضًا زنادقة، لأن أصل الإيمان هو: الإيمان بالله واليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته،.

[والصنف الثالث: الإلهيون]

وهم المتأخرون منهم مثل سقراط، وهو أستاذ أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. - ٣٤٧ ق.م.)، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس (أرسطو ت: ٣٢٢ ق. م)". [١]

وقال الشهرستاني-رحمه الله-(ت: ٥٤٨ هـ): "أنبادقليس وهو من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم رقيق الحال في الأعمال. وكان في زمن داود النبي عليه السلام مضى إليه وتلقى منه العلم، واختلف إلى لقمان الحكيم واقتبس منه الحكمة ثم عاد إلى يونان وأفاد". [٢]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وسبب ذلك ما ذكره طائفة ممن جمع أخبارهم أن أساطين الأوائل —كفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون- كانوا يهاجرون إلى أرض الأنبياء بالشام، ويتلقون عن لقمان الحكيم ومن بعده من أصحاب داود وسليمان، وأن أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، لم يسافر إلى أرض الأنبياء ، ولم يكن عنده من العلم بأثارة الأنبياء ما عند سلفه، وكان عنده قدر يسير من الصابئية الصحيحة، فابتدع لهم هذه التعاليم القياسية، وصارت قانونا مشى عليه أتباعه". [٣]

قال ابن تيمية: "ويذكر أن فيثاغورس معلم سقراط، وسقراط معلم أفلاطون، وأفلاطون معلم أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)". [٤]

أما عن كثرة مذاهبهم واختلافهم في ذلك فيقول: "فإن الفلاسفة ليسوا أمة واحدة لها مقالة في العلم الإلهي والطبيعي، وغيرهما، بل هم أصناف متفرقون، وبينهم من التفرق والاختلاف ما لا يحصيه إلا الله". [٥]

فنشأ فيهم سقراط أحد تلامذة فيثاغورس، وكان من عبادهم ومتألهيهم، وجاهرهم بمخالفتهم في عبادة الأصنام، وقابل رؤساءهم بالأدلة والحجج على بطلان عبادتها، فثار عليه العامة، واضطروا الملك إلى قتله، فأودعه

---

[١] المنقذ من الضلال (ص: ١٢٨-١٣٨).

[٢] الملل والنحل (٢/ ٦٧).

[٣] نقض المنطق (ص: ١١)، الرد على المنطقيين (ص: ٣٣٧).

[٤] الرد على المنطقيين (ص: ٣٣٧).

[٥] الرد على المنطقيين (ص: ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٦).

السجن ليكفهم عنه، ثم لم يرض المشركون إلا بقتله، فسقاه السم خوفا من شرهم، بعد مناظرات طويلة جرت له معهم.

ومذهبه في الصفات قريب من مذهب أهل الإثبات، فقال: "إنه إله كل شيء، وخالقه، ومقدره، وهو عزيز أي منيع ممتنع أن يضام، وحكيم أي محكم أفعاله على النظام".

وقال: "إن علمه، وقدرته، ووجوده، وحكمته: بلا نهاية، لا يبلغ العقل أن يصفها".

وقال: "إن تناهي المخلوقات بحسب احتمال القوابل، لا بحسب الحكمة والقدرة، فلما كانت المادة لا تحتمل صورا بلا نهاية تناهت الصور، لا من جهة بخل في الواهب، بل لقصور في المادة".

قال: "وعن هذا اقتضت الحكمة الإلهية أنها وإن تناهت ذاتًا وصورة وحيزًا ومكانًا، إلا أنها لا تتناهى زمانًا في آخرها، لا من نحو أولها، فاقتضت الحكمة استبقاء الأشخاص باستبقاء الأنواع، وذلك بتجدد أمثالها، ليحفظ الأشخاص ببقاء الأنواع، ويستبقى الأنواع بتجدد الأشخاص، فلا تبلغ القدرة إلى حد النهاية، ولا الحكمة تقف على غاية".

ومن مذهبه: أن أخص ما يوصف به الرب سبحانه هو كونه حيًا قيومًا، لأن العلم، والقدرة، والجود، والحكمة: تندرج تحت كونه حيا قيوما، فهما صفتان جامعتان للكل.

وكان يقول: "هو حي ناطق من جوهره، أي من ذاته، وحياتنا ونطقنا وحياتنا لا من جوهرنا، ولهذا يتطرق إلى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد، ولا يتطرق ذلك إلى حياته ونطقه".

وكلامه في المعاد والصفات والمبدأ أقرب إلى كلام الأنبياء من كلام غيره.

وبالجملة، فهو أقرب القوم إلى تصديق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا قتله قومه.

وكان يقول: "إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات".

وقال: "لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم".

وقال: "ينبغي أن نغتم بالحياة ونفرح بالموت، لأن الإنسان يحيا ليموت، ثم يموت ليحيا".

وقال: "قلوب المغرقين في المعرفة بالحقائق منابر الملائكة، وقلوب المؤثرين للشهوات مقاعد للشياطين".

وقال: "للحياة حدان، أحدهما: الأمل، والآخر: الأجل، فبالأول بقاؤها، وبالآخر فناؤها".

وكذلك أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، كان معروفًا بالتوحيد، وإنكار عبادة الأصنام، وإثبات حدوث العالم، وكان تلميذ سقراط، ولما هلك سقراط قام مقامه، وجلس على كرسيه وكان يقول: "إن للعالم صانعا محدثا، مبدعا أزليا، واجبا بذاته، عالما بجميع المعلومات".

قال: "وليس في الوجود رسم ولا طلل إلا ومثاله عند الباري". يشير إلى وجود صور المعلومات في علمه.

فهو مثبت للصفات، وحدوث العالم، ومنكر لعبادة الأصنام، ولكن لم يواجه قومه بالرد عليهم وعيب آلهتهم، فسكتوا عنه، وكانوا يعرفون له فضله وعلمه.

وصرح أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، بحدوث العالم، كما كان عليه الأساطين

المطلب الثاني: نشأة النظريات الإلحادية

وقد نشأت النظريات الإلحادية على اتجاهين:

أحدهما: هو النظرياتِ التي تستدرك على الدين بعض معتقداته، أو تنتقد بعض مسلماته، أو تؤول بعض مفاهيمه، من غير نفيه بالكلية.

والثاني: هو نقد الدين برمته، ونفيه بالكلية، أو إنكار أسسه، أو نفي مصادره، مما ينتج عنه نفيه بالكلية.

وأول من حكى ذلك عنه الإلحاد أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، وخالف في ذلك قول معلمه سقراط، فزعم أنه قديم، وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة من المنتسبين إلى الملل وغيرهم، حتى انتهت النوبة إلى أبي علي ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، فرام بجهده تقريب هذا الرأي من قول أهل الملل، وهيهات اتفاق النقيضين، واجتماع الضدين!

فرسل الله تعالى وكتبه وأتباع الرسل في طرف، وهؤلاء القوم في طرف.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "مذهب الفلاسفة الذين نصره الفارابي (ت: ٣٣٩)، وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وأمثالها كالسهروردي (ت: ٥٨٤ هـ) المقتول على الزندقة، وكأبي بكر بن الصائغ (ت: ٥٣٣ هـ)، وابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥ هـ) هو مذهب المشائين أتباع أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م) صاحب

المنطق وهو الذي يذكره الغزالي في كتاب مقاصد الفلاسفة وعليه رد في التهافت وهو الذي يذكره الرازي في الملخص والمباحث المشرقية ويذكره الآمدي في دقائق الحقائق ورموز الكنوز وغير ذلك.

وعلى طريقهم مشى أبو البركات صاحب المعتبر (ت: ٥٦٠ هـ) لكن لم يقلدهم تقليد غيره بل اعتبر ما ذكروه بحسب نظره وعقله، وكذلك الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، والآمدي (ت: ٦٣١ هـ)، يعترضان عليهم في كثير مما يذكرونه بحسب ما يسنح لهم، وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، أيضًا قد يخالف الأولين في بعض ما ذكروه ولهذا ذكر في كتابه المسمى ب الشفاء أن الحق الذي ثبت عنده ذكره في الحكمة المشرقية، والسهروردي ذكر ما ثبت عنده في حكمة الإشراق والرازي في المباحث المشرقية". (١)

وقال ابن تيمية عن أرسطو: "إنه خالف من سبقه من الفلاسفه في عدة قضايا، وأنه هو أول من قال بقدم العالم، وأنه كان مشركا يعبد الأوثان، وأن عامة كلامه وكلام أتباعه إنما كانت في الطبيعيات، أما الإلهيات، فكلامه فيها قليل جدًا للغاية، ولذلك قام ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وأمثاله بخلط كلامه وكلام أتباعه بكلام كثير من متكلمي أهل الملل، فصار للقوم كلام في الإلهيات، وصاروا يقربون أصول هؤلاء إلى طريقة الأنبياء، ويظهرون أن أصولهم لا تخالف الشرائع النبوية"[٢] . وقد أورد شيخ الإسلام في كتبه ورسائله التي تعرض فيها لمناقشة آراء الفلاسفة، عددا كبيرًا من أسماء فلاسفة اليونان، مع بيان آرائهم بكل دقة في المسائل التي يناقشها.

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): بعد حديثه عن فِرَق الفلاسفة: "وبالجملة فملاحدتهم: هم أهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله سرى هذا التعطيل إلى سائر فرق المعطلة، على اختلاف آرائهم وتباينهم في التعطيل، كما سرى داء الشرك تأصيلًا وتفصيلًا في سائر فرق المشركين على اختلاف مذاهبهم فيه، وكما سرى جحد النبوات تأصيلًا وتفصيلًا في سائر من جحد النبوة أو صفة من صفاتها، وأقر بها جملة وجحد مقصودها وزبدتها أو بعضه فهذه الفرق

---

[١] الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص: ٣٢٥-٣٢٦).

[٢] انظر: الصفدية (١/ ٢٣٦-٢٣٧)، الرد على المنطقيين (ص: ١٤٣، ٢٧٨، ١٤٤)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٧).

الثلاث سرى داؤها وبلاؤها في الناس، ولم ينج منه إلا أتباع الرسول العارفون بحقيقة ما جاء به، المتمسكون به دون ما سواه، ظاهرا وباطنا.

فداء التعطيل، وداء الإشراك، وداء مخالفة الرسول، وجحد ما جاء به أو شيء منه: هي أصل بلاء العالم، ومنبع كل شر، وأساس كل باطل، فليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والباطل والبدع إلا وقولها مشتق من هذه الأصول الثلاثة، أو من بعضها:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أظنك ناجيا. [1]

فسرت هذه البلايا الثلاثة في كثير من طوائف الفلاسفة، لا في جميعهم،

وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القول بقدم هذا العالم: أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، وكان مشركًا يعبد الأصنام، وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره، قد تعقبه بالرد عليه طوائف المسلمين، حتى الجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والرافضة، وفلاسفة الإسلام، أنكروه عليه، وجاء فيه بما يسخر منه العقلاء.

وأنكر أن يكون الله سبحانه يعلم شيئًا من الموجودات، وقرر ذلك بأنه لو علم شيئًا لكمل بمعلوماته، ولم يكن كاملًا في نفسه، وبأنه كان يلحقه التعب والكلال من تصور المعلومات.

فهذا غاية عقل هذا المعلم الأستاذ.

وقد حكى ذلك أبو البركات (ت: ٥٦٠ هـ)، وبالغ في إبطال هذه الحجج وردها.

فحقيقة ما كان عليه هذا المعلم لأتباعه: الكفر بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ودرج على أثره أتباعه من الملاحدة، ممن يتستر باتباع الرسل، وهو منحل من كل ما جاءوا به.

وأتباعه يعظمونه فوق ما يعظم به الأنبياء، ويرون عرض ما جاءت به الرسل والأنبياء على كلامه، فما وافقه منها قبلوه، وما خالفه لم يعبأوا به شيئا.

ويسمونه المعلم الأول، لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، كما أن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٤ هـ) أول من وضع عروض الشعر.

وزعم أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م) وأتباعه أن المنطق ميزان المعاني، كما أن العروض ميزان الشعر.

---

[1] البيت للأسود بن سريع في البيان والتبيين (١/ ٣٦٧).

وقد بين نظار الإسلام فساد هذا الميزان وعوجه، وتعويجه للعقول، وتخبيطه للأذهان، وصنفوا في رده وتهافته كثيرا.

وآخر من صنف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)، ألف في رده وإبطاله كتابين كبيرًا وصغيرًا، بين فيه تناقضه وتهافته، وفساد كثير من أوضاعه". [١]

قال أبو حامد الغزالي-رحمه الله-(٥٠٥ هـ): "وأرسطاطاليس (أرسطو ت: ٣٢٢ ق. م) هو الذي رتب لهم المنطق، وهذب لهم العلوم، وحرر لهم ما لم يكن محررًا من قبل، وأنضج لهم ما كان فجًا من علومهم، وهم بجملتهم، ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية، والطبيعية، وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} [الأحزاب: الآية: ٢٥] بتقاتلهم. ثم رد أرسطاطاليس (أرسطو) على أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. - ٣٤٧ ق.م.)، وسقراط ومن كان قبلهم من الإلهيين، ردًا لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم، إلا أنه استبقى من رذاذ كفرهم، وبدعتهم، بقايا لم يوفق للنزوع عنها، فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين. كابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، وأمثالهما. على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متلفسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين، وما نقله غيرهما ليس يخلو من تخبيط وتخليط، يتشوش فيه قلب المطالع، حتى لا يفهم، وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس، بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر في ثلاثة أقسام:

١ - قسم يجب التفكير به.

٢ - وقسم يجب التبديع به.

٣ - وقسم لا يجب إنكاره أصلا". (٢)

---

[١] إغاثة اللهفان: (٢/ ١٠١٧-١٠٢٢).

[٢] المنقذ من الضلال (ص: ١٣٦-١٣٨).

المطلب الثالث: النظريات الإلحادية

تعريف النظريات:

عرف علماء الاجتماع النظريات بأنها: مجموعة من القواعد أو الفروض أو المفاهيم، التي يمكن تطبيقها على عدد من الظواهر المتصلة، ولها القدرة على الوصف والتفسير والاستبصار. [١]

وهي تصنف على ثلاثة أنواع:

النظريات الوصفية.

والنظريات التفسيرية.

والنظريات الاجتماعية التقويمية. [٢]

ولعل النظريات الوصفية والتفسيرية هي الأنسب لوصف ما يتعلق بآراء المفكرين والفلاسفة الذين اخترعوا النظريات الإلحادية ومن ثم تفسيرها بما يمكن أن تؤول إليه وتدل عليه.

ب- تعريف الإلحاد:

الإلحاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمراء، يقال: لحد في الدين لحداً، وألحد إلحاداً، لمن مال وعدل وماری وجادل وظلم[٣].

أما تعريف الإلحاد الاصطلاحي، فهو يختلف بحسب اختلاف المراد منه، فمنهم من يعرفه بحسب إطلاقات الناس له، ومنهم من يعرفه بحسب أصل فكرته ومعناه، وذلك كما يلي:

أ – تعريف الإلحاد من حيث إطلاقات الناس له:

هؤلاء الذين عرفوا الإلحاد من حيث اطلاقات الناس له، وجدوا صعوبة كبيرة في تعريفه، وذلك لما رأوا اختلاف إطلاقات الناس على من ينطبق عليهم وصف الإلحاد.

---

(١) انظر: النظرياتالاجتماعية والممارسات البحثية , فيليب جونز، ترجمة، محمد ياسر الخواجة، (ص: ١٠ وما بعدها).

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر: لسان العرب , مادة " لحد ".

ولذلك يرى دليل "كامبريدج" صعوبة تعريف الإلحاد لاختلاف مفاهيم الناس حوله عبر العصور، فيقول: "من الصعب أن نضع تعريفا للإلحاد، لأن هذا المفهوم (مذهب الإلحاد) تطور عبر العصور مواكبةً لتطور مفهوم الإله". (١)

وهذه النظرة للإلحاد، نظرة نسبية، تنبثق من اقتصارها في وصف الإلحاد على فئة معينة من وجهة نظر معينة(٢)، فما يُرى أنه إلحاد عند فئة معينة من الناس، أو أصحاب اعتقاد معين، قد لا يرى، بل لا يرى أنه كذلك لدى فئات أخرى، أو أصحاب اعتقادات أخرى.

فمثلا، ما أنكره المسيحيون الأوائل من حرمة عبادة غير الله، أو تقديم القرابين للإمبراطور عُدّ إلحادًا من قبل السلطات الرومانية. (٣)

وقد عُدّت الغنوصية(٤) من الملاحدة، أو الهراطقة، من قبل الكنيسة المسيحية، وعوملت معاملة الملاحدة والكفرة على أقل تقدير، مع أنها لا تنكر وجود الإله بالكلية في أغلبها، بل هي خليط من الأفكار الفلسفية الدينية الهلينية وهي تعود إلى ينابيع مصرية وكلدانية وفارسية وربما حتى هندوسية(٥)، وقد كان هذا المذهب

---

(١) A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:٧٧

(٢) أي بمعنى أن وصم الإلحاد يختلف حسب اختلاف الناس حوله وحسب الدين الحاكم على الملاحدة عبر العصور، فمثلا الملاحدة في العصر اليوناني هم الموحدون أو القائلون بإله واحد أو القائلون بعدة آلهة في الوجود, ويختلف عنه في العصر الروماني وكذلك في العصر اليهودي والمسيحي والاسلامي بل يختلف حتى عند أتباع كل مذهب.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة, يوسابيوس القيصري, ترجمة القس: مرقس داود , الكتاب الرابع , الفصل الثالث، وتاريخ الكنيسة, القس: جون لوريمر (٢/٣٠)، وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى, للمؤرخ الكنسي أسعد رستم (١/ ٦٧).

(٤) كلمة "الغنوزيس" gnosis هي كلمة يونانية وتعني المعرفة والحكمة، أو العلوم الخاصة بالعلوم الروحية والإلهية.

والغنوسية من أشد المذاهب الدينية التوقيفية اضطرابا، فنجد فيها خليطا من الأسرار الوثنية، والطقوس السحرية، والنظريات الغريبة، عن نشأة الكون والتفسيرات الاعتباطية للعهد القديم والعهد الجديد.

وقدكانت تشكل خطرًا كبيرًا على المسيحية في القرون الأولى للميلاد وبالأخص من وجهة نظر المسيحيين، وذلك لمحاولتها خلط تعاليم المسيحية بالآراء الميتافيزيقية والأفلاطونية الحديثة بحيث لم يكونوا تيارًا واحدا وإنما انقسموا إلى مجموعات مختلفة.

ولقد دخل إلى الكنيسة المسيحية عند نشأتها جماعة من الغنوسيين الذين حاولوا أن يوفقوا بين فلسفاتهم وعقيدتهم في المادة التي كانوا يعتبرونها شر أومن صنع إله الشر وبين لاهوت المسيح".

"المسيا" الذي ظهر على الأرض الهرطقة في المسيحية، ج، ويللتر، (ص: ٥٣).

المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية, أ.س. سفن سيس كايا، (ص: ١٧٢)، تاريخ الفكر المسيحي (١/ ٤٠٠).

(١) الهرطقة في المسيحية، (ص: ٥٢)، وتاريخ الفكر المسيحي (١/ ٤٧٤).

هو الأكثر انتشارا في القرن الثاني للميلاد في كل أنحاء الإمبراطورية. (١)

وهذا ما ينطبق أيضا على تعريفات بعض علماء المسلمين للإلحاد, وذلك من حيث النظر إلى هذه الناحية، فيعرّف بعض علماء المسلمين الإلحاد بأنه الكفر أو اعتناق أحد المذاهب الفكرية المادية المعاصرة. (٢)

وعلى كل الأحوال، نرى أن هذا المفهوم بهذه الفكرة مشتهر لدى أتباع الديانات السماوية في شأن كل من خالف أمرًا معينا معلوما بالضرورة من ذلك الدين.

فمن هذا الباب، أُطلق على كثير ممن خالف أوامر معينة لدى أتباع ديانة ما، وصف الإلحاد، فمثلا، في المسيحية أطلق وصف الإلحاد على باروخسبينوزا(٣)، مع أنه كان يقول بوجوب الإيمان بوجود الإله، غير أنه كان يقول بوجوب جعل الكون والإله شيئًا واحدًا، وهو ما يعرف بفكرة وحدة الوجود. (٤)

وكذلك أطلق في الإسلام هذا الوصف على من أنكر شيئا من الصفات(٥)، أو أنكر أمرًا من الأمور المسلم بها في اعتقاد المسلمين.

وهذا التعريف للإلحاد من هذه الوجهة، يعتبر قديمًا في ميزان العصور لدى المتدينين، إذ سبق إلى هذا التعريف الفيلسوف أفلاطون، حيث حاول أن يحصر تعريف اطلاقات الإلحاد في ثلاثة أشكال وذلك فيما يلي:

الشكل الأول: يتمثل في إنكار الألوهيـة أو الربوبية.

---

(١) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: تاريخ الاستاذ الإمام، للشيخ محمد رشيد رضا، (ص: ٤٣).

(١) هو أحد أبرز فلاسفة القرن السابع عشـــر للميلاد، ولد عام ١٦٣٢م وتوفي عام ١٦٧٧م، يعد أحد الفلاسفة العقليين والنقديين . انظر: مقدمة المترجم , رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخسبينوزا, ترجمة: حسن حنفي، (ص: ٩).

(٢) انظر: عصر العقل, ستيوارت هامبشر, ص١١٤، والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة, اندريه ديكسون، (ص: ١٦٢).

(٣) هذا النوع من الإلحاد وقع في بعضه طوائف منتسبة إلى هذه الأمة: كالجهمية والمعتزلة... وغيرهم, فقد ذكر ابن القيم خمسة أنواع للإلحاد في أسماء الله وصفاته، وهي:

الأول: أن يسمِّي الأصنامَ بها، كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز.

الثاني: تسميته – تعالى – بما لايليق بجلاله، كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أوعلةً فاعلة بالطبع... ونحو ذلك.

الثالث: وَصْفه – تعالى وتقدَّس – بالنقائص؛ كقول اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعدأن خلق خلقه. وقولهم: يد الله مغلولة. وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لاتتضمن صفات ولامعانٍ.

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خَلْقه, انظر: مختصر الصواعق المرسلة: (٢/ ١١٠).

الشكل الثاني: يتمثل في إثبات الألوهية مع إنكار العناية الربانية للخلق.

الشكل الثالث: هو الاعتقاد بأن الآلهة يمكن أن تُستجلَب رضاها ويُستدفع سخطُها بتقريب القرابين وتضحية الأضاحي. [١]

وهذا المفهوم قد يكون صحيحًا لدى أتباع تلك الديانات، أو لدى المتدينين، وصحيحا من حيث وصف ذلك المعتقد أو تلك الديانة على ما يخالف أمرا معينا فيها.

ولكن في المقابل، يمكننا أن نعتبر هذا التعريف تعريفًا نسبيًا للإلحاد، وبالأخص، ونحن في خضم تعريف الإلحاد من حيث فكرته ومعناه العام، لا يمكننا أن نعتمده كفكرة مسلمة، بل نعد تلك التعريفات قاصرة عن بلوغ تعريف الإلحاد بوجهه العام، الكالح.

ويظهر قصورها في عدم تعريفها للفكرة الجامعة التي ينطلق منها وصف الإلحاد، وهذا القصور لا يمكن التغاضي عنه في تعريف أمر معين، إذ يجب أن يكون التعريف محتويًا لأصل الفكرة التي عرفها، جامعًا لشتاتها.

ب – تعريف الإلحاد من حيث أصل فكرته ومعناه:

أما الذين عرفوه من حيث أصل فكرته ومعناه، فهؤلاء تتمحور تعريفاتهم حول وصف فكرة الإلحاد بأنها دائرة في إنكار القوى الغيبية التي تعرف بالآلهة أو الإله.

وقد عرف هذا الالحاد منذ القدم، فقد أنكرت طوائف من بني آدم صنع الخالق للمخلوقات، أو نفت وجوده، ويمكننا أن نقسم هذا النوع من أنواع الإلحاد إلى قسمين، كما يلي:

القسم الأول: الإلحاد القديم: وقد ظهر هذا الإلحاد لدى عدة طوائف، من أبرزها:

١ – الدهرية: قال ابن القيم–رحمه الله–: وهؤلاء قوم عطَّلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية: الآية: ٢٤]. [٢]

---

(١) انظر: الجمهورية, أفلاطون،(ص: ٥٠).

(٢) إغاثة اللهفان: ٢/٢٥٥.

٢ – الطبائعيون: وهم الذين ينسبون أفعال الكون إلى فعل الطبيعة نفسها، قال ابن الجوزي: "لَمَّا رأى إبليس قلَّة موافقيه على جحد الصانع , لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع، حسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات من فِعْل الطبيعة". [١]

٣ – بعض الفلاسفة: ذهب بعض الفلاسفة إلى أنه لا صانع للعالَم، وأطلق عليهم شيخ الإسلام دهرية الفلاسفة[٢]، قال ابن القيم بعد حديثه عن فِرَق الفلاسفة: "وبالجملة فملاحدتهم: هم أهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله". [٣]

القسم الثاني: الإلحاد الحديث:

يُعرف الإلحاد الحديث بأنه: مصطلح عام يستعمل لوصف كل تيار فكري وفلسفي يتمركز حول فكرة إنكار وجود خالق أعظم، أو أية قوة إلهية بمفهوم الديانات السائدة. [٤]

ويمكن القول: بأن هذا التعريف هو ما اتُفق عليه بين أصحاب الديانات السماوية، –على الأقل في العصور المتأخرة وذلك حين تفشى الإلحاد على شكل نظريات طبيعية ورياضية ونفسية وبيولوجية.

وقد تمحورت أقوال الملاحدة المتأخرين في تعريف الكون والإله والطبيعة، على أن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت "وأن المذاهب الدينية كلها أوهام لا سبيل إلى إقامة البرهان عليها... وبعض هذه المذاهب بعيدة الاحتمال وصعبة التصديق للغاية ومتناقضة أشد التناقض". [٥]

وأصبحت القاعدة العامة التي يسير عليها الملاحدة هي "أن ما لم تثبته التجربة العلمية يكون خاطئًا وتافهًا ومنقوصًا من أساسه ... فما تراه العين وتسمعه الأذن وتلمسه اليد، وما يمكن أن يُقاس بالمقياس والمكيال

(١) تلبيس إبليس, لا بن الجوزي, ص ٤١–٤٢ .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية، ص١٢٦.

(٣) إغاثة اللهفان: ٢/٢٦٨.

(٤) انظر: المعجم الفلسفي، ص٢٠, ووهم الاله , ريتنشارددوكينز, The God Delusion, *Richard Dawkins*ص٣٢.

(٥) مستقبلوهم, سيقموند فرويد , ص٤٣.

والمخبار , وما إلى ذلك من أدوات , هذا هو الحق، وأما ما عدا ذلك مما يخرج عن دائرة العلوم التجريبية[١] ومنهجها فلا نصدقه"[٢].

يقول ديفيد بيرلنسكي في عرضه لفكرة الإلحاد الجديد: "هناك طريق واحد فقط للمعرفة: الطريق التجريبي، الذي هو أسّ العلوم" ثم يقول بان اللاهوت ليس علما والإيمان ليس معرفة". [٣]

ولهذا يقول رائد الاتجاه النقدي الغربي الحديث، وهو الفيلسوف كانط: "لقد أيقضني هيوم من سباتي القطعي، إذ نبهني لقيمة التجربة وضرورة النقد"[٤].

وقد تطور مفهوم الإلحاد من معنى إنكار الميتافيزيقيات الغيبية واستبدالها بالماديات إلى جعل المادة هي الخالق للمحسوسات، وللطبيعة الروحية، كما يظهر هذا من خلال كلام الملحد ريتشارد دوكينز فيما ينقله عن الملحد جوليان باغيني حيث يقول: "ما يؤمن به غالبية الملحدون، هو أنه على الرغم من أن الكون مادي بحت، فإن العقل والجمال والعواطف، والقيم الأخلاقية , باختصار، كل ما في سلسلة الظواهر التي تعطي الحياة الإنسانية قيمتها، قد انبثقت منه". [٥]

ومما لا شك فيه، أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني اليوم من نزعة إلحادية معاصرة عارمة جراء هذا المفهوم الجديد.

ولهذا، يفسر المؤمن عند بعض الملاحدة بأنه هو الذي "يفكر بأن هناك خالق ذكي، الذي بالإضافة إلى خلقه الكون وما فيه، يشرف على ما يحصل، ويتدخل في أحداث ما خلق". [٦]. [٧]

هذا وينقسم إلحادهم إلى قسمين:

القسم الأول: الإلحاد المادي: الذي هو الإيمان بعدم بوجود الإله.

---

(١) أي العلوم المادية التي يمكن تجربتها واختبارها .

(٢) الإلحاد بعض مدارسه.. والرد عليها , رأفت شوقي (٢/ ٧٣، ٧٤).

(٣) وهم الشيطان، ديفيد بيرلنسكي (ص: ٨٩) وهذا الكلام يلزم منه أن الرياضيات والقانون والسواد الاعظم من الخطاب الإنساني العادي ليس معرفة.

(٤) الاتجاهات الفلسفية، رحيم الموسوي، (ص: ١٢).

(٥) وهم الاله، ريتشارد دوكنز , The God Delusion, *Richard Dawkins* (ص: ١٠).

(٦) وهم الاله, ريتشار د دوكينز The God Delusion, *Richard Dawkins* (ص: ١٢).

(٧) المصدر: بحث بعنوان نشأة النظريات الإلحادية

وإذا تكلم هؤلاء الفلاسفة في الإلهيات فإنما يتكلمون على طريقة الفرضيات، أي على سبيل التوهم، لا على الحقيقة، لأن هذه الأمور ليس لها وجود في الخارج، فإذن هي غير موجودة عندهم.

لأن مراتب الوجود أربعة: الوجود الذهني والوجود العيني والوجود اللفظي والوجود الخطي، فالشيء الموجود في الذهن فقط، وليس له وجود في الخارج يسمى وجوده بالوجود الذهني، وإذا كان هذا الشيء موجودًا في الخارج يسمى وجوده بالوجود العيني، وعندما تتكلم به يسمى وجوده بالوجود اللفظي، وعندما تكتبه يسمى وجوده بالوجود اللفظي.

وعند هؤلاء الفلاسفة أنه لا وجود حقيقي لله، والكلام عنه إنما هو في الأذهان فقط، وكل من تأثر بفلاسفة اليونان لن يخرج عن هذا الفكر، ولذلك تجد أن أعظم مسألتين طال الكلام فيهما في العقيدة (صفة الكلام وصفة العلو)، وذلك لتأثر منكري هاتين الصفتين بفلاسفة اليونان.

وقد تطور مفهوم الإلحاد من معنى إنكار الميتافيزيقيات الغيبية (أي ما وراء الطبيعة) واستبدالها بالماديات إلى جعل المادة هي الخالق للمحسوسات، وللطبيعة الروحية، كما يظهر هذا من خلال كلام الملحد ريتشارد دوكينز فيما ينقله عن الملحد جوليان باغيني حيث يقول: (ما يؤمن به غالبية الملحدون، هو أنه على الرغم من أن الكون مادي بحت، فإن العقل والجمال والعواطف، والقيم الأخلاقية، باختصار، كل ما في سلسلة الظواهر التي تعطي الحياة الإنسانية قيمتها، قد انبثقت منه". [١]

القسم الثاني: **الإلحاد الروحي**: أي الإيمان بإله، لا كما أخبرت به الرسل فإننا لا نستطيع أن نجزم أن كل من اعتنق إحدى النظريات الإلحادية قد ينفي وجود خالق أسمى لهذا الكون، وإن كان هذا هو الغالب، فهناك جزء منهم يؤمن بإله مطلق، ومنهم من يصرح بأنه لا يؤمن بإله شخصي، أي لا يؤمن بإله يتصف بصفات، أي يؤمن بإله مندمج في هذا الكون، أو بإله ذهني مفارق له، وهذه الأنواع كلها من الإلحاد.

فخلاصة القول في الإلحاد المادي:

- **الأساس**: فلسفة مادية تعتقد بأن المادة هي الحقيقة الوحيدة الموجودة.

---

[١]() وهم الاله, ريتشارد دوكنز , Richard Dawkins,The God Delusion (ص: ١٠).

- **الإيمان**: ينكر وجود الله والنبوات والأديان.
- **المنهج**: غالبًا ما يستند إلى العلم والتجربة الحسية المباشرة كدليل على صحة أفكاره.
- **الرؤية للعالم**: يرى أن العالم يتكون من مادة وأن كل الظواهر يمكن تفسيرها فيزيائيًا.

وخلاصة القول في الإلحاد الروحي

الأساس: يقر بوجود حقائق تتجاوز المادة الملموسة، مثل الطاقة والوعي.

الإيمان: ينكر وجود الله كإله بالمعنى التقليدي، لكنه يؤمن بمفاهيم روحية.

المنهج: يعتمد على تجارب روحية داخلية، وقد يدمج ممارسات من ديانات أخرى مثل الطاقة واليوجا والشاكرات.

الرؤية للعالم: يركز على البعد الداخلي والارتباط بشيء أكبر من الذات، حتى لو لم يكن إلهاً تقليدياً.

وإذا أمعنا النظر في النظريات الإلحادية الحديثة وانتشارها إبّان مايسمى عصر النهضة وعصر التنوير، ندرك بوضوح، أن ذلك الخضم هو نتيجة مخاض معاناة طويلة في المجتمع الغربي، أي لم يكن وليد اللحظة، كلا، بل له تاريخ طويل، ومناحي مختلفة، حيث تعد تلك النظريات اليونانية القديمة مصدر إلهام لدى جل أصحاب النظريات الحديثة، فقد ظهرت في العصور اليونانية نظريات فلسفية إلحادية، تقوم على مبدأ تحليل الكون تحليلًا لا يرتبط بقوة عليا أو إله مبجل. [١]

وقد مر الإلحاد الحديث بالأطوار الآتية:

١-ظهور ما يسمى بالإصلاح الديني:

(١) المصدر: بحث بعنوان نشأة النظريات الإلحادية

يمكن أن يعد الإصلاح الكنسي رافدا مهما من روافد تطور الإلحاد في المجتمع الغربي , مع أنه في ظاهره مسار تصحيح للديانة المسيحية، فهو قد سعى إلى تصحيح مسار المسيحية، نعم، هذا صحيح، إلا أنه من جانب آخر أفقد الناس مصداقية الكنيسة ورجالها بل ودينها. وقد ظهر على يد مارتن لوثر الألماني الذي جابه الكنيسة البابوية، وألغى كثيرا من شعائرها. (١)

فقد كانت تلك المجابهة والمواجهة نتيجة ممارسات رجال الكنيسة الذين وضعوا كثيرا من العقائد في العصور الوسطى من الناحية النظرية وحملوا الناس على الإيمان بها , إلا أنهم من الناحية العملية كانوا أشد الناس حرصا على جمع الثروات وفرض طاعتهم على الناس بحد السيف والسنان. (٢)

كل ذلك أدى ذلك إلى زعزعة الثقة في كهنة الكنيسة ورجالها ثم تطور إلى عدم الثقة في تعاليمها وطقوسها كمسألة الاستحالة(٣) ومسالة صكوك الغفران، في الوقت الذي فقدت فيه البابوية لكثير من هيمنتها ومصداقيتها.

٢- ظهور المذاهب المادية والعقلية:

هذا الطور هو طور الإلحاد الأخير، حينما تربع على عرشه المرصع بالنظريات، وقد ظهرت هذه النظريات المنهجية العقلية أو التجريبية أو الوضعية في عصر التنوير، نتيجة اختمار تلك الأفكار التي طفت على سطح المسيحية على مر تاريخها.

---

(٢) ولد لوثر في العاشرمن نوفمبر سنة ١٤٨٣م وتخرج من إحدى الجامعات, ليصبح راهباً، ثم ثار ضد الكنيسة البابوية, انظر: أصول التعليم المسيحي, الكتاخسيمس الصغير, مارتنلوثر, المقدمة, ص ٥.

(٢) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي, ص ١٠٩، أصول التاريخ الأوربي الحديث, ص ٩٨، وتاريخ الكنيسة ٣٥/٤، وتاريخ اوربا وبناء اسطورة الغرب, د/جورج قرم, ص١٤٩.

(٣) وهي باعتقادهم ان يحضر المسيح بلحمه ودمه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر. انظر: خلاصة الأصول الإيمانية، ص ٣٨، وأسرا ر الكنيسة السبعة، ص ٥٨، وانطاكية كنيسة مدينة الله العظمى, أسعد رستم, ص ٣٣.

فالنظريات الإلحادية، تكاد تتفق في الثورة على المسلمات والمعتقدات والأديان، وراح كثير من الملاحدة ينشر الإلحاد بكل ما أوتي من قوة، بغية تكثير سواد الملحدين، وألّف كثير من الملاحدة جملة من الكتب في نصرة الإلحاد والرد على الإيمان، أذكر منهم على سبيل المثال الملحد ريتشارد دوكينز في كتابه وهم الإله حيث يقول قبل ذكر براهين الإلحاد: "من المسلمات والتي يقبل بها الجميع تقريبا، في مجتمعنا الإنساني، بأن الإيمان الديني هو فكرة هشة وضعيفة، أمام النقد، ويجب إحاطتها بجدار سميك من الاحترام". (١) – وهذا على سبيل التهكم –.

لقد صور كثير من الملاحدة أن الإلحاد هو الأصل في فطرة الإنسان، وأنه هو ما يجب أن يكون الإنسان الطبيعي عليه–اعني في حالته الفيسولوجية الطبيعية–وراح كثير منهم يتفاخر بكثرة علماء الفيزياء والأحياء والبيولوجيا الملاحدة في عصور أوربا المتأخرة. (٢)

لقد صب الملاحدة ونظرياتهم الإلحادية جام غضبهم على الدين، وراحت تمجد نظرياتهم كل ما يخطر على البال، مادام مغاير للدين، بغية اختراع آلهة جديدة، غير معقدة، تحل ما حرمت الأديان، وتمجد ما مقتت الأديان.

وقد انفتقت أفكارهم عن عدة آلهة، رأوا أنها ملاذ آمن للفرار من مارد الدين.

ومن أول تلك الآلهة كان هو العقل، نعم، إنه العقل، لقد وجدوا هذا الإله الذي لا يقهر–في نظرهم– بيد أن هذا الإله تتقاذفه الاتجاهات في كل مكان، فهو يملي لكل إنسان ما يشاء، لا يعترض على نظرية إلحادية، أو فكرة فلسفية، أو خرافة أسطورية، يتموج حسب ما يريده المموج، ذلك الإله الذي يريد أن يرضي كل صاحب فكرة إلحادية أو نظرية فلسفية، وهو في الوقت الذي يرضي بعض أصحاب النظريات الإلحادية، يسخط أصحاب نظريات إلحادية أخرى، مع أنهم كلهم في الغي سواء.

(١) وهم الإله, ريتشارددوكنز ,The God Delusion, *Richard Dawkins* ص١٣.

(٢) كما فعل ريتشارد دوكينز. انظر: المرجعالسابق .

رأوا أن العقل هو الإله الذي يرضي طموح كل ثائر على الدين والمجتمع والقيم والأخلاق والمبادئ والسلوك، فكل واحد يرى أنه عقله هو الإله الجبار الذي لا يقهر، والواحد الأحد الذي لا يهزم، مع تفاوت العقول فيما بينهم! .

وهذا التفاوت في العقول، هو الذي شكك بعض الملاحدة في الثقة في هذا الإله الجديد، ونتيجة لذلك اخترعوا إلها جديدا، رأوا أنه هو الإله المعظم، يفوق العقل مقدرة ويوثق به، ألا وهو التجربة.

فعندما أدرك بعضهم كثير من الغارات الشوهاء في جسد العقل المؤله، جنح إلى التجريب والمادة، فلم يؤمن إلا بالمحسوس، ولم يسلم إلا بالتجربة[١].

وعلى كل حال، فقد اتفقوا على نفي وجود الله، واختلفوا في اعتماد تلك الآلهة الجدد، فالإلحاد أصبح بمعناه الحديث هو نفي وجود الله.

يمكننا أن نجمع السمات العامة لفكر النظريات الإلحادية الحديثة في أربعة أمور وهي كما يلي:

١. إنكار وجود الخالق، وهذا هو الغالب، فهناك جزء منهم يؤمن بإله مطلق، ومنهم من يصرح بأنه لا يؤمن بإله شخصي، أي لا يؤمن بإله يتصف بصفات، أي يؤمن بإله مندمج في هذا الكون، أو بإله ذهني مفارق له، وهذه الأنواع كلها من الإلحاد، ويمكن أن نسميها الإحاد الروحي، أي الإيمان بإله، لا كما أخبرت به الرسل، في مقابل الإلحاد المادي الذي هو الإيمان بعدم بوجود الإله – وهو موضع التركيز عليه في هذا البحث -.

٢. أن وسائل المعرفة تنحصر في الحواس، وهذه سمة ملاحدة عصر العقل أو عصر التنوير، أو تنحصر في العلم التجريبي والحسي، وذلك بعد الاكتشافات الحديثة وهذه سمة القرن العشرين وما بعده، وهو ما صرح به ريشنباخ في كتابه نشأة الفلسفة العلمية حينما صرح بالاستعاضة عن العقل والحواس "بقوانين الفيزياء الجديدة وهذه الحقيقة وحدها تكفي لإثبات أنها قوانين تجريبية وليست قوانين يفرضها علينا العقل ذاته؛. [٢]

---

(١) انظر : للاستزادة : نشأة التحررية الاوربية, هارولد لاسكي, ص ٨٣.

(١) نشأة الفلسفة العلمية, هانز ريشنباخ , ص ١١٦ .

٣. أنه لا وجود لغير المادة، وهذه السمة هي الغالبة على ملاحدة عصـــر التنوير، ثم بدأت في الخفوت قليلا حينما رأوا ضعفها لاضطرارهم إلى التسليم بوجود موجودات غير محسوسة.
٤. أنه يجب تنحية الدين في توجيه الســلوك الإنســاني وإحلال العلم أو العقل محله للقيام بذلك، وهذه هي السمة البارزة للإلحاد حتى يومنا هذا. (١)

المبحث الخامس: طريقة ومنطق البحث الفلسفي للوصول إلى الحقائق.

استخدم الفلاسفة عدة طرق في سبيل ما يسمونه الوصول إلى الحقائق، ومن أشهر تلك الطرق:

أولًا: المنطق الرياضي (أو الرمزي): وهو التعبير عن قوانين المنطق بالرموز والإشارات، لا بالألفاظ والعبارات، ويعد هذا المنطق قسمًا من أقسام المنطق الصوري، أو هو تطوير حديث له، ويرجع تطويره إلى ألفرد نورث وايتهد (Alfred North Whitehead) (ت: ١٩٤٧ م)، برتراند أرثر ويليام راسل (بالإنجليزية: Bertrand Russell) (ت: ١٩٧٠ م) في العقد الثاني من القرن العشرين". ٢

ثانيًا: المنطق الصوري الأرسطي: وهو النظر في التصورات والقضايا، والقياسات من حيث صورتها، لا من حيث مادتها، ويطلق في العادة على منطق أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، أو على المنطق القياسي بوجه عام". ٣

ثالثًا: المنطق الشكي الديكارتي: هو الطريقة الفلسفية الموصلة إلى اليقين عند رينيه ديكارت (بالفرنسية: René Descartes) (ت: ١٦٥٠ م)، وهو فيلسوف، وعالم رياضياتي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ«أبو الفلسفة الحديثة». فهو يقول: ينبغي لي أن أرفض كل ما يخيل إلي أن فيه أدنى شك؛ لأرى بعد ذلك هل

---

(١) المصدر: بحث بعنوان نشأة النظريات الإلحادية

٢ انظر: المعجم الفلسفي (٣/ ٤٢٩)، وموسوعة المورد (٦/ ١٤٠).

٣ انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ٤٢٩)، وموسوعة المورد (٦/ ١٤٠).

يبقى لدي شيء لا يمكن الشك فيه أبدًا، وقد قال كلمته المشهورة: "أنا أشك، فإذن أنا أفكر، وأنا أفكر، فإذا أنا موجود". [1]

رابعًا: المنطق الجدلي الهيجلي: خلاصته: أن كل فكرة (أو قضية) تولد فكرة مناقضة، ومن تفاعل الفكرتين تنشأ فكرة جديدة تؤلف بينهما". [2]

خامسًا: المنطق الوضعي الكوني: يقوم على أساس الإيمان الشديد بقدرة العقل البشري، وأن بإمكانه معرفة كل شيء، وأن العقل هو أساس المعرفة الصحيحة، ورفض العاطفة، وما يصدر عنها من إدراكات". [3]

سادسًا: المنطق التجريبي البرجماتي: يقوم على أساس أن النتائج العملية هي الأساس لتحديد قيمة الأفكار، وأن الخبرة فوق المبادئ الثابتة. فالفكرة الصحيحة هي التي تحققها التجربة، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية". [4]

المبحث السادس: الاتجاهات الفلسفية

يعتبر الإلحاد بمثابة الاسم الجامع للاتجاهات الفلسفية فعلى سبيل المثال كل اللاأدريين ملحدون ولكن ليس كل الملحدين لاأدريين.. فالإلحاد بمثابة الاسم الجامع.. واللاأدرية اتجاه من اتجاهات الإلحاد.

وأما عن أشكال تلك الاتجاهات، فهي:

أولًا: الاتجاه السفسطائي[5] في الفلسفة اليونانية، الذي كاد أن يعصف بكل الثوابت الدينية وغير الدينية من مجمل العقلية اليونانية .

---

[1] انظر : المعجم الفلسفي (١/٧٠٥)، موسوعة الفلسفة ١/٤٩٣، موسوعة المورد ٣/ ١٨٠.

[2] انظر : موسوعة المورد ٥/ ٨٦، والمعجم الفلسفي ١/ ٣٩٣.

[3] انظر : موسوعة الفلسفة ٢/٢٧٠، موسوعة المورد ٦/ ٣٥.

[4] انظر : المعجم الفلسفي ١/ ٢٠٣، وموسوعة المورد ٨/ ٦٧.

[5] () لفظ اسطا يعني الغلط، وهي مشتقة من كلمة سوفوس بمعنى حكيم حاذق، وفي مجملها تحمل معنى الحكمة المموهة، انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، (٦٥٨/١)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، (ص: ٥٧).

تعود السفسطائية في الأساس إلى معتقدات بروتاغوراس، والذي يُعتبر أول سفسطائيٍّ إلى جانب عددٍ من الفلاسفة كانوا من أوائل دعاة هذا المذهب فقد بنى السوفسطائيون على هذا الأساس نظريتهم التي تنكر أي حقيقة موضوعية ثابتة في هذا الوجود، وتشكك في إمكان العلم اليقيني بأي موضوع من موضوعاته، لأن هذا العلم لابد أن يكون علمًا بحقائق ثابتة مستقرة تمامًا، وليس في هذا الوجود ثبات أواستقرار، ويمكن حصر اتجاههم العام فيما يلي:

أنه لا وجود إلا للمحسوسات وهي في تغير وحركة مستمرة فالوصول إلى أي حقيقة متعذر ومستحيل.

أنه ما دامت الحقيقة الموضوعية الثابتة غير متحققة في هذا الكون فالحق بالنسبة لكل إنسان هو ما يبدو له، فالحقيقة تتعدد بتعدد الأفراد. [١]

والسفسطة من حيث هي لا تعني بالإلحاد ابتداء، بل قد يعتقد بعضهم بالفيتزيقيا الدينية، لكنها عامل مهم في نشأة الفكر الإلحادي لدى الكثيرين من المتأثرين بها، إذ زرعت مبدأ الشك في كل المسلمات المحسوسة فضلًا عن الغيبيات .

ثانيًا: ظهور الفرق الغنوصية في العصور الأولى للمسيحية:

من البذور البارزة الممنهجة والتي لا يمكن غض الطرف عنها في تاريخ النظريات الإلحادية الغربية الحديثة، هي تلك الأفكار الغريبة التي جاءت بها الغنوصية وغيرها من الفرق التي تنتسب إلى المسيحية، إبان عصورها الأولى، فقد ظهرت فرق في المسيحية اخترعت أمورًا جديدة في المسيحية أعقبت تساؤلات وآثار، وخيمت على الفكر المسيحي لعدة قرون، مثل فرقة الإنتحالية: حيث إن أتباع هذا المذهب يعتقدون بأن الآب نفسه

انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:٧٧

(١) انظر Monique Canto-Sperper (sous la direction), philosophiegrecque, p.٩١ نقلًا عن الفلسفة الاغريقية، محمد جديدي، (ص: ٢١٨)، وانظر: (ص: ٢٨) و A Companion to Ancient Philosophy, Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp ٧٧: وقصة الفلسفة اليونانية, زكي نجيب محمود, (ص: ٩٣-٩٤).

انتحل هيئة إنسان، أو انتحل عدة هيئات، وتسمى "الموداليسم" "modalisme"[(١)]، فعندهم أن الله الواحد الأزلي هو الذي أوحى إلى موسى وقاد شعبه، وهو هو الذي تجسد في الإنسان يسوع الناصري. [(٢)]

ومن الفرق الغنوصية أيضا أتباع هيبولينوس: وقد كان هذا الرجل عالما بالفلسفة اليونانية معرفة تثير الدهشة، وعالما بالعقائد السرية اليونانية، والتعاليم المصرية في السحر والدين والصوفية، وقد كان يؤمن بأن الله وحيد في ذاته، ومع ذلك لم يكن وحيدًا، لأن معه الحكمة والطاقة والعقل، الذي هو اللوجوس بداخله، ثم أخرج الله من ذاته اللوجوس الذي هو الكلمة ليخلق العالم، ثم أمر الله اللوجوس أن يشارك الناس حياتهم، فأصبح الإله المتجسد الأزلي السرمدي، وهو المسيح، فله طبيعة بشرية بتجسده في إنسان وطبيعة إلهية وهي اللوجوس. [(٣)]

ثالثًا: **فرقة الالسيزية**: وهي تمزج السحر والتنجيم بالأفكار اليهودية المسيحية، كتابها المقدس أنزل بواسطة ملاك إلى الحكيم السيزاي من أعماق الشرق. [(٤)]

رابعًا: **المونتانية**: وهم أتباع منتا أو منتانوس (١١٠-١٨٠ م) كان وثنيًا فاهتدى-حيث كان كاهنًا لآلهة آسيا الصغرى-إلى المسيحية وشرع يناهض التعليم الكنسي، ثم تنبأ بعد ذلك، وتنبأت رفيقتاه، وهما ماكسيميليا وبريسيلا، ويرى أن موهبة التنبؤ يمكن أن توهب لكل مؤمن ومؤمنة. [(٥)]

كل تلك الفرق وغيرها الكثير وإن كانت قد وصمت بالإلحاد في عصرها، ولم تكن تنفي وجود الخالق، إلا أنه يمكن عدّها طورًا من أطوار نشأة الإلحاد العام في الغرب، وذلك لما أعقبته من موجات شك وريبة وتساؤل، أدى في نهاية المطاف إلى الشك في دين الكنيسة ورجالاتها، ولهذا يرجح بعض الباحثين في التاريخ الديني قيام الثورات العقلية ضد المقدسات الغيبية المسيحية قبل عصر التنوير بقرون، إذ يعتقد البعض أنها قد بدأت بذرتها

---

[١]() تاريخ الفكر المسيحي (١/ ٥٨٢).

[٢]() نفس المرجع (١/ ٥٩٥).

[٣]() نفس المرجع (١/ ٥٧٣-٥٧٥).

[٤]() الهرطقة في المسيحية، (ص: ٥١).

[٥]() الهرطقة في المسيحية، (ص: ٦٧٦٩)، وانظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى, أسعد رستم، (ص: ٧٢-٧٣).

منذ العصور الوسطى كما يستنتج ذلك من أقوال بعض فلاسفة العصور الوسطى مثل مقولة بعض فلاسفة تلك العصور الشائعة (إن الوحي صنم أنفه من شمع، وينثني وفقا لمشيئة العالم". [١]

خامسًا: اللاأدرية: [٢]

يمكن أن يعد موقف اللا أدرية مسمارًا مهما في نعش الدين، ومرحلة مهمة من مراحل تطور الشك في الدين أو الإلحاد به، فقد ظهر المذهب اللا أدري منذ قدم الأفكار اللاهوتية لدى الفلاسفة، فلم تترجح لديهم النظريات الفلسفية، ولم يأخذوا بالنصوص الدينية، بل كان موقفهم بين الموقفين، وامتدت أراءهم بعد ذلك، حتى بعد ظهور عصر النهضة بنظرياته الإلحادية، فطوره أصحاب النظريات الإلحادية، كمثل فرويد الذي يظهر أحيانا بمظهر اللا أدرية حينما يقول عن العقائد الدينية: "ولا سبيل إلى دحضها كما لا سبيل إلى إثباتها". [٣]

لقد التزمت اللا أدرية في مجملها الشك المذهبي[٤] أو الشك المطلق، وقد آثروا التوجه إلى الأعراف والعقائد الشعبية، طلبا وبحثا عن الدعة فيما أصابهم، وكانت مجمل إجاباتهم وخطاباتهم يتميزبـ" لا أدري"، وعرفت نزعتهم اللاأدرية مع أنهم اتسموا بالفطنة والتنسيق وسمو الفكر -في نظر بعض الباحثين- فأحاطوا بإتقان بأحوال الحجاج الفلسفي. [٥]

يقول اللاأدري ماكغراس: "العلم ببساطة لا يستطيع الحكم في مسألة ما إذا كان الله قائما مشرفا على الطبيعة، لا نؤكده، ولا ننفيه، بل نقول ببساطة، بأنه ليس لدينا القدرة للتعليق على هذا الموضوع كعلماء". [٦]

---

[١]() تاريخ الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى، (ص ١٠٩).

[٢] إفراد المذهب اللاأدري كمرحلة مهمة من مراحل تاريخ الإلحاد, يعود من وجهة نظري إلى أن هذا المذهب لم يختص بحضارة معينة، مرحلة معينة, بل هومذهب شائع في معظم الحضارات, وهذا سبب إفراده كمرحلة من المراحل.

[٣] مستقبلوهم، فرويد، (ص: ٤٣).

[٤] وهذا خلاف الشك المنهجي أو النسبي.

[٥] انظر: الاتجاهات الفلسفية، رحيم موسوي، (ص: ٧٨).

[٦] وهم الإله، ريتشارد دوكنز، Richard Dawkins,The God Delusion (ص: ٣٠).

وجلّ أصحاب نظرية اللا أدرية قد رضعوا من لبان الملاحدة، وإن كانوا من خلف الستار، ولهذا نجد أن كثيرًا من الملاحدة يؤيد موقف اللا أدرية ويدعمه، وشبيه الشيء منجذب إليه، يقول الملحد ريتشارد دوكينز في كتابه وهم الإله: "ليس هناك من خطأ في اللا أدرية في حالة عدم توفر أدلة في صف أحد الطرفين، بل إنها الوضع الحكيم في موقف مماثل". [1]

[1] وهم الاله، ريتسشارددوكينز Richard Dawkins,The God Delusion, (ص: ٢٦).

الفصل الثاني: المشارب الفلسفية السابقة وتأثيرها على الفرق المخالفة.

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: المشرب اليوناني.

المبحث الثاني: المشرب الصابئي.

المبحث الثالث: المشرب اليهودي.

المبحث الرابع: المشرب الغنوصي.

المبحث الخامس: المشرب الفارسي.

المشرب السادس: المشرب السمني.

المبحث الأول: المشرب اليوناني.

المطلب الأول: أطوار تواجدها

أولًا: الطور اليوناني.

تمتد الفلسفة اليونانية القديمة من القرن السابع قبل الميلاد حتى بداية الإمبراطورية الرومانية، في القرن الأول الميلادي. خلال هذه الفترة نشأت ويمثلها كل من المناهج الآتية: الأفلاطوني، الأرسطي، الرواقي، الأبيقوري، والمتشككون.

ومن الشخصيات المبكرة في الفلسفة اليونانية

سقراط، الذي عاش في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، كان مدرس أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، وشخصية رئيسية في صعود الفلسفة الأثينية.

ومن ملوكهم: الإسكندر المقدوني، وهو ابن فيلبس، وليس هو بالإسكندر ذي القرنين الذي قص الله تعالى نبأه في القرآن، بل بينهما قرون كثيرة، وبينهما في الدين أعظم تباين فذو القرنين كان رجلًا صالحًا موحدًا لله تعالى، يؤمن بالله تعالى وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكان يغزو عباد الأصنام، وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وبني السد بين الناس وبين يأجوج و مأجوج.

وأما هذا المقدوني فكان مشركًا يعبد الأصنام هو وأهل مملكته، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف سنة وست مئة سنة، والنصارى تؤرخ له، وكان أرسطاطاليس وزيره، وكان مشركًا يعبد الأصنام، وهو الذي غزا دارا بن دارا ملك الفرس في عقر داره، ففل عرشه، ومزق ملكه، وفرق جمعه، ثم دخل إلى الصين، والهند، وبلاد الترك، فقتل وسبى.

وكان لليونانيين في دولته عز وسطوة بسبب وزيره أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، فإنه كان مشيره ووزيره، ومدبر مملكته.

وكان بعده لليونان عدة ملوك يعرفون بالبطالمة، واحدهم بطليموس، كما إن كسرى: ملك الفرس، وقيصر: ملك الروم.

ثانيًا: الطور الروماني.

ثم غلبهم الروم، واستولوا على ممالكهم، فصاروا رعية لهم، وانقرض ملكهم، فصارت المملكة للروم، وصارت المملكة واحدة، وهم على شركهم من عبادة الأصنام، وهو دينهم الظاهر ودين آبائهم.

المطلب الثاني: مراحل الفلسفة اليونانية

وقد مرت الفلسفة اليونانية بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: ما قبل سقراط

ويمثلهم: طاليس، وأنكسمندر، وأنكسمنس، وهيراقليطس، بحث هؤلاء الفلاسفة في الأصل الذي نشأ عنه العالم، واتفقوا أن هذا الأصل مادة موجودة في الطبيعة، ولكنهم اختلفوا في تعيين هذه المادة .

أولاً. طاليس ومذهبه الفلسفي:

ذهب طاليس إلى أن الماء هو أصل الأشياء ومبدا الموجودات، منه بدأ وإليه ينحل، وهو الجوهر الأساس الذي تولدت عنه كل الموجودات، وأن الماء قابل لكل صورة، وأنه حين جمد الماء تكونت الأرض، وحين انحل تكون الهواء، ومن صفوة الهواء تكونت النار، ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء، ومن الاشتغال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب، وذلك كله قياسا على أن جميع الحيوانات أساسها من الجوهر الرطب الذي هو المني، فأوجب أن يكون مبدأ جميع الأشياء من الرطوبة ... إلى غير ذلك من الأدلة.

ثانيًا. أنكسمندر (أنكسماندريس) ومذهبه الفلسفي:

رفض أنكسمندر رأي طاليس أن الماء هو أصل الكون، ورأى أن أصل الأشياء جسم موضوع الكل لا نهاية له، ولم يبين ماهيته، وأن هذا الجسم مزيج من المتضادات من الطويل والقصير، والصغير والكبير، والحار والبارد ... وهكذا. وقال أن هذه الأشياء كانت في البدء شيئا واحدا وجدت فيه هذه المعاني متعادلة متكافئة، وبفعل التطور والحركة حدثت انفصالات واجتماعات بين بعضها والبعض الآخر بنسب معينة وبمقادير متفاوتة؛

فتكونت عنها الأشياء الطبيعية، والتغيير يحصل بشكل آلي مجرد وبمحض الصدفة، فليس هناك علة فاعلة، وليس هناك غاية من وراء الفعل.

ثالثًا. أنكشيمانس (أنكزمينس) ومذهبه الفلسفي:

قال بوجود إله أزلي لا أول له ولا آخر، هو مبدأ الأشياء، ولا بدء له، هو المدرك من خلقه، أنه هو فقط، وأنه لا هوية" تشبهه، وكل هوية مبدعة منه، وكل مبدع ظهرت صورته في حد الإبداع، فقد كانت صورته في علمه الأول. وذهب أنكسيمانس إلى أن أصل الكون هو الهواء، وهو المبدأ الأول للوجود، ومنه" تكون جميع ما في العالم من الأجرام العلوية والسفلية، وتتولد منه الأشياء عن طريق التخلل والتكاثف، فإذا تخلخل الهواء صار نارا، ومن النار تولدت كل الأشياء النارية؛ كالكواكب والنجوم مثلا، وإذا تكاثف الهواء نشأت عنه الرياح والعواصف والسحب ثم الأمطار، ثم تتكاثف الأمطار فينتج عنها الأتربة والرمال والصخور.

رابعًا. هيراقليطس ومذهبه الفلسفي:

ذهب إلى أن أصل الكون هو النار، وهي المبدأ الأول للوجود، ولكنه لا يقصد النار المحسوسة الحارقة، إنما هي نار إلهية "لطيفة جدا!! يقول: إن مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحجر فهو الأرض، وما تخلخل من الأرض بالنار صار ماءً، وما تخلخل من الماء بالنار صار هواء، وما تخلخل من الهواء بحرارة النار صار نارًا، فالنار مبدأ، وبعدها الأرض، ثم بعدها الماء ثم الهواء وبعدها النار.

والتغير يجري في طريقين: طريق إلى أسفل، وطريق إلى أعلى، ومن تقابل هذين التيارين تتكون الموجودات من الحيوان والنبات، وأهم ما يميز مذهبه: قوله بالتغير الدائم في الكون

خامسًا: المدرسة الفيثاغورثية ومذهبها الفلسفي

يرون أن أصل الكون هو العدد!! لأنه أشبه بعالم الأعداد منه بعالم الماء أو النار أو الهواء، فالعدد أول مبدع أبدعه الباري تعالى، وأول العدد الواحد، وأن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، لأن الموجودات أعداد، وكذا النغم الذي تتكون منه الفواصل الموسيقية، لا يتميز عن غيره إلا بتناسبين وحداته المختلفة تجعل من مجموعها صوتا ونغما يألفه السمع، والعالم على هذا مركب من عددونغم. ولا يمكن للأشياء عندهم أن يتمايز بعضها عن بعض إلا بالعدد؛ فمثلا الأطول يتميز عنالأقصر والأكبر عن الأصغر بزيادة وحدات وعدد فقط، لا بزيادة شيء خارج عن العدد. وقالوا في بيان نظريتهم: العدد أصل لجميع الكائنات، فالواحد هو النقطة،

والاثنين هما الخط، و الثلاثة السطح، والأربعة الجسم، والخمسة هي الصفات المادية، والستة هي الحياة، والسبعة العقل ... الخ.

سادسًا: المدرسة الإيلية أو الإيليائية ومذهبها الفلسفي

ترى تلك المدرسة أن أصل الوجود هو الوجود نفسه، فليس في الكون كله إلا هذه الحقيقة، ألا وهي حقيقة الوجود، وإذا أردنا وصف هذا الوجود بشيء فلا نستطيع وصفه إلا بأنه موجود، وعن هذا تنشأ وجودات الأشياء، ويتميز بعضها عن البعض بمقدار ما فيها من هذه الحقيقة الأولى. ولقد كان طابع هذه المدرسة عقليا، وقد اهتمت في البحث عن أصل العالم الروحي، ولمتهتم إلا قليلا بأصله المادي.

سابعًا: الفلاسفة الطبيعيون المتأخرون.

ينحصر مذهبهم في القول بأن أصل العالم هو الذرة، ويفسرون الكون والفساد (الوجود، والعدم) في هذا العالم على هذا الأساس، وتتكون الأشياء نتيجة تجميع عدد من الذرات، وفساد هذه الأشياء نتيجة افتراق هذه المجموعة أو تلك من الذرات، وهكذا كل ما يجري في هذا الكون من تغيرات.

وربما تلحظ في تلك المرحلة أن الانشغال بأصل الكون كان هو الأمر الرئيس، أضف إليه الانشغال بالديانة الإغريقية، مما أحدث نوعا من الفساد العقلي من جانب العقائدي والنظرة عن الإله، مما له أبلغ الأثر بعد ذلك حينما كتب بولس المسيحية.

المرحلة الثانية...

أولًا: السوفسطائيون

هذه المرحلة نجد أن موضوع الفلسفة قد تغير؛ إذ أصبح موضوع يدور حول الإنسان بدلا من الكون الطبيعي المحسوس، وذلك أن السفسطائيين قد حولوا البحث الفلسفي من الطبيعة إلى الإنسان بعد، أن رأوا عدم جدوى البحث في العالم الطبيعي.

ونتيجة اختلاف الفلاسفة في بيان أصل العالم، وتناقض أقوالهم في ذلك حدث ارتياب لدى الناس، وظهر جماعة من الفلاسفة يوجهون النقد والتشكيك لآراء الفلاسفة السابقين، ثم اتسعت دائرة النقد والتشكيك لتشمل أمورا أخرى بجانب النظريات الفلسفية، مثل العقائد الدينية وسلوك الإنسان في حياته، وحقائق الأشياء.

لذلك لما ظهرت في عصر السوفسطائيين أسباب النزاع والخلافات أمام المحاكم في الجانب السياسى نشأ الجدل والخطابة وفنون الحوار والمحاورة، وأصبح التزود بمثل هذه الأمور صورة للتغلب علي الخصوم في المناقشات والمحاورات، ووسيلة للظهور والترقي في الحياة سياسية، بغض النظر عن تحرى الحق في ذاته أو الوصول إلى الصواب. بهذا الجو المشحون بالتمرد والإلحاد واتساع دائرة النقد والتشكيك، ظهرت جماعة سوفسطائيين الذين كانوا مرآة صافية انعكست فيها صورة هذا العصر.

المذهب السوفسطائي:

ذهب السوفسطائيون إلى أنه ليست هناك قضايا عامة تتساوى العقول في إدراكها فالإنسان حده هو مقياس كل شيء، فما يراه حقا فهو حق بالنسبة إليه، وما يراه باطلا فهو باطل بالنسبة اليه، بمعنى كان شعار التسوفسطائيين: ''الإنسان مقياس كل شيء'' أو ''الحقائق نسبية". ولما كانت الخطابة من أهم العلوم التي تهيئ الإنسان للنجاح السياسي؛ فقد اختص السوفسطائيون بتعليمها للشباب الأثيني الراغب في الوصول إلى السلطة والمشاركة في السياسة، وكان السوفسطائيون يعلمون الناس بالأجر، وكان كل سوفسطائي قد اختص بعمل معين اشتهر به وكرس حياته نفسه له.

وهكذا هدم السفسطائيون قواعد الأخلاق، وانكروا الألهة، بالإضافة إلى إنكارهم لحقائق الأشياء، وقالوا لا وجود لها إلا في الخيال، وهكذا صار الأمر فوضى، وأصبح الناس أحزابًا متفرقة في آرائها.

فرق السفسطائية:

والسفسطائيون يمكن القول بأنهم يندرجون جميعا تحت ثلاث فرق:

١- اللاأدرية (Agnosticism): وهم يؤمنون باستحالة التعرف على وجود الله، والتوصل لهذا الإيمان ضمن شروط الحياة الإنسانية، ومن أقوالهم: (نحن شاكون وشاكون، في أنا شاكون)، وهؤلاء هم الشكّاك في الحقائق.

٢- العنادية: وهم الذين يقولون ما من قضية بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة أو مقاومة لمثلها في القوة والقبول عند الأذهان.

٣- العندية: وسموا بذلك لأنهم يرون أن الحقائق حق عند من عنده حق، وهي باطل عند من عنده باطل، وأن مذهب كل قوم حق بالقياس إليهم، وباطل بالقياس إلى خصومهم، وقد يكون طرفا النقيضين حقا بالقياس إلى شخصين، وليس في نفس الأمر شيء بحق.

يقول الشيخ أحمد شاهين : "السوفسطائيون ثلاثة أقسام؛ العندية، والعنادية واللا أدرية:

فالعندية ترى أن حقائق الأشياء تابعة لعقائد المؤمنين بها لأنهم أقيسة الحقائق،

والعنادية تجزم بأن لا حقائق في الكون؛ لا في ذاتها ولا بالقياس إلى المؤمنين بها،

وأما اللاأدرية فهي التي تتوقف عن الحكم في كل شيء؛ فهي لا تجزم بوجود ولا بعدم).

ويقول الشيخ عبد القادر بدران: وهم قرق ثلاث:

إحداهن اللاأدرية: سموا بذلك لأنهم يقولون: لا نعرف ثبوت شيء من الموجودات ولا انتفاءه، بل نحن متوقفون في ذلك.

الثانية: تسمى العنادية نسبة إلى العناد؛ لأنهم عاندوا فقالوا لا موجود أصلا وعمدتهم ضرب المذاهب بعضها ببعض، والقدح في كل مذهب بالإشكالات المتجهة عليه من غير أهله.

الثالثة: تسمى العندية نسبة إلى لفظ "عند"؛ لأنهم يقولون أحكام الأشياء تابعة لاعتقادات الناس، فكل من اعتقد شيئا فهو في الحقيقة كما هو عنده وفي اعتقاده.

وقد ظهر فلاسفة نصبوا أنفسهم لمعارضة السوفسطائيين وبيان ضلالهم، ومن هؤلاء الفيلسوف اليوناني سقراط، الذي ذاع صيته واشتهرت فلسفته.

ثانيًا: سقراط

مثل الحقبة التي عاش فيها سقراط نهاية المرحلة الثانية من تطور الفلسفة اليونانية وانتهاء عصر السوفسطائيين؛ وقد افتتح سقراط بفلسفته مرحلة جديدة في ازدهار الفلسفة اليونانية ومهد لتلميذه أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. - ٣٤٧ ق.م.)، تطوير هذه الفلسفة إلى مجالات واسعة، انتهت إلى ذروتها على يد تلميذ الأخير أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م). وقد كان سقراط حكيما، امتاز بسرعة الفهم وحدة الذهن، وحضور البديهة والبراعة في إخفاء سخريته، وطبع بمزيج غريب من التحكم في النفس، والمهارة والحماس وبراعته في المناقشات،

والدقة في كشف خداع الناس له. ولقد ذاع صيت سقراط، واشتهر أمره في زمانه، ورغم ذلك تألب الناس عليه لأنه نهى الرؤساء في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فاتهموه بالالحاد و انكار آلهة اليونان، والدعوة إلى آلهة جدد، وإفساد عقول الشباب، نتيجة ذلك قدم للمحاكمة؛ فحكم عليه بالإعدام بسقايته سم الشوكران، مات وعمره سبعين سنة ٣٩٩ ق.م.

وفلسفة سقراط: تدور فلسفة سقراط حول موضوع واحد هو الإنسان، وإذا ما تناولت الكون الطبيعى وموجوداته الحسية وظواهره؛ فإنما لكونها مركز الإنسان وبيئته، ومكان نشأته ونموه، ويمكن القول بأن الأساسين الكبيرين لكل آرائه هما:

اعتقاده بوجود الحقيقة، وبإمكان معرفتها.

ربطة العمل بالعلم، أي جعله المعرفة أساسا للسلوك. والذي يهمنا من فلسفة سقراط أمران، وهما اللذان يمثلان الصورة المتباينة عن فلسفة السوفسطائيين: الأول: تحديده لمنهج المعرفة لما يترتب عليه من تحول كبير في موضوع الفلسفة ومنهجها في تاريخ الفكر اليوناني. الثاني: تحديده لمفهوم الفضيلة لما يترتب عليها من وجهة نظره الأخلاقية.

أولا: المعرفة: كان السوفسطائيون يرون أن المعرفة مقصورة على الإحساس، وهي لذلك تختلف باختلاف الأشخاص، فما يراه الشخص حقا فهو عنده حق، وإن رآه الآخرون بخلافه، لأن الإحساسات تختلف باختلاف الناس. فلما جاء سقراط أنكر قولهم في المعرفة، وأثبت أن العلم إنما هو في المدركات العقلية، وأن المعرفة تتكون من حقائق كلية، يستخلصها العقل لا الحواس من الجزئيات المتغيرة، ولما كان العقل عنصرا مشتركًا؛ لزم أن تكون الحقيقة عند شخص معين هي نفسها الحقيقة عند شخص آخر، وهكذا.

ثانيا: الفضيلة: قال سقراط أن الفضيلة أمر بديهى في أساس تكوين الإنسان، لكن الإنسان حين يخطيء معاينة الفضيلة يظن الباطل حقا والشر فضيلة؛ لهذا فإن الحقيقة التي يراها سقراط أن على الناس إعادة فحص ما هم متيقنون من معرفته.

وذهب سقراط إلى الربط بين الفضيلة والمعرفة، فالإنسان الذي يرغب أن يكون فاضلًا فلا بد أن يكون عارفًا، وبمقدار ما يتحصل المرء من المعرفة؛ معرفة عن نفسه وما تشتمل عليه من ملكات وقوي، ومعرفة عن الكون؛ بمقدار ما يكون المرء فاضلا. وذلك لأن معرفة الخير ستدفع إلى فعله، ومعرفة الشر تحض المرء على تركه،

والإنسان يبتعد عن فعل الخير ويسلك الشر لأنه جاهل بالخير والشر. ويرى سقراط أن الإنسان روح وعقل يسير الجسم ويدبره، وليس مركبا من الهوى والشهوة كما ذهب السوفسطائيون، وذهب إلى أن القوانين العادلة لا مصدر لها إلا العقل، وهي متفقة مع القوانين غير المكتوبة التي رسمتها الآلهة في قلوب البشر، فمن يحترم القوانين العادلة إنما هو في الواقع يحترم العقل والنظام الإلهي.

بحثه في ما وراء الطبيعة: بحث سقراط فيما وراء الطبيعة، فذهب إلى أن النفس ليست مجرد مبدأ الحياة، بل هي أهم من ذلك، هي "الذات الأخلاقية"، وقال بخلود النفس، وأقام الأدلة على وجود الإله، وهو في نظره إله خير لا يدركه العقل، ولا يحيط به الوصف، ولا يصدر عنه إلا كل صلاح، ولا يشبه الحوادث في قول أو فعل، وأنه واحد لا يتغير ولا يتبدل، والواجب على الإنسان أن يطيع أوامره مهما كلفه من مشقة وتعب. وكان سقراط يتحدث كثيرا عن الإله المفرد أو عن الألوهية، مخالفا ما يتحدث به الآخرون بلفظ الجمع الآلهة"، وكان ينهى عن عبادة الأصنام، وشدد في نهيه على الملك، وقال له: (إن عبادة الأصنام نافعة للملك ضارة لسقراط، لأن الملك يصلح بها رعيته ويستخرج بها خراجه، وسقراط يعلم أنها لا تضره، ولا تنفعه، إذا كان مقرا بأن له خالقا يرزقه، وجازيه بما قدم من سيئ أو حسن).

منهجه في البحث والتفكير: ابتدع سقراط منهجا جديدا في التفكير والمحاورة يقوم على أمرين: **١-التهكم**: بناه على تصنع الجهل، والتظاهر بالتسليم لوجهة نظر الخصوم، ثم الانتقال إلى إثارة الشكوك حولها، ثم يستخلص من آراء الخصوم لوازم لا يستطيعون الالتزام بها، لكونها متناقضة مع آرائهم ومعتقداتهم، وبذلك يوقعهم في الحرج والتناقض، وكان قصد سقراط من هذا تنقية أذهان الناس من المعلومات الفاسدة، وتطهيرها من القضايا الكاذبة والمعارف الخاطئة التي ورثوها عن السوفسطائيين.

٢-التولد: أي تولد الحقيقة من نفوس الخصوم، من خلال استنباطها عن طريق توجيه الأسئلة إليهم في نسق منطقي وترتيب فكري، ولم يكن حواره ينتهي إلى نتيجة معينة، وإنما كان القصد منه تنبيه الأذهان إلى ضرورة التزام الدقة في اختيار الألفاظ، وإلى أن المعاني موجودة في النفس، ولا سبيل إلى استخراجها إلا بالحوار.

المرحلة الثالثة: المرحلة الأهم.

أولًا: أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)

وتعتبر المرحلة الثالثة في أهم مراحل تطور الفلسفة، في هذه المرحلة اتسع نطاق الفلسفة حيث صار موضوعها شاملًا لكل بحث إنساني، وامتاز هذا العصر بتبويب وتنظيم المسائل الفلسفية، وبلغت الفلسفة فيه كمالها، وكان ذلك على يدي أفلاطون وتلميذه أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م). وبعد موت أستاذه سقراط غادر أفلاطون أثينا إلى ميغاري، وأقام بها عند الفيلسوف إقليدس الذي أسس مدرسة فلسفية في هذه المدينة، ثم غادرها إلى مصر التي درس فيها الرياضة دراسة وافية، واطلع على علومها ودياناتها، وفي سنة (ت: ٣٧٠ ق.م)، غادر مصر إلى إيطاليا، وهناك تعرف على الفيثاغورثين، واتصل بهم ودرس مذهبهم.

لقد جمع أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، من خلال إحلاله وتنقلاته بين ثقافات الشرق والغرب الأمر الذي أسهم في فلسفته التي جاءت متعددة الجوانب الفكرية ومتعددة الموضوعات، ومما جعل فلسفته تمتاز عن فلسفة الذين سبقوه من اليونانيين؛ إذ تناول في فلسفته الطبيعة وما وراء الطبيعة، والإنسان والقيم والمثل والسياسة والمدنية ... وغير ذلك من موضوعات فلسفية. وفي سنة (ت: ٣٧٨ ق.م)، ورجع أفلاطون إلى أثينا، وبها أنشأ مدرسته الفلسفية، التي كانت تطل على حديقة "أكاديموس" أحد أبطال اليونان، فسميت لذلك بالأكاديمية، وقد جعلها دينية علمية تدرس فيها جميع العلوم وأقام فيها معبدا، وظل يعلم فيها ويكتب أربعين سنة، وقد أقبل عليها الطلاب رجال ونساء، يونان وأجانب، وظل فيها إلى أن توفي سنة (٣٤٧ ق.م).

مؤلفات أفلاطون: تمتاز مؤلفاته بتمثيلها لمراحل حياته الفكرية الثلاث: فالمجموعة الأولى من مؤلفاته هي التي كتبت في الفترة التي قضاها في أثينا، والتي أحاطت بموت أستاذه سقراط وقبل رحلاته خارج أثينا، وتمثل كتبه في تلك الفترة فلسفة أستاذه سقراط.

أما المجموعة الثانية فقد كتبها بعد رحلته إلى ميغاري وغيرها من البلاد، وآراؤه فيها خليط من آراء أستاذه سقراط وصديقه أقليدس الذي تعرف عليه في ميغاري، وآرائه الشخصية التي تمثل فلسفته وتفكيره الخاص.

وأما المجموعة الثالثة: فقد كتبها بعد استقراره في أثينا، ووصله إلى درجة من النضج والصفاء الذهني، وتلك المجموعة من المؤلفات هي التي تعبر عن استقلاله في التفكير الفلسفي.

وشملت فلسفة أفلاطون موضوعات متعددة، وأهمها ما يلي:

١. نظريته في المعرفة من حيث مراحلها وكيفية تحصيلها.

٢. نظريته في المثل، وهي بحث عن الحقيقة المطلقة فيما وراء الطبيعة.

٣. نظريته في الطبيعة، وموضوعها الطبيعة، وتبحث في ظواهر الوجود من حيث هو مادة يلازمها ملازمة ضرورية كل من المكان والزمان.

٤. الأخلاق وتبحث في واجبات الفرد نحو غيره.

٥. السياسة وتبحث في واجبات الإنسان نحو المجتمع، وفيها وضع أفلاطون نظريته في الحكم الجمهوري، وفي المدينة الفاضلة، وهو ما يعرف بجمهورية أفلاطون وبهذا يتبين أن أفلاطون تناول في فلسفته موضوعات شتى، وأنه تميز عن الفلاسفة قبله الذين كانوا يقصرون مباحثهم على موضوع واحد أو موضوعين لقد شملت فلسفة أفلاطون الطبيعة، وما وراء الطبيعة، المعرفة، والمثل والأخلاق والسياسة والمدينة الفاضلة، والنفس الإنسانية.

منهجه الفلسفي سلك أفلاطون" في منهجه الفلسفي التوفيق والتنسيق بين المذاهب الفلسفية التي سبقته، إذ لم ير في تعارضها سببًا للشك مثل السوفسطائيين، إن آراء السابقين عنده حقائق جزئية والحقيقة الكاملة تقوم بالجمع بينها وتنسيقها في كل يجمع الأجزاء ويؤلفها، وطريقة التوفيق هي حصر كل وجهة في دائرة، وإخضاع المحسوس للمعقول، والحادث للضرورى إنه جمع بين تغير هرقليطس ووجود بارمنيدس، ورياضيات فيثاغورث وأصحابه وعقيدتهم في النفس، وجواهر ديمقريطس، وعناصر أنبادوقليس، وعقل أنكساغوراس، ومذهب سقراط، أي

المؤس إن أفلاطون لم يرد شيئا من تفلسف السابقين، بل انتفع بكل شيء ثم طبع هذا التفلسف بطابعه الخاص وزاد فيه؛ فتوسع وتعمق إلى حد لم تسبق إليه.

الله عند أفلاطون: لقد قاد أفلاطون تفكيره إلى إدراك الألوهية والاعتراف بوجود إله لهذا الكون مدبر له ومهيمن عليه، وحكى عنه تلامذته أنه كان يقول: إن للعالم محدثا مبدعا، أزليا واجبا بذاته، عالم بجميع معلوماته على صفة الأسباب الكلية، كان في الأزل ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل إلا مثالا – الباري

تعالى. والاعتقاد في الألوهية واجب على كل إنسان، وهذا الاعتقاد ليس طارئا ولا مكتسبا، إنه مغروز فى طبيعة النفس الإنسانية، فالإنسان طبع على التدين، والاعتقاد بوجود إله أمر مركوز في طبيعة الإنسان التي خلقت مع فطرته التي فطره الله عليها. ولذا؛ فإن معرفة الله واجبة، وعبادة الله وتعظيمه فرض على كل إنسان، وربما يعبر عن وجود الله بالهيولي، وربما يعبر عنه بالعنصر!! قال : (أبدع الباري العقل الأول، وبتوسطه النفس الكلية، وقد انبعث عن العقل انبعاث الصورة في المرآة، وبتوسطهما [توسط العقل والنفس] أبدع العنصر، وليس المقصود بهذا العنصر الهيولى التي هي موضوع الصور الحية إنما عنصر أخر. ويثبت أفلاطون وجود الله تعالى بدليلين هما:

١-"دليل الحركة.

دليل النظام وهو يستمد هذين الدليلين من ظاهرتي الحركة الجارية في الوجود والمتعاقبة على كل موجوداته، وظاهرة النظام البادي في كل جزء من أجزاء الوجود.

أما عن وصف أفلاطون للإله؛ فقد وصف الله بالوجود والوحدة، ثم أضاف إليه من الصفات ما يجعله موجودا منفردا عن كل ما سواه، وبما استحق به أن يكون فوق قمة الموجودات، وأن يكون مدبرها وصانعها. فمن صفات الله أنه روح عاقل منظم، منتصف بالجمال والخير والعدل والكمال والبساطة، ثابت لا يعتريه تغير، صادق لا يعرض له الكذب، لا يخضع للزمان، يكون وحده في حاضر مستمر، يتجه إلى العالم بعنايته التي لا تقتصر على كلي دون جزئي أو جزئي دون كلي.

ثانيًا. الطبيعة عند أفلاطون: "يفسر أفلاطون الكون على أساس نظريته في المثل وثنائية العالم؛ فالعالم كان في المبدأ مادة مبهمة غير معينة، ولا يعرف عنها غير صلاحيتها لتقبل الصور، وأن هذه المادة تحركت أولا حركة اتفاقية باستمرار حت اتحدت ذراتها المتشابهة بالشكل وكنت العناصر الأربعة، وبعد أن وصلت تلك المادة إلى هذا النظام عين الصانع لكل منها مكانا . ولا يقصد أفلاطون بالحركة الاتفاقية ما قصده الطبيعيون من القول بالصدفة والاتفاق، بل قصد أن الصانع المبدع المدبر وضع الروح فوق المادة فألفت الانسجام والنظام الحاصل بين الأشياء، والكمال الموجود بين الكائنات نظمته قوة عاقلة هي التي تسير العالم إلى غاية، ويبدو من كلام أفلاطون أن العالم ممكن محدث، مما جعل أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، يعتبره مخالفا للفلاسفة الأقدمين.

ثالثا . المثل عند أفلاطون:

وصف أفلاطون العالم المعقول بأنه إلهي لاشتراكه مع الإله في الروحية والعقل، لكنه يصنف العالم العقلي في مراتب مختلفة أعلاها وفوق قمتها جميعا الله عز وجل. وكان كثيرا ما يطلق اسم الإله أو الإلهي على بعض المثل: كمثال الخير ومثال الجمال، وآلهة الكواكب، وآلهة الجن!!! وكل ما عدا الله من مجردات هي مبادئ للتدبير آلهة باشتراك الاسم فقط، لأن كل واحد منهم يمثل قمة نوع أو مقولة، ولا يأخذون كل خصائص الله، وإنما يستمدون منه وحدة وجودهم وخلودهم. ويرى أفلاطون أن المعاني الكلية المجردة لها وجود وتحقق ذاتي فيما وراء الطبيعة، وهذه المعانى أوالجواهر المجردة لا تدركها الحواس ولا يطرأ عليها الفساد والفناء، ووجودها هو موضوع العلم اليقينى، ولولا وجود هذه الجواهر ما استفدنا العلم، وما استطعنا العلم بشيء علما يقينيا، إنها العلم المعقول الذي هو أصل العالم المحسوس ومثال له، فالكليات هي الموجودة الحقيقي. أما هذا" الموجود المادي فليس إلا ظلا وخيالا له، فالوجود في مذهب أفلاطون طبقتان متقابلتان: طبقة العقل المطلق، وطبقة المادة الأولية أو الهيولى، والقدرة كلها من العقل المطلق، والعجز كله من الهيولى، وبين ذلك كائنات على درجات، تعلو بمقدار ما تأخذ من العقل، وتسفل بمقدار ما تأخذ من الهيولى. وهذه الكائنات المتوسطة، بعضها أرباب، وبعضها أنصاف أرباب، بمقدار ما تأخذ من الهيولي، وبعضها نفوس بشرية. وقد ارتضى أفلاطون وجود تلك الأرباب المتوسطة، ليعلل بها ما في العالم من شر ونقص وألم، فإن العقل المطلق كمال لا يحده الزمان والمكان، ولا يصدر عنه إلا الخير والفضيلة، فهذه الأرباب الوسطى هي التي تولت الخلق، لتوسطها بين الإله القادر والهيولي العاجزة!!! فجاء النقص والشر والألم من هذا التوسط بين الطرفين !!! ومما سبق يتبين لنا أن أفلاطون يرى أن هناك عالمين اثنين:

العالم الأول: عالم الحس المشاهد، دائم التغير، عسير الإدراك، ليس جدير بأن يبقى موجودا، و الا يسمى إدراكه علما، بل هو شبيه بالعلم الأنه ظل وخيال للموجود الحقيقي .

العالم الثاني: عالم المجردات ، فيه أصول العالم الحسي وهو مثاله الذي صيغت عليه موجوداته كلها؛ ففي عالم المثل يوجد لكل شيء مثال هو في الحقيقة الموجود الكامل لأنه مثال للنوع لا للجزء المتغير الناقص؛ ففي عالم المثل إنسانية الإنسان وحيوانية الحيوان، وخيرية الخير، وشكلية الشكل ...وهكذا. ومثال ذلك: أنا إذا نظرنا في أفراد الإنسان الممثلة في إبراهيم وزيد وعلي؛ وجدنا كلا من هذه الأفراد جسما ناميا ومتحركة بإرادته، وهي ما نعبر عنه بقولنا: حيوان، ووجدناها تشترك أيضا في التفكير بالقوة المعبرة عنه ب "النطق"، وبجوار هذه

الصفات الجوهرية المشتركة بين جميع الأفراد توجد صفات عارضة؛ كالنوم والمرض والمشي، فنستبعد الصفات العارضة ونبقي الصفات الجوهرية، مربين إياها في جنس وفصل، فيصبح التعريف حينئذ تعريفا بالحد التام، حيث يكون تعريف الإنسان ''حيوان ناطق''، وكل من الحيوان والناطق مدرك عقلي منتزع من أفراد الإنسان الحسية بعد تجريده من المادة، فهو صورة عقلية مجردة عن المادة

ثانيًا: أرسطو (٣٨٤ ق.م – ٣٢٢ ق.م)

أَرِسْطُو أو أَرِسْطُوطَالِيس أو أرسطاطاليس الملقب بالمعلم الأول، هو فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. ويعد مؤسس مدرسة ليقيون ومدرسة الفلسفة المشائية والتقاليد الأرسطية، وواحد من كبار مفكريهم. تغطي كتاباته مجالات عدة، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقىوالمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان.

ولد أرسطو عام ٣٨٤ قبل الميلاد في مدينة ستاغيرافي شمال اليونان، وكان والده طبيبًا مقربًا من البلاط المقدوني، وقد كان لوالده تأثير كبير عليه لدخوله مجال التشريح ودراسة الكائنات الحية التي منحته القدرة على دقة الملاحظة والتحليل. وفي عام ٣٦٧ رحل أرسطو إلى اثينا للالتحاق بمعهد افلاطون، كطالب في البداية، وكمدرس فيما بعد. وقد مات أبوه وهو ما زال صبيا، وفيما بعد شدّ رحاله إلى أثينا المركز الثقافي للعالم آنذاك، وكان عمره سبعة عشر عام، ملتحقا بأكاديمية أفلاطون الذي أطراه وأعجب به، وأطلق عليه لقب (عقل المدرسة)، وقد حاول المغرضون التقليل من شأنه عبر اتهامه بالجحود تجاه استاذه أفلاطون.

ويقال أن أرسطو درس في الأكاديمية الأفلاطونية بما يقرب من العشرين عاما، وبعد وفاة رئيسها هجرها ولاسيما بعد أن أوصى برئاستها إلى ابن أخته (سوبيسوبوس) عام ٣٤٨ق.م. واتجه أرسطو إثر ذلك إلى آسيا الصغرى (تركيا حاليا)، حتى التقى بفيليب ملك مقدونيا، الذي كلفه بتربية ابنه (الاسكندر) ذي الثلاثة عشر عامًا، استمر يعلمه خمس سنوات تقريبًا حتى استلم الحكم، بعدها عاد أرسطو إلى أثينا ليجد المدرسة الأكاديمية قد وصلت إلى مستوى عال من الازدهار، فأسس مدرسة خاصة به هناك في لوقيون، وسميت لاحقا بالمدرسة

المشائية لأنه كان يدرّس تلامذته وهو يمشي، فصارت عادة فيما بعد، بقي فيها ثلاث عشر سنة يدرّس ويدير فيها ويكتب.

وكان لفلسفته تأثير فريد على كل شكل من أشكال المعرفة تقريبًا في الغرب، ولا يزال موضوعًا للنقاش الفَلْسَفي المعاصر

مكانته: يعد أرسطو ثاني فلاسفة الغرب قدرًا بعد أفلاطون. مؤسس علم المنطق، وصاحب الفضل الأول في دراستنا اليوم للعلوم الطبيعية، والفيزياء الحديثة. أفكاره حول الميتافيزيقيا لا زالت هي محور النقاش الأول بين النقاشات الفلسفية في مختلف العصور. ويمتد تأثير أرسطو لأكثر من النظريات الفلسفية، فهو مؤسس البيولوجيا (علم الأحياء) بشهادة داروين نفسه، وهو المرجع الأكبر في هذا المجال. وشعره يعتبر أول أنواع النقد الدرامي في التاريخ، وتأثيره واضح على جميع الأعمال الشعرية الكلاسيكية في الثقافة الغربية وربما غيرها أيضًا. ويرجع سبب هذا التأثير إلى أن أعمال أرسطو كانت شاملة، وتحيط بجميع الجوانب الحياتية، وتروق لجميع أنواع البشر والثقافات.

وقد عُرفت الكتابات المنطقية التي جاء بها أرسطو بالأورغانون، وهي تعنى بآلة الفكر الذي يدور حول البرهنة، بدأها بدراسة الحدود في المقولات التي ترجمها العرب عن اليونان وأسماها بالمقولات العشرة، ثم تناول تركيب الحدود ثم الاستدلال والقياس وأنواعه.

ثالثًا: أفلوطين : (٢٠٥-٢٧٠ م) .

أ – نسبه : لم يذكر المترجمون لحياة أفلوطين شيئًا عن نسبه وأسرته ، لأنه كما ذكر أحد تلاميذه المترجم لحياته، [١] كان يخجل من وجوده في جسم !!، ويأبى أن يذكر شيئا عن أهله ووطنه. [٢]

ب – مولده ونشأته :

[١] وهو فور فوريوس (٢٣٣م –٣٠٥ م) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية، كرم (٢٨٦).

[٢] انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، كرم (ص: ٢٨٦)، وموسوعة الفلسفة (١/ ١٩٦)، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص: ٦٦).

ولد أفلوطين في أرجح الأقوال سنة (٢٠٤م) أو (٢٠٥م) بعد الميلاد. [١]

وكانت ولادته على ما قيل في مدينة (ليقوبوليس) من أعمال مصر الوسطى. [٢]

ثقف في مدينته على أستاذ كان يعلم القراءة والكتابة والحساب، وفي الثامنة والعشرين من عمره (أي عام ٢٣٢م) قصد إلى الإسكندرية ، والتقى بمعلمه (أمونيوس) [٣] ولزمه حد عشر عاماً ، وفي عام (٢٤٣م) رحل أفلوطين بصحبة الجيش الروماني [٤] المجرد لغزو بلاد فارس ، وكان لدى أفلوطين رغبة في التعرف على الفلسفة

[١] انظر: موسوعة الفلسفة (١/ ١٩٦).

[٢] انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية (٢٨٦) ، وموسوعة الفلسفة (١/ ١٩٦)، وقيل كان مولده في أسيوط.

انظر : قصة الفلسفة اليونانية (ص: ٣٣٢) ، وبعض الباحثين يرى أن (ليقوبوليس) هي (أسيوط) انظر: فجر الإسلام / أحمد آمين (ص: ١٢٨).

[٣] أمونيوس ساكاس (١٧٥م – ٢٥٠ م) أبرز فلاسفة الإسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي. نشأ مسيحيًا وكان حمالًا (وهو معنى ساكاس المضاف لاسمه) وقد ارتد عن المسيحية، وكان يفرض على تلاميذه كتمان تعاليمه، وكان يحاول التوفيق بين آراء أفلاطون وأرسطو.

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٢٨٦) ، وموسوعة المورد (١/١٠٠) .

[٤] كان هذا الجيش الروماني بقيادة الإمبراطور جورديان ، وقد اغتيل في طريقه إلى بلاد فارس عام (٢٤٤م)

، وكان ذلك سبباً في انهزام جيشه .

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية /كرم (٢٨٧) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (٦٧).

الفارسية والهندية، لكن الجيش الروماني انهزم في العراق ، فلجأ إلى أنطاكية ، ومن هناك رحل إلى روما ، وقد ناهز الأربعين من عمره ، وأقام بها حتى وفاته. [1]

ج – فلسفته :

يمكن الإشارة إلى أهم أفكار أفلوطين الفلسفية في النقاط الآتية :

غاية الفلسفة عند أفلوطين، الإرشاد إلى الطريق الذي به يصل الإنسان إلى إفناء الذات في الوحدة الإلهية !! ، وإلى إيجاد التجربة الروحية التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن يتحد بالواحد. [2]

وتتلخص آراء أفلوطين في واجب الوجود : (أول الموجودات) عنده في أنه :

لا يوصف بأنه عقل ولا معقول . ولا بأنه جوهر ولا عرض ، ولا بأنه مريد وإنما يصفه (فقط) بأنه خير ، وكونه خيراً هو عين ذاته ، وليس عرضاً قائماً به ، حتى لا يفضي وصفه به إلى تكثر فيه بوجه من الوجوه (٣) . [3] فهو يرى أن صفة الواحدية لا تتحقق إلا بصفات سلبية ، فكأن الصفات السلبية لله ، ستنتهي إذن في الواقع إلى سلب كل صفة عن الله(٤) [4] ؟ !! وتصور هذا القول كاف في بيان بطلانه .

---

[1] انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية /كرم (٢٨٧ – ٢٨٦) ، وموسوعة الفلسفة (١/١٩٦) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (٦٦-٦٧) . ويقال: إن وفاته كانت في مدينة كمبالين بإيطاليا، حيث اتّجه إليها طلبًا للراحة بعد أن أقام في روما ستة وعشرين عامًا، وكان قد طلب إلى الإمبراطور إعادة بناء مدينة خربه، ليسكنها هو وأتباعه، لكن المشروع لم ينفذ.

انظر: الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، هامش (ص: ١٠٦).

[2] انظر: موسوعة الفلسفة (١/ ١٩٦).

[3] انظر: الجانب الإلهي، البهي (ص: ١١٩)، وانظر: الملل والنحل، الشهرستاني (٢/ ٤٧٣-٤٧٤).

[4] انظر: موسوعة الفلسفة، بدوي (١/ ١٩٩) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص: ٦٨).

ثم يمضي في مذهبه الباطل ، فيرى أنه على قمة الوجود يوجد الواحد (أي الله) ، وهذا الواحد تصدر عنه الموجودات صدوراً ضرورياً عن طريق الفيض، أو الإشعاع النوراني. وسلسلة الفيوضات تبدأ بالعقل الأول (الكلي)، حيث إن الواحد حينما يتجه إلى ذاته يصدر عنه هذا العقل !!

وتستمر سلسلة الفيوضات، فالعقل الكلي باتجاهه إلى الواحد تصدر عنه النفس الكلية، وباتجاهه إلى ذاته يصدر عنه العالم، وعن النفس الكلية تصدر النفوس الجزئية في مطابقة مع المثل المحفوظة في العقل الكلي [١] ؟!

ويزعم أفلوطين أن النفس الإنسانية من ناحية الإدراك تتبع طريقاً ذا درجات لاث: يبدأ بالإحساس ، ويتوسط بالنظر ، وينتهي بالوجد الذي يمثل الرجوع من حالة التبدد والكثرة ، إلى حالة الوحدة المطلقة [٢] ؟!

والمادة عند أفلوطين – مع أنها صادرة عن الأول (وهو الخير والنور الكامل) ، إلا أنها مع ذلك – مبدأ الشر والظلام والعدم ؛ لأنها – في نظره – الحد المطلق أي أنها تمثل أقصى درجات السلب والنقص في الوجود [٣] ؟!

وأخيراً ، فإن فلسفة أفلوطين قد اندمجت فيها عناصر شتى من جميع المذاهب

الفلسفية : اليونانية ، والدينية ، بما في ذلك السحر ، والتنجيم ، والعرافة ، والتصوف. [٤]

د – أهم مؤلفاته:

---

[١] انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (ص: ٦٤) ، وموسوعة الفلسفة / بدوي (١/ ٢٠٥ – ٢٠٢).

[٢] انظر : موسوعة الفلسفة (١/ ٢٠٨).

[٣] انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة (ص: ٦٩)، والجانب الإلهي، البهي (ص: ١٢٠).

[٤] الجانب الإلهي، البهي (ص: ١٢٠)، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (ص: ٦٢-٦٣)

لم يشرع أفلوطين في الكتابة إلا في حوالي الخمسين من عمره بإلحاح من تلاميذه ، وكان يملي على عجل رسائل متفاوتة ، هي صورة لتعلميه الشفوي ، وكان تعليمه عبارة عن شرح لنصوص من فلسفة أفلاطون ، أو أرسطو ، أو غيرهما ، أو جواب عن سؤال ، أورد على اعتراض ، فلم يكن فيها عرضٌ منظمٌ لمذهبه ، كما كان يغلب عليها شيء من الرمزية التي يكاد يستحيل معها فهم النص،[1] وقد جاءت رسائله عبارة عن مجمل المذاهب الفلسفية والدينية في عصره ، وكانت أشبه ما تكون بالعظة الدينية التي ترد فيها العقائد لمناسبة موضوع معين ، وكانت هذه الطريقة مألوفة عند المسيحيين، وعند الفلاسفة الوثنيين الذين ندبوا أنفسهم مرشدين ومصلحين. [2]

وبعد وفاة أفلوطين، قام تلميذه (فور فوريوس (٢٣٣م – ٣٠٥م) بجمع رسائل أستاذه وكانت أربعًا وخمسين، وقدم لها بترجمة لحياة أفلوطين، ووزعها على ستة أقسام، كل قسم مكون من تسع رسائل، فسميت لذلك ب (التساعيات) أو (التساعات)

ويمكن القول بأن التساعية الأولى : خاصة بالإنسان ، والثانية والثالثة : خاصة بالعالم المحسوس، والرابعة: خاصة بالنفس، والخامسة: خاصة بالعقل، والسادسة: خاصة بالوجود الدائم، أو العالم العلوي، وقد حفظت هذه الرسائل ووصلت إلينا جميعًا. [3]

م – وفاته:

---

[1] انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، كرم (٢٨٧) ، وموسوعة الفلسفة، بدوي (١/ ١٩٦).

[2] انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، كرم (٢٨٧–٢٨٨) ، وموسوعة الفلسفة، بدوي (١/ ١٩٦)، وهناك نشرات نقدية قام بها عدة باحثين لكتاب (التساعات) كما ترجم الكتاب إلى الفرنسية والإنجليزية. انظر: موسوعة الفلسفة، بدوي (١/ ٢٠٩).

[3] انظر: المصادر السابقة.

توفي أفلوطين سنة (٢٧٠ م) بعد مرض مؤلم لازمه طويلًا ، وكان عمره آنذاك السادسة والستين. [١] . [٢]

الآراء الأخرى في أدوار الفلسفة اليونانية

والبعض يرى أن الفلسفة اليونانية قد مرت بثلاثة أدوار ، كل دور على وقتين: [٣]

دور النشوء ، ودور النضوج ، ودور الذبول.

الدور الأول: ويبدأ بالوقت المسمى (عادة) بما قبل سقراط ، ويمتاز بمحاولة تفسير العالم ، وفيه وضعت أسس الفلسفة النظرية . والوقت الثاني : وقت السوفسطائيين وسقراط . ويمتاز باتجاه الفكر إلى مناهج الجدل وأصول الأخلاق ، وفيه وضعت بذور الفلسفة العملية.

الدور الثاني: يملؤه أفلاطون وأرسطو، حيث اشتغل أفلاطون بالمسائل الفلسفية كلها من نظرية وعملية ، ومحضها وزاد عليها ، وبلغ إلى حقائق جليلة ، ولكنه مزج الحقيقة بالخيال ، والبرهان بالقصة ، فلما جاء أرسطو عالج المسائل بالعقل الصرف.

---

[١] انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة (ص: ٦٧) ، وموسوعة الفلسفة، بدوي (١/ ١٩٦).

[٢] المصدر: كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها (ص: ٩٨-١٠١).

[٣] انظر : مباديء الفلسفة / ١. س. رايوبرت (٩٧-١٢٠) . ويميل بعض الباحثين والمؤرخين إلى عدم التقسيم إطلاقًا، ويرون أن الأولى بيان الخصائص الرئيسة التي تسود هذا العصر. انظر : موسوعة الفلسفة (٥/ ١٨١).

الدور الثالث: ليس فيه كبير ابتكار وإنما قام بدور الإفادة من المذاهب السابقة ، وتجديدها، وكان للشرقيين تأثير كبير، ومساهمة فاعلة في هذا الدور [1] وفيه ظهر الرواقيون، [2] والأبيقيريون، [3] والأفلاطونية المحدثة.[4]

ثم جاء دور الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، فساهموا في نقل الكثير من آراء فلاسفة اليونان، وحاولوا جهدهم في تقريبها من دين الإسلام، فبرز من هؤلاء الفلاسفة : الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وابن طفيل، وابن باجة". [5]

وعن طريق هؤلاء الفلاسفة وغيرهم من فلاسفة الرومان، انتقلت علوم الفلسفة إلى أوروبا، تحت تأثير التبادل الفكري الكبير الذي حدث بين عرب الأندلس والأوربيين. [6] فظهر الكثير من الفلاسفة الأوربيين على

[1] انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (ص: ٩-٨).

[2] نسبة إلى الرواقية : وهي مذهب فلسفي أنشأه الفيلسوف زينون السيشوعي (٣٣٦-٢٦٤ ق.م) ، حوالي عام ٣٠٠ ق.م . انظر : موسوعة المورد (٩/ ١٢٢) ، وموسوعة الفنسفة (١/ ٥٢٧).

[3] نسبة إلى الأبيقورية : وهي مذهب أنشأه الفيلسوف اليوناني أبيقور (٣٤١ – ٢٧٠ ق.م) : انظر : موسوعة المورد (٤/ ٦٥) ، وموسوعة الفلسفة (١/ ٨١).

[4] الأفلوطنية المحدثة: مذهب فلسفي نشأ في الإسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، أبر ممثليه أفلوطين (٢٠٥-٢٧٠ م)، انظر: موسوعة المورد (٧/ ١١٥)، وموسوعة الفلسفة (١/ ١٩٠).

[5] هو : محمد بن يحيى بن باجّه، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي: من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، وكان مع اشتغاله بالفلسفة والطبيعيات ، والفلك والطب والموسيقى ، شاعراً مجيداً ، عارفا بالأنساب ، شرح كثيرا من كتب أرسطاطاليس ، وصنف كتبا ضاع أكثرها . ذهب إلى فاس ، ومات فيها سنة (٥٣٣ هـ) . من كتبه: رسالة الوداع، وكتاب النفس.
انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٤٢٩) ، ودائرة المعارف الإسلامية (١/ ٩٥)، الأعلام (٧/ ١٣٧).

[6] انظر : دائرة معارف القرن العشرين (٧/ ٤٧٣)، (١/ ١٦٩)، موسوعة الفلسفة (١/ ٤١٢) ، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه / د. إبراهيم مدكور (٢/ ١٦٤-١٨٨).

اختلاف مناهجهم ومشاربهم، ولا تزال آراؤهم ومذاهبهم لها تأثيرها الواضح في الفكر المعاصر حتى يومنا هذا.
[١]

المطلب الثالث: المدارس الفلسفية اليونانية.

تحدث ابن القيم عن بعض هذه المدارس فقال: "وهم فرق شتى لا يحصيهم إلا الله عز وجل. وأحصى المعتنون بمقالات الناس منهم اثنتي عشرة فرقة، كل فرقة منها مختلفة اختلافا كثيرا. فمنهم: أصحاب الرواق، وأصحاب الظلة، والمشاءون، وهم شيعة أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، وفلسفتهم هي الدائرة اليوم بين الناس، وهي التي يحكيها ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والفارابي (ت: ٣٣٩)، وابن الخطيب، وغيرهم. ومنهم: الفيثاغورية، والأفلاطونية. ولا تكاد تجد منهم اثنين متفقين على رأي واحد، بل قد تلاعب بهم الشيطان كتلاعب الصبيان بالكرة، ومقالاتهم أكثر من أن نذكرها على التفصيل. وبالجملة، فملاحدتهم هم أهل التعطيل المحض، فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله وعطلوا العالم عن الحق الذي خلقه له ربه، فعطلوه عن مبدئه ومعاده، وعن فاعله وغايته. ثم سرى هذا الداء منهم في الأمم، وفي فرق المعطلة: فكان منهم إمام المعطلين: فرعون، فإنه أخرج التعطيل إلى العمل، فصرح به، وأذن به بين قومه، ودعا إليه، وأنكر أن يكون إله غيره، وأنكر أن يكون الله تعالى فوق سماواته على عرشه، وأن يكون كلم عبده موسى تكليما، وكذب موسى في ذلك، وطلب من وزيره هامان أن يبني له صرحا ليطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام، وكذبه في ذلك. فاقتدى به كل جهمي مكذب أن يكون الله مكلما متكلما، أو أن يكون فوق سماواته على عرشه، بائنا من خلقه، ودرج قومه وأصحابه على ذلك، حتى أهلكهم الله تعالى بالغرق، وجعلهم عبرة لعباده المؤمنين، ونكالا لأعدائه المعطلين. ثم استمر الأمر على عهد نبوة موسى كليم الرحمن على التوحيد وإثبات الصفات، وتكليم الله لعبده موسى تكليما، إلى أن توفي موسى عليه السلام، ودخل الداخل على بني إسرائيل، ورفع التعطيل رأسه بينهم، وأقبلوا على علوم المعطلة أعداء موسى عليه السلام، وقدموها على نصوص التوراة، فسلط الله تعالى عليهم من أزال ملكهم، وشردهم من أوطانهم، وسبى ذراريهم، كما هي عادته سبحانه

[١] انظر : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها (ص: ٦٧).

وسنته في عباده إذا أعرضوا عن الوحي، وتعوضوا عنه بكلام الملاحدة والمعطلة من الفلاسفة وغيرهم. كما سلط النصارى على بلاد العرب لما ظهرت فيها الفلسفة والمنطق، واشتغلوا بها، فاستولت النصارى على أكثر بلادهم، وأصاروهم رعية لهم. وكذلك لما ظهر ذلك ببلاد المشرق سلط عليهم عساكر التتار، فأبادوا أكثر البلاد الشرقية، واستولوا عليها. وكذلك في أواخر المئة الثالثة، وأول الرابعة، لما اشتغل أهل العراق بالفلسفة وعلوم أهل الإلحاد سلط عليهم القرامطة الباطنية، فكسروا عسكر الخليفة عدة مرات، واستولوا على الحاج، واستعرضوهم قتلا وأسرا، واشتدت شوكتهم، واتهم بموافقتهم في الباطن كثير من الأعيان من الوزراء، والكتاب، والأدباء وغيرهم، واستولى أهل دعوتهم على بلاد الغرب، واستقرت دار مملكتهم بمصر، وبنيت في أيامهم القاهرة، واستولوا على الشام والحجاز واليمن والمغرب، وخطب لهم على منبر بغداد. والمقصود أن هذا الداء لما دخل في بني إسرائيل كان سبب دمارهم وزوال مملكتهم. ثم بعث الله سبحانه عبده ورسوله وكلمته المسيح ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه، فجدد لهم الدين، وبين لهم معالمه، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، والتبري من تلك الأحداث والآراء الباطلة، فعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالعظائم، وراموا قتله، فطهره الله تعالى منهم، ورفعه إليه، فلم يصلوا إليه بسوء، وأقام الله تعالى للمسيح أنصارا دعوا إلى دينه وشريعته، حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، وانتشرت دعوته، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلاث مئة سنة. ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير، حتى تناسخ واضمحل، ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء، بل ركبوا دينا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم، حتى يدخلوهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا ظل لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس. وهذا، ومعهم بقايا من دين المسيح، كالختان، والاغتسال من الجنابة، وتعظيم السبت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرمته التوراة، إلا ما أحل لهم بنصها. ثم تناسخت الشريعة إلى أن استحلوا الخنزير، وأحلوا السبت، وعوضوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة. وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس، فصلوا هم إلى المشرق. ولم يعظم المسيح عليه السلام صليبا قط، فعظموا هم الصليب، وعبدوه. ولم يصم المسيح عليه السلام صومهم هذا أبدا، ولا شرعه، ولا أمر به البتة، بل هم وضعوه على هذا العدد، ونقلوه إلى زمن الربيع، فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عوضا عن نقله من الشهور الهلالية إلى الشهور الرومية. وتعبدوا بالنجاسات، وكان

المسيح عليه السلام في غاية الطهارة والطيب والنظافة، وأبعد الخلق عن النجاسة، فقصدوا بذلك تغيير دين اليهود، ومراغمتهم، فغيروا دين المسيح. وتقربوا إلى الفلاسفة عباد الأصنام، بأن وافقوهم في بعض الأمر، ليرضوهم به، وليستنصروا بذلك على اليهود. ولما أخذ دين المسيح عليه السلام في التغيير والفساد، اجتمعت النصارى عدة مجامع تزيد على ثمانين مجمعا، ثم يتفرقون على الاختلاف والتلاعن، يلعن بعضهم بعضا، حتى قال فيهم بعض العقلاء: لو اجتمع عشرة من النصارى، يتكلمون في حقيقة ما هم عليه، لتفرقوا عن أحد عشر مذهبا! حتى جمعهم قسطنطين الملك آخر ذلك من الجزائر والبلاد وسائر الأقطار؛ فجمع كل بطرك وأسقف وعالم، فكانوا ثلاث مئة وثمانية عشر. فقال: أنتم اليوم علماء النصرانية، وأكابر النصارى فاتفقوا على أمر تجتمع عليه كلمة النصرانية، ومن خالفها لعنتموه وحرمتموه، فقاموا وقعدوا، وفكروا وقدروا، واتفقوا على وضع الأمانة التي بأيديهم اليوم، وكان ذلك بمدينة نيقية، سنة خمس عشرة من ملك قسطنطين[١].[٢]"

وقد تعددت المدارس اليونانية، ومنها:

المدرسة الفلسفيّة الفيثاغورية

تعود نسبتها إلى فيثاغورس، الذي يعد أول من استعمل كلمة فيلسوف، وكانت بمعنى حب الحكمة، الذي قام بإنشائها في جنوب إيطاليا، وترى هذه المدرسة أنّ الحركة أساس الحياة ومنها تصدر الأصوات على أنّها أنغام موسيقى، ويقال بأنّ التطور في العمران الحديث يعود للمدرسة الفيثاغوريّة، وتلقّب بأعجب مدرسة في التاريخ. وتتسم الفيتاغورية بأنها مذهب ديني عميق الرؤية والشعور، كما أنها مدرسة علمية تعنى بالرياضيات والطب والموسيقا والفلك.

---

[١] انظر أخبار هذا المجمع وغيرها من المجامع العشرة في: تاريخ ابن البطريق (١/ ١٢٠ وما بعدها) والجواب الصحيح (٤/ ٢١٤ وما بعدها) وهداية الحيارى (ص ٣٩٨ ـ ٤٢٥)..

[٢] إغاثة اللهفان ٢/ ١٣٣-١٣٧.

ظهرت أفكار هذه المدرسة -أول ما ظهرت- على يد فيثاغورس (٥٧٢ ق.م) الذي نشأ في جزيرة يونانية تدعى ساموس. [١]

ولما ناهز الأربعين من عمره قصد إلى إيطاليا الجنوبية ، فنبغ وذاع صيته، وأنشأ فرقة دينية فلسفية عرفت باسمه. [٢] ولم تكن المدرسة الفيثاغورية مدرسة فلسفية فحسب، بل كانت إلى جانب هذا مدرسة دينية أخلاقية على نظام الطرق الصوفية. فلها إلى جانب المبادئ الفلسفية التي قالت بها، مبادئ صوفية ومذاهب متصلة بالزهد والعبادة. [٣]

ومن أهم أفكار هذه المدرسة : القول بأن الحقيقة هي في أعمق أعماقها رياضية ، وبأن العدد أساس وجوهر كل شيء. [٤]وهم يقولون بحدوث العالم ، وقالوا عن النفس الإنسانية: إنها عدد ، وإنها انسجام ، ومما هو مشهور عنهم : القول بتناسخ الأرواح. [٥]

---

[١] ساموس : جزيرة يونانية في بحر أيجه ، تعتبر إحدى كبريات جزر سبورادس الجنوبية ، وأقرب الجزر اليونانية إلى السواحل التركية انظر : موسوعة المورد (٨/ ١٩٩).

[٢] انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، كرم (ص: ٢٠) . ونشأة الفكر الفلسفي (١/ ١٢٤).

[٣] انظر: موسوعة الفلسفة (٢/ ٢٢٨).

[٤] انظر: موسوعة المورد (٨/ ٢٥)، وموسوعة الفلسفة (٢/ ٢٢٨).

[٥] انظر: موسوعة الفلسفة (٢/ ٢٣١-٢٣٢) والتناسخ هو : الاعتقاد بأن النفس البشرية تتقمص أو تدخل ، بعد موت صاحبها جسدا آخر ، سواء أكان هذا الجسد جسد إنسان ، أم حيوان ، أم نبات. انظر التعريفات (ص: ٧٢)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٣٨٠)، وموسوعة المورد (٨/ ١٣٥).

المدرسة السوفسطائية:

كلمة (السوفسطائي) مأخوذة في الأصل من لفظة (Sophistes) سوفيسطوس، اليونانية التي تعني الحكيم أو المعلم. وبنوع خاص تدل على معلم البيان، ثم لحقها التحقير في عهد سقراط وأفلاطون، وأصبحت تعني تمويه الحقائق؛ لأن السوفسطائيين كانوا مجادلين، مغالطين ، متاجرين بالعلم. [١] وكانوا جماعة من الكتاب والمعلمين الإغريق المحترفين ، دأبت خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، على التطواف في طول العالم الناطق باللغة اليونانية وعرضه؛ لتعليم الشبان لقاء أجر معين. وكانوا يتنقلون بين المدن يتقاضون الأجور الوفيرة، ونزلوا بالعلم إلى مستوى الحرف والصنائع فلحقتهم الزراية، لم يكونوا حكماء ، وإنما كانوا خطباء، [٢] وقد عنوا بالجدل ووقفوا عليه جهدهم كله وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء، واهتموا بالنظر في الألفاظ ودلالتها، والقضايا وأنواعها، والحجج وشروطها ، والمغالطة وأساليبها، فكان هذا هو مجالهم الذي اشتهروا فيه، أما سائر العلوم فكانوا يلمون بها إلماما يساعدهم على استنباط الحجج والمغالطات، فتناولوا بالجدل المذاهب الفلسفية المعروفة، وعارضوا بعضها ببعض، وتطرق عبثهم إلى المبادئ الخلقية والاجتماعية، فجادلوا في أن هناك حقًا وباطلًا، وخيراً وشرًا، وعدلًا وظلمًا، وأذاعوا التشكيك في الدين وسخروا من شعائره. [٣]

وقد اختلفت مواقف مؤرخي الفلسفة منهم: فذهب بعضهم إلى أنهم وفقوا–بفضل نقدهم للعقائد الشائعة في زمانهم–إلى حمل المفكرين الآخرين على التعمق في استكناه مشكلات الحياة الكبرى ، وإلى لفت الاهتمام إلى

---

[١] انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٤٥) ، وموسوعة المورد (٩/٨٩).

[٢] انظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة (ص: ٢٦٧).

[٣] انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (ص: ٤٥).

المسائل ذات الأهمية الخاصة بالنسبة إلى الإنسان؛ في حين ذهب بعض الباحثين الآخرين إلى القول بأنهم كانوا محنة على الفلسفة اليونانية؛ بإفسادهم العقول بالشكوك والمغالطات ، والطعن في الحقائق الثابتة.

ومهما يكن من أمر ، فإن السوفسطائين لم يكن لهم عناية بالرياضيات والطبيعيات في التعليم ، وإنما ركزوا في المقام الأول على الفنون التي يجوز فيها الجدل :

كالبلاغة ، والنحو ، والتاريخ . وأشهر رجال هذه المدرسة : بروتاغوراس (٤٨٠-٤١٠ ق.م). وغورغياس (٤٨٠- ٣٧٥ ق.م).

المدرسة السقراطية

تعود نسبتها إلى سقراط، وكان اليونانيون القدماء يعتبرونه أبو الفلاسفة، ويعرفونه بانه من أنزل الفلسفة من السماء إلى الارض لأنه من تحرك لدراسة الكثير من القضايا التي تتعلق بالكون وأصل الوجود وحقيقته الغائبة عن البشر، وكان لفلسفة "سقراط" الفضل في تغيير مجرى الفلسفة ودمج الطبيعة بالكون بالسياسة بالبشر، وقد اختلف كثيرًا مع السوفسطائيين واعتبرهم يدافعون عن الشكوك المزيفة الغير منطقية، بينما سعى هو لاستبدال أفكارهم البالية بأفكار عقلية مقنعة تعتمد على دلائل ومؤشرات وبراهن ومبررات علمية.

المدرسة الفلسفيّة الأكاديميّة أو المدرسة المثالية الأفلوطنية.

أسّسها الفيلسوف أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، فقد جاء أفلاطون بعد سقراط ليقدم تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا ولكنه تصور مثالي؛ لأنه أعطى الأولوية للفكر والعقل والمثال بينما المحسوس لا وجود له في فلسفته المفارقة لكل ماهو نسبي وغير حقيقي. ولأفلاطون نسق فلسفي متكامل يضم تصورات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم.

ففلسفة أفلاطون فلسفة مثالية مفارقة للمادة والحس، تعتبر عالم المثل العالم الأصل بينما العالم المادي هو عالم زائف ومشوه وغير حقيقي.فقد اعتقد "أفلاطون" أن الأولوية في كل الأمور تعود للفكر والعقل، بينما

الموجودات الحسية لا وجود لها في الواقع وما هي إلا مجرد صورة مخزنة في العقل البشري، وقد قسم أفلاطون العالم إلى قسمين: العالم المثالي المتغير، والعالم المادي النسبي المحسوس.

وتعدّ أشهر المدراس الفلسفيّة وأطولها عمراً، وتعتبر المدرسة الأكادمية في عقيدتها الأقرب إلى المدرسة الفيثاغوريّة، وكان لها دور كبير في تطوير علوم الرياضيات والفلك وخاصةً المدرسة الأكاديميّة في العصور القديمة، لكنّ المدرسة الأكاديميّة في العصور الوسطى تأثّرت بالشك كثيراً لما يدور من حولها، أمّا الأكادميّة الجديدة تطورت مع تطور الرواقة.

المدرسة الفلسفيّة المشائيّة أو مدرسة أرسطو المادية.

وسميّت أيضاً بمدرسة اللوقيون أو الليسية، وسميت بالمدرسة المشائيّة وفقاً لاسمها، أي أنّهم كانوا يتعلّمون وهم يمشون، تأسست هذه المدرسة على يدّ أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، الذي كان تلميذ أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، ويعد أرسطو فيلسوفا موسوعيا شاملا، وقد وضع المنطق الصوري الذي كان له تأثير كبير على كثير من الفلاسفة إلى أن حل محله المنطق الرمزي مع برتراند راسل ووايتهاد.

يذهب أرسطو إلى أن العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي، أما العالم المثالي فهو غير موجود. وأن الحقيقة لا توجد سوى في العالم الذي نعيش فيه، وعد أرسطو فيلسوفا ماديا اكتشف العلل الأربع: العلة الفاعلة والعلة الغائية والعلة الصورية الشكلية والعلة المادية. فإذا أخذنا الطاولة مثالا لهذه العلل الأربع، فالنجار يحيل على العلة الفاعلة والصانعة، أما الخشب فيشكل ماهية الطاولة وعلتها المادية، أما صورة الطاولة فهي العلة الصورية الشكلية، في حين تتمظهر العلة الغائية في الهدف من استعمال الطاولة التي تسعفنا في الأكل والشربوهذه المدرسة تحاول ربط أبحاث الفلسفة بقضايا الإنسان، والتي هذه القواعد بالاضافة إلى قواعد أخرى ما زال يعمل بها حتى هذه اللحظة، فلقب بذلك أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، بالمعلم الأول، ويعدّ الكنديّ، والفارابي (ت: ٣٣٩)، وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والطوسي، مير برهان الدين محمد باقر استرابادي الملقب بـ "ميرداماد" (ت: ١٠٤١هـ)، وابن رشد، أهم الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام اللذين ينتمون إلى هذه المدرسة.

المدرسة الفلسفيّة الرواقيّة

قام زينون الرواقي بإنشاء مدرسة الرواقّة في مدينة أثينا، نسبة إلى الرواق وهو المكان الذي كانت تدرس فيه المدرسة علومها، وتعد الفلسفة عند الرواقيين مدخلا أساسيا للدخول إلى المنطق والأخلاق والطبيعة. وقد كان المنطق الرواقي مختلفا عن المنطق الأرسطي الصوري، وقد أثر منطقهم على الكثير من الفلاسفة والعلماء.

وتعتمد المدرسة الرواقية التي ظهرت بعد فلسفة أرسطو على إرساء فن الفضيلة ومحاولة اصطناعها في الحياة العملية، ولم تعد الفلسفة تبحث عن الحقيقة في ذاتها، بل أصبحت معيارا خارجيا تتجه إلى ربط الفلسفة بالمقوم الأخلاقي، وركز الكثيرون دراساتهم الفلسفية على خاصية الأخلاق كما فعل سنيكا الذي قال: " إن الفلسفة هي البحث عن الفضيلة نفسها، وبهذا تتحقق السعادة التي تمثلت في الزهد في اللذات ومزاولة التقشف والحرمان"

وكانت تدعو إلى إرساء فن الفضيلة والاتجاه لتصنعها حتى إن لم تكن موجودة بشكل طبيعي، وفي تلك الفترة لم تكن الفلسفة كيانًا عامًا لكشف غموض الواقع ودراسته وتحليله، بل اتجهت لدراسة المقومات الأخلاقية وفقط، ويعتبر "سنيكا" أحد أبرز فلاسفة الرواقية الأخلاقية وله مقولة مشهورة يوضح فيها أن الفلسفة هي البحث عن الفضيلة نفسها، وبهذا تتحقق السعادة التي تمثلت في الزهد في اللذات ومزاولة التقشف والحرمان. [1]

فقدّ تعمق الرواقيين في الفكر الإنساني، ويعتقد الرواقيون أنَّ العواطف التي تصيبنا تجاه أمور معينّة تنتج عن أخطاء في الحكم، وأنَّ الشخص الذي يكون كامل أخلاقياً وفكرياً لن يُعاني من هذه العواطف، لأنّه يستطيع الحكم على الأمور وتقديرها بأنها سوف تحدث لا محاله، وقام الرواقيين بطرح فكرة أن المعرفة لا يمكن أن تتحقق من خلال استخدام العقل، فالحقيقة يمكن تمييزها عن الخطأ، وأنَّ الكون هو مادة منطقية، والمادة المعروفة باسم الله أو الطبيعة، كما أنّها تدعو إلى الكونيّة أي أن يعيشوا في محبة وأخوة، لأن الناس عبارة عن روح عالميّة واحدة، ويقول أوبتيتكوس أنَّ كل إنسان هو في المقام الأول مواطن لذاته، لكنه أيضاً عضو في مدينة كبيرة من الآلهة والرجال.

---

[1] الفلسفة في مسارها التاريخي لتوفيق الطويل (ص: ١٤).

المدرسة الإپيقورية الاخلاقية العملية:

هي فلسفة ظهرت بعد الرواقية الأخلاقية وتنسب "إبيقور"، وكانت تسعى تلك الفلسفة للحصول على اللذة والسعادة الحسية بأي شكل كان ولكن باستعمال العقل والمعرفة، واستندت تلك الفلسفة على المنطق والعقل واعتبرت أن المنطق هو الذي يسلم الإنسان إلى اليقين الذي به يطمئن العقل وعلى إثر ذلك تتحقق السعادة، وهذه الفلسفة تدعو للبعد عن الأفكار المرعبة المخيفة التي تتعلق بالموت والذعر والمرض وغيرها. [1]

المدرسة الإسكندرية:

وجاءت بعد ما بنى "الإسكندر المقدوني" مدينة الإسكندرية، حيث أمر ببناء المكتبات فيها وأمر هو ومن خلفه من البطالمة بأن يتم تعمير تلك المكتبات وخاصة مكتبة الإسكندرية بالكتب النفيسة في مختلف العلوم والفنون والآداب، وكان من أبرز علماء هذه المدرسة أقليديس وأرخميديس واللغوي الفيلولوجي إيراتوستن.

وقد انتعشت هذه المدرسة في القرون الميلادية الأولى وامتزجت بالحضارة الشرقية مع امتداد الفكر الديني والوثني وانتشار الأفكار الأسطورية والخرافية والنزعات الصوفية.

ومن عرفت هذه المدرسة بالتوفيق بين آراء أفلاطون المثالية وأرسطو المادية، والتشبع بالمعتقدات الدينية المسيحية واليهودية والأفكار الوثنية من زرادشتية ومانوية وبوذية، والفصل بين العلم والفلسفة بعد ظهور فكرة التخصص المعرفي، والاهتمام بالتصوف والتجليات العرفانية والغنوصية والانشغال بالسحر والتنجيم والغيبيات والإيمان بالخوارق. [2]

ومن مسميات هذه المدرسة كذلك مدرسة الأفلوطنية المحدثة وهي مذهب فلسفي نشأ في الإسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، معدلًا تعاليم أفلاطون، بحيث تنسجم مع المفاهيم الأرسطوية والشرقية.

---

[1] الفلسفة في مسارها التاريخي لتوفيق الطويل (ص: ١٤).

[2] من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،لمحمد عبد الرحمن مرحبا (ص: ٢٢٨).

[1] ويمكن تعريفها: بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية، أو دين فلسفي. فهي مذهب قام على أصول أفلاطونية، وتمثل عناصر من جميع المذاهب: فلسفية، ودينية، يونانية وشرقية، بما في ذلك السحر، والتنجيم، والعرافة.

غير أن رجاله حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليوناني خالصا، أي بالعقلية العلمية التي تنظر إلى الوجود، كأنه هندسة كبرى، فتستبعد منه بقدر المستطاع الممكن والحادث، وتخضعه للضرورة. وبهذا يعارضون الديانات جميعًا مع تأثرهم بها. [2]

من أبرز رجال هذا المذهب:

نومينوس [3] (من أهل القرن الثاني للميلاد). أشهر الأفلاطونيين السوريين، وهو يعد زعيم المذهب.

---

[1] انظر: موسوعة المورد (٧/١١٥).

[2] انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٢٨٥).

[3] نومينوس: كان يعد فيثاغورياً جديداً، وكان له مقام كبير عند الأفلاطونيين الجدد، كان يجل حكمة اليهود ويدمجها في تعليمه ، وعني حياة المسيح ، وكان يتأول تعاليم اليهودية والمسيحية تأويلاً رمزياً . انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٢٨٥) .

وأفلوطين (٢٠٥-٢٧٠ م) وهو المؤسس الحقيقي للمذهب،[١] ومن بعده تلميذه فورفوريوس (٢٣٣-٣٠٥ م) ، [٢] ثم يامبليخوس (٢٧٠-٣٣٠ م)، [٣] ثم أبرقلس (٤١٠- ٤٨٥ م).[٤] ويمكن تقسيم الأدوار التي مرت بها الأفلاطونية المحدثة في تطورها إلى ثلاثة أدوار: [٥]

الدور الأول: وهو دور أفلوطين نفسه (المؤسس الحقيقي) وفيه وضعت كل المسائل الرئيسة التي قالت بها الأفلاطونية المحدثة، كما تحددت الأغراض المختلفة، والصلات المتعددة بين الفلسفة وبقية أجزاء العلم، وفي هذا الدور كانت الصلة بين الدين والفلسفة صلة توازن.

الدور الثاني: وفيه تنقلب الأمور فيما يتعلق بصلة الدين بالفلسفة، فيصبح للدين المقام الأول في تفكير الأفلاطونيين المحدثين، خصوصًا على يد يامبليخوس.

---

[١] أفلوطين: فيلسوف روماني مصري النشأة ، يعد المؤسس الحقيقي للأفلاطونية المحدثة.

انظر : موسوعة المورد (٨/ ٥١).

[٢] فورفوريوس: هو ملخوس السوري الملقب بفورفوريوس ، أظهر تلاميذ أفلوطين ، ولد في صور ، وعرف أفلوطين في روما سنة (٢٦٣م) ، فلزمه واتبع طريقته ، شرح الكثير من محاورات أفلاطون ، وبعض كتب أرسطو، واشتهر بكتاب "إيساغو جي" أي المدخل إلى مقولات أرسطو . انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٢٩٨).

[٣] يامبليخوس: أظهر الأفلاطونيين السوريين في القرن الرابع ، ولد في خلقيس من أعمال سوريا ، وتتلمذ لفور فوريوس ، وكان على طريقة أرسطو تبعا لما كان شائعا في عصره ، دون الكثير من الشروح على أفلاطون وأرسطو ، ووضع بعض الكتب الفلسفية . منها : الإلهيات ، ورسالة في الحض على الفلسفة . انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٢٩٨).

[٤] أبرقلس. أو أبروقلوس: آخر وأشهر ممثلي الأفلاطونية المحدثة في أثينا . ولد في القسطنطينية ، وتلقى الفلسفة في الإسكندرية ثم في أثينا ، وصار زعيم المدرسة فيها ، صنف كتبا كثيرة ، من أهمها : شروحه على محاورات أفلاطون، وآخر على المجسطي لبطليموس . انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية. (٢٩٩).

[٥] انظر : موسوعة الفلسفة (١/ ١٩٦) ، الجانب الإلهي / محمد البهي (١٠٥).

الدور الثالث: الذي يمثله برقلس، نجد الأفلاطونية المحدثة قد تأثرت بالمشائية، فأصبحت أكثر تنظيما وأدق تعبيرًا.

الفيلسوف أفلوطين الشيخ اليوناني وفلسفة الفيض ..

"ملامح شخصية افلوطين

الفيلسوف اليوناني أفلوطين، ولد في العام ٢٠٤ م، في مدينة - لايكو - ليقوبوليس أسيوط الحالية - في مصر، وتوفي في العام ٢٧٠ م، في بلدة كامبانيا قرب روما؛ يعد المؤلف الرئيس للمدرسة الأفلاطونية الجديدة. نشأ في وسط متأثر بالفلسفة والعقائد الشرقية، وتتلمذ لمدة أحد عشر عامًا تقريبًا (ما بين ٢٣٢ م، و٢٤٣ م) في الاسكندرية ما يشير إلى تأثره البالغ بالفلسفة الشرقية كما يفسر كثير من التشابه بين الفلسفة الفرعونية والإغريقية وربما بين الفرعونية والمسيحية ذاتها وعقيدة التثلث وكثير من اللاهوتية المسيحية، على يد أمونيوس ساكاس الذي يمكن اعتباره المؤسس الفعلي للأفلاطونية الجديدة. عن هذه المرحلة من حياته، كتب تلميذه ومؤرخ سيرته بورفيريوس. جميع المعلومات المتوفرة عن الفيلسوف أفلوطين أتت من تلميذه فرفريوس ودونها في مقدمة كتاب التاسوعات لأفلوطين. أما كتابات أفلوطين في الميتافيزيقيا كان لها تأثير كبير على العديد من الفلسفات، والأديان : الوثنية، اليهـ ودية، المسيحية، الإسلام، الصوفية.

أفلوطين عند العرب أو مايعرف بالشيخ اليوناني

ذكر أفلوطين في الثقافة العربية الإسلامية باسم الشيخ اليوناني فقد ذكره "السجستاني" المتوفى (سنة: ٣٧١ هـ) في كتابه " صوان الحكمة " وأيضاً " الشهرستاني " المتوفى (سنة: ٥٤٨ هـ) في كتابه "الملل والنحل" وسبب تسميته بالشيخ اليوناني هو أنّ بعض تاسوعاته ترجمت إلى العربية منحولة على أرسطو لأن أفلوطين لم يخلف أثراً مكتوباً سوى " تاسوعاته " وكان تعليمه شفويًا وقد لعبت فلسفة أفلوطين دورًا بارزاً في التأثير في الفلاسفة

المنتسبين للإسلام، فقد ذكره الرازي في كتابه "مقالة فيما وراء الطبيعة" تحت اسم " فلوطينوس " وابن النديم في كتابه الفهرست.

لقد كان أفلوطين ومدرسته حاضرةً ومؤثرةً في تاريخ الفلاسفة المنتسبين للإسلام.

وتعتبر الأفلوطينية الحديثة المدرسة الأولى لفلسفة الأديان السماوية وخصوصًا المسيحية.

هذا المذهب الفلسفي الذي تشكل في القرن الثالث للميلاد متخذًا من تعاليم أفلاطون والأفلاطونيين مبادئ أساسية له، إلا أنه بني مذهبًا خاصًا بها قام على الجمع بين مدرستين يونانيتين أصيلتين–الأرسطية والأفلاطونية–ويعد واضع أساس المذهب أفلوطين من أعلام القرن الثالث الميلادي ويعتبره البعض رابع أربعة من عظماء الفلاسفة اليونان وواحد من أهم أعلام مدرسة الإسكندرية التي تتلمذ فيها على يد أستاذه أمونيوس ساكس وتتلمذ عليه فور فوريوس حيث لم يكتب أفلوطين أي من كتبة وجمعها تلميذه وصنفها كرسائل وقدمها للعالم بستة أقسام وجعل في كل منها تسعة رسائل فسميت بالتاسوعات.

والأفلاطونية المحدثة: هي فلسفة تعزى في أصلها إلى أفلوطين المصري وتابعه غيره عليها، وهي تجمع بين فلسفة أفلاطون وأرسطوا والرواقيين والفيثاغوريين، فهي فلسفة دينية تذهب إلى احتواء المعتقدات السائدة والأساطير والطقوس، وعبادات الشرق والسحر والكيمياء القديمة، وقد أثرت تأثيرا قويا في النصرانية. [1]

أما أهم مبادئ هذه المدرسة، فهي قولهم بنظرية الفيض، ولذلك سميت هذه المدرسة مدرسة الفيض، ومضمونها، أنه يوجد على قمة الوجود (الواحد)–أي الله–وهو الخير بالذات الذي تصدر عنه الموجودات صدورًا ضروريًا عن طريق الفيض، أو الإشعاع النوراني، وتسمى الأقانيم الصادرة عن الواحد بالفيوضات أو التجليات. وسلسلة الفيوضات تبدأ بالعقل الكلي، حيث إن الواحد حينما يتجه إلى ذاته يصدر عنه هذا العقل، وتستمر سلسلة

---

[1] انظر: الموسوعة الفلسفية (ص ٥٦).

الفيوضات، فالعقل الكلي باتجاهه إلى الواحد تصدر عنه النفس الكلية، وباتجاهه إلى ذاته يصدر عنه العالم، وعن النفس الكلية تصدر النفوس الجزئية.

ويبدو أن مؤسس هذه المدرسة، والذي وضع هذه النظرية (أفلوطين)-وهو يعبر عن ذروة الثقافة الوثنية-أراد أن يعارض المسيحية القائلة بالأقانيم الثلاثة، فوضع مذهبًا وثنيًا يتضمن أقانيم ثلاثة هي: الواحد، والعقل ، والنفس الكلية. [١]

وأصحاب هذه المدرسة ينكرون أن تكون للمعرفة العقلية أي قيمة، وإنما القيمة كلها في التجربة الصوفية، وفي الكشف، والذوق. [٢]

وظلت الأفلاطونية المحدثة المذهب السائد في مدرسة الإسكندرية من منتصف القرن الخامس الميلادي إلى منتصف القرن السابع (تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد مصر).

ومع أن مدرسة الإسكندرية تعد امتداداً للأفلاطونية المحدثة، إلا أن أتباعها عكفوا على دراسة العلوم الطبيعية، والرياضية، واتجهوا إلى البحوث الدقيقة، وابتعدوا عن أهم مميزات رجال الإفلاطونية المحدثة، وهي : الميل إلى الزهد، والخوض في مسائل الميتافيزيقيا. وكان هذا الاتجاه الجديد مصحوبًا بعزوف عن ترديد فكرة تعدد الآلهة الوثنية، التي كانت تدين بها الديانات الشعبية الوثنية، فهيأ هذا الاتجاه الجديد الوسط الفلسفي لقبول تعاليم المسيحية، فقامت حركة فلسفية في الإسكندرية للتوفيق بين الفلسفة والدين المسيحي، وتأثرت الفلسفة بالديانة النصرانية، والنصرانية بعلوم الفلسفة وآرائها. [٣]

---

[١] انظر: تاريخ الفكر الفلسفي / د. محمد أبو ريان (٦٤).

[٢] انظر : موسوعة الفلسفة (١/ ١٩٧).

[٣] انظر : الجانب الإلهي، البهي (١٤٠ – ١٤٥)، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، أبو ريان (٦٦ – ٦٧).

ومن أساتذة هذه المدرسة : اسطفن الإسكندري. [1]

ثم إنه بعد الفتح الإسلامي لبلاد مصر تلاشى مركز مدرسة الإسكندرية لعدة عوامل من أهمها [2]: انعدام الصلة بينها وبين الأمبراطورية البيزنطية، [3] ومحاربة المسلمين في أول عهدهم لمثل هذه العلوم الدخيلة، غير أن طائفة السريان الذين كانوا يقيمون في بلاد الشام، قد استفادوا من مبدأ السماح لأصحاب الديانات المخالفة بالإقامة بين المسلمين وفي بلادهم، مع بقائهم على دينهم النصراني، وكانوا قد عرفوا الفلسفة اليونانية، فقاموا بعملية نقل وترجمة الكتب الفلسفية، لمختلف المدارس الفلسفية لاسيما الأفلاطونية المحدثة. وقد نقلوا خليطا من فلسفة اليونان القديمة بشروح الأفلاطونية المحدثة، وقد فتحوا لذلك عدة مدارس في إنطاكية، وحران، والرها، ونصيبين، ومن ثم تعرف المسلمون على ذلك الخليط من فلسفة اليونان والرومان الممزوج ببعض تعاليم الديانتين اليهودية والنصرانية. [4]

---

[1] هو آخر أستاذ لمدرسة الإسكندرية الفلسفية ، وكان أول أمره معلمًا في الإسكندرية، ثم استدعي إلى القسطنطينية ليعمل في جامعتها في عهد القيصر هرقل، وبعمله الفلسفي، دخلت الأفلاطونية مباشرة في المسيحية. انظر : الجانب الإلهي (١٤٤).

[2] انظر : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (٦٧).

[3] الإمبراطورية البيزنطية : اسم يطلق على القسم الشرقي من الأمبراطورية الرومانية بعد انقسامها عند وفاة الأمبراطور، ثيودوسيوس الأول عام (٣٩٥م) إلى شطرين ، شرقي : عاصمته بيزنطة أو القسطنطينية ، وعلى رأسه الأمبراطور أركاديوس ابن ثيودوسيوس . وغربي : عاصمته رومه ، وعلى رأسه الأمبراطور هونوريوس من ثيودوسيوس . وقد عمرت الإمبراطورية البيزنطية نيفا وألف سنة ، من سنة (٣٩٥م) إلى سنة (١٤٥٣م) وهو العام الذي استولى السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية عاصمة الأمبر اطورية البيزنطية .
انظر : موسوعة المورد (٢/ ١٤٣).

[4] انظر: نشأة الفكر الفلسفي (١/ ١١٠) ، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (٦٧) ، وفجر الإسلام / أحمد أمين (١٣٠- ١٣٢)

وقد غلبت على تلك المدارس التي أنشأها السريان في أنطاكية، وحران، والرها، ونصيبين، النزعة النصرانية وكان منهجها يشبه-إلى حد ما-أسلوب مدرسة الإسكندرية في العهد المتأخر، من حيث الاتجاه إلى التوفيق بين النصرانية والفلسفة. [1]

وقد اشتهر من رجال مدرسة أنطاكية: يعقوب الرهاوي (ت: ٧٠٨ م)، وبعد ما يقارب المائة والأربعين سنة انتقل تعليم الفلسفة من مدرسة أنطاكية إلى مدرسة حران، وكانت حران مركزًا من مراكز السريان، وقبل ذلك كانت موئلًا للصابئة، وقد ظهر أثر الصابئة في العالم الإسلامي بما أشاعوه من اهتمام بعلوم الفلك، والسحر، والتعاويذ، وكانت الدراسة في مدرسة حران تشمل الفلك والرياضة، والسحر، والفلسفة.

وإلى جانب مدرسة حران كانت توجد مدرستا الرها ونصيبين . وهما منطقتان سريانيتان ، وكان يشرف عليها أساتذة من طائفة النصارى النساطرة. [2] . [3]

أما جُنْديسابور [4] فقد ظهرت فيها مدرسة كانت مجمعًا لفلسفات عدة:

[1] انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (٧٠) ، والجانب الإلَهي لمحمد البهي (١٥٨-١٥٩)، وضحى الإسلام (أحمد أمين (١/ ٢٦١).

[2] النساطرة: فرقة من النصارى تنسب إلى نسطور المتوفى سنة ٤٥١ م الذي ادعى: أن المسيح له طبيعتان إلهية وبشرية وأن مريم أم الإنسان وليس أم الإله، ومن النصارى من يعزو إليه أنه يقول: أن المسيح لم يكن إلها وإنما كان إنسانا، والنساطرة على القول الأول. وقد عقد مجمع أفسس سنة ٤٣١م من أجل مقالته وطرد نسطور من الكنيسة الذي اعتبر نسطوريوس بطريرك القسطنطينية مهرطقًا؛ لقوله بأن الطبيعتين الإلهية والبشرية ظلتا منفصلتين في المسيح، ومن ثم هاجروا إلى فارس والعراق وهو المذهب الرسمي هناك. وقد استمر وجودهم هناك إلى العصر الحديث، إلا أن أعدادهم قليلة. انظر: معجم الحضارات السامية (ص ٨٤٦) ، قاموس المذاهب والأديان ص٢٠٩، موسوعة الأديان ٦٦١/٢.

انظر : الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٦٨-٢٧٠)، وموسوعة المورد (٧/ ١١٧).

[3] انظر : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ماكس مابرهوف (٢٣)

[4] جنديسابور: بضم أوله وتسكين ثانية وفتح الدال. مدينة في خوزستان، بناها سابور بن أردشير، فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم، وطائفة من جنده، فتحها المسلمون صلحًا في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، سنة (١٩ هـ)، ويدل على موقعها في أيامنا هذه أطلال مدينة شاه آباد. انظر : معجم البلدان (٢/ ١٩٨) ، ودائرة المعارف الإسلامية (٧/ ١٢١).

من يونانية، وسريانية، وفارسية، ومن هذه المدرسة ظهر يوحنا بن ماسويه، [١] في أول القرن الثالث الهجري، حيث جعله المأمون [٢] في سنة (٢١٥ هـ) رئيسًا لبيت الحكمة الذي أنشئ للترجمة. [٣]

[١] هو: يوحنا بن ماسويه ، أبو زكريا : من علماء الأطباء، سرياني الأصل، عربي المنشأ، نشأ ببغداد ونبغ حتى كان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، وعمل للمأمون ومن بعده إلى المتوكل. له نحو أربعين كتابا معظمها رسائل، منها: "البرهان، والنوادر الطبية" أصاب شهرة واسعة وثروة طائلة. توفي سنة (٢٤٣هـ).

انظر : طبقات الأطباء (ص: ٦٥) ، والفهرست، ابن النديم (ص: ٣٥٤).

[٢] المأمون : هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس: سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، ولد سنة (١٧٠ هـ). ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨هـ) فتمم ترجمة كتب العلم والفلسفة، وحدثت في عهده محنة خلق القرآن. توفي في (بذندون) سنة (٢١٨ هـ). انظر : فوات الوفيات (٢/ ٢٣٥)، والأعلام (٤/ ١٤٢).

[٣] انظر : نشأة الفكر الفلسفي (١/ ١٠٦-١٠٧)، وضحى الإسلام / أحمد أمين (١/ ٢٥٦).

المطلب الرابع: **تحديد أبرز المدارس الفلسفية اليونانية التي أثرت على الفرق المخالفة في العقيدة.**

المدارس السابق ذكرها يمكن تقسيمها فكريًا إلى ثلاث مدارس رئيسة هي:

أولا: المدرسة السوفسطائية: والسوفسطائية أو مدرسة الشكاك ومن أبرز مشاهيرهم جورجياس وبروتاغورايس.

وعرف عن المغالطين أنهم يتقصدون استعمال الكلمات المتقاربة في اللفظ والمشتركة في المعنى والغامضة في الدلالة الذين أطلق عليهم المغالطين في ذلك الوقت والذين كانوا يميلون في جدالهم إلى الإبهام في الألفاظ والإيهام في المعاني.

من أهم السفسطائيين أيضا، وربما على الإطلاق، سقراط الذي شاركهم الاهتمام بالإنسان وحده وبالمجادلة عن الآراء ثم خالفهم في أنه جعل قيمة الأشياء مطلقة وقد جعل جداله محاذيا للمنطق فامتاز عنهم في الجدل بأنه جعل رد السؤال بسؤال من جنسه ليثير التفكير عند السائل ثم مزج الجد في الجدال بشيء من التهكم. كما أن كثيرا من الفلاسفة المعاصرين تبنوا أو تأثروا بهذا المذهب ولعل أهمهم كان فريدريك نيتشة وديكارت وغيرهم. وطور السفسطائيون من أسلوبهم في التعامل بالمنطق فكانوا يميلون إلى المنطق الممزوج بالخيال أحيانا.

ثانيا: المدرسة الإشراقية: التي نادى بها أفلاطون، الذي كان يرى بأن المعارف بالخصوص الإلهية منها، لا تتأتى عن طريق الاستدلال العقلي فحسب، بل لابد وأن يوجد إلى جانب ذلك سير وسلوك وتهذيب أخلاقي يبعث إشراقات وإفاضات للمعارف الإلهية على القلب.

والمدرسة الإشراقية: مدرسة ترى أن المعرفة تتم عن طريق ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تحررها.

والإشراقية هو مذهب فلسفي، وهو كلمة مشتقة من «الإشراق» وهي في اللغة الإضاءة والإنارة. [١]

واصطلاحا عرفه البعض بأنه "ظهور الأنوار الإلهية في قلب الإنسان الصوفي(العارف)". [٢] .

فيما عرفه آخرون بأنه "معرفة الله من طريق الكشف أو نتيجة لانبعاث نور من العالم غير المحسوس إلى الذهن". [٣]

[١] انظر: المعجم الفلسفي. موسوعة شبكة المعرفة الريفية.

[٢] انظر: "الإشراقية". لعلاء الدين، بكري الموسوعة العربية. هئية الموسوعة العربية.

[٣] "الإشراق". لمنير البعلبكي، موسوعة المورد. موسوعة شبكة المعرفة الريفية.

ثالثا: المدرسة المشائية: وتتمثل بفلسفة أرسطو طاليس حيث كان يعتمد على الأسلوب الاستدلالي وسميت فلسفته بهذا الاسم، لأنه كان يسير من المقدمات إلى النتيجة على حد قولهم.

وقد تشعب الفلاسفة الذين ينتسبون إلى المسلمين على غرار ذلك إلى:

١ – فلاسفة مشائين: وأبرز علماء المدرسة المشائية بين المسلمين هم: يعقوب بن إسحاق الكندي، وأبي نصر الفارابي، وأبي علي بن سينا، ونصير الدين الطوسي، والميرداماد، وابن رشد الأندلسي، وابن باجة الأندلسي. [1]

ولكن هؤلاء لم يكونوا جميعهم يوافقونهم في كل شيء وفي هذا يقول ابن تيمية في ذكر هذا الصنف: " وعلى طريقهم:

١) مشى أبو البركات صاحب "المعتبر" لكن لم يقلدهم تقليد غيره بل اعتبر ما ذكروه بحسب نظره وعقله.

٢) وكذلك الرازي والأمدى يعترضان عليهم في كثير مما يذكرونه بحسب ما يسنح لهم.

٣) وابن سينا أيضا قد يخالف الأولين في بعض ما ذكروه ولهذا ذكر في كتابه المسمى ب "الشفاء" أن الحق الذي ثبت عنده ذكره في "الحكمة المشرقية".

---

[1] انظر: باب المدرسة المشائية، كتاب علم الفلسفة، ٢٠١٠، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية. قال ابن تيمية: "مذهب الفلاسفة الذين نصره الفارابي وابن سينا وأمثالها كالسهروردي المقتول على الزندقة وكأبي بكر بن الصائغ وابن رشد الحفيد هو مذهب المشائين اتباع أرسطو صاحب المنطق وهو الذي يذكره الغزالي في كتاب "مقاصد الفلاسفة" وعليه رد في "التهافت" وهو الذي يذكره الرازي في "الملخص" و "المباحث المشرقية" ويذكره الأمدى في "دقائق الحقائق" و "رموز الكنوز" وغير ذلك. " الرد على المنطقيين ١/ ٣٣٤/ ٣٣٧.

٤) والسهروردي ذكر ما ثبت عنده في "حكمة الاشراق"

٥) والرازي في "المباحث المشرقية".

والمقصود هنا أن نظار المسلمين ما زالوا يصنفون في الرد عليهم في المنطق وغير المنطق ويبينون خطأهم فيما ذكروه في الحد والقياس جميعا، كما يبينون خطأهم في الإلهيات وغيرها ولم يكن أحد من نظار المسلمين يلتفت إلى طريقتهم بل المعتزلة والأشعرية والكرامية والشيعة وسائر طوائف النظر كانوا يعيبونها ويثبتون فسادها وأول من خلط منطقهم بأصول المسلمين أبو حامد الغزالي وتكلم فيه علماء المسلمين بما يطول ذكره". [١]

٢ – وفلاسفة إشراقيين: ويطلق اسم الإشراقيين بالأخص على السهروردي وأتباعه،[٢] ففي أواسط القرن السادس الهجري، شرح شهاب الدين السهروردي [٣] أفكار أفلاطون بعد أن هواها ودافع عنها، وبذلك أسس الفلسفة الإشراقية في البلاد الإسلامية ونقد الفلسفة المشائية.

٣ – وفلاسفة سفسطائيين: وقد كان هذا التيار الفلسفي يقوم على الشك والتلاعب اللفظي وتضييع الحقائق وعدم الاعتراف بها، فالسفسطة في المعجم الوسيط تعني من أتى بالحكمة المموهة ..

والذي يهمنا في هذا االمقام هم هؤلاء

---

[١] الرد على المنطقيين ١/ ٣٣٤/ ٣٣٧.

[٢] انظر: معجم المعاني الجامع تعريف ومعنى المدرسة الإشراقية.

[٣] . شهاب الدين السهروردي: «٥٥٠ . ٥٨٧ هـ» صاحب مدرسة الإشراق، وله مصنفات منها: التلويحات اللوحية والعرشية، والألواح العمادية وهياكل النور.

نشر أفكاره في حلب مما ألب الناس عليه واتهموه بالكفر مما دعى صلاح الدين الأيوبي أن يأمر ابنه الملك الظاهر بقتله فقتله في قلعة حلب وفي شهر رجب

وذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إن السفسطة أربعة أنواع.

النوع الأول: قول المتجاهلة اللا أدرية، أصحاب الجهل البسيط والكفر البسيط، ويقولون لا نحكم بهذا ولا نحكم بهذا.

النوع الثاني: قول أهل التكذيب والجحود والنفي، والذين يجزمون بنفي الحقائق والعلم بها.

النوع الثالث: الذين يجعلون الحقائق تتبع العقائد، فمن اعتقد ثبوت شيء كان في حقه ثابتا، ومن نفاه كان في حقه منتفيا، ولا يجعلون للحقائق أمرا هي عليه في أنفسها.

النوع الرابع: من يقول: الحقائق موجودة لكن لا سبيل إلى العلم بها، إما لكون العالم في السيلان فلا يمكن العلم بحقيقته، وإما لغير ذلك

وهذه الأنواع الأربعة موجودة في هؤلاء الملاحدة الذين ينتسبون للإسلام:

فمنهم: الواقفة المتجاهلة الذين يقولون: لا نثبت ولا ننفي.

ومنهم: المكذبة الذين ينفون.

ومنهم: من يجعل الحقائق تتبع العقائد، كما يحكى عن طائفة تصوب كل واحد من القائلين للأقوال المتناقضة، وكما يقوله من يقوله من أصحاب وحدة الوجود–ابن عربي ونحوه–بأن كل من اعتقد في الله عقيدة فهو مصيب فيها حتى قال:

عقد الخلائق في الإله عقائد .... وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه

وأما الرابع فهو منتهى قول أئمة الجهمية، وهو الحيرة والشك لتكافؤ الأدلة عند بعضهم، أو لعدم الدليل المرشد عند بعضهم؛ وهذا عند أصحاب وحدة الوجود هو أعلى العلم بالله تعالى". [١]

المطلب الخامس: تحديد أبرز معتقداتهم.

الفلاسفة كانوا في الأصل على نوعين:

النوع الأول: الفلاسفة المتألهة.

فهناك نوع يسمى الفلاسفة المتألهة: وهم يعبدون الله تعالى.

النوع الثاني: الفلاسفة الدهريين.

فمن الفلاسفة نوع يسمى الفلاسفة الدهريين، وهم الذين ينكرون وجود الله تعالى، وهؤلاء هم الذين غلب عليهم إطلاق الفلاسفة، وأول مَن أنكر وجود الله وزعم قِدَم العالم هو أرسطو؛ فهو زعيم هؤلاء الفلاسفة، وكان يسمى: المعلم الأول.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فإن القوم لا يعرفون الله، بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير، وأرسطو المعلم الأول من أجهل الناس برب العالمين إلى الغاية، لكن لهم معرفة جيدة بالأمور الطبيعية، وهذا بحر علمهم، وله تفرغوا، وفيه ضيعوا زمانهم، وأما معرفة الله تعالى فحظهم منها مبخوس جدًّا، وأما ملائكته وأنبياؤه وكتبه ورسله والمعاد فلا يعرفون ذلك ألبته، ولم يتكلموا فيه لا بنفي ولا إثبات، وإنما تكلم في ذلك متأخروهم الداخلون في الملل". [٢]

والفارابي هو الذي أدخل هذه الفلسفة على المسلمين، وكان يسمى المعلم الثاني، وكان قد جلب هذه الفلسفة من بلد (حران)، ومعلوم أن الجعد بن درهم كان من أهل (حران)، وحران: هي مكان الفلاسفة الصابئة.

---

[١] الرسالة الصفدية – قاعدة في تحقيق الرسالة وإبطال قول أهل الزيغ والضلالة (ص: ٧٠، ٧١).

٢ تفسير سورة الإخلاص، مجموع الفتاوى، (١٧: ٣٣٠- ٣٣١) .

أولًا: عقائدهم في الإلهيات.

أما الفلاسفة فإن إيمانهم بالله تبارك وتعالى لا يكاد يتعدى الإيمان بوجوده المطلق، -أي بوجوده في الذهن والخيال دون الحقيقة-، وأما ما عدا ذلك فلا يكادون يتفقون على شيء، فالمباحث العقدية عندهم من أسخف وأفسد ما قالوا به.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أما الإلهيات فكلياتهم فيها أفسد من كليات الطبيعة، وغالب كلامهم فيها ظنون كاذبة فضلاً عن أن تكون قضايا صادقة". ١

ويتجلى فساد معتقد الفلاسفة في الله أكثر عندما نعرض لك بعض أقوالهم في ذات الله وصفاته.

فالفلاسفة يطلقون على الله مسمى (واجب الوجود)، وتوحيد واجب الوجود عندهم يكفي مجرد تصوره للعلم الضروري بفساده.

فالتوحيد عندهم يقتضي تجريده من كل صفات الكمال اللازمة له، فهو ليس له حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام، ولا غير ذلك من الصفات، ويقولون بدلاً من ذلك: "إنه عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ وملتذ ولذة، وعالم ومعلوم وعلم"، وجعلوا كل ذلك أمورًا عدمية.

ودفعهم إلى ذلك زعمهم أن تعدد الصفات موجب للتركيب في حق الله، وفساد هذا القول جلي واضح.

فالله وصف نفسه بالصفات، ووصفه بها رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وثبت ذلك في الكتاب والسنة نقلًا.

كما أن العقل يشهد بفساد قولهم، فإن تعدد الصفات لم تقل لغة ولا شرع ولا عقل سليم إنه يوجب تركيب الموصوف إلا عند الفلاسفة. ٢

ومن شنيع كلامهم كذلك زعمهم أن الله لا يعلم الجزئيات، فهو عندهم لا يعرف عين موسى، ولا عيسى، ولا محمدًا عليهم الصلاة والسلام، فضلاً عن الوقائع التي قصها القرآن وغيرها من أمور المخلوقات.

---

١ الرد على المنطقيين (ص: ١١٤).

٢ انظر الرد على المنطقيين (ص: ٣١٤).

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "ثم من بلاياهم وكفرياتهم أنهم قالوا: إن الباري تعالى لا يعلم الجزئيات، ولا يعرف عين موسى وعيسى ولا غيرهما، ولا شيئاً من تفاصيل الحوادث". ١

وفساد هذا القول واضح جلي في النقل والعقل.

أما النقل فالله يقول: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: الآية: ٥٩]. وكذا العقل أيضًا شاهد بفساد هذا المعتقد، فكيف يجهل الله أموراً سيرها بأمره وأجراها بقدره وأخبر عنها في كتابه". ٢

ومن شنيع قولهم ما قالوه في قدرة الله من أنه فاعل بالطبع لا بالاختيار لأن الفاعل بالطبع يتحد فعله، والفاعل بالاختيار يتنوع فعله، وما دروا أنهم بهذا جعلوا الإنسان الفاعل بالاختيار أكمل من الله الفاعل بالطبع على حد زعمهم. وهذا القول مردود بقول الله {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَار} [القصص: الآية: ٦٨]. ومردود بالعقل لأن الله هو أكمل الفاعلين فكيف يُشبَّه فعله بفعل الجماد.

والفلاسفة يدأبون حتى يثبتوا واجب الوجود، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق، لا صفة له ولا نَعْتَ، ولا فعل يقوم به، لم يخلق السموات والأرض بعد عدمها، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئاً.

ولا شك أن الذي كان عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون من هذا، فعباد الأصنام كانوا يثبتون ربًا خالقًا عالمًا قادرًا حيًا، وإن كانوا يشركون معه في العبادة.

ففساد أقوال الفلاسفة في الله لا يضاهيه فساد.

فهذا ما عند هؤلاء من خبر الإيمان بالله-عز وجل-.

ثانيًا: عقائدهم في الملائكة.

"وأما الإيمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملائكة، ولا يؤمنون بهم. وإنما الملائكة عندهم ما يتصوره النبيُّ بزعمهم في نفسه من أشكال نُورانِية، هي العقول عندهم، وهي مجرَّدات ليست داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوق

---

١ مختصر نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، ضمن مجموع الفتاوى (٩/ ٢٤٩) ، وانظر :الجواب الصحيح (٥/ ٢٧).

٢ انظر الرد على المنطقيين (ص: ٤٦١).

السموات ولا تحتها، ولا هي أشخاص تتحرك، ولا تصعد، ولا تنــزل، ولا تدبِّر شيئًا، ولا تتكلم، ولا تكتب أعمال العبد، ولا لها إحســـاس ولا حركة البتة، ولا تنتقل من مكان إلى مكان، ولا تُصَـــفُّ عند ربها، ولا تصـــلي، ولا لها تصـــرف في أمر العالم البتة، فلا تقبض نفس العبد، ولا تكتب رزقه وأجله وعمله، ولا عن اليمين وعن الشمال قعيد، كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة.

وربما تقرب بعضــهم إلى الإســلام، فقال: الملائكة هي القوى الخَيِّرة الفاضـلة التي في العبد، والشـياطين هي القوى الشريرة الرَّديئة، هذا إذا تقربوا إلى الإسلام وإلى الرسل.

ثالثًا: عقائدهم في الكتب.

وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواســطة الملك، فإنه ما قال شــيئًا، ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام. ومن تقرب إليهم ممن ينتسب للمسلمين يقول: الكتب المنـــزلة فَيْضٌ فاضَ من العقل الفَعَّال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصورت تلك المعاني، وتشكلت في نفسه بحيث توهم أصواتًا تخاطبه، وربما قَوِيَ الوهم حتى يراها أشـــكالًا نورانية تخاطبه، وربما قوي ذلك حتى يُخَيِّلها لبعض الحاضـــرين، فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج.

رابعًا: عقائدهم في الرسل.

وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص، من استكملها فهو نبيٌّ:

أحدها: قوة الحدس، بحيث يدرك الحد الأوسـط بسـرعة. أي أن تكون للنبي قوة قدسـية، وهي قوة الحدس، بحيث يحصل له من العلم بسهولة ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة.

الثانية: قوة التخيل والتخييل، بحيث يتخيل في نفسه أشكالًا نورانية تخاطبه، ويسمع الخطاب منها، ويخيلها إلى غيره، بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه؛ فيراه ويسمعه فيرى في نفسه صورًا نورانية هي الملائكة عندهم، ويسمع في نفسه أصواتًا هي كلام الله عندهم.

الثالثة: قوة التأثير بالتصـــرف في هيولي العالم. وهذا يكون عنده بتجرد النفس عن العلائق، واتصـــالها بالمفارقات، من العقول والنفوس المجردة.

وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب؛ ولهذا طلبَ النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين، وابن هود، وأضرابهم. والنبوة عند هؤلاء صنعةٌ من الصنائع، بل من أشرف الصنائع، كالسياسة، بل هي سياسة العامة، وكثير منهم لا يرضى بها، ويقول: الفلسفة نبوة الخاصة. والنبوة: فلسفة العامة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) عن هذا القول في تفسير النبوة "باطل، بل هو كفر يستتاب قائله، ويبيَّن له الحق؛ فإن أصرَّ على اعتقاده بعد قيام الحجة الشرعية عليه كفر، وإذا أصر على إظهاره بعد الاستتابة قُتل". ١

خامسًا: عقائدهم في اليوم الآخر.

وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون بانفطار السموات، وانتثار الكواكب، وقيامة الأبدان، ولا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأوجد هذا العالم بعد عدمه.

فلا مبدأ عندهم، ولا معاد، ولا صانع، ولا نبوة، ولا كتب نزلت من السماء، تكلم الله بها، ولا ملائكة تنزلت بالوحي من الله تعالى.

فدين اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خير من دين هؤلاء.

وحَسبُكَ جهلًا بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، من يقول: إنه سبحانه لو علم الموجودات لحقه الكلال والتعب، واستكمل بغيره. وحسبك خذلانًا، وضلالًا وعمى: السير خلف هؤلاء، وإحسان الظن بهم، وأنهم أولو العقول". ٢

سادسًا: المبادئ الفلسفية جميعها تقوم على أصلين.

والذي ينبغي معرفته أن الفلاسفة لا يؤمنون بوجود الله حقيقة، ولا يؤمنون بوحي ولا نبوة ولا رسالة، وينكرون كل غيب، فالمبادئ الفلسفية جميعها تقوم على أصلين هما:

الأصل الأول: أن الأصل في العلوم هو عقل الإنسان، فهو عندهم مصدر العلم.

الأصل الثاني: أن العلوم محصورة في الأمور المحسوسة المشاهدة فقط.

---

١ انظر الرد على المنطقيين (ص: ٤٦١).

٢ الصفدية (١/ ١).

فتحت الأصـــل الأول أبطلوا الوحي، وتحت الأصـــل الثاني أبطلوا الأمور الغيبية بما فيها الإيمان بالله واليوم الآخر.

وقد تسلط الفلاسفة على المسائل الاعتقادية وزعموا أنها مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة لها ولا وجود لها في الخارج، فلا الله موجود حقيقة، ولا نبوة ولا نبي على التحقيق، ولا ملائكة، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور.

المطلب السادس: حكمهم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "كثيرًا من الفلاسفة وغيرهم من الزنادقة يدخلون في دين المسلمين واليهود والنصارى من الشرائع الظاهرة وإن لم يكونوا في الباطن مقرين بحقيقة ما جاءت به الأنبياء كالمنافقين في المسلمين يجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار.

فإن قيل هؤلاء الفلاسفة يؤمنون بالله واليوم الآخر فإنهم يقرون بواجب الوجود وبمعاد الأرواح.

قيل النصارى خير منهم ومن أسلافهم وهم مع هذا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فلا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يعملون صالحا فكيف هؤلاء؟ قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: الآية: ٢٩]، مع أن النصارى يقرون بمعاد الأبدان لكن لما أنكروا ما أخبر به الرسول من الأكل والشرب ونحو ذلك صاروا ممن لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهؤلاء الفلاسفة لا يقرون بمعاد الأبدان". [١]

[١] الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص: ٤٥٧-٤٥٨).

المبحث الثاني: المشرب الصابئي.

المطلب الأول: التعريف بالصابئة ومذاهبهم.

المطلب الثاني: المقصود بالصابئة محل الدراسة ومكان إقامتهم.

المطلب الثالث: عقيدة الصابئة في الله تعالى.

المطلب الأول: التعريف بالصابئة ومذاهبهم.

ويمكن الحديث عن الصابئة من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول: التعريف اللغوي.

الصابئة لغة: جمع الصابئ. والصابئ: من خرج من دين إلى دين. يقال: صبأ فلان يصبأ: إذا خرج من دينه، وتقول العرب: صبأت النجوم إذا طلعت. ([1])

الأمر الثاني: الآيات التي ورد فيها ذكر الصابئة في القرآن.

[1] لسان العرب مادة (صبأ). ومن هذا المعنى ما كانت قريش تقوله للنبي–صلى الله عليه وسلم–: إنه صابئ، أي: خرج عن دينها.

ونقل ابن القيم: أنها كانت تقول ذلك لما رأته من الشبه بين الدين الذي أتى به صلى الله عليه وسلم ودين الصابئة، فإنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله". أحكام أهل الذمة (ص: ٩٢).

فأولها: في قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: الآية:٦٢].

والثاني: في قول الله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: الآية: ٦٩].

والثالث: في قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج: الآية: ١٧].

فلفظ الصابئة جاء في القرآن في سياقين مختلفين:

السياق الأول: سياق المدح.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: الآية:٦٢]،

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: الآية: ٦٩].

السياق الثاني: سياق الذم.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج: الآية: ١٧]، هذه ستة أصناف كما يقول عنها ابن عباس: "الأديان ستة خمسة للشيطان، وواحد للرحمن". (١)، فهذا مقام ذمّ لهؤلاء.

الأمر الثالث: حقيقة الصابئة.

وقد اختلف العلماء في تعريف الصابئة من هذا الصنف على أقوال هي:

أ – أنهم قوم كانوا على دين نوح–عليه السلام–نقله الراغب في مفرداته. [٢]

---

[١] انظر كتاب الدر المنثور للسيوطي (٦/ ١٦).

[٢] المفردات، مادة (صبا يصبو).

ونقل ابن منظور (ت: ٧١١ هـ) عن الليث-رحمه الله-(ت: ١٧٥ هـ): "هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون. ونقل قريبًا منه القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ) عن الخليل-رحمه الله-(ت: ١٧٤ هـ)". [١]

ب -أنهم صنف من النصارى ألين منهم قولًا. وهو مروي عن ابن عباس-رضي الله عنه-(ت: ٦٨ هـ)، وبه قال أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) في رواية. [٢]

ج -وقال السدي-رحمه الله-(ت: ١٢٨ هـ) وإسحاق بن راهويه-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ): هم طائفة من أهل الكتاب لأنهم يقرءون الزبور، وبه قال أبو حنيفة-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ).

د -قال مجاهد-رحمه الله-(ت: ١٠٤ هـ)، والحسن-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ)،وابن أبي نجيح-رحمه الله-(ت: ١٧٠ هـ): هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية. [٣]

هـ -وقيل: هم بين اليهود والنصارى.

و -وقال سعيد بن جبير-رحمه الله-(ت: ٩٥ هـ): هم قوم بين النصارى والمجوس. [٤]

ز -وقال الحسن-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ) أيضًا وقتادة-رحمه الله-(ت: ١١٨ هـ): هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلون إلى القبلة، ويقرءون الزبور، ويصلون الخمس. رآهم زياد بن أبي سفيان فأراد وضع الجزية عنهم حين عرف أنهم يعبدون الملائكة، ونقل القرطبي: أنهم موحدون يعتقدون تأثير النجوم. [٥]

ح - وقال أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) في رواية ثانية: إنهم قوم من اليهود؛ لأنهم يسبتون. [٦]

---

[١] لسان العرب، مادة (صبأ).

[٢] المغني (٦/ ٥٩١)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٧٤).

[٣] تفسير القرطبي عند الآية ٦٢ من سورة البقرة ١ / ٤٣٤.

[٤] تلبيس إبليس لابن الجوزي(:ص ٧٤).

[٥] تفسير القرطبي (تفسير الآية ٦٢ من سورة البقرة).

[٦] المبدع (٣/ ٤٠٤).

ط –وقال الصاحبان من الحنفية: إنهم ليسوا من أهل الكتاب؛ لأنهم يعبدون الكواكب، وعابد الكوكب كعابد الوثن. [١]

ى – وقيل: إنهم قوم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي. [٢]

مذاهب الفقهاء في حقيقة الصابئة:

اختلف الفقهاء في حقيقة دين الصابئة أهم من أهل الكتاب أم لا، على أقوال:

٣ – **القول الأول**: أنهم من أهل الكتاب، وهذا قول أبي حنيفة (ت: ١٥٠ هـ) وأحمد (تك ٢٤١ هـ)، وقد جعلهم أبو حنيفة من أهل الكتاب، لأنهم يقرءون الزبور، ولا يعبدون الكواكب، ولكن يعظمونها كتعظيم المسلمين للكعبة في الاستقبال إليها.

وأما أحمد (ت: ٢٤١ هـ) فقال في رواية: هم من النصارى؛ لأنهم يدينون بالإنجيل واستدل لذلك بما نقل عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ)، وقال في رواية أخرى: هم من اليهود لأنهم يسبتون، واستدل لذلك بما روي عن عمر أنه قال: إنهم يسبتون. [٣]

القول الثاني: أنهم ليسوا من أهل الكتاب. قال القرطبي من المالكية: الذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض علمائنا: أنهم موحدون، يعتقدون تأثير النجوم، وأنها فعالة، قال: ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري، القاهر بالله بكفرهم، حين سأله عنهم،[٤] وهو قول أبي يوسف –رحمه الله–(ت: ١٨٢ هـ)، ومحمد بن الحسن– رحمه الله–(ت: ١٨٩ هـ) فيهم؛ لأنهم يعبدون الكواكب، وعابد الكواكب كعابد الوثن. [٥]

---

[١] بدائع الصنائع (٩/ ٤٣٣٠)، الخراج لأبي يوسف (ص: ١٢٢).

[٢] تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٧٤).

[٣] بدائع الصنائع (٩/ ٤٣٣٠)، وفتح القدير لابن الهمام (٥/ ١٩١)، (٢/ ٣٧٤)، وحاشية ابن عابدين ٣ / ٢٦٨، ومجمع الأنهر / ٦٧٠، والمغني لابن قدامة ٨ / ٤٩٦، وكشاف القناع ٣ / ١١٨، والمبدع (٣/ ٤٠٤)، وتفسير القرطبي (١/ ٤٣٥).

[٤] تفسير القرطبي (تفسير سورة البقرة: الآية: ٦٢)، (١/ ٤٣٤).

[٥] كتاب الخراج (ص: ١٢٢)، والرتاج (٢/ ٩٦)، والمراجع السابقة للحنفية.

القول الثالث: وهو للشافعية، فقد ترددوا فيهم. قال النووي-رحمه الله-(ت: ٦٧٦ هـ) المذهب أنهم إن خالفوا النصارى في أصل دينهم فليسوا منهم، وإلا فهم منهم. قال: وهكذا نص عليه-أي نص عليه الشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)-، وقيل: فيهم قولان: قال: وهذا إذا لم يكفرهم اليهود والنصارى، فإن كفروهم لم يقروا قطعا. أي: لأنهم لا يكونون من أهل الكتاب.

والمراد بأصل دينهم على ما في شرح المنهاج للمحلي-رحمه الله-(ت: ٨٦٤ هـ): عيسى والإنجيل، وما عدا ذلك فروع، أي: إن كانوا يتبعون عيسى-عليه السلام-ويؤمنون بالإنجيل فهم من النصارى ولو خالفوا النصارى في الفروع، ما لم تكفرهم النصارى بالمخالفة في الفروع فإن كفروهم فليسوا منهم.

وفي نهاية المحتاج: لو خالفوا النصارى في أصل دينهم ولو احتمالًا كأن نفوا الصانع أو عبدوا كوكبًا حرم نساؤهم علينا. [1]

القول الرابع: أن الصابئة فرقتان متميزتان لا تدخل إحداهما في الأخرى وإن توافقتا في الاسم.

أ – الفرقة الأولى: هم الصابئة الحرانيون (وسماهم ابن النديم والشهرستاني: الحرنانيين).

وهم: قوم أقدم من النصارى كانوا في زمن إبراهيم-عليه السلام-يعبدون الكواكب السبعة، ويضيفون التأثير إليها، ويزعمون أن الفلك حي ناطق. قال الجصاص من الحنفية: وهذه الفرقة تسمت بالصابئة، وهم الفلاسفة الحرانيون الذين بناحية حران. [2] وهم عبدة أوثان، ولا ينتمون إلى أحد من الأنبياء، ولا ينتحلون شيئًا من كتب الله، فهؤلاء ليسوا أهل كتاب. وذكرهم المسعودي وأن لهم سبعة هياكل بأسماء الزهرة والمريخ والمشترى وزحل وغيرهما. وذكر أشياء من أحوالهم في زمانه.

وكذلك ذكرهم الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) وأطنب في بيان اعتقاداتهم وأحوالهم. وذكرهم ابن النديم (ت: ٣٨٤ هـ) في فهرسته، وذكر قراهم وأحوالهم ومعابدهم، ونقل عن المؤلفين النصارى: أنهم لم يكن اسمهم الصابئة،

---

[1] روضة الطالبين (١٠/ ٣٠٥، ٣٠٦)، وشرح المنهاج وحاشية القليوبي (٣/ ٢٥٢)، ونهاية المحتاج (٦/ ٢٨٨).

[2] "حَرّان": بتشديد الراء، بلدة في الجزيرة بين الشام والعراق، وهي مدينة قديمة "بين الرها والرقة، وقيل إن هاران عم ابراهيم الخليل عليه السلام عمرها، فسميت باسمه وقيل "هاران" ثم إنها عربت فقيل "حران" (معجم البلدان (٢/ ٢٣٥)، معجم ما استعجم (١/ ٤٣٥)، الأنساب (٤/ ٩٦).

وأن المأمون مر بديار مضر فتلقاه الناس، وفيهم جماعة من الحرنانيين، فأنكر المأمون زيهم. فلما علم أنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوسا أنظرهم إلى رجوعه من سفرته، وقال: إن أنتم دخلتم في الإسلام، أو في دين من هذه الأديان التي ذكرها الله في كتابه، وإلا أمرت بقتلكم. ورحل عنهم إلى أرض الروم، وهي رحلته التي مات فيها.

فمنهم من أسلم، ومنهم من تنصر، وبقي منهم شرذمة على دينهم، احتالوا بأن سموا أنفسهم الصابئة، ليسلموا ويبقوا في الذمة [1]

وهذا يقتضي أن هذه الطائفة لم يكن اسمهم الصابئة أولًا، وأنهم تسموا بذلك في آخر عهد المأمون.

وأفاد البيروني (ت: ٤٤٠ هـ): أن هذه النحلة هي نحلة فلاسفة اليونانيين التي كانوا عليها قبل النصرانية، وأن من فلاسفتها: فيثاغورس، وأغاذيمون، ووواليس، وهرمس، وكانت لهم هياكل بأسماء الكواكب، وأن اليونانيين، ومن بعدهم الرومان، كانوا على هذه النحلة، ثم لما غلبت النصرانية على بلاد الروم واليونان وتنصر أهل هذه النحلة: بقي عليها من أهل المشرق بقايا، ولم يكن اسمهم الصابئة، وإنما تسموا بذلك في عصر المأمون سنة ٢٢٨ هـ [2] وهم ليسوا من الصابئة في الحقيقة، بل حقيقة الصابئة هم الفرقة الثانية.

ب – والفرقة الثانية: هم طائفة من أهل الكتاب لهم شبه بالنصارى.

قال الجصاص–رحمه الله–(ت: ٣٧٠ هـ): وهؤلاء بنواحي كسكر والبطائح–من أرض العراق–وهم مع كونهم من النصارى إلا أنهم مخالفون لهم في كثير من ديانتهم؛ لأن النصارى فرق كثيرة، منهم: المرقونيون، والآريوسية، والمارونية. والفرق الثلاث من النسطورية، والملكية، واليعقوبية يبرءون منهم ويحرمونهم. وهم ينتمون إلى يحيى وشيث. قال: والنصارى تسميهم يوحانسية. أهـ. قال الجصاص: فمذهب أبي حنيفة في جعله الصابئة من أهل الكتاب محمول على هؤلاء.

وأما البيروني (ت: ٤٤٠ هـ) فيرى: أن هذه الفرقة الثانية أصلها اليهود الذين أسرهم بخت نصر، وأجلاهم من أرض فلسطين إلى بابل من أرض العراق، فلما أذن لهم كورش بالعودة إلى فلسطين تخلف بالعراق منهم طائفة

---

[1] الفهرست لابن النديم (ص: ٤٤٤ – ٤٤٦).

[2] كذا في كتاب البيروني المطبوع والصواب: ٢١٨ هـ وهي السنة التي توفي فيها المأمون.

وآثروا الإقامة في بابل، ولم يكونوا في دينهم بمكان معتمد، فسمعوا أقاويل المجوس وصبوا إلى بعضها، فامتزج مذهبهم من المجوسية واليهودية. قال: وهؤلاء هم الصابئون بالحقيقة، وإن كان الاسم أشهر بالفرقة الأولى، وكذا ميز بين الفرقتين الرملي من الشافعية (ت: ١٠٠٤ هـ)، وابن تيمية من الحنابلة (ت: ٧٢٨ هـ)، وابن القيم (ت: ٧٥١ هـ)، وقال ابن الهمام ٨٦١ هـ): قيل: في الصابئة الطائفتان، وهذه الفرقة الثانية التي قال البعض إنهم من النصارى يسمون (المندائيين) ومنهم الآن بقايا في جنوب العراق، وقد صدرت عنهم دراسات حديثة كشفت بعض ما عندهم، ومنها ما كتبه بعض كتابهم، وبعض من يعايشهم من المسلمين، وترجمت بعض كتاباتهم الدينية إلى اللغة العربية، وفيها: أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، وبالملائكة، وببعض الأنبياء، منهم: آدم، وشيث، ونوح، وزكريا، ويحيى – عليهم السلام–، ولا يؤمنون بموسى، ولا بالمسيح، ولا التوراة، ولا الإنجيل، ويؤمنون بالتعميد. ولهم عبادات يعبدون الله بها: من صلوات، وزكاة، وصوم، وأعياد دينية، ويغتسلون كل يوم مرتين، أو ثلاثا، ولذلك قد يسمون المغتسلة، ويسمون الله على الذبائح. [١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الصابئة نوعان صابئة حنفاء موحدون وصابئة مشركون فالأولون هم الذين اثنى الله عليهم بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: الآية: ٦٢]، فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا من هذه الملل الأربع المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين". ([٢])

قال عنهم: فهؤلاء كالمتبعين لملة إبراهيم – عليه السلام – إمام الحنفاء قبل نزول التوراة والإنجيل، هم الذين أثنى عليهم الله تعالى. [٣]

[١] انظر مثلا كتاب (مفاهيم صابئية مندائية) للباحثة الصابئية ناجية مراني، بغداد ١٩٨١ م.

[٢] انظر كتاب الرد على المنطقيين لابن تيمية ص: ٢٨٨.

[٣] أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٩١)، ونهاية المحتاج شرح المنهاج (٦/ ٢٨٨)، والرد على المنطقيين لابن تيمية (ص: ٢٨٧ – ٢٨٩، ٦٥٤ – ٦٥٦)، ومروج الذهب للمسعودي (١/ ٣٧٨)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٢٤–٢٣٠) والفهرست لابن النديم (ص: ٤٤٤)، وفتح القدير (٢/ ٣٧٤)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ٩٢)، والآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني (ص: ٢٠٤، ٢٠٥).

على أن هذا التقسيم للصابئة إلى فرقتين، ودعوى أن الحرانيين المشركين لم يكونوا يتسمون الصابئة حتى كان عهد المأمون، دعوى هي موضوع نظر-وإن درج عليها بعض المؤرخين وبعض الفقهاء-فإن كتب الحنفية، تنسب إلى أبي حنيفة (ت: ١٥٠ هـ): أن الصابئة الذين يعظمون الكواكب السبعة ليسوا مشركين؛ بل هم أهل الكتاب؛ لأنهم لا يعبدون تلك الكواكب، بل يعظمونها كتعظيم المسلمين الكعبة، وأن صاحبيه قالا: بل هم كعباد الأوثان [1] وأبو حنيفة كان قبل المأمون فإنه توفي سنة (١٥٠ هـ) والمأمون سنة (٢١٨ هـ). وكلامه وكلام صاحبيه منصب على الحرانيين؛ فإنهم هم الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة، مما يدل على أنهم كانوا في زمانه مسمين باسم الصابئة. ونصوص المؤرخين مضطربة، بعضها يدل على أنهم فرقتان، وبعضها على أنهم فرقة واحدة. [2]

المطلب الثاني: المقصود بالصابئة محل الدراسة ومكان إقامتهم.

١-المقصود بهم:

هم الصابئة المشركين بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين، ونعرف أن إبراهيم عليه السلام دعا النمرود ودعا قومه إلى الإسلام، وكانوا -أي هؤلاء-يبنون الهياكل، ويعبدون الكواكب.

فكان لهؤلاء خطَّان: خط فلسفي، وخط وثني يتخذ من الهياكل أماكن للعبادة، فهناك هيكل للقمر، وهيكل للشمس، وهيكل للزهرة، وهيكل... هكذا للكواكب، كانوا يعبدون تلك الكواكب. وهم بَقَايَا أَهْلِ دِينِ نمرود والكنعانيين الَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ وهو الرازي الذي نسب إليه أنه صنف كتابًا في ذلك، وهو كتاب مشهور ومعروف إلى يومنا هذا، واسمه: السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم، حيث صنف مصنفه على مذهب هؤلاء المشركين عباد الهياكل والكواكب.

---

[1] انظر فتح القدير (٤/ ٣٧٠).

[2] المصدر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٦/ ٢٩٣ -٢٩٨).

٢- مكان إقامتهم: حران .

فإن حران كانت دار الصابئة المشركين[١]، وفيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين المشركين، وكانت الصابئة إلا قليلاً منهم إذ ذاك على الشرك، وعلماؤهم هم الفلاسفة وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل[٢] وكان بها هيكل "العلة الأولى" هيكل "العقل الأول" هيكل "النفس الكلية" هيكل "زحل" هيكل "المشترى" هيكل "المريخ" هيكل "الشمس" وكذلك "الزهرة" و"عطارد" و"القمر".

وقد دخلت الفلسفة إلى حران بعد فتوحات الإسكندر المقدوني فإن أرسطو انتقل من أثينا إلى آسيا الصغرى (تركيا حاليا)، حتى التقى بفيليب ملك مقدونيا، الذي كلفه بتربية ابنه (الاسكندر) ذي الثلاثة عشر عامًا، استمر يعلمه خمس سنوات تقريبًا حتى استلم الحكم، بعدها، فكان الإسكندر المقدوني السبب الغير مباشر الأقدم، إذ فتوحاته هي التي جعلت الفلسفة اليونانية تصل إلى مناطق الصابئة.

ومن الأسباب كذلك أن قسطنطين أبو قسطنطين، وكان دينًا مبغضا للأصنام محبا للنصارى، فخرج إلى ناحية الجزيرة والرها، فنزل في قرية من قرى الرها، فرأى هناك امرأة جميلة يقال لها: هيلانة، وكانت قد تنصرت على يد أسقف الرها، وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطين من أبيها فزوجها منه فحبلت منه، وولدت قسطنطين فتربى بالرها، وتعلم حكمة اليونان، وكان جميل الوجه قليل الشر محبًا للحكمة. [٣]

وكان هذا دينهم قبل ظهور النصرانية فيهم، ثم ظهرت النصرانية فيهم قال ابن تيمية: "وكان دين المسيح لما دخل فيه طائفة من أهل حران وفيهم هيلانة الحرانية الفندقانية فهولها ملك الروم أبو قسطنطين فتزوجها فولدت له قسطنطين فنصرت ابنها قسطنطين وهو الذي اظهر دين النصارى وبنى القسطنطينية". [٤]

---

[١] الرد على المنطقيين (ص: ٢٨٧).

[٢] الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٤٨-٤٩).

[٣] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٥٠)

[٤] الرد على المنطقيين (ص: ٢٨٩).

مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الإسلام. ولم يزل بها الصابئة والفلاسفة في دولة الإسلام إلى آخر وقت، ولذا لما قدم الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، حران في أثناء المائة الرابعة دخل عليهم، وتعلم منهم، وأخذ عنهم ما أخذ من الفلسفة.[١]

وحران كانت مكانًا للتعاليم للأفلاطونية المحدثة، التي عُرف أتباعها باسم "الصابئة"، حيث انتقل كرسي التعليم من الإسكندرية إلى أنطاكية في عهد عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ)، الخليفة الأموي، ثم استقر في حران في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله–رحمه الله–(ت: ٢٤٧ هـ)، إلا أن موقع المدينة الفلسفي بدأ بالضعف بدءاً من عهد الخليفة المعتضد–رحمه الله–(ت: ٢٨٩ هـ)، مع هجرة الفلاسفة الصابئين مثل "ثابت بن قرة"(ت: ٢٨٨ هـ) إلى بغداد. [٢]

المطلب الثالث: عقيدة الصابئة في الله تعالى.

ومذهب النفاة من هؤلاء الصابئة الذين هم فلاسفتهم: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركَّبة منهما، ويقصد بهؤلاء الذين تلقَّى عنهم وأخذ منهم الجعد (ت: ١٢٤ هـ)، فقد كانوا أصحاب فلسفة صابئة، وفلاسفة الصابئة كان قولهم في هذه المسائل: عدم إثبات صفات الله تعالى، إذ إنه كما أسلفنا الفلاسفة عمومًا لا يرون أن هناك وجودًا لله تعالى على الحقيقة.

وبالتالي يدور كلامهم بين صفات سلبية أو إضافية.

فالسلبية مثل قولهم: لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا مباين، ولا، ولا... وتأتي اللاأت اللامتناهية، هذا جانب.

---

[١] الرد على المنطقيين (ص: ٢٨٧. ٢٨٨).

[٢] انظر: ماكس مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، ضمن التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، جمع وترجمة: عبد الرحمن بدوي، ودي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة وتعليق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، (ص ١٩– ٢٧)، وعلي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/ ١٠٣– ١٠٧)، ومحمد البهي، الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي.

والإضافية مثل قولهم عنه: واجب الوجود، هي عبارات في حقيقتها لا تدل على أنه له صفة ثابتة، وهي عبارات يثبتونها، المقصد منها أنه ليس لله عز وجل صفات والإضافات عندهم هي أمر لا يتعلق بالذات، لأنهم في حقيقتهم لا يريدون إثبات ذاته، بل أمر خارج عن الذات كما يقولون: واجب الوجود.

فإذا قلت لهم: ما واجب الوجود؟ قال قائلهم: "واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه، ولا قسمة له لا في الكَمِّ، ولا في الكيف، ولا في المعقول، ولا في اللامعقول، ولا في الهيلولي، ولا في الصورة، ولا، ولا، ولا..." عبارات منتهاها أنه في الذهن دون الخارج، أنه موجود وجودًا ذهنيًا في الخيال لا حقيقة له، فهذا كلامهم يقول لك: "واحد بسيط"، وهذه عبارات فلسفية، لابد لفهمها أن تنظر إلى تفسير معنى الواحد عندهم، فهم لا يقصدون بالواحد الوحدانية، وهكذا معنى البسيط عندهم؟

إذًا قولهم "واحد بسيط" معناه: أن وجوده وجوداً مطلقاً أي وجود ذهني، فلو فسرت هذا في عباراتهم لوجدت أن معنى الواحد عندهم: هو الوجود المطلق الذي هو في الخيال لا في الحقيقة.

وهذا هو السِتَار الذي استطاع به هؤلاء أن ينشروا كتبهم، ويبثوا مقالاتهم لأن كل حرف، وكل كلمة تحتاج إلى قاموس لا يستطيع فهمه إلا من تربى على أيديهم، فلا يمكن أن يأتيك الواحد منهم ويقول لك مباشرة: إن وجود الله تعالى وجود ذهني لا حقيقة له في الخارج، هذه المسألة لا يمكن أن يقولها صراحة لكن يغلِّفها بغلاف فلسفي وعبارات فلسفية، حتى إذا قرأتها لم تفهم منها حرفًا، فمعنى "واحد بسيط لا تكثر فيه"؟! وما معنى "الوجود"؟! وما معنى "لا قسمة له لا في الكَمِّ ولا في الكيف؟! ولا في المعقول ولا في اللامعقول؟! ولا في المتناهي ولا في اللامتناهي؟! ولا في الهيلولي ولا في الصورة"؟!

كل هذا الكلام بحاجة إلى قاموس يوضح معنى كل عبارة وماذا تعني.

فإذًا هذا هو أصل كلام هؤلاء، ومن يدرس طريقة الفلسفة، وحبذا لو يقرأ كتاب ابن تيمية [الرد على المنطقيين] فقد أشار إلى شيء من تاريخ الفلاسفة، ومن أقوالهم، ومقالاتهم، ومن ضمنهم هؤلاء فلاسفة حران.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قيل إن أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، بدل طريقة الصابئة الذين كانوا قبله والذين كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر الذين أثنى عليهم القرآن فهذا الكلام المنقول عنه يوافق ذلك وهؤلاء المحرفة المبدلة في هذه الأمة من الجهمية وغيرهم اتبعوا سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى وفارس والروم فغيروا فطرة الله تعالى وبدلوا كتاب الله والله سبحانه وتعالى خلق عباده على الفطرة التي فطرهم عليها

وبعث إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه فصلاح العباد وقوامهم بالفطرة المكملة بالشريعة المنزلة وهؤلاء بدلوا وغيروا فطرة الله وشرعته خلقه وأمره". [1]

مع أن الفلسفة اليونانية لم تكن الوحيدة التي أثرت في بعض الفلاسفة الذين ينتسبون إلى الإسلام، وإنما هناك من تعرض أيضًا لمؤثرات قوية من جانب الفلسفات الغنوصية القديمة التي عرفتها مدنيات الشرق، وكذلك من جانب التصوف الفلسفي.

[1] بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٧٠).

المبحث الثالث: المشرب اليهودي

المطلب الأول: مظاهر انحراف اليهودية.

من مظاهر انحراف اليهود في عقيدتهم:

١- الشرك بالله في العبادة، كاتخاذهم العجل....

٢- نسبتهم الابن إلى الله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ} [التوبة: الآية: ٣٠]

٣- جرأتهم على الله تعالى، كقولهم: {إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء} [آل عمران: الآية: ١٨١] وقولهم: {يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: الآية: ٦٤]

٤- القول على الله بغير علم: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} [البقرة: الآية: ٨٠]، {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: الآية: ١١١]

٥- زعمهم أن الله تعالى تعب من خلق السموات والأرض، فردَّ الله عليهم بقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوب} [ق: الآية: ٣٨] وذلك لكمال قوته وقدرته.

٦- زعمهم أن الله ندم على خلق البشر، ومرض حتى عادته الملائكة، وأنه بكى حتى رمد من كثرة البكاء، لما رأى من معاصي البشر.

٧- فساد اعتقادهم في وحي الله وكتبه، حيث اعتقدوا أن الله لم ينزل شيئًا {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ ما أنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُون} [الأنعام: الآية: ٩١]

٨- فساد اعتقادهم في النبوة والأنبياء، ومن ذلك أنهم يرون أن النبوة لا يستحقها إلا من كان منهم، ويرشحونه للنبوة، لذلك إذا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون.ومن مظاهر انحراف عقيدتهم في النبوة والأنبياء أنهم نسبوا للأنبياء والمرسلين أعمالاً قبيحة فمن ذلك قولهم كما جاء في كتبهم. [١]

٩- فساد اعتقادهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: ومن ذلك إنكارهم وجحودهم لنبوته مع علمهم بذلك حقًّا: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: الآية: ٢٠].

١ انظر ((محمد نبي الإسلام)) (ص: ١٤٥) ، و((الرسل والرسالات)) د. عمر الأشقر (ص: ١٠٤- ١٠٥)، و((المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم)) د. محمد البار (ص: ١٧٧- ٣٦٥).

١٠- فساد اعتقادهم في الملائكة: حيث يزعمون أن جبريل وميكائيل من أعدائهم، وقد بيَّن الله تعالى ذلك وتوعَّدهم، فقال: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِين} [البقرة: الآية: ٩٨]

١١- فساد عقيدتهم في اليوم الآخر: فهم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود، وأن العاصي منهم مهما فعل من المعاصي والآثام فلن يدخل النار إلا أياماً معدودات. وقد كذَّبهم الله تعالى بقوله: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين} [البقرة: الآية: ١١١] وقال: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون} [البقرة: الآية: ٨٠]

١٢- زعمهم أنهم هم أصحاب الحق: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين} [البقرة: الآية: ١٣٥]

١٣- تنقصهم لله تعالى وكذبهم عليه: ومن ذلك قولهم:

أ – النهار اثنتا عشرة ساعة في الثلاثة الأولى منها يجلس الله ويراجع الشريعة، وفي الثلاثة الثانية يحكم، وفي الثلاثة الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت والأسماك.

ب – ليس الله معصوماً من الطيش والغضب والكذب.

ج – أرواح اليهود مصدرها روح الله، وأرواح غير اليهود مصدرها الروح النجسة.

د – خلق الله الناس باستثناء اليهود من نطفة حصان، وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان؛ ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم.

هـ – اليهودي معتبر عند الله أكرم من الملائكة.

و- لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة في الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس. [1]

المطلب الثاني: التعريف بفيلون اليهودي واستخدامه للتأويل الرمزي في تفسير الكتاب المقدس.

والذي يهمنا في هذا المقام ما يتعلق بالجانب الفلسفي وتأثيره على الديانتين اليهودية والنصرانية.

ومن أوائل من أدخل الفلسفة اليونانية على الديانة اليهودية هو فيلو" اليهودي الإسكندراني (حوالي ٢٠ ق. م إلى ٤٠ بعد الميلاد)، الذي كان من أوائل وأعظم الفلاسفة اللاهوتية اليهود". [2]

وقد عرف التأويل الرمزي أو الباطني لدى اليهود، والذي انتقل إليهم من الفلسفة اليونانية. قال عبد الرحمن بدوي: "انتقل التأويل الرمزي إلى اليهود على يد فيلون اليهودي في القرن الأول الميلادي الذي يعد من أكبر ممثلي النزعة إلى التأويل في العصر القديم، وإن كان قد سبقه في اليهودية كثيرون، أولوا الكتب المقدسة في العهد القديم تأويلا رمزيا، وهو نفسه يشير إليها، لكن فيلون ذرف عليهم بأن جعل من التأويل مذهبا قائما برأسه، ومنهجا في الفهم".

والذين قالوا بالتأويل قبل فيلون هم "يهود الإسكندرية؛ إذ كانوا يشرحون التوراة شرحا رمزيا على غرار شرح الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجيا وعبادات الأسرار"، وكانت تلك طريقتهم لجعلها

---

١ رسائل في الأديان والفرق والمذاهب لمحمد الحمد – (ص: ٧٨-٨١).

٢ كتاب تاريخ الفكر الديني الجاهلى، لمحمد إبراهيم الفيومي، (ص: ١٥٠).

مقبولة لدى اليونان، ويوجد في نسخة التوراة السبعينية آثار من هذا الاتجاه الرمزي الذي انتشر بين يهود الإسكندرية؛ ولذلك فإن بعض اليهود كانوا لا يقرؤون التوراة إلا عبر الترجمة اليونانية.

فأصل التأويل الباطني وتعطيل الصفات انتقل من الفلاسفة اليونان إلى اليهود ثم إلى النصارى، ثم إلى متفلسفة الإسلام

فيلون الإسكندري ولد بالإسكندرية عام (٢٠ أو ٣٠ ق. م) ومات بعد (٥٤ من القرن الأول للميلاد) في زمن الحواريين وقد كان كبير المنزلة بين أبناء جنسه اليهود وطائفته. يقول عنه د. يوسف بطرس كرم (ت: ١٣٧٨ هـ): "كان كبير القدر في قومه، فمما يذكر عنه أنه في أواخر أيامه ذهب في وفد إلى روما يشكو معاملة الحاكم الروماني على مصر لأهل ملتها، ويعد فيلون من أشهر المؤلفين الذين كتبوا التوراة وشرحوها باليونانية. [١]

ويعد فيلون السكندري أحد فلاسفة مدرسة الإسكندرية، وتعد فلسفته تطورًا للفلسفة اليونانية في العصر الهلينستي [٢] حيث عمل على التوفيق بين الدين والفلسفة، واستخدم التأويل الرمزي في تفسيره للكتاب المقدس من أجل نشر الديانة الموسوية على أنها ديانة عالمية، وأراد فيلون من خلال فلسفته أن يضع الحقيقة الدينية في صورة فلسفية، وتأثرت فلسفته بالأفكار المنتشرة في عصره، ومن أهم الأفكار التي تأثر بها هي الأفكار الأفلاطونية.

---

[١] راجع أميل بريهيه ((الآراء الدينية والفلسفية)) لفيلون الإسكندري (ص: ٦)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص: ٢٤٧).

[٢] الهلينية هو الامتزاج الذي حدث بين الثقافتين اليونانية والثقافة الشرقية وحدث ذلك عندما جاء الاسكندر الأكبر وفتح أبواب الثقافة اليونانية للشرق وفتح أبواب الثقافة الشرقية لليونان. انظر: خريف الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي ، (ص: ٧).

وإذا كان التوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة قام به كثيرون قبل فيلون منهم (أريستو بولس) [1] وآخرون إلا أن مسألة التوفيق عند فيلون كانت قائمة على التأويلات الرمزية المجازية، التي تحمل الطابع الفلسفي بينما كانت التأويلات السابقة على فيلون تحمل الطابع الروحي ويغلب عليها الطابع الديني.

وتميز فيلون عن الفلاسفة السابقين عليه فكانت الحقائق الفلسفية لها تأثير كبير في تفسيره للكتاب المقدس بينما جاءت أبحاث السابقين عليه أقرب إلى اللاهوت منها إلى الفلسفة، ويعتقد فيلون أن الحقيقة واحدة سواء أكانت عن طريق الدين أو طريق الفلسفة؛ لكنه يرى أن الدين هو الأصل والفلسفة شارحة له، قدم فيلون مفهومًا لخلق العالم يختلف عن الرؤية اليونانية لطبيعة الخلق وكان الهدف من ذلك هو وضع قضية الخلق في إطار فلسفي يتفق مع الفلسفة الهلينستية السائدة في عصره". [2]

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي (ت: ١٤٢٣ هـ): "انتقل التأويل الرمزي إلى اليهود على يد فيلون اليهودي في القرن الأول الميلادي الذي يعد من أكبر ممثلي النزعة إلى التأويل في العصر القديم وإن كان قد سبقه في اليهودية كثيرون أولوا الكتب المقدسة في العهد القديم تأويلًا رمزيا، وهو نفسه يشير إليها لكن فيلون ذرف عليهم بأن جعل من التأويل مذهبا قائما برأسه ومنهجا في الفهم". [3] والذين قالوا بالتأويل قبل فيلون هم "يهود الإسكندرية، إذ كانوا يشرحون التوراة شرحا رمزيا على غرار شرح الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لقصص

---

[1] أريستوبولس الإسكندري لم يذكر العلماء تاريخ ميلاده على وجه التحديد، ولكن تشير بعض المصادر إلى أنه عاش في الفترة ١٥٠ قبل الميلاد وذكر المؤرخون أنه عاش فترة حكم بطلميوس السادس ١٤٥ -١٨١ق.م قال عنه إميل بريهيه أنه كان يهوديًا مشائيًا قام بشرح الشريعة الموسوية بنفس مبادئ فيلون السكندري (انظر : مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية: مصطفى النشار، (ص: ٥٥).

[2] التأويل الرمزي عند فيلون السكندري قصة الخلق أنموذجًا لنجاح محمد إبراهيم (ص: ٣).

[3] مذاهب الإسلاميين (٢/ ١١، ١٢).

الميثولوجيا وعبادات الأسرار"،[1] وكان هذا هو الطريق الوحيد أمامهم لجعلها مقبولة لدى اليونان، ويوجد في نسخة التوراة السبعينية [2] آثار من هذا الاتجاه الرمزي الذي انتشر بين يهود الإسكندرية. [3]

والتأويل في تناول النصوص الدينية له جذر يهودي عندما اضطروا إليه لتمرير أخطاء العهد القديم امتد فيما بعد إلى معظم العقائد الباطنية.

وأسبابه ودواعيه عديدة، لكن من أهمها كما تقوم الشواهد على ذلك:

١-التحرر من قيد النص المقدس ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح اللفظ وبين ما يقتضيه العقل.

٢-الرغبة في تعميق صريح النص المقدس ابتغاء مزيد من العمق في الآراء التي يحتويها، ومن هذه الدواعي يتبين أن ما يلجئ إلى التأويل هو الاضطرار إلى الأخذ بنص يعد مقدسًا أو مقيدًا، ولولا هذا لما كان ثم أي داع إلى التأويل. [4]وهذه الدواعي تصدق على كل من قال بالتأويل بالباطن، سواء لدى اليهود أو المسيحيين أو غيرهم،

---

[1] تاريخ الفلسفة اليونانية (ص: ٢٤٨) , د. يوسف كرم.

[2] السبعينية هي: أقدم الترجمات وأشهرها قام بها في القرن الثالث ق. م تلبية لدعوة بطليموس فيلاديف اثنان وسبعون عالما وهذا العدد هو أصل التسمية"، هامش ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص: ٢٤٧). راجع أيضا ترجمات العهد القديم في رسالة الدكتوراه ((تأثر اليهودية بالأديان القديمة)).

[3] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام)) (١/ ٧٤)، د: النشار.

[4] مذاهب الإسلاميين (٢/ ١٠).

أما حجة الباطنية فإنهم قالوا: لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل،[1] فلظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورًا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها مسارعا إلى الاغترار بما كان تحت الأواصر والأغلال، وأرادوا بالأغلال التكليفات الشرعية، فإن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف: الآية: ١٥٧] وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم: إن الجهال المنكرين للباطن هم الذين أريدوا بقوله تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد: الآية: ١٣]".[2]

أما فيلون فقد اصطنع هذا الضرب من التأويل، غير أنه يقف به عند حد، وإن كان يتابع الفلاسفة أحيانًا على خلاف قصد الشريعة،[3] وقد دفعه إلى اتخاذ هذا المذهب (التأويل الرمزي) الحملة التي قام بها المفكرون اليونانيون على ما في التوراة (العهد القديم) من قصص وأساطير ساذجة أو غير معقولة: مثل برج بابل، والحية التي أغرت حواء في الجنة وغيرها، فاضطر فيلون إلى الدفاع عن "التوراة" بتأويل هذه المواضيع الأسطورية وغير المعقولة الواردة في التوراة تأويلًا بالباطن، ورأى أن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس، وأن التفسير بالمعنى الحرفي هو مجرد جسم هذا النص المقدس للنص سيؤدي حتما إلى الفكر والإحالة.[4] ويذكر أميل ابريهيه أن

[1] خطط المقريزي (٢/ ١٠٠).

[2] فضائح الباطنية للإمام الغزالي: (ص: ١١، ١٢) تحقيق وتقديم د. عبد الرحمن بدوي.

[3] تاريخ الفلسفة اليونانية، (ص: ٢٤٩).

[4] مذاهب الإسلاميين (٢/ ١٢).

التأويلات التي ذكرها فيلون باعتبارها مأثورة تتناول تقريبًا كل الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، أي التوراة، وأنه بلا ريب مجرد حالة عرضية أن نجد الأكبر عددًا من هذه التآويل يتصل بحياة إبراهيم، ولكن توجد أخرى عن آدم والجنة، وعن يوسف وعن الخروج وعن المعجزات، وعن صلاة موسى وغير ذلك. [1]

والغرض الأساسي عند فيلون من استعمال التأويل الرمزي ومحاولة تطبيقه على نصوص التوراة هو تحويل أشخاص قصص التوراة إلى رموز يعبر بها عن جوانب الخير والشر في النفس الإنسانية ونزعاتها المختلفة، فقصة بدء الخليقة تمثل عند فيلون رموزا إيحائية تفسر حالات النفس الإنسانية تفسيرا داخليا، كما أنها تمثل عنده تقلبات النفس البشرية بين حالات الخير والشر والرذيلة والفضيلة: فآدم مثال للنفس العارية عن الفضيلة والرذيلة نراه يخرج من هذه الحالة بالإحساس المرموز له (حواء) التي تغريها اللذة والسرور المرموز لهما بالحية، وبهذا تلد النفس العجب المرموز له بـ (قابيل) مع كل ما يتبع ذلك من سوء، ومن ثم نجد الخير المرموز له بـ (هابيل) يخرج من النفس ويبتعد عنها، وأخيرا تفنى النفس الإنسانية في الحياة الأخلاقية ولكن تنمو بذور الخير التي في النفس بسبب الأمل والرجاء المرموز له بـ (أنيوس) والندم المرموز له بـ (إدريس)، ثم ينتهي الأمر بعد ذلك إلى العدالة المرموز له بـ (نوح)، ثم بالجزاء على ذلك وهو التطهير التام المرموز له بـ (الطوفان). [2] هذا نموذج لشرحه وتفسيره لأشخاص التوراة تفسيرًا رمزيًا، ومن خلال ذلك التأويل نستطيع أن ندرك كيف تحولت الشخصيات الدينية عنده إلى رموز لحالات نفسية معينة. [3]

---

[1] الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري، (ص: ٨٧) .

[2] راجع: ((الآراء الدينية والفلسفية)) لفيلون"، (ص ٧٣ – ٩٥)، ((الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل)) (ص٢، ٤، ٥).

[3] الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل))، (ص٢، ٥) , دكتور محمد السيد الجلنيد.

المطلب الثالث: تأثير فكر التأويل الرمزي على بعض الفرق المخالفة

يظهر تأثير أشياع الأفلوطنية الحديثة وبخاصة فيلون على فرق الباطنية الرافضية والإسماعيلية وغلاة المتصوفة من الاتحادية وغيرهم الذين جعلوا من التأويل الرمزي أداة لهم لجعل النصوص موافقة لأفكارهم وطروحاتهم البعيدة كل البعد عن الإسلام وتعاليمه.

ومن تأثيره على الباطنية الرافضة قولهم التأويل الرمزي الذي انتقل أولًا إلى:

عبد الله بن سبأ

عبد الله بن سبأ وهو يهودي من صنعاء باليمن [1] بل من علماء اليهود، ولا يستبعد اطلاعه على حركة التأويل عند اليهود قبل فيلون وبعده. ويؤيد هذا الاحتمال ما قام به ابن سبأ من عرض لأفكار يهودية كالرجعة والوصية واستناده فيهما على التأويل، وفرقته عرفت بالسبئية.

وعرف عن السبئية:

أولا: قيام السبئية بتكوين جمعيات سرية يهودية بإسم الإسلام، تحت راية عبد الله بن سبأ.

ثانيا: إظهار الحب والولاء والمشايعة والموالاة لعلي وأولاده، والإنظمام إلى شيعتهم.

ثالثا: الحقد والبغض لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان، خلفاء نبي الله في أمته، الثلاثة الراشدين المهديين، والطعن فيهم وتفسيقهم وتكفيرهم.

---

[1] جاء في تاريخ الطبري "كان عبد الله بن سبأ يهوديا من صنعاء).(٢) كان عبد الله بن سبأ يهوديا من صنعاء".(٢/ ٢٨٣).

رابعا: تأليب الناس وتحريضهم على عثمان، وإتهامه بتهم باطلة، لإيقاع الفرقة بين الأمة الواحدة والشقاق في المسلمين، والتشنيع على العمال، وتشويه سمعة الحكام، وخصوصا الذين قادوا المعارك الحاسمة وفازوا فيها.

خامسا: ترويج العقائد اليهودية والنصرانية والمجوسية بين المسلمين، التي لا تمت إلى الإسلام بصلة لا قريبة ولا بعيدة. والكتاب المنزل من السماء على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خال منها، وكذلك تعليمات الرسول الناطق بالوحي نزيهة وبريئة من التلوث بها، مثل قولهم بالوصاية والولاية والعصمة والرجعة وعدم الموت وملك الأرض والحلول والإتحاد وتأليه الخلق وإتصافهم بصفات الله، وجريان النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ونزول الوحي.

فهذه هي الأفكار السبئية والعقائد التي دعوا إليها". [1]

ابن حرب

وجاء من بعده تلميذه ابن حرب[2] ونقل عقيدة الأسباط من الفكر اليهودي وقام بتأويل آيات من القرآن تؤيد دعواه.

بيان بن سمعان

[1] كتاب الشيعة والتشيع-فرق وتاريخ-(ص: ٣٣٢-٣٣٣).

[2] وابن حرب هذا، هو مؤسس الفرقة الحربية السبئية، وكان من اتباع ابن سبا وكان يقول المقالات التي نادى بها سبأ ثم تجاوزه. الملل والنحل (١/ ٢٩٠-٢٩١).

ومن بعده جاء بيان بن سمعان [1] صاحب (البيانية) [2] كان ذا أصل يهودي وقال هو الآخر بالتأويل، وخاصة عند تفسيره لقول الله تعالى: {هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: الآية: ١٣٨]، حيث زعم أنه هو المذكور فى القرآن وقال أنا البيان وأنا الهدى والموعظة". [3]

كيسان. [4]

---

[1] قال ابن تيمية: "الصفات في الجملة منزلة من عند الله وأنها حق ليست مما افتراه اليهود وابتدعوه بل ذمهم على كتمان ذلك وغيره وعلى تحريف الكلم عن مواضعه فإن كثيرًا منهم يحرفون ذلك ويكتمونه أكثر من تحريف الجهمية المنتسبين إلى الإسلام وأكثر من كتمانهم، وقد روي أن الجهم بن صفوان أخذ هذا المذهب الذي يتأول فيه الصفات عن الجعد بن درهم، والجعد أخذه عن بيان بن سمعان، وأخذه بيان من طالوت بن أخت لبيد بن أعصم، وأخذه طالوت من لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم". بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣١٥-٣١٦).

وقال ابن عساكر: "وأخذ الجعد بن درهم من أبان بن سمعان، وأخذ أبان من طالوت، وأخذ طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي–صلى الله عليه وسلم–، وكان لبيد يقرأ القرآن وكان يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت، وكان طالوت زنديقًا وأفشى الزندقة، ثم أظهره جعد بن درهم". مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠١).

وقال ابن كثير: "وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول صلى الله عليه وسلم، وأخذها لبيد عن يهودي باليمن". البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)

[2] البيانية: طائفة من غلاة الشيعة، أتباع بيان بن سمعان التميمي الّذي ادعى الإلهية لعلى والأئمة من ولده، ثم ادعاها لنفسه، قال البغدادي: "وهذه الفرقة خارجة عن جميع فرق الاسلام لدعواها الإهية لزعيمها بيان كما خرج عابدو الأصنام عن فرق الإسلام ومن زعم منهم أن بيانا كان نبيا فهو كمن زعم أن مسيلمة كان نبيًا وكلا الفريقين خارجان عن فرق الإسلام". الفرق بين الفرق (ص: ٢٢٨).

[3] كتاب الفرق بين الفرق (ص: ٢٢٧).

[4] جاء في "القاموس": وهو لقب المختار بن أبي عبيد المنسوب إليه الكيسانية من الرافضة، تولوا عليا–رضي الله عنه–، واعتقدوا إمامته دون الشيخين".القاموس المحيط للفيروز أبادي (ص: ٧٣٨) (مادة: كيس).

الكيسانية فهي حركة غالية منحرفة اتخذت من التشيع لآل البيت ستارًا نفذت بواسطته بتعاليمها الفاسدة وآرائها المنحرفة، وقد تولد عن الكيسانية الكثير من الحركات الباطنية، [1] واتصل اليهود بالكيسانية اتصالًا وثيقًا، وكان التأويل من الأسس الهامة لدى الكيسانية، وهم الذين قالوا: الدين طاعة رجل واحد. وقال بعضهم بترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة رجل واحد وقال بعضهم بالتناسخ، والحلول، والرجعة بعد الموت.

وقال بعضهم: الإمام واحد لا يموت، ولا يجوز أن يموت حتى يرجع.

وقال بعضهم: تتعدى الإمامة إلى غيره.

وكلهم حيارى، ومنهم من أنكر البعث". [2]

قال أبو الحسن الأشعري: "وإنما سموا "كيسانية" لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى "محمد بن الحنفية" كان يقال له "كيسان"، ويقال: إنه مولى لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه". مقالات الإسلاميين (١/ ٩١).

وأما الشهرستاني: فقد نسب هذه الفرقة إلى كيسان مولى أمير المؤمنين وذكر أنها فرق ومن ضمنها المختارية، فقد قال: "الكيسانية: أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقيل: تلميذ للسيد محمد بن الحنفية، يعتقدون فيه اعتقادًا فوق حده ودرجته من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها، من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس". الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٧)، وانظر في شأن فرقة الكيسانية مروج الذهب للمسعودي (٣/ ٧٠-٨٩).

[1] كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة لناصر بن علي (٣/ ٩٢١).

[2] كتاب حسن التنبيه لما ورد في التشبيه لنجم الدين الغزي (٩/ ٤١٥).

وقال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ) عن المختار (ت: ٦٧ هـ): "وزالت دولة المختار كأن لم تكن، وفرح المسلمون بزوالها، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقًا، بل كان كاذبًا وكاهنًا، وكان يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل". [١]

المغيرة بن سعيد العجلي (ت: ١٢٠ هـ)

والمغيرة بن سعيد العجلي كان على صلة باليهود، وإليه تنسب المغيرية، وهي فرقة من السبئية،

قال عنه أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ): "المغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد؛ يزعمون أنه كان يقول إنه نبي، وأنه يعلم اسم الله الأكبر، وأن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج، وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل. وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة". [٢]

وقد قال بالتأويل الذي يسب فيه الصحابة ويلعنهم، وهو ما يبغيه اليهود ويهدفون إليه، ومن ذلك ما ذكر عنه أنه قال: فكان أول من خلق منها محمدًا صلى الله عليه وسلم. قال وذلك قوله – {قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: الآية: ٨١]، ثم أرسل محمدًا إلى الناس كافة وهو ظل. ثم عرض على السموات والأرض أن يمنعن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فأبين، ثم على الأرض والجبال فأبين، ثم على الناس كلهم فقام عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فأمره أن يتحمل منه وأن يغدر به، ففعل ذلك أبو بكر. وذلك قوله {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ} [الأحزاب: الآية: ٧٢]، قال: وقال عمر: أنا أعينك على علي لتجعل لي الخلافة بعدك وذلك قوله: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ} [الحشر:

[١] البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٤٥).

[٢] مقالات الإسلاميين (١/ ٦)

الآية: ١٦]. والشيطان عنده عمر. وزعم أن الأرض تنشق عن الموتى فيرجعون إلى الدنيا. فبلغ خبره خالد بن عبد الله –يعني القسري– فقتله". [1]

وبهذا يعرف أن ما فعله فيما بعد غلاة الإمامية يؤكد انتقال التأويل من اليهود إلى الإمامية وأن الباطنية وهي الشجرة التي أثمرت فكر الغلو الإمامي فيما بعد.

ميمون القداح (كان حيًا قبل ١٤٨ هـ)

وهو ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وكان من الذين أسَّسوا دعوة الباطنية، وهو مولى جعفر بن محمد الصادق، وكان في الأحواز، وكان معه رجل آخر اسمه محمد بن الحسين المِلَقَّب بدندان، وقد اجتمعوا في سجن بغداد وأسَّسوا الفكر الباطني، ثم أظهرا دعوتهما بعد خروجهما من السجن، فدندان بدأ دعوته الباطنية في جهات توز "توز خرماتو"، فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل.

والمشهور في التاريخ أن ابن القداح ميمون بن ديصان من رجال الراوندية، ومن دعاة الباطنية والغلو، والذي بدوره ارتحل إلى بلاد المغرب العربي، وانتسب هناك إلى عقيل بن أبي طالب، وادَّعى أنه من نَسلِه وذريته، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرافضة والحلولية، منهم من ادَّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبل الجهلاء ذلك منه! رغم أن محمد بن إسماعيل مات ولم يكن له عقب!!.

وقال عنه بعض العلماء في الرد على الإسماعيلية، قال–وأنا بريء من قوله–: "هؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوي، الذي يُنسَب إليه الثنوية، وهو مذهب يعتقدون فيه خالِقَين، أحدهما يخلق النور، والآخر يخلق الظلمة، فولد ديصان هذا ابنًا يقال له ميمون القداح". ويذكر أن ميمون بن ديصان، القداح الأحوازي، كان مشعبِذًا ممخرِقًا، وكان معظم مخرقته بإظهار الزهد والورع، وأن الأرض تطوى له، وكان يبعث خَوَاصَّ أصحابه إلى الأطراف، معهم طير، ويأمرهم أن يكتبوا له بالأخبار عن الأباعد، ثم يُحدِّث الناس بذلك، فيقوى شبههم.

[1] مقالات الإسلاميين (١/ ٦)

وقد وطَّأ دعوة زيدان، وظاهر عليها، وأسعَفَه بالمال والرجال، فلما مات (زيدان) اتسق الأمر لابن القداح المتعصب لدولة المجوس، فكان يجتهد لإرجاعها في أوقات منها بالمجاهرة، ومنها بالحيلة، وكان كافرًا مُلحِدًا أجابه قوم إلى ضلالاته وبِدَعه، فعبد الله وأبوه ميمون القداح في كتب الفِرَق متآمران على المجتمع الإسلامي واستقراره وأمنه، محرِّفان للدعوة الإسلامية عقيدةً وشريعةً، وذلك بعقيدة القرامطة ودعوتهم، وبالحركة الباطنية بشكل عام، فهما يَبُثَّان العقائد المنحرفة عن الإسلام، وينظمان الخلايا السرية، ويتحركان في رقعة كبيرة من العالم الإسلامي بين الكوفة والمغرب. [1]

قال محمد بن مالك الحمادي-رحمه الله-(ت: ٤٧٠ هـ): "عبيد الله بن ميمون القداح في الكوفة، وما كان له من الأخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة، ودخوله في طرق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة، وتمشيته إياها على الطغام ومكيدته لأهل الإسلام.

وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين من التاريخ للهجرة النبوية، فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم الغوائل ولبس الحق بالباطل {وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}،

وجعل لكل آية في كتاب الله تفسيرا، ولكل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا وزخرف الأقوال وضرب الأمثال وجعل لآي القرآن شكلا يوازيه ومثلا يضاهيه". [2]

وقد استخدم عبد الله بن ميمون التأويل فأدخله إلى الباطنية وتوسع فيه، وكان أبوه ميمون من قبل قد وضع كتابا في التأويل الباطني وأخذ يؤول الآيات القرآنية بما يتفق مع عقيدته في إمامة إسماعيل وابنه محمد وأسبغ

---

[1] مقال بعنوان: ميمون القدَّاح مؤسس الفكر الباطني والفساد العقدي.

[2] كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، (ص: ١٩٧).

عليهما قداسة كبرى [1] وأضاف ابن ميمون إلى ما فعله أبوه فتطورت العقيدة تطورا ملحوظا وأخذ هو يجمع ويلفق بين مختلف الآراء مستعينا بالتأويل. [2] [3]

حمزة بن عليّ الزوزني (ت: ٤٣٤ هـ)

مؤسس مذهب الدروز..

فإن «حمزة بن عليّ» عكف على بَثِّ دعوته السرية، ولم يجاهر بها إلا أواخر سنة ٤٠٧ هجرية، حيث ظهر على مسرح الأحداث وصار يلازم الجلوس بمسجد ريدان القريب من باب النصر بالقاهرة، ويدعو الناس جهرًا إلى عبادة الحاكم بأمر الله، وينادى بالتناسخ في الأديان، ويزعم أن الحاكم ليس بشرًا وإنما هو رمز حلَّ فيه الإله، فاجتمع إليه طائفة كبيرة من غُلاة الشيعة الإسماعيلية وتلقَّب بهادى المستجيبين، وأعطى الحاكم لقب (قائم الزمان) وبثَّ دُعاته في أنحاء مصر والشام، ورخَّص فى أحكام الشريعة (أباح المحظورات) وأباح الأمهات والبنات وسائر المحارم، وأسقط جميع التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغير ذلك، فاستجاب له كثيرون وذاع أمره.

وكان الحاكم حين يمر بقرب المسجد الذى يدعو فيه «حمزة» إلى ذلك، يتوقف ويخرج إليه حمزة بن عليّ، ويتحادثان طويلًا على انفراد.. وأولاه الحاكم رعايته بصورة ظاهرة، وبعث إليه وإلى أتباعه بالسلاح ليدافعوا عن أنفسهم وقت الحاجة. ثم تمادى «حمزة» فى مشروعه، وظهر عدد من رسله وتلاميذه، فى مقدمتهم حسن بن الحيدرة الفرغانى ومحمد بن إسماعيل الدَّرزى.. وكان لهما شأن عظيم فى تلك الحركة، وكان «الدَّرْزى»

---

[1] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، (٢/ ٣٧٩)، د. النشار.

[2] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، (٢/ ٣٩٠)، د. النشار.

[3] المصدر:الأصول العقدية للإمامية لصابر طعيمة.

بالذات هو حليف حمزة وداعيته، لكنه انقلب عليه وصارت بينهما منافسة وخصومة.. ويقول بعض المؤرخين إن «الدَّرْزى» كان أول من أذاع الدعوة بألوهية الحاكم بأمر الله.

وقد قُتل حمزة بن علىّ، لتهدئة خواطر العامة من الناس، كما قُتل عديد من أعوانه ورسله (من أمثال حسن بن حيدرة الفرغانى) قَتَلَهم الحاكم بأمر الله. [1]

محمد بن إسماعيل الدرزي

ينسب الدروز إلى درزي وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الدرزي وقد يروى اسمه بلفظ عبد الله الدرزي ودرزي بن محمد ويقال : إن محمد بن إسماعيل الدرزي هو تشتكين أو هشتكين الدرزي ، وقيل ينسبون إلى طيروز إحدى بلاد فارس ، ويرى الزبيدي أن الصواب ضبط الدرزي بفتح الدال نسبة إلى أولاد درزة وهم السفلة .

وظهر محمد بن إسماعيل الدرزي أيام الحاكم بأمره أبي على المنصور بن العزيز أحمد ملوك العبيديين الذين حكموا مصر قريبًا من مائتي سنة وزعموا أنهم من آل البيت زورًا وبهتانًا وأنهم من نسل فاطمة–رضي الله عنها–.

وقد كان محمد بن إسماعيل الدرزي أولًا من الفرقة الإسماعيلية الباطنية التي تزعم أنها من أتباع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ثم خرج عليهم واتصل بالحاكم العبيدي ووافقه على دعواه الإلهية ودعا الناس إلى عبادته وتوحيده. وادعى أن الإله حل في علي بن أبي طالب ، وأن روح علي انتقلت إلى أولاده واحداً بعد واحد حتى انتقلت إلى الحاكم وقد فوض إليه الحاكم الأمور بمصر ليطيعه الناس في الدعوة ولما انكشف أمره ثار عليه المسلمون بمصر وقتلوا ممن معه جماعة ولما أرادوا قتله هرب واختفى عند الحاكم فأعطاه مالاً وأمره أن يخرج إلى الشام لينشر الدعوة هناك فخرج إليها ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة غربي دمشق فدعاهم إلى تأليه الحاكم ونشر فيهم مبادئ الدروز ووزع فيهم المال فاستجابوا له .

---

[1] انظر ((عقيدة الدروز، عرض ونقض)) د. محمد بن أحمد الخطيب (ص: ١١٧)، وانظر ((الحركات الباطنية)) (ص: ٢٣٣ - ٢٣٨).

ولما توفي الحاكم وتولى ابنه على الملقب الظاهر لإعزاز دين الله . وتبرأ من الدعوة إلى تأليه أبيه طوردت الدعوة في مصر ففر حمزة إلى الشام وتبعه بعض من استجاب له واستقر أكثرهم في المقاطعة التي سميت فيما بعد (جبل الدروز) في سورية .

المبحث الرابع: المشرب النصراني

المطلب الأول: *مظاهر* انحراف النصرانية

أهم عوامل انحراف النصرانية:

إن الدارس لتاريخ الديانة التي جاء بها المسيح، يجد أنها مرت بمراحل أثّرت عليها عوامل غيرتها، وخرجت بها عن دائرة الديانة النصرانية الأصل، ولا شك أن هذه العوامل، التي ذكرها المختصون، كانت سبباً في تحريفها، أذكر أهمها ضمن النقاط الآتية:

أولًا: ضياع الإنجيل وانقطاع السند.

إن الكتب الدينية المقدسة لها مكانة عظيمة لدى أتباعها، فلهذا يجب أن تكون الكتب ثابتة الإسناد إلى أصحابها الذين هم رسل الله والمبلغون عنه، فإذا لم تكن كذلك فإنها تفقد قيمتها؛ إذ تكون عرضة للتحريف والتبديل، وإن الكارثة الكبرى التي حلت بالنصارى منذ القرون الأولى من بداية دعوتهم، هي فقدان الإنجيل المنزل من الله على عبده ورسوله عيسى؛ لذا كان من أهم عوامل تحريف النصرانية:

ضياع الكتاب المقدس لديهم، وانقطاع السند المتصل به، وأن الأناجيل الموجودة ليس منها شيء منسوب إلى عيسى العَليم، ولا يعرف أثر لإنجيل عيسى العَلِي،كما أن النصارى لم يعتنوا بالتدوين مباشرة بعد رفع المسيح العَ، وإنما تأخروا في التدوين مما جعل كثيراً من الأناجيل تظهر، ولا يعرف على اليقين كاتبها، ولا من أين أخذ معلوماته.

وإذا بحثنا في التاريخ لدى النصارى عن إسناد للأناجيل الأربعة المقدسة إلى من تنسب إليه، لا نجد شيئاً، ورسائل بولس، وكذلك الرسائل الأخرى، وأعمال الرسل ليس في شيء منها إشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة، الأمر الذي يترتب عليه أن هذه الأناجيل الأربعة لم تكن معروفة في ذلك الزمن، ولم يطلع عليها أحد منهم، وفي هذا دلالة على أن نشأتها وظهورها كان متأخراً عن هذه الرسائل، وقد حاول النصارى أن يجدوا لهذه الكتب إسناداً أو إخباراً عنها في كلام متقدميهم، يتفق مع الزمن الذي يزعمون أنها كتبت فيه، وهو الربع الأخير من القرن الأول الميلادي على أكثر تقدير، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل، مما اضطرهم إلى

الاعتراف بأن هذه الكتب لم تعرف إلا بعد موت من تنسب إليه بعشرات السنين، فتكون نسبتها لأولئك الناس نسبة لا تقوم على أي دليل [1]

وهذا انحرافٌ بدعوة المسيح عن وجهها الصحيح؛ لأن أصحاب تلك الأناجيل ليسوا معصومين فوقعوا في أخطاء كثيرة، وسوء فهم، وغير ذلك من العوارض التي تعرض للبشر، مما جعل الديانة المعتمدة على مثل تلك الكتب المليئة بالأخطاء كما هو حال النصرانية اليوم.

ثانيًا: التأثر بالوثنيات وآراء الفلسفات.

نادى المسيح بأنه لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل، ونهى أتباعه عن الذهاب إلى قرى غير اليهودية، إلا أن أتباعه فيما بعد خالفوا ذلك، وتوجهوا إلى الوثنيين من الرومان واليونان والفرس وغيرهم في المناطق المجاورة، ولما كانت الديانة المسيحية تفتقر للمقومات التي تكفل لها التأثير في تلك المجتمعات، حيث كانت دعوة لبني إسرائيل خاصة، وليس لها الصبغة العالمية التي يمكن أن تتغلب بها على تلك الأديان والفلسفات. لذا فقد غُلبت وأمكن للديانات الوثنية أن تصبغها بصبغتها، هذا أمر يتضح لكل ناظر في الديانة النصرانية المحرَّفة، وقد أكد علماء الأديان والتاريخ ذلك، وأن الديانة النصرانية قد اصطبغت بالصبغة الوثنية، وأنها أخذت عقيدتها وعبادتها من تلك الوثنيات فضمتها إليها.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك، وأن النصارى قد تأثروا بعقائد الوثنيين الذين كانوا قبلهم ما يلي:

أ- إن التثليث موجود عند الهنادكة والبوذيين قبل النصارى، وفي هذا يقول صاحب كتاب " أصل أصل الوثنية":" وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا، هكذا نجد عند البوذيين، فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة"، كما كان ذلك موجوداً أيضاً لدى المصريين والفرس واليونان والرومان والأشوريين والفينيقيين. [2]

[1] انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص: ٢٠٥).

[2] انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد البيروتي (ص: ٣٥).

وكذلك المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة، وهم:" أتوموشووتفنوت"، أو أوزيريسوأيزيس وهورس.[١]

ب- إن الصلب -فداءً للبشر -عقيدة وثنية كانت موجودة لدى الهنادكة؛ إذْ "يعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس من الخطيئة.

كما يعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، والذيلا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم، تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

وكان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحبل خشبه وتحت رجليه صورة حمل، والسوريون يقولون: إن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس، ويدعونه المخلص، والفادي، والمصلوب".[٢]

ج- الاعتقاد بأن إلهاً تجسد وولد من عذراء، هو كذلك من عقائد الوثنيين. ففي هذا يقول الهنود:" إن كرشنه هو ابن العذراء النقية الطاهرة ديفاكي ويدعونها والدة الإله. ويقول المصريون: إن هورس "حورس" المخلص ولد من العذراء، وأنه المنبثق الثاني من عامون، ويقولون الابن المولود، ويصورونه إما على يدي أمه أو على حضنها". [٣]

فهذه أمثلة واضحة على تأثر الديانة النصرانية بالأديان الوثنية قبلها؛ بل إن الأديان الوثنية تغلبت على ديانة المسيح اللي وصبغتها بصبغتها، وقد صرّح صاحب كتاب:" تاريخ أوروبا في العصور الوسطى" بذلك التشابه؛ حيث قال:" غير أنه ليس ثمة شك أن اتخاذ المسيحية – فيما بعد – ديانة رسمية للبلاد – يعني الإمبراطورية الرومانية – ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة، سيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالاً إلى جو غريب تمام الغرابة، أو شعوراً بانقلاب باغت مفاجئ؛ بل بدا الولوج في المسيحية عملية

---

[١] انظر: الرموز والأسطورة في مصر القديمة كلارك، رندل (ص: ٣٩).

[٢] انظر: انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد البيروتي (ص: ٤٩).

[٣] انظر: انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد البيروتي (ص: ٦٠).

رفيقه في كثير من التدرج الشعوري العاطفي، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار ". [1]

وفي نفس الموضوع يقول شارل جنيبير: "إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة، وإذا كانت – أي النصرانية– قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان "التأليف" الديني الوثني، فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية، قامت هي –أي النصرانية – بترتيبها، وتركيبها، وأضفت عليها الانسجام الذي تفتقر إليه، بحيث استطاعت أن نقف مفردها أمام أشتات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفاً أو نقصاً عليها في أي من المجالات الهامة. وتمت ظاهرة التشرب هذه– وهي من الظواهر الأساسية في تاريخ المسيحية في بطء بطيء معتمدة على الاتصال الدائب بتطور الإيمان بين جميع طبقات المجتمع الوثني، ذلك المجتمع الذي اختلفت فيه صور الإيمان باختلاف بيئاته وباختلاف العهود التي مر بها، وإنها لظاهرة تفسر لنا كيف جاء العصر الذي استطاعت فيه المسيحية أن تكسب عطفاً نشيطاً بين رحاب العالم اليوناني الروماني". [2]

فهذا يكفي للدلالة على تشرب الديانة النصرانية للأديان الوثنية قبلها، وتأثرها بها؛ مما كان عاملاً مهماً في انحرافها.

ثالثًا: تدخل الإمبراطور قسطنطين.

يطلق مؤرخو الكنيسة اسم العهد الذهبي للنصارى ابتداء من تربُّع الإمبراطور قسطنطين على عرش الإمبراطورية الرومانية عام ٣١٢م لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تاريخ النصرانية.

والإمبراطور قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية، هو الذي رفع الاضطهاد عن النصارى بعد أن دام ما يقارب (٣٠٠) سنة من قبل اليهود والرومان، فقرَّب هذا الإمبراطور النصارى إليه، ورفع الاضطهاد عنهم، فانحازوا هم إليه وقبلوا منه ذلك، ثم إنه لما رأى اختلافهم وتباين أقوالهم، وضماناً لاستقرار الدولة دعاهم الإمبراطور

---

[1] انظر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، لفيشر (ص: ٧).

[2] انظر: المسيحية نشأتها و تطورها لشارل جنيبر (١٩٨٤).

قسطنطين إلى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، فاجتمعوا في ذلك المجمع؛ للاتفاق على عقيدة واحدة يجمع الناس حولها، انحاز إلى ما يوافق هواه ورغبته، فنصر قول القائلين بألوهية المسيح، وأمر بلعن وطرد من خالفهم وملاحقته، وبالفعل تم ذلك- والناس كما يقال: على دين ملوكهم - وانتهى ذلك المجمع بانحياز الإمبراطور إلى القول بألوهية المسيح، كما أدى ذلك إلى انتشار النصرانية المثَلِثة بقوة السلطان، وأولهم الإمبراطور" قسطنطين". [1]

ولما كان هو وثنيًّا ولا علم عنده أيضًا بالمسيحية انحاز إلى ما يوافق هواه ورغبته، فنصر قول القائلين بألوهية المسيح، وأمر بلعن وطرد من خالفهم وملاحقته. وبالفعل تم ذلك وترتب عليه القضاء على التوحيد، واندراس معالمه بعد ذلك، كما أدَّى ذلك إلى انتشار النصرانية المثلثة بقوة السلطان، وأولهم(قسطنطين) الذي لم يدخل في الديانة النصرانية إلا وهو على فراش الموت. [2]

رابعًا: المجامع النصرانية.

المجامع النصرانية يعرفها النصارى بأنها: هيئات شورية في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس. [3]

والمجامع النصرانية نوعان:

أ-مجامع محلية: وهي التي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تنعقد فيها.

---

[1] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٥٦٨).

٢ المصدر: موسوعة الأديان بموقع الدرر السنية، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها / الفصل العاشر: تحريفات النصارى ومزاعمهم / المبحث الأول: العوامل التي أدت إلى تحريف رسالة المسيح عليه السلام / المطلب الثالث: بولس (شاؤول اليهودي) / الفرع السادس: التأثر بالوثنيات والفلسفات الوثنية.

[3] انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص: ٢٠٣).

ب–ومجامع مسكونية: عالمية، أي: العالم المسكون: تبحث في العقيدة النصرانية ومواجهة بعض الأقوال التي يرى غرابتها ومخالفتها للديانة. [1]

وأول المجامع كما يذكر سفر أعمال الرسل، كان مجمع أورشليم الذي عقد أيام الحواريين من أجل النظر في حكم إلزام غير اليهود بالشريعة الموسوية. فقرر المجتمعون هناك أنهم لا يلزمون بالختان ولا بالشرائع الموسوية، وإنما يلزمون فقط بالامتناع عن الذبح للأصنام والزنى وأكل المخنوق والدم.

ويلاحظ أن ذلك –إن صدق كاتب سفر الأعمال فيما ذكر –من أوائل الانحراف عن شريعة عيسى ودعوته، فهم لم يذكروا دليلاً على ذلك من كلام المسيح إنما فقط من استحسانهم وآرائهم، وهذا ما مهد لسائر التحريفات التي تمت عن طريق المجامع فيما بعد.

وإن المطلع على تلك المجامع وأهم قراراتها، يتبين له حقيقةً أنها هي التي كونت الديانة النصرانية، ووضعت أهم أسسها، فأصبحت الديانة النصرانية تدين في الواقع لتلك المجامع في تكوينها وفي دعوتها، لمحاربة ولعن كل من يخالف قراراتها؛ بل إننا لا نكاد نجد عقيدة يؤمن بها النصارى اليوم، إلا وقد أُقرت في مجمع من مجامعهم، وما من انحراف حدث في دينهم إلا بموافقة أحدها عليه، فالمجامع لها الكلمة الأخيرة في ذلك كله. [2]

فالمجامع النصرانية هي التي كوَّنت الديانة النصرانية، ووضعت أهم أسسها، وهي التي حاربت التوحيد عن طريق قراراتها، فأصبحت الديانة النصرانية تدين في الواقع لهذه المجامع في تكوينها وفي دعوتها لمحاربة وتكفير كل من يخالف قراراتها. [3]

خامسًا: الاضطهادات.

---

[1] انظر: مصادر دراسة النصرانية–دراسة ونقد–لعبد الرزاق ألارو (ص: ٧١٢).

[2] انظر: المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية لسلطان السلطان (ص: ٤٣).

٣ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود بن عبد العزيز الخلف – ص ٣٤٩.

إن مما لا شك فيه أن الدعوات خاصة الدينية تنمو وتزدهر تحت ظل السلام والأمن، وتضعف في حال الخوف والاضطهاد، وإن الدارس لتاريخ المسيح وأتباعه ودعوته، يجد أن الاضطهاد واكب نشأتها واستمر قروناً عدة يشتد حيناً ويفتر حيناً آخر.

فقد كان المسيح العَليلا مطارداً من اليهود؛ بل سعوا جادين لقتله، إلا أن الله وعَجِل أنجاه منهم ورفعه إليه، ثم إن النصارى وقع عليهم اضطهاد شديد من بعده، فقد قُتل أحد كبارهم ويسمى إستفانوسرجماً، مما جعل بقية الأتباع يتفرقون في البلدان وينتشرون خوفاً من الاضطهاد، ثم وقعت على من بقي منهم في فلسطين نكبتان مدمرتان أولاهما عام ٧٠م وهي: فتك الوالي الروماني "تيطس" باليهود وتدميره لبيت المقدس بسبب عصيانهم وتمردهم.

والأخرى وهي أكبر من أختها: عام ١٣٥م في عهد الإمبراطور "هادريان" الذي قضى على اليهود في فلسطين ولم يبق بعده فيها إلا أقلية نصرانية واهنة مبعثرة. [١]

ثم استمر اضطهاد أباطرة الرومان للنصارى، ذاق خلالهما النصارى ألواناً شتى من الذل والاضطهاد، حتى أصبح اتهام أي رجل بالنصرانية في بعض الأحيان مبرراً قوياً لإلقائه للوحوش المفترسة والحكم عليه بالموت. [٢]

، ولم يتوقف هذا الاضطهاد إلا بتولي قسطنطين الإمبراطورية الرومانية وإصداره مرسوم ميلان (سنة: ٣١٣ م)، والقاضي بإعطاء النصارى الحرية الدينية وحرية الأديان عمومًا.

فكان هذا الاضطهاد من العوامل المهمة في تحريف دعوة المسيح عليه السلام [٣]، وإذا نظرنا إلى تاريخ النصرانية نجد أنه في فترة الاضطهاد شاع بينهم ما يسمونه ب "الهرطقة"، وهي التعاليم المخالفة لما عليه النصارى، كما كثرت الكتب والرسائل المنسوبة إلى دعاة النصارى الأوائل. [٤]

---

[١] انظر: تاريخ بني إسرائيل في أسفارهم ، لمحمد دروزه (ص: ٣٨١).

[٢] انظر: تاريخ المسيحية، لسعيد حبيب، (١/ ٥٩).

[٣] انظر: النصرانية–دراسة عقدية تاريخية، لعبد الرحمن بن غالب عواجي (ص: ٨٣).

[٤] انظر: تاريخ الكنيسة، لجون لوريمر، (١/ ١٥١).

فمما لا شك فيه أن ذلك كله كان عاملًا من العوامل التي تسببت في انحراف النصرانية عن الدين الحق الذي جاء به المسيح عيسى، إلى أن جاء قسطنطين وسعى إلى توحيد النصارى، بدعوته إلى مجمع نيقية (سنة: ٣٢٥ م)، إلا أنه وحدَّهم على مقالة بولس: في تقرير ألوهية المسيح، وهذا يجرنا للكلام عن القديس بولس ودوره في تحريف النصرانية:

يعد القديس بولس من أبرز الشخصيات المسيحية، ودوره في الديانة المسيحية من الركائز الأساسية عند الحديث عن أسس تحريف المسيحية وتغييرها، فكان للقديس بولس الدور الكبير في تحريف المسيحية عن منهجها ورسالتها التي جاء بها المسيح؛ حيث قرر الكثير من الأمور والعقائد المخالفة لشريعة المسيح، فيعتبر القديس بولس هو المشرع الجديد للمسيحية، ولكبير أثره في تحويل مجرى المسيحية، وهدم تعاليم المسيح، سيكون الكلام عن القديس بولس، ودوره في تحريف المسيحية، وذلك على النحو الآتي:

التعريف بالقديس بولس.

القديس بولس من أبرز الشخصيات المسيحية، كان يهوديًا، ودخل النصرانية، وكان له دورٌ كبير في تحطيم الاتجاهات الصحيحة للمسيحية، بإدخاله فكرة التثليث، والقول بألوهية المسيح، مستمداً ذلك من الفلسفات الإغريقية والوثنية، وسنعرف به على النحو الآتي:

أم اسمه ونشأته:

بولس هو : شاول بن كيساي، يذكر أن اسمه الأصلي بالعبرانية كان قبل دخوله المسيحية شَاوُل أو ساول (saul)، ومعناه: (المطلوب) أو (المرغوب فيه)، واستمر هذا الاسم حتى بعد أن دخل المسيحية، جاء في سفر أعمال الرسل:" وأما شاول الذي هو بولس أيضاً، فامتلأ من الروح القدس، وشخص إليه"، أما بولس فكان اسمه الروماني، ومعناه قصير القامة. [1] . [2]

---

[1] انظر: المسيحية (النصرانية)، لمير ساجد (ص: ٤٠).

[2] المصدر: بحث بعنوان "النصرانية وعوامل انحرافها" للدكتور يحيى غشي، بحث منشور في مجلة المنهل(المجلد: ٩) (العدد: ١) العام (٢٠٢٣ م).

وقد اتفقت المصادر على أنه ولد بعد عصر المسيح، وقد تفاوتت التقديرات في تحديد سنة ولادته ما بين سنة (١٥-٦) بعد رفع المسيح.

بدأت عملية إدخال العناصر الهلينية بالرسول "بولس" الذي كان رجلًا يهوديا ارتد عن دينه، واعتنق الهلينية مذهبا فكريًا، ثم جاء من بعده آباء الكنيسة الذين كانوا أيضا أتباع الهلينية". [١]

واسمه شاؤول اليهودي أحد ألد أعداء المسيح عليه السلام، وأحد اليهود المتعصبين لليهودية، ولد وتربى في طرسوس التي كانت مركزاً من مراكز الفلسفة وتنوع الثقافات الوثنية في ذلك الوقت. وانتقل بولس إلى أورشليم، وتعلم الشريعة اليهودية، وكان من أشد الناس تعصباً لها، ثم لما بعث المسيح عليه السلام كان من أشد الناس على ديانته وعلى أتباعها، ثم إن هذا الرجل زعم أنه دخل في دين المسيح، وحين قدَّم نفسه للحواريين لم يقبله الحواريون أولاً لمعرفتهم بعداوته وبطشه بهم، ولكن (برنابا) توسط له عندهم فقبلوه، فنشط بعد قبولهم له، وصار رأسًا في النصرانية، يبني الكنائس، ويطوف البلاد شرقًا وغربًا يدعو، ويرسل الكتب والرسائل يبين فيها دينًا وأمراً غريبًا عن الحواريين وعن شريعة عيسى عليه السلام. ومن أهم مخالفاته لدعوة المسيح عليه السلام:

١-أضفى على المسيح صفة (ابن الله) وأعطاها ذلك المضمون الذي أخذت به النصرانية من اعتقادهم أن المسيح إله، ابن إله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

٢-ادّعى بولس أن المسيح عليه السلام رسول لجميع الأمم.

٣-ثم زعم لنفسه بأنه مرسل إلى جميع البشر.

٤- ألغى بولس شريعة موسى عليه السلام.

---

١ كتاب تاريخ الفكر الديني الجاهلى، لمحمد إبراهيم الفيومي، (ص: ٢٢٣).

وتلك الدعاوى وجدت رواجًا لدى الرومان واليونان، وخاصة في غرب أوربا حيث كان الغالبية وثنيين، فناسبتهم هذه المبادئ فأخذوا بها، ثم طبعها بطابع الشمول والإلزام مجمع نيقية سنة (٣٢٥) م، حيث قرروا فيه ألوهية المسيح عليه السلام، وأنه نزل ليصلب تكفيرًا لخطايا البشر كما تقدَّم، فأصبحت الديانة النصرانية مدينة في الواقع لبولس، وليس للمسيح منها إلا الاسم فقط.

ولقد نادى المسيح عليه السلام بأنه لم يرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة، بل نهى أتباعه عن الذهاب إلى قرى غير اليهودية، إلا أن أتباعه فيما بعد خالفوا ذلك، وتوجهوا إلى الوثنيين من الرومان واليونان والفرس وغيرهم في المناطق المجاورة، والأماكن التي أمكنهم الوصول إليها، ولما كانت الديانة المسيحية تفتقر للمقومات التي تكفل لها التأثير في تلك المجتمعات، حيث كانت دعوة لبني إسرائيل خاصة، وليس لها الصبغة العالمية التي يمكن أن تتغلب بها على تلك الأديان والفلسفات. لذا فقد غُلبت وأمكن للديانات الوثنية أن تصبغها بصبغتها، بل ألغتها تمامًا، واحتلت مكانها، وأخذت مسمَّاها، هذا أمر يتضح لكل ناظر في الديانة النصرانية المحرَّفة، وقد أكَّد علماء الأديان والتاريخ ذلك، وأن الديانة النصرانية قد اصطبغت بالصبغة الوثنية، وأنها أخذت عقيدتها وعبادتها من تلك الوثنيات فضمتها إليها ووضعت عليها اسمها.

ومن الأمثلة على أن النصارى قد ردَّدوا عقائد الوثنيين الذين كانوا قبلهم ما يلي:

١- أن التثليث موجود عند الهنادكة والبوذيين قبل النصارى، وفي هذا يقول (فابر) في كتابه (أصل الوثنية): "وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا، هكذا نجد عند البوذيين فإنهم يقولون: إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة...".

كما كان يوجد ذلك أيضًا لدى المصريين والفرس واليونان والرومان والأشوريين والفينيقيين والاسكندنافيين والتتر والمكسيكيين والكنديين.

وكذلك المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة وهم: (أتوم وشو وتفنوت) أو أوزيريس وأيزيس وهورس.

٢- إن الصلب-فداءً للبشر-عقيدة وثنية كانت موجودة لدى الهنادكة، وفي هذا يقول (هوك) في كتابه (رحلة هوك): "ويعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة".

وقال (دوان) في كتابه (خرافات التوراة والإنجيل) ما نصه: "ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم، تحرَّك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلَّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه".

وقالت (مسز جمسون) في كتابها (تاريخ سيدنا من الآثار): "كان الميليتيون يمثلون الإله إنسانًا مصلوبًا مقيد اليدين والرجلين بحبل خشبة وتحت رجليه صورة حمل، والسوريون يقولون: إن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألَّم من أجل الناس، ويدعونه المخلِّص، والفادي، والمصلوب).

٣-الاعتقاد بأن إلهاً تجسَّد ووُلد من عذراء هو كذلك من عقائد الوثنيين، ففي هذا يقول (دوان) في كتابه السابق: "والهنود يقولون: إن كرشنة هو ابن العذراء النقية الطاهرة ديفاكي، ويدعونها والدة الإله".

ويقول المصريون: إن هورس (حورس) المخلِّص وُلد من العذراء إيسيس (ايزيس)، وأنه المنبثق الثاني من عامون، ويقولون: الابن المولود. ويصورونه إما على يدي أمه أو على حضنها).

فهذه أمثلة واضحة على تأثر الديانة النصرانية بالأديان الوثنية قبلها، بل إن الأديان الوثنية تغلَّبت على ديانة المسيح عليه السلام وصبغتها بصبغتها، وقد صرَّح المؤرخ (هـ. فيشر) بذلك التشابه حيث قال: "غير أنه ليس ثمة شك أن اتخاذ المسيحية- فيما بعد- ديانة رسمية للبلاد-يعني الإمبراطورية الرومانية-ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة، سيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالًا إلى جو غريب تمام الغرابة، أو شعورًا بانقلاب باغت مفاجئ، بل بدا الولوج في المسيحية عملية رفيقة في كثير من التدرج الشعوري

العاطفي، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار، كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة، يضاف إلى ذلك أن القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس وأهل الأفلاطونية الحديثة سواء.

وفي نفس الموضوع يقول (شارل جنيبر) رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس: "إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة، وإذا كانت –أي: النصرانية– قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان (التأليف) الديني الوثني، فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية، قامت هي– أي: النصرانية– بترتيبها، وتركيبها، وأضفت عليها الإنسجام الذي تفتقر إليه، بحيث استطاعت أن تقف مفردها أمام أشتات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفاً أو نقصاً عليها في أي من المجالات الهامة.

وتمت ظاهرة التشرب هذه– وهي من الظواهر الأساسية في تاريخ المسيحية – في بطء بطيء معتمدة على الاتصال الدائب بتطور الإيمان بين جميع طبقات المجتمع الوثني، ذلك المجتمع الذي اختلفت فيه صور الإيمان باختلاف بيئاته، وباختلاف العهود التي مرَّ بها،... وإنها لظاهرة تفسر لنا كيف جاء العصر الذي استطاعت فيه المسيحية أن تكسب عطفاً نشيطاً بين رحاب العالم اليوناني الروماني".

فهذا يكفي للدلالة على تشرب الديانة النصرانية للأديان الوثنية التي توجَّهت إليها، وهذا في عرف الدين الحق انحلال وكفر بالدين الإلهي، الذي يجب أن يكون صحيح النسبة إلى الله تعالى، في أصوله وفروعه، نقيًّا في عقائده وتشريعاته من خرافات البشر، وإملاءات الشياطين.

ولكن كيف تشرَّبت الديانة النصرانية الأديان الوثنية ؟

إن الناظر في كبار الدعاة إلى النصرانية في العصور الأولى، والذين يُشار إليهم بأنهم من أعظم الناس أثراً وتأثيراً في الديانة النصرانية، هم فلاسفة متعمقون في الفلسفات الوثنية، وبعد تنصرهم نقلوا تلك الفلسفات معهم إلى الدين الجديد، وحاولوا أن يسدوا الثغرات التي يجدوها في الديانة النصرانية- وما أكثرها- بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها من قبل، ومن هؤلاء الذين كان لهم دور في ذلك:

بولس(شاؤول اليهودي) وسبق الحديث عنه.

(يوستينيوس) الذي وُلد سنة (١٠٠أو ١٠٥) م، فقد وُلد من أبوين وثنيين، وتربَّى على الديانة الوثنية وتعلَّم الفلسفة الرواقية، ثم درس فلسفة الأكاديميين والفيثاغوريين.

قال عنه القس حنا الخضري: "مما لاشك فيه أن الدراسات الفلسفية الكثيرة التي درسها يوستينوس قبل تجديده تركت في تعاليمه بعض الآثار الوثنية".

(تاتيان السوري) المولود عام (١١٠) م، من عائلة وثنية، درس الفلسفة في بلاد اليونان، ثم ذهب إلى روما ودرس دياناتهم وفلسفاتهم، ثم تتلمذ على يوستينوس.

(أثينا غورس الأثيني): كان معاصرًا (لتاتيان السوري) كان يحب الفلسفة، وكتاباته مليئة بالاقتباسات الشعرية والفلسفية.

(ثيوفيلوس الأنطاكي): ولد من أبوين وثنيين، وكانت ثقافته يونانية وثنية، وهو أول من استعمل كلمة الثالوث في تاريخ العقيدة النصرانية.

(إكلميندوس الإسكندري) ولد على ما يحتمل سنة (١٥٠) م، في أثينا من أبوين وثنيين، وكان محبًّا للعلم شغوفاً به مولعًا بالبحث عنه أينما وجد، ورحل في ذلك رحلات عديدة، إلى أن حطت به الرحال في

الإسكندرية ملتقى الثقافات المتنوعة، وصار بعد أن دخل النصرانية مديرًا لمدرسة التعليم المسيحي في الإسكندرية والتي أسسها باثنيوس الذي كان قبل دخوله النصرانية وثنيًّا رواقيا.

وكان إكلميندوس الإسكندري متأثراً جدًّا بـ يوستنيوس وفلسفته، فأدخل هذه الأمور في تعاليمه عن المسيح، وفي هذا يقول القس حنا الخضري: "مما لا شك فيه أن العلوم والفلسفات الوثنية الكثيرة التي درسها والبيئة التي نشأ فيها إكلميندس، تركت فيه أثرًا عميقًا لم يكن من السهل محوه محواً تامًّا".

(أغسطينوس) ولد سنة (٣٥٤) م، في مدينة سقسطة في الجزائر، وتوفي سنة (٤٣٠) م، الذي تميَّزت سنوات شبابه بالصراع العقلي والأدبي، فقد جذبته الفلسفة الثنائية لجماعة المانويين، وصار تابعًا أمينًا للعقيدة المانوية وفلسفتها، ثم ضاق بالمانوية وصار اهتمامه بالأفلاطونية الحديثة، والتي من خلالها صار يعتبر نفسه مسيحيًّا، ثم خلع عنه فيما بعد حياة المجون والفساد، واستقبل الحياة النصرانية، وبرز فيها إلى أن صار أسقفًّا لهيبو في منطقة تونس، إلى أن توفي سنة (٤٣٠) م، وصار من أعظم قادة الكنيسة بعد بولس، إلا أن أفكار الأفلاطونية الحديثة أثَّرت على تعاليمه، يقول جون لوريمر: "كانت معالجة أغسطينوس للأوجه الرسمية الخاصة بالفكر اللاهوتي متأثرة بخلفيته عن الأفلاطونية الحديثة".

ولا نريد أن نطيل في عرض هذا الموضوع، إنما المراد الإشارة إلى أن العقائد الأجنبية التي اصطبغت بها النصرانية دخلتها عن طريق هؤلاء وأمثالهم الذين كانوا رواداً للديانة في بداية انطلاقها إلى البلدان الوثنية، فقد عبرت إلى الوثنيين عن طريق هؤلاء المتشبعين بالفلسفات والوثنيات، حيث صبغوها بفهومهم ومعارفهم وعقائدهم

السابقة، وقدَّموها للناس – شارحين ومدافعين – ديانة مخلوطة بالفلسفة الوثنية في ثوب ديانة توحيدية سماوية. [١]

المطلب الثاني: المشرب الغنوصي[٢]، أو الغنوسطي [٣]، أو العرفاني.

أولًا: التعريف بمصطلح الغنوصية.

تعريف الغنوصية: الغنوصية كلمة مأخوذة من (ganoss) وهي كلمة يونانية الأصل تعني المعرفة، أو العلم بلا واسطة، [٤] ولكنها تطورت حتى صارت تعني التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا أو تذوق المعارف تذوقًا مباشرًا بطريقة الكشف. [٥]

ويطلق هذا المصطلح –أيضا– على النزعة الفلسفية الدينية التي تهدف إلى إدراك كنه الأسرار الربّانية طريق النوع السامي من المعرفة. [٦]

---

١ المصدر: موسوعة الأديان بموقع الدرر السنية، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها / الفصل العاشر: تحريفات النصارى ومزاعمهم / المبحث الأول: العوامل التي أدت إلى تحريف رسالة المسيح عليه السلام / المطلب الثالث: بولس (شاؤول اليهودي) / لفرع السابع: تدخل الإمبراطور قسطنطين.

[٢] معجم الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها للدكتور ف. عبد الرحيم (ص: ١٤٨)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب تأليف: مجدي وهبة وكامل المهندس (ص: ٢٦٧).

[٣] المورد الحديث لمنير البعلبكي (ص: ٤٩٨).

[٤] المعجم الفلسفي: مراد وهبة، (ص: ١٥٢) .

[٥] الفلسفة الصوفية في الإسلام: د. عبد القادر محمود – (ص: ٤) وما بعدها .

[٦] التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: عبدالرحمن بدوي، (ص: ٨ بالهامش).

وانتشر مصطلح العرفانية، أو الغنوصية في القرنين الثاني والثالث للميلاد، وكان يعني البصيرة الداخلية التي تجعل أصحابها في تواصل مباشر مع الأسرار الإلهية، أما البقية فهم المحجوبون الذين أوقفوا أنفسهم عند حدود الظاهر، ولم ينفذوا إلى الباطن،[1] وامتد هذا الفكر عن طريق الأفلاطونية الحديثة إلى فلاسفة الإسلام.

وخلاصته: أن العقل البشري قادر على معرفة الحقائق الإلهية، وأن الحقيقة واحدة وإن اختلف تعليمها، كما أن لها علاقة بالمعرفة الخاصة بأصل النفس البشرية وبكيفية عودة النفس إلى عالم النور. [2]

فالفكر الغنوصي إذن: مذهب تلفيقي، يجمع بين الفلسفة والدين، ويقوم على فكرة الفيض، ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض، وكان له أثره في التفكير الفلسفي [3] ، ويعتمد على مجموعة من الأسرار والسرية في طقوسه، والاستغناء عن الوحي الإلهي الذي أرسل الله تعالى به الرسل.

ثانيًا: نشأة الغنوصية.

هناك خلاف بين الباحثين حول تحديد نشأة الفكر الغنوصي، ويمكن إجمال هذا الخلاف إلى فريقين:

---

[1] الوجه الآخر للمسيح : فراس السواح، (ص: ١٤٢) .

[2] المعجم الفلسفي: جمال صليبا (١/ ٤٦٦)، وما بعدها .

[3] مجمع اللغة العربية: (ص: ١٣٣).

الفريق الأول: اعتبر أغلب الباحثين أن العصر الهلنستي [1] هو بداية ظهور الفكر الغنوصي[2] نظرًا لطبيعة هذا العصر، واختلاط المفاهيم فيه، وتغليب نزعة الشك، وظهور فرق فلسفية، وتوجهات فكرية وعقلية كثيرة؛ أظهرها فرقة الشُكَّاك. [3]

وهؤلاء الشكاك أبطلوا قيمة العقل وبراهينه، واعتمدوا على الحدس الإشراقي في تلقي العلوم، وإثبات البراهين، وأنتجوا نتاجًا فلسفيًا خليطًا من الفلسفة اليونانية، والمصرية، والفيثاغورثية، والرواقية، وكذلك خليطا من الديانات الثَّنَويّة. [4]

[1] العصر الهلنستي: "قيل هو العصر الذي بدأ بفتح الإسكندر الأكبر للشرق وانتهى بعصر الامبراطور أغسطس، والراجح أنه العصر الذي يبدأ بوفاة الاسكندر المقدوني وينتهي بسقوط دولة البطالمة في مصر على يد الرومان ٣٢٣-٣٠ ق.م)، ويسمى أيضا بالعصر المختلط بين العصر الروماني والعصر اليوناني ويقع بين القرن الرابع قبل الميلاد ومنتصف السابع الميلادي وسادت فيه حركات وفلسفات مؤلفة من مذاهب رواقية،وأبيقورية ممزوجة بأساطير وديانات وثنية وبوذية وزرادشتية وأعمال من السحر والشعوذة، ويعتبر العصر الهانستي مغاير عن العصر الهليني ذلك لأن الأخير هو عصر النهضة في الحضارة اليونانية، وازدهارها، وتطورها بعكس الأول، فهو عصر الاضمحلال، والضعف في الحضارة اليونانية". الفلسفة في الإسلام: عرفان عبد الحميد، دار التربية، بغداد، بلا تاريخ (ص: ٨٠)..

[2] كشف الحقيقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد: خزعل الماجدي، (ص: ٢٣٦).

[3] الشك: أصل الشك التردد بين نقيضين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، وهو منهج يعتمدون عليه في تقرير البراهين من حيث النفي، والإثبات، ومن الشك ما يكون عقديًا، ومنه أيضًا، ما يكون مرضًا يوصل صاحبه إلى التردد، وعدم الحكم على الأشياء". المعجم الشامل: عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي: القاهرة، ط٣: عام ٢٠٠٠م، (ص: ٤٤٤ بتصرف).

[4] الديانة المصرية: من أقدم الديانات التي عرفها الإنسان، وأشهر مباحثها نظرية الكلمة: والتي عنها صدرت جميع الكائنات، والمخلوقات متحكمة فيها الأقانيم الثلاثة (أوزيوس، وإيزيس، ومورس)، وأن الحياة تعود بعد الموت". ينظر: الحضارة المصرية: غوستاف ليبون، ترجمة: صادق رستم: المطبعة المصرية القاهرة، (٢/ ٤٩).

الفريق الثاني [١]: يرى أن بداية الفكر الغنوصي كانت في مدينة الإسكندرية في مطلع القرن الأول الميلادي، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك، وأكد على أن الفكر الغنوصي كان موجودًا في فترات أقدم بكثير لإسهاماته في حضارات كثيرة حول العالم كالهندية، والبابلية، والمصرية، والفارسية. [٢]

وإن كان الخلاف بين الباحثين على منشأ الفكر الغنوصي الأول واضحًا ولا يزال قائماً، فهناك شبه اتفاق بين الباحثين على أن نضوج الفكر الغنوصي وتحوله إلى فلسفة تحتوي على أطروحات عقلية، وكونه عاش عصره الذهبي كان على يد فلاسفة الإسكندرية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وأن الفيثاغورثين أول من بشروا بالديانة الغنوصية؛ لاعتمادهم على تناسخ الأرواح، وثنائية المادة، وحمّلوا المادة كل أنواع الشر، وجعلوا من الروح كل أنواع الخير، وحيث إن الفيثاغورثيين كانوا رياضيين أدخلوا على الفكر الغنوصي لغة الأرقام والرموز، وفرضوا على أنفسهم ملابس خاصة بهم، ورياضات روحية قاسية، وهذه الأفكار من أصول الديانة الغنوصية، وبلغت ذروة انتشارها على يد أفلوطين وتلاميذه، وظل الغنوصيون متسمون بطابع التكتم وإخفاء الأسرار، وفاقم من هذا اضطهادهم اللاحق من حكومات الدول المعادين لها. [٣]

لكن فريقاً من دعاة الفكر الغنوصي يرون أن بدايته كانت وحياً أنزله الله، وتناقله المريدون سراً، وكان مفاد هذا الوحي: أن في قمة الكون يوجد الله المفارق الذي يتعالى عن الإدراك الحسي، والعقلي، وتصدر عنه

---

[١] يتزعمه الدكتور يوسف توما مرقس، ولد في يونيو، عام ١٩٤٩م، بالموصل في العراق، وهو كاهن كاثوليكي كلداني عراقي، ورئيس أساقفة الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية في كركوك – السليمانية منذ ٢٤ يناير ٢٠١٤م، وصحفي وناشط في مجال حقوق الإنسان. نقلا عن موقعه على الانترنت.

[٢] ينظر: التيارات العرفانية في القرون المسيحية الأولى: د يوسف توما مرقس، منشورات مجلة الفكر الميسر، شركة الأطلس الطباعة المحدودة بغداد، العراق ٢٠١٠م (ص: ٤٧، ٤٨) بتصرف.

[٣] ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جعفر بارندر (ص: ٥٢).

الأرواح زوجاً زوجاً، ذكراً، وأنثى، وتقل ألوهيتها – الأرواح –كلما ابتعدت عن المصدر الأول، وحينما أراد أحد هذه الأرواح الارتفاع إلى مقام الله تم طرده، وعنه صدرت الأرواح الشريرة في العالم المحسوس. [1]

وسواء اتفق الباحثون أو اختلفوا حول المنشأ الأول للفكر الغنوصي، فإن مجمل القول فيه أنه مذهب فكري، ونزعة بشرية، ومعتقدات ملفقة من فلسفات وضعية تسللت إلى كل الأديان –السماوي منها والوضعي–فأفسدها، وأسقط قدسية الوحي والنبوة.

ومن حيث الدين الإسلامي–خاصة –فلا يوجد فيه من قرآن، أو سنة، أو إجماع ما يمت إلى العرفان الغنوصي بشيء، وأن محاولة تسَخّير نصوص الإسلام بما يتوافق مع هذا الفكر –كالاستغناء عن الوحي، واعتماد الجهد البشري، والصفاء الروحي – في التوصل إلى المعرفة الإلهية، أو التأويل الباطني والرمزي لنصوص الشريعة – مثلًا–فهو بمثابة إضرار بالشريعة وإدخال عليها ما ليس فيها. [2]

ويزعم بعض العلماء أن الغنوصية لها جذور بوذية، بسبب التشابه في المعتقدات، كما زعم البعض أنها مستوحاة من الزرادشتية.

يعتقد الغنوصيون بأن النور الألهي يفيض تنازليًا عبر سلسلة من المراحل والتدرجات والعوالم والأقانيم ليصبح تدريجيًا أكثر مادية وتجسُّدًا. وبمرور الوقت سيعود أدراجه إلى الواحد، متتبعًا خطواته من خلال المعرفة الروحية والتأمل.

يمكن تمييز ثلاث فترات في تطور الغنوصية:

نهاية القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني الميلادي: تطور الأفكار الغنوصية تزامُنًا مع كتابة العهد الجديد.

- منتصف القرن الثاني الميلادي إلى أوائل القرن الثالث الميلادي: ذروة عصر المعلمين الغنوصيين القدامى ومذاهبهم، "الذين زعموا أن مذاهبهم تمثل الحقيقة الداخلية التي كشف عنها يسوع".

---

[1] ينظر : الفكر الديني في عصر الآباء (المسيحية الأفلاطونية)، حسن حنفي، معهد الدراسات الدينية والفلسفية، المعارف الحكمية، لبنان، بيروت، (ص: ١).

[2] المصدر: بحث بعنوان: أثر الغنوص على نفاة القدر وجهود العلماء والحكام في التصدي لهم في القرنين الأول والثاني الهجريين للدكتور سلمان بن محمد بن عبد الله العجلان، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد الواحد والأربعون، (ص: ٧٩-٨٣)

- نهاية القرن الثاني الميلادي إلى القرن الرابع الميلادي: رد فعل الكنيسة الأرثوذكسية المبكرة وإدانتها للغنوصية باعتبارها هرطقة، ثم انحدار الغنوصية.

كان للغنوصية النسطورية أثر كبير في ظهور الانحرافات العقائدية في الأمة الإسلامية، فالمذاهب الغنوصية الشرقية قابلها الإسلام في جميع البلاد التي دخلها بلا استثناء. فقابلها في بلاد فارس في شكل الديانات الوثنية والمجوسية، وقابلها في مصر في شكل الأفلاطونية المحدثة.

وكانت الغنوصية الغنوصية كانوا أربع فرق مشهورة، ثلاثة منها ظهرت قبل المسيحية وواحدة بعدها، وهي (المندائية، الحرانية، الإيزيدية، المانوية) . [١]

•

من أخطر المذاهب الهدامة التي جالدت الإسلام وحاربته بالسيف والقلم، وهاجمته بقوة وعنف.

على أن هذه الدعوة ما زالت آثارها حتى الآن تتمثل في غلاة الشيعة والإسماعيلية والبهائية. [٢]

والمذهب الغنوصي بعد ما أصابه من التغيير والتحوير على أيدي مفكري الديانات السابقة على الإسلام، وبعد امتزاجه بالنظريات اليونانية كان من المصادر الهامة التي أخذ عنها بعض الفلاسفة المنتسبين للمسلمين. [٣]

أضف إلى ذلك أن النزعة التوفيقية التي نقلوها عن الأفلاطونية المحدثة، قد قيدت عقلية إبداعاتهم وأثقلت حرية تفكيرهم أكثر مما ينبغي.

ثم اشتد خطرهم الأكبر حينما اعتمد العباسيون عليهم في ترجمتهم لكتب اليونان وخاصة كتب الفلسفة من الملل والنحل الوضعية كاليونانية والهندية والمجوسية التي أفسدت عقائد المسلمين وسرَّبت إليهم الأفكار الغنوصية

---

[١] ينظر: كشف الحقيقة المفقودة: خزعل الماجدي (ص: ٣٣٧).

[٢] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام": (١/ ٦٢-٦٣). مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: د عثمان جمعة ضميرية، (ص: ٦٦).

[٣] في التصوف الإسلامي وتاريخه لنكلسون ترجمة عربية (ص: ١٤) وما بعد. التصوف – المنشأ والمصادر (ص: ١٣٠).

المنحرفة التي تأثرت بها الفرق ممن قدموا العقل على النقل وقالوا بنفي القدر وغير ذلك من العقائد الفاسدة التي لا تمت إلى معين الشريعة الإسلامية الصافي بشيء.

ويؤكد الدكتور علي سامي النشار أن بداية ونشأت الغنوصية كانت في الأوساط الوثنية الفارسية (السورية-العراقية-المصرية-الزرادشتية)، واستخدامها للمعتقدات الدينية، والأساطير الخاصة لشعوب الشرق الأدنى، إلا أن نسق الخطاب الغنوصي الواحد هو الذي يجمع بين مختلف الغنوصيات داخل هذا الاتجاه حيث تتشكل النواة الرئيسية له، وتتمحور حول مجموعة من المعتقدات أهمها: الثنوية، والارتقاء، والخلاص المرتبط بإله معين معروف عند الغنوصية المجوسية، ويرى أيضًا أن نشأت الأديان الفارسية في بدايتها نشأة غير غنوصية ثم انتهت إلى غنوصية عنيفة، ولقد جمعها المسلمون تحت مسمى واحد وهو (الديانة المجوسية)، ثم فرقوا بينها تفريقاً دقيقاً فكانوا يذكرون: أصحاب (الاثنين)، و (المانوية)". [١]

لقد كان أشهر وأعم ما اتسمت به الغنوصية الفارسية أو المجوسية هو الاتفاق فيما بينهم على القول بالثنوية.

وتفسير فكرة الثنوية في الأديان الفارسية يتلخص في قولهم بوجود إلهين اثنين: إله للخير، وإله للشر، ويرمز لَهما بالنور والظلام، [٢] وهو مذهب فلسفي قديم، ثم صار عنوانًا بارزًا في الديانات الغنوصية المجوسية الفارسية. [٣]

---

[١] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٣/ ١٨٩).

[٢] ملخص هذا المذهب أن العالم مركب من أصلين أزليين هما: إله النور والخير، وإله الظلمة والشر، وهما يختلفان في الجوهر والطبع والصفات والفعل، وعلى أساس هذا التضاد القائم بينهما يفسر المجوس جميع الأحداث التي تجري في هذا الكون. شمس العلوم: نشوان الحميري (٢/ ٨٩١)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٥٤١)، المعجم الوسيط (١/ ١٠٢)، الغنوصية، نشأتها وصلتها بالفلسفة اليونانية: د. محمد أحمد ملكاوي (ص: ٥٥٢).

[٣] تختلف المجوسية القديمة عن الغنوصية الثنوية (المجوسية المتأخرة)، فالقدامى بدأوا من فكرة الخير والشر كمبحث خلقي ثم انتقلوا الي تفسير الكون كله، وأظهروا التثنية في كل شيء كالذكر، والأنثى، والصحة، والمرض، والمادة، والصورة، وساقهم هذا إلى تفسير الكون، ورده إلى عناصر كل واحد من هؤلاء). الملل، والنحل: الشهرستاني (٢/ ١٦١)، الأديان في القران الكريم : محمود الشريف (ص: ٨٦).

أوضح ذلك الشهرستاني في معرض الحديث عنهم لما ذكر أن التثنية اختصت بالمجوس وصارت عنواناً على ديانتهم وإن تفرقت، "فأثبتوا أصليز اثنين، مدبرين قديمين؛ يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور والآخر الظلمة، وبالفارسية: يزدان، وأهر من ...". [1]

ومسائل مذهب المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، أي أنهم جعلوا الامتزاج مبدأً، والخلاص معادًا. [2]

ثالثًا: تأثيرهم على بعض الفرق المنتسبة للإسلام

يظهر هذا الفكر بشكل متكرر في نصوص الشيعة الإسماعيلية، الذين وصفهم الغزالي بأنهم جماعة يدّعون التشيّع ظاهريًا، ولكنهم من أتباع ديانة ثنائية وفلسفية. هناك آثار أخرى للأفكار الغنوصية في الصوفية مثل المفهوم الغنوصي حول تقيُّد البشر داخل المادة، حيث تعترف النصوص الصوفية بأن الروح البشرية خاضعة للرغبات الجسدية، بطريقة تشبه الفكرة الغنوصية حول إحاطة الأجسام الأرخنية بالروح لذلك يجب على الروح أن تتغلب على دناءة النفس وارتباطها بالمادة للتغلب على طبيعتها الحيوانية. حيث إن الإنسان الذي تسيطر عليه رغباته الحيوانية، يدّعي خطئًا استقلاله الذاتي عن "الإله الأعلى"، وبالتالي يشبه الإله الأدنى في النصوص الغنوصية القديمة. ومع ذلك، بما أنه ليس الهدف التخلي عن العالم المخلوق، بل مجرد تحرير النفس من الرغبات الدنيّة.

ويبدو أن الأفكار الغنوصية كانت جزءًا مؤثرًا من الفكر الفلسفي لدى بعض الفرق المنتسبة للإسلام، لكنها فقدت تأثيرها فيما بعد. ومع ذلك، فقد ظلّت بعض الاستعارات الخفيفة وفكرة وحدة الوجود سائدة في الفكر الإسلامي اللاحق، مثل فكر ابن سينا". [3]

---

[1] الملل والنحل: للشهر ستاني (٢/ ٤٩).

[2] مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٣/ ٩٧).

[3] المصدر: مقال في موقع الوكيبيديا بعنوان: "غنوصية".

المطلب الثالث: الآريوسيين.

وتنسب الأريوسية إلى "أريوس" أحد كهنة الإسكندرية الذى عين قسا فيها سنة "٣١١ م"، عاش آريوس في الفترة بين (٢٥٦ - ٣٣٦ م)، وكان فى الأصل مواطنًا ليبيا وكانت ليبيا تابعة لكنيسة الإسكندرية.

الأريوسية هي التي كانت سائدة في مصر أيام الفتح الإسلامي، والأريوسية هي التي كانت سائدة في الشام حينما امتد إليها الإسلام، وهي التي كانت سائدة في إسبانيا وتقبّل الإسبان المسلمين ليخلصوهم من إضطهاد المؤسسة الفاتيكانية. [١]

والذي يهمنا هنا من أمره ما يتعلق بعقيدته في عيسى عليه السلام، فقد ذكر لنا ابن القيم عقيدة فقال: "قال آريوس: أقول: إن الأب كان إذا لم يكن الابن، ثم إنه أحدث الابن، وكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى كلمة، فكان هو خالق السماوات والأرض وما بينهما،كما قال في إنجيله إذ يقول: وهب لي سلطانا على السماء والأرض، وكان هو الخالق لهما بما أعطي من ذلك، ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء، ومن روح القدس فطر ذلك مسيحا واحدا، فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد إلا أنهما جميعا مخلوقان". [٢]

قال ابن حزم-رحمه الله-: "والنصارى فرق منهم أصحاب أريوس وكان قسيسا بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض". [٣]

من تأثر بهذا القول:

---

[١] بحث بعنوان أريوس والأريوسية، للباحثة زينب عبد العزيز، منشور على موقع صيد الفوائد.

[٢] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص: ٥٥٣).

[٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٤٧).

ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية) :

تعد الحقيقة المحمدية عند المتصوفة هي العماد الذي قام عليه الكون، وهي أول ما خلق الله– عز وجل–، ومن مسمياتها، العقل الأكبر [1] فهو: أول نور أظهره الله للوجود، ويقال له: الروح الأعظم، ويسمى أيضا القبضة المحمدية [2] .[3]

ويعبر عنها ابن عجيبة في داليته بقوله:

وصل إله العرش في كل لمحة ... على عنصر الوجود سر محمد

تقدم كل الكون نور بهائه ... فكان إلى الرحمن أول عابد

قد انشقت الأسرار من سر سره ... فأبدى لنا سر الإله الممجد

ومن نوره الأسنى قد انفلقت لنا ... معاني صفات الذات من نور أحمد

تلاشت فهوم الخلق في بحر سره ... فلا سابق يدري حقيقة أحمد

ولا لاحق كل تضاءل فهمه ... وكيف ينال الشمس من هو عن بعد [4]

---

[1] العقل الأكبر: سماه الجرجاني بالعقل الأول، الذي هو أول عين ظهرت بنور الله – عز وجل –، وقال: العقل الأول هو سبب وجود المخلوقات كلها، وقصد به النبي–صلى الله عليه وسلم–، ويتضح أنه ليس هناك فرق بين ما سماه ابن عجيبة بالعقل الأكبر، والله أعلم، ينظر: التعريفات، للجرجاني، (ص: ٣٨).

[2] ينظر: التصوف الإسلامي في الدين والخلق (١/ ٢٣٠).

[3] معراج التشوف إلى حقائق التصوف، (ص: ٥٤).

[4] الفهرسة، (ص: ١٠٧).

وكان متأثرًا بعبد السلام بن مشيش الذي اعتقد بأن محمدًا أصل الوجود في تصليته فلقد فسر (انشقاق الأسرار وانفلاق الأنوار الواردين) في التصلية بقوله: "ويحتمل أنه يريد (أي ابن مشيش) بقوله: منه انشقت الأسرار، أي أسرار الجبروت، ومنه انفلقت الأنوار، أي أنوار الملكوت، أو تقول: منه انشقت الأسرار، أي أسرار الحقيقة، وانفلقت الأنوار أي أنوار الإيمان والإسلام، أو تقول: منه انشقت الأسرار: أسرار عالم الغيب، وانفلقت الأنوار أنوار عالم الشهادة، أو تقول: منه انشقت الأسرار: أسرار القدرة، وانفلقت الأنوار: أنوار الحكمة". [١]

ويقصد ابن عجيبة بأسرار الجبروت: البحر المحيط الذي تدفق عنه الحس والمعنى، والحاصل أن القبضة التي ظهرت أولًا من فضاء العماء [٢] حسها الظاهر ملك، ومعناها الباطن ملكوت، والبحر واللطيف المحيط الذي تدفقت منه جبروت، فأسرار المعاني رياض العارفين؛ لأنها محل نزهة أرواحهم، ولا شك أن المعاني لطيفة، لا تظهر بهجتها إلا في الحس الذي هو الملك، والحس من حيث هو مضاف إلى نبينا–صلى الله عليه وسلم–؛ لأنه ما ظهر إلا له، وما انشقت أسرار الذات إلا من نوره". [٣]

وإنك لتجد أن بعض الشعراء ممن تأثر بالصوفية يرون أن النور المحمدي أصل الخلق لكل شيء، وهذا ما عبر عنه حمدون الحاج، [٤] المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ، الذي قال:

---

[١] شرح صلاة القطب بن مشيش، (ص: ١٦ – ١٧).

[٢] فضاء العماء: أي ليس معه شيء. ينظر: غريب الحديث (٢/ ٢٨).

[٣] معراج التشوف، (ص: ٦٢).

[٤] هو: أبو الفيض، حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن الشهير بابن الحاج، السلمي أصلا وحسبا، والمرداسي نسبا، الفاسي دارًا ومنشأ، ولد سنة ١١٧٤ هـ بفاس، ومن شيوخه: أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني، أبو محمد عبد الكريم بن علي اليازغي الفاسي، أبو عبد الله محمد التاودي ابن سودة، له مؤلفات منها: مراقي الصعود على تفسير أبي السعود، وعقود الفاتحة وهي منظومة ميمية في السيرة النبوية على نهج البردة تضمنت أربعة آلاف بيت، وكانت وفاته ١٢٣٢

زين البرية بذرة الخليقة ... زهرة الحقيقة أزكاها وأذكاها

أصل الوجود وبهجة الصدور ... إنسان العيون ومبناها ومعناها

نور السماوات ونور الأرض كوكبها ... مصباح مشكاتها سراج مجلاها

لولاه لم تبد أزهار السماء وما ... جرى بها ابن غزالة ليرعاها

لولاه ما نسجت أرض قطائف من ... نور ولم تر ماءها ومرعاها

لولاه لا عرش لا كرسي لا قلم ... لا لوح لا فرش لا جبال أرساها". [1]. [2]

فما يسمى بالحقيقة المحمدية هي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تمامًا لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم:"اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ... ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات". [3]

هـ. ينظر: إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع عشر (١/ ١٢٠)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (٣/ ٥-٧).

[1] النوافح الغالية في الأمداح السليمانية، (ص: ٨٧).

[2] المصدر: آراء ابن عجيبة العقدية عرضًا ونقدًا، (ص: ٥٠٩-٥١١).

[3] الأنوار المحمدية (ص: ٩).

ويقول آخر: "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجبا وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت". [1]

وفي هذا يقول شاعرهم:

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى ... فردا لفرد، والبرية في عدم

ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامي، فيا عظم الكرم

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم ... في هذه الدنيا، وفي اليوم الأهم

وإذا دعتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم. [2]

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء.

الدعوى الأولى: دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق من نور رب العالمين.

الدعوى الثانية: أنه وجد قبل خلق آدم.

الدعوى الثالثة: أن الأشياء خلقت منه.

---

[1] هذه هي الصوفية (ص ٨٧).

[2] الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص ٨٧).

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها، وقد قال بها جميعًا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى، ويروون في ذلك أحاديث، وكلها كذب، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال إني كلى بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد كفر" وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث. [1]

ومنهم من يروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأراضين ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربع أجزاء فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله". [2]

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي: "ليس له إسناد يعتمد عليه". [3]

---

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٠٠- ٢٠١) بتصرف .

[2] الأنوار المحمدية (ص: ١٣).

[3] الحاوي للفتاوى (١/ ٣٢٥).

ولا يخفي على من له أدني معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه. وكذلك مما يروونه "كنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين."

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ موجودا وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه "أنه كان نورًا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور". [١]

ومن العجيب أن كثيرا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم.

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

المبحث الخامس: المشرب الفارسي.

المطلب الأول: الإمبراطورية الفارسية.

هي آخر إمبراطورية ساسية سكيثية قبل وصول الإسلام، سميت على اسم قبيلة الساس السكيثية،

[١] الرد على البكري (ص: ٨-٩).

وتقع الإمبراطورية الفارسية شرق شبه الجزيرة العربية. وتأسست الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م. بواسطة كورش.

وتعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تُعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسروية، من الدول الكبرى التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي.

كانت الإمبراطورية الساسانية تحكم بلاد إيران في القرن السابع الميلادي، ويكون الفرس مادة الإمبراطورية، ولكنها أخضعت الترك في بلاد ما وراء النهر، والعرب في العراق، لم تكن قط في أي عصر من عصور تاريخها قبل الإسلام دولة ثابتة الحدود، إنما كانت حدودها تتسع أحيانًا في عصور الملوك الأقوياء، وتنقبض في عصور الضعفاء، وهم الأكثرون، وكانت حدودها الغربية غير مستقرة حسب قوتها، فأحياناً تغلب على أطراف بلاد الشام كما حدث سنة ٦١٤م عندما اجتاحت بلاد الشام واستولت على بيت المقدس، ولم يستسلم هرقل امبراطور الروم بل أعاد تنظيم بلاده، وإعداد جيوشه وهزم الفرس في آسيا الصغرى سنة ٦٢٢م، ثم استعاد منهم سوريا سنة ٦٢٥م، ثم هزمهم هزيمة سنة ٦٢٧م قرب أطلال نينوى، مما أدى إلى ثورة العاصمة ضد كسرى الثاني، وعقد خليفته شيرويه الصلح مع هرقل، على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك، إذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية، حتى تعاقب على عرش فارس في التسع السنوات التالية أربعة عشر حاكمًا، مما مزّق أوصال دولة الفرس، وجعلها مسرحًا للفتن الداخلية، حتى أجهز عليها المسلمون في حركة الدخول.

ولم يعرف الفرس الديانات الإبراهيمية التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود جدًا، وفضل الملك شابور الأول (٢٤١-٢٧٢ م) الديانة المانوية وحَمى المانويين وأرسلَ الكثيرَ منهم مبشّرين في الخارج، الملك بهرام الأول

(٢٧٣-٢٧٦ م) اضطهد ماني وأتباعه تحت ضغط من الزرادشتيين المجوس؛ فقام الملك بهرام الأول بسجن ماني وطَلَب قَتله، حيث مات ماني في السجنِ وهو يَنتظرُ إعدامَه.

أما الملك بهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣ م) فقد اتبع سياسةَ أبيه الدينيةِ

وفي عهد شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩ م) اكتملت مجموعة النصوص المقدسة للزادشتية المسماة أفيستا وفي ضوئها تمت معاقبة المبتدع والمرتد عن الدين الزاردشتي.

وكان أكثر الفرس من معتنقي الزرادشتية، فمنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزرادشتية دينًا للدولة، وحاول كسرى الثاني تجديد الزرادشتية وإحياء معابد النيران ونشر تفسير جديد لكتابها الآفستا، وكانت عقوبة من يخرج عليها الإعدام، وتقوم العقيدة الزرادشتية على الثنوية، أي وجود إلهين في الكون هما إله النور (أهورامزدا)، وإله الظلام (أهريمان) وهما يتنازعان السيطرة على الكون، ويقف البشر الأخيار مع إله الخير، والأشرار مع إله الظلام، وتقدس الزرادشتية النار، وقد أقيمت معابد النيران في أرجاء الدولة، ويعرف رجال الدين الزرادشتيون بالموابذة وكل منهم يرأس مجموعة يسمون الهرابذة وهم الذين يخدمون نار المعبد في كل قرية.

المطلب الثاني: المدرسة الفلسفية الفارسية والفكر اليوناني ومدرسة جند سيابور

اختلفت الأراء في مدى التأثير على هاتين المدرستين على الأخرى، وذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

يقال إن الفكر الفارسي قد نقل إلى اليونان على عهد الإسكندر الأكبر حين ظفر بدارا ملكهم.

يقول الشهرزورى: "ويقال إن المنطق والحكمة التي ألفها وهذبها أرسطاطاليس أصل ذلك مأخوذ من خزائن الفرس حين ظفر الإسكندر بدارا وبلادهم، وإنه ما قدر أرسطو على ذلك إلا بمدد من كتبهم ومعاونتها، ولا

شك ولا خفاء عند من أدرك طرفا من الأمور الشريفة والحكمة الصحيحة في مقدار حكمة فارس وشرفها".
[١]

ولكن هذا الرأي ليس له سند حقيقي من التاريخ والفكر

وهناك رأي آخر يذهب إلى أن أفلوطين (ت: ٢٧٠ م)، نفسه قد صحب جيش الروم إلى فارس تتأثر بالفكر الفارسى هناك ولكن مؤرخ حياته فورفوريوس". [٢] لا يؤيد هذه الواقعة إذ هو يذكر فقط أن أفلوطين التحق بجيش جورديان المتجه إلى فارس ولكن هذا الجيش هزم في العراق ولم يلبث أفلوطين أن هرب واحتمى في أنطاكية.

ورأي ثالث وهو هجرة فلاسفة أثينا بعد إغلاق جستنيان المدارس الفلسفة فيها، وترحيب ملك الفرس بهم وإسكانهم شمال فارس في منطقة جنديسابور القديمة، فأثر هؤلاء اليونان في الفكر الفارسي وتأثروا به، ونقل عنهم السريان الذين كانوا على مقربة منهم في الرها وحران، وبذلك ذاعت الأفكار الفارسية في هذا الوسط الذي كان يموج بكل ما عرف عن الشرق من تراث دينى وفلسفي.

ويذكر أن كسرى الأول، المعروف باسم كسرى أنوشروان، وهو الابن الثالث لقباذ الأول وكان الإمبراطور الساساني الثاني والعشرين الذي بدأ حكمه في تيسفون.

نظرًا لما تنقله المصادر التاريخية الفارسية وغيرها عنه بأنه كان محبا للعلم، وبسبب هذا الأمر، قدم في عهده علماء من أراض أخرى إلى فارس، ومن الأمثلة على ذلك وصول فلاسفة وأطباء أجانب إلى مدينة جنديسابور في خوزستان(الأهواز)، وكان كسرى انوشروان مفتونًا بالمعرفة والفلسفة ودائمًا ما كان يتحاور ويتباحث مع الفلاسفة والمفكرين، وبذل في سبيل ذلك الكثير من الجهد لجمع الكتب العلمية الهندية واليونانية وترجمتها إلى

[١] راجع تواريخ الحكماء للشهرزورى مخطوط رقم ١٩٠م. راغب ورقة ١١٧.

[٢] راجع تاريخ حياة أفلوطين بقلم فورفوريوس ص٣ فقرة ٢ ترجمة إميل بر بيه، اسوعات ج ١ طبعة باريس سنة ١٩٢٤..

اللغة البهلوية وكما يظهر من كتب المؤرخين الغربيين، قرأ كسرى أنوشروان الترجمة البهلوية والسريانية لكتابات أفلاطون وفيدون وجورجيوس وتيماكوس وبارونيدوس وثوسيديدس وديموستينيس". [1]

كان عهد كسرى أنوشروان في التاريخ الساساني، العصر المتألق للثقافة والحضارة الفارسية وفترة ازدهار الحركة الحضارية والثقافية الفارسية، مع الدعم والاهتمام الذي قدمه كسرى أنوشروان، لترجمة نصوص علمية مختلفة في مجالات الطب والفلسفة وعلم الفلك والرياضيات من اللغات اليونانية والسريانية [2] والهندية إلى اللغة الفارسية الوسطى". [3]

ويُقال إن: "خسرو أنوشروان جعل تدريس الفلسفة وعلم الفلك إلزاميًا في جنديسابور". [4]

حسب تقرير وينتر وديجناس؛ كان اهتمامه بالعلوم والفلسفة لدرجة أن الإغريق يعتبرونه – كسرى أنوشروان– تلميذ أفلاطون، وبصرف النظر عن دراسته للكتب العلمية والفلسفية، فقد حضر المناظرات العلمية ومنتديات المناقشة وتحدث مع العلماء. [5]

وقال كسرى أنوشروان عن دافعه من جمع المعرفة الهندية والرومانية: "لم نخجل من معرفة ما كان لديهم–الرومان والهنود– ناهيك عن التواضع أمام الحق والمعرفة وكان اتباع العلم أعظم زينة يتزين بها الكسرويون وأيضا الخجل من التعلم ورفض طلب العلم والإباء في البحث عن المعرفة، سوف يسبب لهم الضرر الأكبر من لا يتعلم فليس

---

[1] راجع : (مجلة البحوث الايرانية، عنوان المقال: كسرى انوشروان وازدهار الثقافة والحضارة الايرانية، الكاتب: شهرام جليليان و نجم الدين كيلاني، السنة ١٦، العدد ٣١، ص: ٢١ إلى ٣٤).

[2] السريان: تسمية تطلق على نصارى سورية وهم ينقسمون إلى عدة كنائس منها الكنيسة النسطورية، واليعقوبية، والمارونية، والكلدانية والملكانية. انظر: معجم الحضارات السامية ص: ٤٧٤).

[3] راجع: (تاريخ جنديسابور، شهرام جليليان، الناشر: جامعة جندي شابور الأهواز للعلوم الطبية، ٢٠١٣، ص ٨٧).

[4] راجع: (ايران في عهد الساسانيين، كريستنس، ارثور ايمانويل، المترجم للفارسية: رشيد ياسمي، الناشر: امير كبير طهران،١٩٩٧ صفحة ٤٨٤ و ٥٧٤)..

[5] راجع تواريخ الحكماء للشهرزورى مخطوط رقم ١٩٠م. راغب ورقة ١١٧.

بعالم وعندما تعرفت على كل معرفة الرومان والهنود في علوم إدارة الدولة، ربطت ذلك بكل أساليب أسلافنا وما ابدعته أنا وألزمت نفسي به وكذلك ما تعلمته من ملوك الأجانب". [١]

المطلب الثالث: المدرسة الفلسفية الفارسية واتصالها بعلوم الهند واليونان:

١-اتصالها بعلوم الهند.

أرسل كسرى أنوشروان مجموعة من العلماء الفرس إلى الهند مع الطبيب برزوية لتعلم طرق العلاج الهندية وطب الأعشاب وإحضار كتب علمية هندية إلى إيران، أعطى ٥٠٠٠ قطعة ذهبية لبرزويه وطلب منه إحضار كتاب كليلة ودمنة والكتب الهندية القيمة الأخرى إلى فارس وحتى قال له: "إذا تطلب الأمر مزيدا من المال .. فسوف نبذل من أجلها كل كنوزنا" ، كسرى أنوشروان لم يكن يريد كتاب كليلة ودمنة فقط، بل طلب من برزويه أن يحضر كتبا هندية أخرى في مجالات الحكمة وعلم الفلك والموسيقى إلى بلاد فارس". [٢]

ومن الكتب التي أحضرها الطبيب برزوية إلى فارس رفقة كليلة و دمنة، كان كتاب "حكمة الهنود"، وترجم هذا الكتاب الذي كان قد ترجم إلى البهلوية لاحقًا من العربية إلى اليونانية على يد شمعون أنطاكي. [٣]

وفي هذه الفترة كان الطب الهندي من أهم أنواع الطب في العالم، ونتيجة لرحلة برزوية إلى الهند أن قدم العديد من العلماء والأطباء الهنود إلى فارس وانخرطوا في أنشطة علمية في جندي سابور ونشروا الطب الهندي وطرق علاجه في جنديسابور وفقًا للثعالبي احتفظ كسري انوشروان بمئة وعشرين طبيبًا هنديًا ورومانيًا وفارسيًا في

---

[١] راجع : (مجلة البحوث الايرانية، عنوان المقال: كسرى انوشروان و ازدهار الثقافة و الحضارة الايرانية، الكاتب: شهرام جليليان ونجم الدين كيلاني، السنة ١٦، العدد ٣١، ص ٢١ إلى ٣٤).

[٢] راجع (كليلة ودمنة، نصر الله منشي ابوالمعالي، تحقيق: مجتبى مينوي، الناشر: امير كبير، ٢٠٠٤، ص ٣٠ إلى ٣٥).

[٣] راجع: (تاريخ جنديسابور، شهرام جليليان، الناشر: جامعة جنديسابور الأهواز للعلوم الطبية، ٢٠١٣، ص ٧١).

جنديسابور وأيضًا خلال هذه الفترة، تمت ترجمة العديد من الكتب الطبية من السنسكريتية إلى البهلوية بما في ذلك كتابي "السموم" و"سيرك". [١]

٢-اتصالها بعلوم اليونان:

كان أنوشروان مهتمًا وعالما بالفلسفة و الحكمة اليونانية، ويقال أيضًا أن العديد من النصوص الفلسفية اليونانية تُرجمت إلى البهلوية من أجله، مما أدى إلى إلمامه بفلسفة أرسطو وأفلاطون. [٢]

ولجأت مجموعة من الأطباء الرومان إلى بلاط كسرى انوشروان في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين، وقدموا خبراتهم العلمية للأطباء الفرس في كلية جندي سابور الطبية. [٣]

بالإضافة إلى الأطباء الذين لجأوا إلى بلاط كسرى أنوشروان ، لجأت مجموعة من الفلاسفة الأفلاطونيين الجدد إلى البلاط الكسروي وكان وجود الفلاسفة الأفلاطونيين الجدد في البلاط الإيراني مؤثرًا في رؤية كسرى انوشروان للفلسفة وزيادة معرفته في هذا المجال وفي ذلك الوقت كتب بريسكيانوس كتابًا بعنوان "إجابات بريسكيانوس الفيلسوف على أسئلة كسرى ملك الفرس". [٤]

وقد نقل هذا التراث كله أو بعضه إلى المثقفين من المسلمين فتناولوه بالدراسة والتخريج فكانت المذاهب الإسلامية في الفكر.

والذي يعنينا من هذا الأمر اتصال التراث الفارسي بالبيئة العقلية الإسلامية اتصالا مباشرة. إذ إنه بعد الفتح الإسلامي لفارس شغف العرب بنقل الأفكار الفارسية ونظم الحكم والسياسة وتأثر الغالب بالمغلوب لأن العرب لم تكن لهم حضارة كحضارة الفرس فتتلمذوا عليهم. وتميز من النقلة عبد الله بن المقفع الذي نقل كليلة

---

[١] راجع : (تاريخ الطب في ايران، محمود نجم آبادي، الناشر: جامعة طهران، ١٩٩٢، ص ٤١٩)..

[٢] راجع: (الروم وإيران قدرتان، التوتر والتعايش، انجلبرت وديجناس، الترجمة: كيكاووس جهانداري، الناشر: فرزان روز، ٢٠٠٧، ص ٢١٨).

[٣] راجع: (دور الايرانيين في الثقافة الإسلامية، علي سامي، الناشر: نويد شيراز، ١٩٨٦،ص ١٢١ و ١٢٢).

[٤] راجع: (تاريخ الادب الايراني قبل الإسلام، احمد تفضلي، الناشر: سخن، ١٩٩٧، ص ١٦٠).

ودمنة إلى العربية. وعرف عن الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب) (ت: ٣٢٠ هـ)، أنه كان من نقلة الثقافة الفارسية القديمة. قال ابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ): "وقد أفردنا في نقض هذه المقالة كتابًا جمعناه في نقض كلام محمد بن زكريا الرازي الطبيب في كتابه الموسوم بالعلم الإلهي، وقال البيروني (ت: ٤٤٠ هـ)، عنه، وذلك أني طالعت كتابه في العلم الإلهي وهو ينادي فيه بالدلالة على كتب ماني وخاصة كتابه الموسوم بسفر الأسرار،[١].

ومعرفة الرازي (ت: ٣٢٠ هـ)، بالكتب المانوية يشهد بها كتب التراجم فيذكر ابن النديم (ت: ٣٨٤ هـ)، أن له كتابا فيما جرى بينه وبين سيسن ألمناني، ويذكر البيروني (ت: ٤٤٠ هـ)، أن له كتابا في الرد على سيسن الثنوى[٢]. ويذكر صاعد في طبقات الأمم أن الرازي (ت: ٣٢٠ هـ)، قد هاجم أرسطو في كتابه العلم الإلهي والطب الروحاني وغير ذلك من كتبه ما يدل على استحسانه المذهب الثانوي في الإشراك (الشرك)[٣].

ويذكر المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ)، صاحب التنبيه والإشراف عن الرازى (ت: ٣٢٠ هـ) "وقد أتينا على شرح جميع ذلك وما ذكروه من المعجزات والدلائل والعلامات، وما يذهبون إليه في الخمسة القدماء عندهم "أورمزد" وهو الله عز وجل، و"أهرمن" وهو الشيطان الشرير، و"كاه" وهو الزمان، و "جام" وهو المكان، و"هوم" وهو الطينة والخميرة، وحجاجهم لذلك وعلة تعظيمهم للنيرين وغيرهما من الأنوار، والفرق بين النار والنور ...)[٤].

وهناك غير الرازي (ت: ٣٢٠ هـ)، كثيرون من أصحاب التراجم الجامعة كابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ)، والشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، وابن النديم (ت: ٣٨٤ هـ)، والبيروني (ت: ٤٤٠ هـ)، واليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـ)، وهناك كتاب لمحمود بن إسحاق نشره فلوجل نجد فيه مقتطفات عن المانوية ثم المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ)، وهو يشير إلى الكاهن تنسار Tangar كاهن أردشير مؤسس الكنيسة المزدكية في الإمبراطورية الساسانية

[١] (١/ ٣٤).

[٢] مقالات الرازى بول كراوس (ص: ١٨٦.)

[٣] مقالات الرازى بول كراوس (ص: ١٨١).

[٤] مقالات الرازى بول كراوس (ص: ١٨٤).

في القرن الثالث الميلادي وكيف أنه كان أفلاطونيًا، ولهذا الكاهن رسالة يشير فيها إلى نظام حياته ومجاهداته وهي تنطبق إلى حد كبير على ما يشير به السهروردى عن نظام حياته النفسية ومجاهداته ورياضاته الصوفية.[1] وإلى جانب كتاب التراجم نجد كثيرين من المفكرين من أصل فارسى كابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والسهروردى، وهم على علم باللغة الفارسية وآدابها مما يستطيعون معه قراءة الكتب الفارسية وكانت ذائعة بين جمهرة المثقفين، وكان من تأثير ذلك أننا نجد لابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والسهروردى (ت: ٥٨٦ هـ) رسائل بالفارسية؛ وفيما يختص بالسهروردى نجد أنه كان متصلا ببلاط السلاجقة في مستهل عهده بالفلسفة، وكانت قونية هي مركز هذا البلاط في ذلك الوقت، وهي نقطة الاتصال بين العالم الفارسي والعالم اليوناني القديم والعالمين الإسلامي والمسيحي، وقيل عنه إنه أسس مدرسة إشراقية في بلاط ال سلجوق مما يؤيد معه بدء تأثره بالفكر الفارسي في هذه المنطقة، خصوصا وأنها البيئة التي نشأ فيها الشاعر الصوفي الفارسي نظامى جامى وكذلك جلال الدين الرومي الفارسي (ت: ٦٧٢ هـ)، الذي لا تزال له فرقة صوفية باسمه في قونية إلى الآن".
[2] . [3]

المطلب الرابع: التعريف بالمذاهب الفارسية

عندما دخل الإسلام بلاد فارس كان هناك إلى جانب الديانة الزرادشتية ديانتان هما المانوية والمزدكية.

أولاً: التعريف بالزرادشتية

ويتمثل الدين الفارسي القديم في مذهب زرادشت والمذاهب الأخرى التي قامت حوله.

---

[1] راجع دار مستتر المجلة الأسيوية ١٨٩٤ (ص: ١٨٦).

[2] Recherches Philosophiques Tome ٢٠.

[3] الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ص: ٦٧.

وبرغم أن أديان الفرس ذات تاريخ قديم فإن كتبها المقدسة التي توضح الدين وتفصل جوانبه لم تعرف إلا على يدي زرادشت، فلقد أحياها وشرحها ودعا الناس إليها ولذلك نجدها لا تعرف إلا به، ووصل الأمر ببعض العلماء أن جعلوه مؤسس الدين الفارسي، وبدؤوا بحثهم في أديان الفرس من زمن هذا الحكيم الكبير، والمصادر الدينية عند الفرس مجموعة من الكتب يضمها كتاب واحد يعرف بالفستا، وهو الكتاب الرئيس للدين الفارسي ومعناه في العربية النص الأصلي ويطلق عليه العرب اسم الأبستاق، وقد ظل هذا الكتاب يتداول شفويا طيلة قرون عديدة باللغة الفهلوية القديمة، والكتاب في الجملة يؤرخ للفرس ودينهم وأدبهم بلا ترتيب زمني، ويشتمل الكتاب الموجود في العصر الحديث على ثلاثة أقسام أو فصول هي:

القسم الأول: أوامر الشريعة:

ويتناول حديث الإله أهورامزدا إلى زرادشت حيث يعلمه أوامر الشريعة تفصيلا، كما يتناول قصة خلق العالم وتكوينه ويبين بعض النظم الاجتماعية، ويسمى هذا القسم الفنديداد.

القسم الثاني: الطقوس الدينية:

ويتناول توضيح الطقوس الدينية، وهي عبارة عن تراتيل وصلوات خاصة برجال الدين الفارسي، وتلاوة هذا القسم لا تحتاج إلى جمهور يسمعها ويعرف هذا القسم بالفسبرد

القسم الثالث: تمجيد الملائكة والأخلاق:

ويتناول تمجيد الملائكة ويتحدث عنهم كآلهة صغار، كما يتناول بيان الصلوات وشعائرهم الدينية، وهذا القسم له اهتمام خاص لدرجة أن البعض يعتبره الجزء الذي لم يحرف من الفستا، ويعرف هذا القسم بالفاستا.

الزرادشتية من حيث التأسيس والنشأة والتطور

يقول البيروني: وقد كانت خراسان، وفارس، والعراق، والموصل إلى حدود الشام في القديم على دين "الشمنية"-نحلة هندية-إلى أن نجم "زرداشت" في أذربيجان، ودعا ببلخ إلى المجوسية، وراجت دعوته عند "كشتاسب"، وقام بنشرها ابنه "إسفنديار" في بلاد المشرق والمغرب قهرًا وصلحًا، ونصب بيوت النيران من الصين إلى الروم، ثم استصفى الملوك بعده فارس والعراق لملتهم فانجلت "الشمنية" عنها إلى مشارق بلخ، وبقي المجوس إلى الآن-زمن البيروني-بأرض الهند ويسمون بها "مك"؛ وكان ذلك بدو النفار عن جنبة خراسان فيهم إلى أن جاء الإسلام وذهبت دولة الفرس، فزادهم غزو أرضهم استيحاشا لما دخل محمّد بن القاسم بن المنبّه أرض السّند من نواحي سجستان وافتتح بلد «بمهنوا» وسمّاه «منصورة» وبلد «مولستان» وسمّاه «معمورة» وأوغل في بلاد الهند إلى مدينة «كنوج» ووطئ أرض القندهار وحدود كشمير راجعًا يعارك مرّة ويصالح أخرى ويقرّ القوم على النحلة إلا من رضي منها بالنّقلة". [1]

زرادشت: اسم زرادشت (Zaradstrs) هو: الترجمة الإغريقية لـ "زرداثوسترا"، قد ولد حوالي سنة ٢٠٠٠ق. م. ويميل العلماء اليوم إلى الاعتقاد بأن زرادشت لم يولد قبل ٦٦٠ ق. م. [2]

وعلى الرغم من أن تاريخ الزردشتية قبل دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم، إلا أن مصادرهم قد كتبت بعد ظهور الإسلام بقرنين وزيادة.

فكل الكتب الدينية الزرادشتية الحالية، بلا استثناء: يعود تاريخها إلى فترة ما بعد الإسلام، فأقدمها، وهو الكتاب المقدس الزرادشتي الأفيستا: مر بمحنتين أولهما على يد الإسكندر الأكبر، حيث أحرق كل الكتب الزرادشتية تماما، واختفت من الوجود، حتى جُمع جزء منها يقدر بالثلث في العهد البارثي والساساني، قبل أن

[1] كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص: ١٩).

[2] كتاب تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم الفيومي، (ص: ٣٣٣).

يفقد هذا الجزء مرة أخرى في القرن السابع بعد الميلاد، أثناء انتشار الإسلام في مناطق الزرادشتيين، حيث تفرق بعضهم في أنحاء البلاد، إذ لم تكن الزرادشتية في أفضل أحوالها مع توسع الإسلام وهيمنته على مناطق المجوس، وخصوصا في العهد الصفوي، وقد أنقذ من بقي على الزرادشتية في الهند التي كانت تحت الحكم الإسلامي لثمانية قرون = جزءا صغيرا من الأفيستا التي جُمعت بعد محنة الإسكندر المقدوني، غير أنهم حافظوا على كتمانها وصونها عن الأعين، في حيازة بعض رجال الدين حتى القرن السابع عشر، حيث بدأت الدراسات عن الزرادشتية تتوالى، وخرجت الأفيستا إلى النور بعد قرون طويلة من الكتمان، لا يُدرى ما فُعل بها من تحريف أو تبديل. [1]

وبعد أن ظهر الإسلام على دولة الساسانية، وهزم الفرس، وسيطر على بلاد فارس؛ كانت القوة والغلبة للإسلام، فالواقع أنهم كتبوا مصادرهم التي فيها وصف صلاتهم وعباداتهم، تحت ظل الإسلام، متأثرين بتعاليمه وشرائعه، والعادة أن المهزوم يقتبس من المنتصر الكثير.

وقد نص عدد من المراجع والدراسات على أن الزرادشتية أخذت من الإسلام، بعد أن سيطر الإسلام على دولة فارس، وعدلوا في دياناتهم ليقربوها إلى التوحيد، ليحاجوا أهل الديانات الأخرى وخصوصًا الإسلام. [2]

عقائدهم

الزرادشتية: هي ديانة، أو فرع من الديانة المجوسية في بلاد الفرس، وهي ديانة نشأت في إيران قبل ستمائة عام ق.م، ومؤسسها هو (زرادشت) الذي ثار على آلهة البراهمة والفيدية، ودعا إلى عبادة الإله الواحد: أهورا مازدا (الإله الحكيم) واشتهرت الزرادشتية بعد ذلك بالإيمان بإلهي الخير والشر وتقديس النار، خلافاً للزرادشتية الأولى، ومن مسمياتهم: المجوس، والمزدية أو المزدكية – وكتابهم المقدس هو: الأفستا أو الأبستاق.

---

[1] أفستا, الكتاب المقدس للديانة الزرادتشية (ص: ٨),

[2] كتاب: "إيران في عهد الساسانيين" تأليف: أرثر كريستنسن ترجمة يحيي الخشاب ص ٤٢١..

ويتلخص المذهب الزرادشتي في أن هناك مظهرين لحقيقة كلية واحدة هي الألوهية وهذان المظهران هما مجموعة الأرواح الطيبة "أرمزدا"، ومجموعة الأرواح الخبيثة "أهرمان"، أي أن هناك مبدئين للوجود: مبدأ للخير وآخر للشر، وهذان المبدآن يصطرعان والغلبة لمبدأ الخير في النهاية، ومهما قيل عن إضعاف الصراع لوحدة الذات الإلهية وعن ثنائية المذهب من الناحية الفلسفية، إلا أنه يعبر من الناحية الدينية–على الأقل–عن الوحدة.

وقد نشأت عن موقف زرادشت هذا فرق وطوائف عدة تفسر حقيقة المبدئين، فبعضها ترجم المبدئين إلى النور والظلام بدل الخير والشر، والبعض الآخر جعلهما مستقلين تمام الاستقلال وأقام ثنائية ثابتة من الناحية الدينية والفلسفية، وجعل العالم الحسي من صنع إله الظلام كالمانوية والمزدكية، فيجب إذن التخلص من هذا العالم لأنه شر، وطائفة ثالثة فسرت الظلام على أنه شك قام في ذات المبدأ الأول (النور).

وللزرادشتية تعاليم خاصة متضمنة في الأبستاق Avesta الذي ترجم إلى اللغة اليونانية وترجم إلى العربية كما يذكر ابن النديم (ت: ٣٨٤ هـ)، وترجمه دار مستر Darmesteter إلى الألمانية حديثًا

ويذكر في قصة الكاهن الأعظم آزار كيوان Azar Kaiwan وهو من شيعة البارسي وكيف أنه هاجر إلى الهند بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، وضع هذا الزرادشتي مع تلاميذه كتبا بقي منها أربعة أو خمسة أهمها (دساتير نامه). ودساتير نامه تحتوي على ١١ جزء كل جزء خاص ببنى من أنبياء الفرس، وهو يشير في أحد الفصول إلى المشائية والإشرافية ويرجع الإشراقية إلى الفرس القدماء.

وهناك (الدا بستان) ومؤلفه مؤيد شاه من أتباع الكاهن الأعظم آزار كيوان ، ويبدو أن هذه المؤلفات قد تأثرت إلى جانب الزرادشتية بالمانوية والبوذية والصوفية . ولعلنا أن نتساءل عن مدى صحة التعاليم الزرادشتية التي ترد في هذه الكتب ؟

مدى تأثيرها

ومهما يكن من أمر التأثير الزرادشتي فإننا نجد في هذه الكتب نزعة إشراقية واضحة، تقرب كثيرًا من نصوص شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، ذلك أن الكاهن الأعظم قد أقام مذهبه اللاهوتي على أساس فلسفة شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، ومنهجه، ففي الفصل الحادي عشر من الدابستان المخصص للكلام عن الحكماء يذكر المؤلف أن الحكماء يكونون عائلتين كبيرتين :

الأولى – الإشراقيون.

والثانية – المشاؤون.

ثم يستطرد فيذكر أن العقائد الأساسية والطقوس العملية، أي نظم السلوك الصوفي الإشراقي، هي نفسها التي كان يمارسها الإيرانيون القدماء.

ولكن الآراء التي نجدها في الدا بستان قد تأثرت بآراء إخوان الصفا وناصر خسرو ومحمود الشابستاري، ويرى صاحب الدايستان أن الحكمة الفارسية القديمة هي نفسها حكمة قدماء اليونان إلى أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.) .

ومن تلامذة الكاهن الأعظم الذين تأثروا بالإشراقية فرزانه بهرام بن فرصد وقد قابله مؤلف الدابستان مؤيد شاه في لاهور عام ١٠٤٨ هـ. وفرزانه بهرام هذا كان مهتما بكتب السهروردى وترجمها إلى الفارسية .

وصاحب الكاهن الأعظم العالم المجتهد بهاء الدين العاملي أحد مشايخ صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ) سنة ١٩٤٠.م. وكذلك مير أبو القاسم فاندرسكى الذي أثر تأثيرا كبيرا على صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ)، ونعرف أيضا أن صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ)، قد نشأ في شيراز وهي على طريق السفر إلى الهند فهو حتما قد لقي هؤلاء وتأثر بهم ويضيف صاحب الدابستان حكيمين آخرين زرادشتين على أنهما إشراقيان وهما حكم الهى هر باد وحكم ميرزا ويذكر بد شاه أنه قابلهما، ويورد اسم شخص يدعى حكم داستور على أنه من المشائين وأنه تلقى العلم على أساتذة صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ)، بالإضافة إلى أنه درس الفلسفة أيضا على تلاميذ ميرزا جان شيرازى (٩٩٤ هـ – ١٥٨٦ م) وهذا الأخير كان تلميذه جلال الدين الدواني شارح كتاب السهروردى (هياكل النور).

والمهم في هذه الكتب التي ألفت في الهند أنها تطابق تماما بين الزرادشتية والإشراقية فالزرادشتي هو الإشراقي مما يدل على الارتباط الوثيق بين المذهبين أو على إنغمار الإشراقية في التيار الديني للزرادشتية على حسب تخريج كوربان". [١]

---

[١] راجع المقالات الميتافيزيقية ج ١ المقدمة .

أما المدرسة الإشراقية في فارس فإنها استمرت بعد شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، وكان أقوى معبر عن النزعة الإشراقية صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ) (الذي سبقت الإشارة إليه).

ولصدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ) شراح عديدون منهم ملا هادى السبزوارى[١]. سنة ١٨٧٨م، وتستمر المدرسة الإشراقية بعد ملاصدرا، فمن أفرادها حاجى ملا أغا الدربندى وملا نصر الدين، وتعتبر الإشراقية مذهبا للفكر وطريقة السلوك، فإلى جانب المذهب الروحي تقوم طريقة النوربخشية[٢]. وهي من الطرق الصوفية التي انتشرت في فارس ، وهناك طريقة مركزها كربلاء في العراق تسمى السهروردية لها عميد في صحراء كربلاء وتكية يزار فيها كل عام حين يجتمع رسل السهروردية. ولكن الشك والغموض يحيطان بهذه الطائفة إذ إن الجانب النظري قد إنتفى أو كاد من تعاليمها وبقيت طريقة السلوك الصوفي ما يجعل من الصعب إرجاع إسنادها إلى شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، دون غيره من المشابهين له في اللقب". [٣]

على أن الإشراقية في فارس كانت عاملًا مهمًا في نشأة البهائية[٤]، وفي بلورة العقائد الشيعية ذلك أن مدرسة النجف الشيعية قد تعاونت تعاون وثيقًا مع أصفهان وشيراز وقزوين. والدليل على مدى الارتباط الوثيق بين الإشراقية والمذهب الشيعي هو أن عالما متكلما مثل ابن أبي جمهور [٥]، الأحسائي كان له مجهود كبير في الربط بين الآراء الشيعية والأفكار الإشراقية وأن ابن أبي جمهور هذا هو الذي مهد السبيل لتفكير ملاصدرا،

---

[١] راجع : براون : تاريخ الفرس الأدبي ص: ٣٧-٣٩.

[٢] راجع ملحق دائرة المعارف الإسلامية – مادة « إشراقيون ، بقلم دى بور ص ٩٨، وراجع أيضًا "طرائق الحقائق" لمعصوم على شاه ج٢ ص ١٤٣ طبع طهران سنة ١٢٩٠هـ..

[٣] الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي .٣٧-٣٨

[٤] راجع جوبينو (الدين والفلسفة في آسيا الوسطى) ج٢ نصوص طويلة عن البهائية ونشأتها.

[٥] لابن أبي جمهور كتاب بعنوان (المجلى) انتهى من تحرره في جمادى الثاني سنة ٨٩٥ هـ، مايو ١٤٩٠ م .

ومما يثبت ذلك أن الشيخ أحمد الأحسائي وهو منشى، مدرسة شيخي الإشراقية سنة ١٨٢٧ م – ١٢٤٢هـ وشارح ملاصدرا يذكر أثناء شرح نص لصدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ)، عن العقل الأول "وكذلك كلام ابن أي جمهور في المجلى نقلا عن الإشراقيين راضيا به ونافيا لما خالفه". والمجلى كتاب يتعرض لأصول الدين حسب المذهب الشيعي.

على أن مدرسة ملاصدرا لم تكن المدرسة الإشراقية الوحيدة بل هناك المدرسة التي عكفت على شرح مؤلفات شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، وأحيت فكره وتمثلته. فهناك شمس الدين الشهرزورى المتوفى سنة ١٢٥٠ م – ٦٨٧ هـ، وقد تناول الشهرزورى في آخر فصل من تواريخ الحكماء[١]، حياة السهروردى المقتول وكتبه بالتفصيل. وقد شرح الشهرزوري حكمة الإشراق وهو يتكلم في هذا الشرح عن فخر الدين الرازى (ت: ٦٠٦ هـ)، وهو يذكر أنه وضع كتاب المباحث المشرقية وأنه في هذا الكتاب لا يشير إلى شيء من الإشراقية إذ إن الرازى–على حد قوله–غير قادر على استجلاء المعنى الباطن فهو إذن عاجز عن أن يكون حكيما متألهًا كالسهروردى مثلا.

وقد تأثر ابن كمونه الإسرائيلي (١٢٧٧ م) بالشهرزورى وكذلك كان نظام الدين الهروى (١٣٠٠م) من شراح السهروردى

وجلال الدين الدوائي (٩٠٧هـ – ١٠٥٠م) الذي انقلب إلى التشيع بعد حلم رآه وكان إشراقيًا نشيطا مجتهدا، وقد شرح الدواني الهياكل.

وهناك شارح آخر هو غياث الدين منصور بن محمد الحسيني الشيرازي الدشتكى (١٥٤٢م – ٩٤٩ هـ) وقد شرح الهياكل، وكان غياث الدين يتسقط أخطاء الدوائي ويعارضه وقد شرح ودود الدين التبريزى الألواح العمادية سنة ٩٣٠ هـ ولخصه تحت اسم الإشراق، وكان عمله يظهر فيه الأثر الشخصي.

[١] تواريخ الحكماء (مخطوط بجامعة فؤاد).

وقد تأثر بالإشراقية غير هؤلاء كثيرون من مفكري الفرس نذكر منهم الأبهري المتوفي سنة ٦٦٣ هـ. وكذلك نصر الدين الطوسي سنة ٦٧٢ هـ – في نظرية فيض العقول. [١]

ثانيًا: المانوية

وأما المانوية أو المانِيةُ: أتباع مانى (ولد ٢١٦ ميلادية ومات ٢٧٦)،

وقد كان رجلا نقاشا خفيف اليد ظهر في زمن سابور بن ازدشير بن بابك وادعى النبوة [٢]

زعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية، وكان يقول: إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنهما فى صراع مستمر لا ينتهى إلا بانتهاء الدنيا. وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم.

ظهر في زمن سابور بن ازدشير بن بابك فقبل سابور قوله فلما انتهت نوبة الملك إلى بهرام أخذ ماني وسلخه وحشا بجلده تبنا وعلقه وقتل أصحابه إلا من هرب والتحق بالصين ودعوا الى دين ماني. [٣]

وقتل مانى في مملكة بهرام بن سابور، واتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور. وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه، فلما انتثر أمر الفرس وقوى أمر العرب، وجدوا لديهم سعة صدر، فنزحوا إليهم فى أيام بنى أمية، فإن خالد بن عبد الله القسرى كان يعنى بهم، وكان يرمى بالزندقة. حتى كانت أيام المقتدر فإنهم جلوا إلى

---

[١] راجع شرح الهداية لملا صدرا ص: ٢٦٦-٢٦٧.

[٢] كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٨٨).

[٣] كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٨٨).

خرسان."وأضاف" أن المنانيَّةَ تزعَمُ أنَّ العالَمَ بما فيه، من عشرةِ أجناس: خمسة منها خيرٌ ونورٌ، وخمسةٌ منها شرٌ وظلمَة. وكلُّها حاسَّةٌ وَحارَّة. وأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ مِنْ جميعِها على قدْر ما يكونُ في كلِّ إنسان من رُجْحانِ أجناس الخَيرِ على أجْنَاس الشَّر ، ورُجْحان أجْنَاس الشَّرِ على أجناسِ الخير. وأنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حَواسَّ خمسةٍ ، فإنَّ في كلِّ حاسّة متوناً من ضدِّه من الأجْناس الخمسة. فمتى نَظَرَ الإنسانُ نظْرَةَ رحمة فتلك النَّظْرَة من النَّور ، ومن الخير. ومتى نَظر نظْرَةَ وعيدٍ ، فتلك النَّظْرَةُ من الظلمة. وكذلك جميع الحواسِّ. وأنَّ حاسَّة السَّمعِ جنسٌ على حِدَةٍ ، وأن الذى فى حاسَّة البصر من الخير والنَّور ، لا يعين الذى فى حاسَّة السَّمع من الخيرِ ولكنه لا يضادُّهُ ولا يُفاسدهُ ، ولا يمنعه. فهو لا يعينه لكان الخِلاف والجِنس ، ولا يعين عليه ، لأنَّهُ ليس ضِدًّا. وأنَّ أجناس الشَّرِّ خلافٌ لأجناس الشَّرِ، ضِدٌّ لأجناس الخير. وأجناسَ الخيرِ يخالفُ بعضها بَعْضاً ولا يضادُّ. وأن التَّعاون والتآدى لا يقعُ بين مختلِفِها ، ولا بين متضادِّها ، وإنما يَقعُ بين متفقها".

تأثيرهم

استنادا إلى كتاب الفهرست لابن النديم [1] فإن من أنواع الزنادقة طائفة المانويون الذين كانوا يؤمنون بالمانوية إيمانا صادقا وطائفة المتكلمين وطائفة الأدباء ويقصد بهم المشككين الذين كانوا يخوضون المناقشات الدينية ومنهم:

بشار بن برد (ت: ١٦٨ هـ).

ولبشار بن برد قصيدة مشهورة يجعل تعريف الزندقة قريبًا من الزرادشتية يقول فيها:

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدم ... فتبينوا يا معشر الفجار

النارُ عنصره وآدم طينة ... والطين لا يسمو سمو النارِ

وفي قصيدة أخرى

وإنني في الصلاة أحضرها ... ضحكة أهل الصلاة إن شهدوا

---

[1] الفهرست لابن النديم (٢/ ٤٠٤-٤٠٥)

أقعدُ في الصلاة إذا ركعوا ... وأرفع الرأس إن هم سجدوا
ولستُ أدري إذا إمامهم ... سلم كم كان ذلك العددُ.

قال ابن المعتز: "والذي صح من الأخبار في قتل بشار أنه كان يمدح المهدي، والمهدي ينعم عليه، فرمي بالزندقة فقتله. وقيل: ضربه سبعين سوطًا فمات؛ وقيل ضرب عنقه. وكانت وفاته سنة سبع، وقيل: ثمان وستين ومائة في أيام المهدي". [1]

قال ابن المعتز: "قال السدري: كان عمي بشار من أفقه الناس وأعلمهم بكتاب الله، فعاشر قوما من الحرانيين فخبث دينه". [2]

أبو العتاهية (ت: ٢١١ أو ٢١٣ هـ).

قال عنه ابن المعتز: " أبو العتاهية اسمه إسماعيل بن القاسم وكنيته أبو إسحاق وهو مولى لعنزة، ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ، وذكر الموت والحشر والنار والجنة والذي يصح لي أنه كان ثنويا". [3]

عبد الكريم بن أبي العوجاء (ت: بعد ١٦٠ هـ)

عبد الكريم بن أبي العوجاء وهو من بني عمرو بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن ثعلبة، ومن أوائل الزنادقة والملحدين في تاريخ الإسلام، قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة، على الزندقة بعد سنة (١٦٠ هـ) في خلافة المهدي، قال عنه البغدادي في إنه كان مانويًا يؤمن بالتناسخ، ويميل إلى مذهب الرافضة، ويقول بالقدر، ويتخذ من شرح سيرة ماني وسيلة للدعوة، وتشكيك الناس في عقائدهم، ويتحدث عن التعديل والتجويز". [4]

صالح عبد القدوس (ت: نحو ١٦٠ هـ).

[1] كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (ص: ٢١).

[2] طبقات الشعراء لابن المعتز (ص: ٢٢-٢٣).

[3] كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (ص: ٢٢٧-٢٢٨).

[4] الفرق بين الفرق (ص: ٣٤٩ وما بعدها)، كما ذكر البيروني في كتبه ما للهند من مقولة (ص: ١٣٢).

صالح بن عبد القدوس أبو الفضل الأزدي: شاعر حكيم، شعره أمثال وحكم وآداب. اتهم بالزندقة فقُتل ببغداد نحو سنة ١٦٠ هـ). [١]

أبو عيسى الوراق (ت: ٢٤٧ هـ)

وهو أبو عيسى محمد بن هارون بن محمد الوراق من المتكلمين النظارين، وكان معتزليا ثم خلط وانتهى به التخليط إلى أن صار يرمى بمذهب أصحاب الاثنين، وعنه أخذ ابن الرندي. [٢]

ابن الراوندي:

وأشهر أساتذته ثلاثة وهم ابن طالوت، وابن نعمان، وأبو شاكر الذي يذكر عنه الخياط أنه كان متصلًا بهشام بن الحكم المتكلم الشيعي المعروف، والرابط بين أساتذته الثلاثة أنهم عرفوا بالغلو في التشيع". [٣]

قال ابن النديم: "ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة إسحاق بن طالوت. وأبو شاكر ابن أخي أبي شاكر. وابن الأعمى الحريزي نعمان الثنوي". [٤]

يعتبر أبو الحسن أحمد بن يحي بن إسحاق الراوندي والمشهور بابن الراوندي من الشخصيات المثيرة والجريئة والذي مر بمراحل عقائدية مختلفة بدءا من موطنه، قرية راوند الواقعة في إيران وطلبه العلم في مدينة الري وتأليفه لكتابي "الابتداء والإعادة" و"الأسماء والأحكام" اللذان كانا يمثلان فترة الإيمان الإسلامي العميق لابن الراوندي ولكنه سرعان مابدأ رحلته في التشكيك في عقيدة التوحيد وفي يوم المعاد وفي العدل وصفات الله والانتقادات الموجهة إلى الشريعة الإسلامية والفرائض وإنكار وجود الله وأزلية العالم وهناك جدل حول عمره عند وفاته

---

[١] انظر: كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (ص: ٨٩-٩١)، والأعلام (٣/ ٢٧٧)، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين (ص: ٢١٠)، وتاريخ دمشق (٢٣/ ٣٤٥).

[٢] الفهرست للنديم (١/ ٦٠٠).

[٣] تاريخ الإلحاد في الإسلام (ص: ٤٥).

[٤] الفهرست لابن النديم (٢/ ٤٠٤).

حيث تشير بعض المصادر إنه كان يبلغ ٣٦ أو ٤٠ عاما عند وفاته في حين تشير مصادر أخرى إنه بلغ ٨٠ سنة من العمر.

ومن كتب ابن الراوندي كتاب "التاج" وكتاب "عبث الحكمة" الذي طعن فيه على مذهب التوحيد وتحدث عن ألوثنية وكتاب "الدامق" الذي عارض فيه القرآن، وكتاب "الفرند" الذي انتقد فيه بعث الرسل ورسالة ألأنبياء وكتاب "الطبايع" وكتاب "الزمرد" وكتاب "الإمامة". التي يطعن فيه على المهاجرين والأنصار باختيارهم الخليفة بعد الرسول ويزعم حسب تعبيره "أن النبي محمد استخلف عليهم رجلاً بعينه (ويعني علي بن أبي طالب) ، وأمرهم أن يقدموه، ولا يتقدموا عليه، وأن يطيعوه ولا يعصوه، فأجمعوا جميعاً إلا نفراً يسيراً، خمسة أو ستة، على أن يزيلوا ذلك الرجل عن الموضع الذي وضعه في رسول الله استخفافاً منهم بأمر رسول الله، وتعهداً منهم لمعصيته" . يعتبر كتاب الزمرد لابن الراوندي من قبل البعض قمة ماكتب في الفكر الألحادي في عهد العباسيين ويمكن تلخيص بعض المناقشات والتشكيكات التي طرحها ابن الراوندي بالنقاط التالية:

- سبب تفضيل اللغة العربية على غيرها من اللغات.
- نقد لشعائر إسلامية ووصف الحج والطواف ورجم الشيطان شبيهة بعادات وثنية وطقوس هندوسية وإنها كانت تمارس من قبل العرب في الجاهلية.
- سبب عدم قدوم الملائكة لمعونة المسلمين يوم معركة أحد اعتبار غزوات الرسول محمد–صلى الله عليه وسلم– سلبا ونهبا.
- تهكم من وصف الجنة فحسب ابن الراوندي "فيها حليب لا يكاد يشتهيه إلا الجائع والزنجبيل الذي ليس من لذيذ الأشربة والإستبرق الذي هو الغليظ من الديباج"
- أن الذي يأتي به الرسول إما يكون معقولا أو لايكون معقولا فإن كان معقولا فقد كفانا العقل بإدراكه فلا حاجة لرسول وإن كان غير معقول فلا يكون مقبولا.
- نقد للقرآن من ناحية كونه فريدا حيث كان ابن الراوندي مقتنعا حسب رأيه بان القرآن ليس فريدا ويمكن كتابة نص أحسن منه وإن عدم مقدرة أحد على محاكاة القرآن يرجع إلى انشغال العرب بالقتال.

ويمكن تلخيص بعض من آراء ابن الراوندي بما يلي:

– ليس بواجب على الله أن يرسل الرسل أو يبعث أحداً من خلقه ليكون نبيه ويرشد الناس إلى الصواب والرشد، لأن في قدرة الله وعلمه أن يجعل الإنسان يرقى ويمضي إلى رشده وصلاحه بطبعه.
– إن تصورات الإنسان عن الخالق والمبدأ محاطة بالأوهام والأساطير، لأن فكر الإنسان يعجز عن إدراك الخالق أو معرفة أوصافه.
– أن سر الموت لا سبيل إلى معرفته، فالإنسان منذ ما خلق وهو يبحث عن سر الموت لكي يحول دون وقوعه، فأخفق حتى الآن في هذا السعي، وقد لا يوفق في الاهتداء إلى سره إلى الأبد والناس جميعاً لا يعلمون كيف يموتون، ولو جرب الإنسان الموت ما أدركه أو عرفه حق المعرفة، وإن معاينة موت الآخرين لا تعلم الإنسان شيئاً عن أسرار الموت.
– كون "الإنسان عاجزاً عن إقناع نفسه بأنه سيموت، وبأنه سينعدم من هذا الوجود، فلدى الإنسان شعور بأنه لن يموت أبداً، وأنه حين يثوي في قبره سيعيش ويبقى حياً، وإن يكن ذلك بطريقة أخرى وبنشأة تختلف عما كان عليه في هذه الدنيا"
– ان الملائكة الذين انزلهم الله يوم معركة بدر كانوا "مفلولي الشوكة وقليلي البطش" فلم يقتلوا أكثر من ٧٠ رجلا ولم ينزل أي ملاك يوم معركة أحد عندما "توارى النبي بين القتلى فزعا"
– الطواف حول الكعبة لايختلف عن الطواف عن غيره من البيوت.

ابن المقفع (ت: ١٤٢ هـ)

ولد عبد الله بن المبارك الملقب بابن المقفع في عام ١٠٦ للهجرة في خرسان وكان مطلعا على الثقافة الفارسية والهندية واليونانية، بالإضافة إلى فصاحة بيانه العربي. يعتبر كتاب "كليلة ودمنة"، الكتاب هندي الأصل، صنَّفه البراهما وكان يسمى قبل أن يترجم إلى اللغة العربية باسم الفصول الخمسة وهي مجموعة قصص رمزية ذات طابع يرتبط بالحكمة والأخلاق يرجح أنها تعود لأصول هندية مكتوب بالسنكسريتية وهي قصة الفيلسوف بيدبا. ويقال أن ابن المقفع أخذه من الفارسية وأُدرج فيه بابٌ جديد تحت عنوان (الفحص عن أمر دمنة)، وأُلحق به أربعةُ فصولٍ لم ترِدْ في النصّ الفارسي. يعتقد البعض إن تهمة الزندقة وجهت إليه كجزء من الخلافات السياسية داخل الأسرة العباسية ولكن البعض الآخر يرى في بعض من كتاباته وبالأخص في

باب برزويه من كتاب كليلة ودمنة مؤشرات على الإلحاد حيث يقول "وجدت الأديان والملل كثيرة من أقوام ورثوها عن آبائهم وآخرين مكرهين عليها وآخرون يبتغون بها الدنيا ومنزلتها، فرأيت أن أواظب علماء كل ملة لعلي أعرف بذلك الحق من الباطل ففعلت ذلك وسألت ونظرت فلم أجد من أولئك أحدا إلا يزيد في مدح دينه وذم دين من خالفه ولم أجد عند أحد منهم عدلا وصدقا يعرفها ذو العقل ويرضى بها"

استنادا إلى كتاب "المعلمين" للجاحظ الذي يصف ابن المقفع كالتالي "قد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك كالذي إعترى الخليل بن أحمد بعد إحسانه في النحو والعروض إن إدعى العلم بالكلام وأوزان الأغاني فخرج من الجهل إلى مقدار لايبلغه إلا بخذلان الله تعالى". يوجد في كتاب التوحيد لإبن بابويه القمي رواية منسوبة إلى ابن المقفع مفاده أنه قال يوما إن الذين يطوفون حول الكعبة هم "رعاع وبهائم".

المعرّي (ت: ٤٤٩ هـ)

واسمه ونسبه: أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري الشاعر الفيلسوف المولود سنة ٣٦٣هـ والمتوفى سنة ٤٤٩ هـ

الذي اعتزل الحياة في أخر حياته وصومه عن أكل اللحوم.

قالَ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيّ: "زَنَادِقَةُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ: ابْنُ الرَّاوَنْدِي ، وَأَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيُّ ، وَأَبُو العَلاَءِ المِعَرِيُّ ، وَأَشدُّهُم عَلَى الإِسْلاَمِ أَبُو حَيَّانَ ، لأَنَّهُمَا صَرَّحَا، وَهُوَ مَجْمَجَ وَلَمْ يُصرّح".[١]

قال الذهبي: "وَإِنَّمَا تحدَّثتِ الأَلْسُنُ بِإِسَاءته بِكِتَابه الَّذِي عَارض بِهِ القُرْآن، وَعنونه بـ(الفصول وَالغَايَات فِي محَاذَاة السُّوْر وَالآيَات) ثم قال الذهبي: "أَنشدتنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عليّ كِتَابَةً ، أَخْبَرَنَا فَرْقَدُ الكِنَانِيّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتّ

[١] نقله الذهبي في السير (١٧/ ١١٩).

مائَة، أَنشدنَا السِّلَفِيّ ، سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا التبرِيزِي يَقُوْلُ :
لَمَّا قَرَأْتُ عَلَى أَبِي العَلاَءِ بِالمعَرَّة قَوْله :

تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إِلاَّ السُّكوتُ لَهُ * وَأَن نَعُوذَ بِمَوْلاَنَا مِنَ النَّارِ
يَدٌ بِخَمْسِ مِئٍ مِنْ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ * مَا بِالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِيْنَارِ؟
سَأَلتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا كقول الفُقَهَاء : عبَادَة لاَ يُعْقَلُ معنَاهَا.

قَالَ كَاتِبهُ : لَوْ أَرَادَ ذَلِكَ ؛ لقَالَ : تَعَبُّد . وَلَمَّا قَالَ : تَنَاقض .

وَلَمَّا أَرْدَفَه بِبَيْتٍ آخَر يَعترِضُ عَلَى رَبّهُ .

وَبِإِسْنَادِي قَالَ السِّلَفِيّ: "إِنْ كَانَ قَالَهُ مُعْتَقداً مَعْنَاهُ، فَالنَّارُ مأوَاهُ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الإِسْلاَمِ نصِيْب. هَذَا إِلَى مَا يُحكَى عَنْهُ فِي كِتَابِ (الفصول وَالغَايَات) فَقِيْلَ لَهُ: أَيْنَ هَذَا مِنَ القُرْآن؟ فَقَالَ: لَمْ تَصْقُلْهُ المحَارِيب أَرْبَعِ مائَةِ سَنَةٍ)).

أبو حيان التوحيدي

قال الذهبي: أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس ، نزيل نواحي فارس ، صاحب زندقة وانحلال ، بقي إلى سنة أربعمائة. [1]

وقال الذهبي: "أبو حيان التوحيدي: الضال الملحد، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس ، البغدادي الصوفي ، صاحب التصانيف الادبية والفلسفية ، ويقال : كان من أعيان الشافعية . ... وقال أبو الفرج بن الجوزي : زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندي ، وأبو حيان التوحيدي ، وأبو العلاء المعري ، وأشدهم على الاسلام أبو حيان ، لانهما صرحا ، وهو مجمج ولم يصرح . قلت : وكان من تلامذة علي بن عيسى الرماني ، ورأيته

[1] ميزان الاعتدال (٤/ ٥١٨).

يبالغ في تعظيم الرماني في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ ، فانظر إلى المادح والممدوح ! وأجود الثلاثة الرماني مع اعتزاله وتشيعه . وأبو حيان له مصنف كبير في تصوف الحكماء ، وزهاد الفلاسفة، وكتاب سماه (البصائر والذخائر)، وكتاب (الصديق والصداقة) ... . [١]

وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: "بقي إلى حدود الأربع مائة ببلاد فارس وكان صاحب زندقة وانحلال، قال جعفر بن يحيى الحكاك قال لي أبو نصر السجزي إنه سمع أبا سعد الماليني يقول: قرأت الرسالة المنسوبة إلى أبي بكر وعمر مع أبي عبيدة إلى علي على أبي حيان فقال: هذه الرسالة عملتها ردًا على الروافض؛ وسببها أنهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء -يعني بن العميد- فكانوا يغلون في حال علي فعملت هذه الرسالة؛ قلت: فقد اعترف بالوضع". [٢]

المزدكية

والمزْدَكيّة دينٌ ثَنَوي منبثق من المانوية، مؤسسُهُ الزعيم الديني الفارسي مَزْدَك بن نامدان كان موبذان-تعني عندهم العالم القدوة-.

ظهر مزدك في زمن قباذ بن فيروز والد أنو شروان العادل، ثم ادعى النبوة وأظهر دين الإباحة وانتهى أمره إلى أن ألزم قباذ إلى أن يبعث إمرأته ليمتع بها غيره فتأذى أنو شروان من ذلك الكلام غاية التأذي وقال لوالده اترك بيني وبينه لأناظره، فإن قطعني طاوعته، وإلا قتلته فلما ناظر مع أنوشروان انقطع مزدك وظهر عليه

---

[١] سير أعلام النبلاء (١٧/ ١١٩)

[٢] لسان الميزان .

أنوشروان فقتله نحو ٥٢٨ ميلادي وأتباعه وكل من هو على دين الإباحة في زماننا هذا فهم بقية أولئك القوم". [١]

والمزدكية ذات شقين:

الشق الأول: شق ديني يكمل ما قال بهم ماني من تنافس بين النور والظلمة ويجعل النصر للنور. إلا أن مزدك كان يقول: إن النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى.

مذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة: الماء والأرض والنار. ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر، فما كان من صفوها فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر.[٢]

والشق الثاني: يبيح شيوعية النساء والمال. فمزدك بن نامذان، وهو رجل إباحي، ظهر زمان قباذ وادعى النبوة، ثم دعا الناس إلى الاشتراكية في كل شيء، وإلى الإباحية، لأنه زعم أن أكثر ما يقع بين الناس من البغضاء والمخالفة إنما سببه النساء والأموال وجعل الناس فيها شركاء، فأجابه قباذ ثم قتله أنو شروان". [٣]

الخرمية

---

[١] كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٨٩).

[٢] الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٩٤)

[٣] انظر: تاريخ اليعقوبي (١/١٦٤)، تاريخ ابن جرير (٢/٩٢-٩٣)، الفهرست للنديم ص: ٤٠٦، الفصل (٢/٢٧٤) , الملل والنحل (١/٢٤٩)، البدء والتاريخ (٣/١٦٧-١٦٨)، تلبيس إبليس ص:٨٨، الكامل في التاريخ (١/٢٤١-٢٤٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص:٨٩، المختصر في أخبار البشر (١/٥١)، تاريخ ابن خلدون (٢/١٧٦)، أخبار الدول وآثار الأول للقرماني (٣/١٥٢).

وقد ذكر ابن النديم شيئًا من سيرته نقلًا عن واقد بن عمرو التميمي في كتاب الفهرست (ص: ٤١٦ – ٤١٨)

الخرمية صنفان:

الصنف الأول: **الخرمية الأولين**: ويسمون المحمرة. وهم بنواحي الجبال، فيما بين اذربيجان وأرمينية وبلاد الديلم وهمدان ودينور، منتشرون. وفيما بين أصفهان وبلاد الأهواز وهؤلاء أهل مجوسية في الأصل، ثم حدث مذهبهم. وهم ممن يعرف اللقطة وصاحبهم مزدك القديم. أمرهم بتناول اللذات، والانعكاف على بلوغ الشهوات، والأكل والشرب، والمواساة والاختلاط، وترك الاستبداد بعضهم على بعض.

ولهم مشاركة في الحرم والأهل، لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه. ومع هذه الحال، فيرون أفعال الخير، وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس. ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم: إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شئ يلتمسه، كائناً ما كان. وعلى هذا المذهب، مزدك الأخير: الذي ظهر في أيام قباد بن فيروز، وقتله أنوشروان وقتل أصحابه. وخبره مشهور معروف، وقد استقصى البلخي أخبار الخرمية ومذاهبهم وأفعالهم في شربهم ولذاتهم وعباداتهم، في كتاب عيون المسائل والجوابات. ولا حاجة بنا إلى ذكر ما قد سبقنا إليه غيرنا. [1]

الصنف الثاني: **الخرمية البابكية**، فإن صاحبهم هو بابك الخرمي (بابک خرمدين) زعيم ديني فارسي، وقائد فرقة الخرمية ظهر (سنة: ٢٠١ هـ)، في خلافة المأمون العباسي، وكثر أتباعه، وقاد ثورة على العباسيين بعد مصرع أبي مسلم الخراساني، استمرت حوالى عشرين سنة، وأخاف الإسلام وأهله، وهزم الجيوش العباسية عشرين سنة، وغلب على أذربيجان وغيرها، وأراد أن يقيم الملة المجوسية، وعظم البلاء. فأنفق المأمون والمعتصم

[1] الفهرست لابن النديم (ص: ٤١٥-٤١٦.)

على حرب بابك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، وفي هذه السنة بعث المعتصم نفقات إلى جيشه مع الأفشين، فكانت ثلاثين ألف ألف درهم، فكانت الحرب مع بابك الخرمي فطحنه الأفشين، واستباح عسكره، وأخذت البذ- مدينة بابك- وهرب واختفى في غيضة، ثم أسر بعد فصول طويلة، ولما أحضر بابك بين يدي المعتصم، أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان، وصلب جثته على خشبة بسامرا، فقطع دابر الخرمية.

وكان يقول لمن استغواه، أنه إله، وأحدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة. ولم تكن الخرمية تعرف ذلك. [1]

وتجلى البُعد العنصري في الحركة الخرّمية البابكية واضحا للغاية، حيث كانت تنفسيا عن الكراهية التي تمتلئ بها نفوس جماعات من الفرس ضد الإسلام الذي قضى على الإمبراطورية الساسانية الفارسية، وربط بابك نفسه بأبي مسلم الخراساني، فادّعى أنه من نسل ابنته فاطمة، مما يدل على النزعة الفارسية القديمة.

وكانت الخرمية تؤمن بمبادئ هدامة منها:

١-الإيمان بالحلول والتناسخ حتى إن زعيمها "بابك" ادَّعى الألوهية.

٢-المشاعية المزدكية في الأموال والأعراض، والتمتع بالملذات المحرمة والإغراق فيها.

٣-استحلال الزِّنا واللواط، ونكاح المحارم، وترك العبادات، وتشريع الكذب وفرض النفاق، وبناء المنظمات السرية.

٤-والقول بوجود إلهين اثنين، وإنكار البعث والحساب والعقاب، والجنة هي نعيم الدنيا، والنار هي التكاليف الشرعية.

---

[1] الفهرست لابن النديم (ص: ٤١٦).

ومن تفرع عن الخرمية فرقة القزلباش–ومعناها بالعربية الرؤوس الحمراء–والتي نشأت في أذربيجان، هم بقايا وأحفاد الخرمية، كانت هذه الحركة دينية وسياسية وساعدت على تأسيس السلالة الصفوية.

ويُعتبر القزلباش من الصوفية ذات المذهب الشيعي، وكان زعيمهم الروحي حيدر أول من نظّم جيش القزل باش في فرق عسكرية، وبعد وفاته استمر ولده إسماعيل شاه الصفوي في الاعتماد عليهم. بل ادّعى أن عليّاً رضي الله عنه هو الذي أوصاه بالاستعانة بهم لتأسيس الدولة الصفوية.

ومن هؤلاء تكونت مجموعة من الجنود الذين عينتهم الدولة الصفوية في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي. وهم يتمركزون في الأناضول والمناطق الكردية .

ويعتبر هذا المذهب الباطني من أول المذاهب الباطنية التي تفرعت منه حركات باطنية أُخرى.

وهناك علاقة بأصل هذا المذهب بمذهب "المزدكية " الذي أصله من الدولة الساسانية، أي ما قبل الإسلام.

تعتبر هذه طائفة القزلباش من الغلاة والمتطرفين، وقد شجعهم كلًا من الشاه حيدر وإسماعيل الصفوي في هذا، وأعتبروهم من علية القوم "السادة"، وعندما اجتاح الجيش الصفوي تبريز. وفي بادئ الأمر لم يكونو من المغالين، ولكن جيئ بكتاب وضع في المكتبة العامة ليأخذوا منه الهداية الدينية وهو لأحد العراقيين المغالين الشيعة وإسمه "جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (٦٤٨ هـ – ٧٢٦ هـ). هو أحد كبار فقهاء ومتكلمي الشيعة الإمامية في القرن السابع الهجري.

وفيما بعد وبمرور السنسن بدأ إيفاد العرب للعراق ولبنان والبحريين ليدرس هذا المنج المِغالي ويتفقه علي إيديهم في منهج الأئمة الإثنا عشرية. !!!

لقد ساعد القزلباش الذين يضمون قبائل تُركمانية من الأناضول وأذربيجان السلطان إسماعيل شاه الصفوي في الإنتصار على قبيلة الخروف الأبيض في الإناضول وايران والعراق.

تاريخ وصول هذه القبائل الى المنطقة.

يعود تاريخ هذه القبائل إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وبالتحديد مدينة "أردبيل"، وهي مدينة في شمال إيران حاليًا.

حيث بدأ تنظيم الصفوين في هذه المدينة وضل هذا التنظيم على علاقة متينة بينه وبين أتباعهم في أذربيجان ،والعراق وشمال الأناضول وغيرها من البلاد.

أصبح هذا التنظيم يمثل خطرًا على الدولة العثمانية، حيث قاموا بإثارة الثورات ضد السلطان في المناطق الشرقية للأناضول.

في العام ١٤٩٩م ، إتجه إسماعيل الصفوي من مدينة لاهيجان إلى أردبيل ليُعلن نفسه قائدًا للصفوين وأتبعه ٧٠٠٠ من طائفة القزلباش من القبائل التركمانية في الأناضول والعراق والشام ، وكان هذا في صيف العام ١٥٠٠م.

ثم إتجه إلى شهرفان ، حيث أقسم أن يُلقن حُكامها درسًا لقتلهم أبيه وحاربهم وانتصر عليهم، وتوجه من شهرفان إلى تبريز حيث التقى بمزيد من قوات القزلباش حيث إنتصر على ٣٠٠٠٠ من قوات دولة الخروف الأبيض وتربع على حكم تبريز، ومن هنا بدأت الدولة الصفوية، وكان هذا يعود إلى مساعدة طائفة القزلباش لهذا التنظلم الذي نما ليصبح دولة، حيث تم توسع الدولة الصفوية علي أيدي القزلباش في بداية القرن السادس عشر الميلادي لتشمل جميع مناطق إيران وأجزاء من العراق ووصلو حتى بغداد.

وقد عاد جماعة من القزلباش–أي أصحاب العمائم الحمراء–إلى الانقضاض على الدولة العثمانية في منطقة ما بين النهرين بشرق الأناضول، وقد أمدتهم الدولة الصفوية الشيعية بقوة عسكرية، فأخذوا يُغيرون على الجماعات الآشورية والجماعات الكردية السُّنَّة، واستولوا على حاضرتهم آمد التي عرِفَت فيما بعد بديار بكر، وجرت بين الفريقين وقائع كانت الغلبة فيها لجماعات القزلباش، فاستنجد الأكرادُ بالسلطان سليم الأول فأمَدَّهم بقوة

كبيرة في أعقاب انتصاره على دولة المماليك في وقعة مرج دابق، فانتصرت قواتُه على القوات الصفوية، وطُرِد الأكراد القزلباش من شرقي الأناضول، واستولت على الموصل وثبتت سلطة الدولة العثمانية في شمال العراق.

ويمكن بالتأكيد الإدعاء بأن ظهور القزلباش في إيران وخلقهم للأخطار في الدولة العثمانية كان العامل الوحيد الذي أبعد اهتمام العثمانيين عن أوروبا وحوله إلى الشرق.

وبعبارة أخرى فإن ظهور القزلباش الصفويين كان العامل الأهم الذي منع استمرار انتشار الإسلام في الغرب، وحول أنظار العثمانيين عن أوروبا إلى بلاد الشرق مما نتج عنه نجاة الحضارة الغربية ووصول البشرية إلى وضعها الحالي". [١]

تأثيرهم على فرق الباطنية

ويرى بعض المؤرخين أن القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والكيسانية والزرارية والحكمية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية متأثرون بالخرمية بشكل أو بآخر.

وهذا ما تثبت الوقائع التاريخية، فمن رؤوس فرقة الإسماعيلية: الحسن بن حوشب، وعلي بن الفضل وهما اللذان نشرا الدعوة الإسماعيلية في اليمن.

وقد ادعى علي بن الفضل هذا النبوة، وأحلّ لأصحابه المحرمات، فأحلّ شرب الخمر، ونكاح البنات والأخوات، وأظهر عقائده الإلحادية في اليمن، وخرب الكثير من المساجد، وهذا الخبيث لما احتل مدينة الجند باليمن سنة ٢٩٢ هـ صعد المنبر وقال هذه الأبيات:

خذي الدفّ يا هذه واضربي *** وغنّي هزارك ثم اطربي

---

[١] انظر: إيران الصفوية كيف صار الإيرانيون شيعة صفويين؟، لأمير حسين خنجي، ترجمة الدكتور أحمد حسين بكر، (ص: ٢٤٥).

تولّى نبيّ بني هاشم *** وجاء نبي بني يعرب

أحلّ البنات مع الأمهات *** ومن فضله زاد حلّ الصبيّ

لكل نبيّ مضى شرعه *** وهذي شريعة هذا النبيّ

فقد حط عنا فروض الصلاة *** وحط الصيام ولم يتعب

إلى قوله:

وما الخمر إلا كماء السماء *** حلال فقدّست من مذهب.

وبقي يعيث باليمن فساداً حتى مات مسموماً سنة ٣٠٣ هـ.[١]

المبحث السادس: المشرب السمني.

المطلب الأول: التعريف بالسمنية.

أصل الكلمة [٢]

١ السمنية أو الشمنية لفظ مشتق من اللغة البالية سمنه، والتي بدورها مشتقة من السنسكريتية ... وتلفظ شرمنه.

---

[١] كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادي (ص: ٥٥).

[٢] قال الباحث ياسر قاضي: "ومن الجدير بالذكر أنني بحثت عن معلومات حول هذه الفرقة في كثير من المصادر الإنجليزية، فلم أجد لها ذكر أصلا (إلا ما وجدت عن ديانة (الشمن)، مما يدل على أن المسلمين اهتموا غاية الاهتمام بذكر عقائد وتاريخ الملل الأخرى، ولهم قدم سبق في هذا العلم، فلولا كتب المسلمين في علم الملل والنحل، لضاع الكثير من المعلومات عن الأديان والملل القديمة" كتاب مقالات الجهم بن صفوان وأثرها على الفرق الإسلامية (١/ ٨٣).

٢ وقيل: إن السمنية (وقيل: الشمنية) بضم السين وفتح الميم كلمة معربة[١]، وكانت تلفظ بالشرمنة أو الشمنية، حسب اللغة البالية التي اشتقت منها، لوصف هذه الجماعة.

٣ ونسب بعضهم تسميتها بالسمنية إلى بلدة سومنات الواقعة في بالهند، حيث كانت نشأتهم.

معناها:

قيل: تعني الباحث أو المتصوف.

وقيل: الكلمة مشتقة من (ش ر م) بمعنى اجتهد في التنسك. حقيقتها:

ذكرت عدة أقوال بشأن أصولها منها:

١ أنها فئة مستقلة عن البوذية والهندوسية، وأنها أسبق، وأنها حركات صوفية ظهرت في الألفية الأولى قبل الميلاد في الهند، وقامت على مبادئها البوذية والجاينية وبعض الفرق الصوفية الهندوسية، وأنها مبنية على عقائد مشتركة كالتناسخ والكارما ولكنها سلكت منهجا حرا في التعبد والتنسك لا يلتزم بطقوس ولا نصوص. [٢]

٢ القول بأن السمنية هي البوذية.

فقد ذكر أبو الريحان البيروني السمنية بلفظ الشمنية في كتابه: "تحقيق ما للهند من مقولة"، قائلا بأنهم "أصحاب البد" أي البوذيون وبأن خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام كانت قديما على

---

[١] لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٢٢٠).

[٢] James G.Lochtefeld، The Illustrated Encyclopedia of Hinduism (The Rosen Publishing Group، ٢٠٠٢)، vol.II، p. ٦٣٩.

دين هؤلاء حتى ظهور زرادشت الذي دعا إلى المجوسية، فلما انتشرت المجوسية على أيدي الملوك بعده في فارس والعراق انجلت السمنية إلى مشارق بلخ وبقي المجوس بأرض الهند. [١]

المطلب الثاني: موطنها.

كانت هذه الفرقة منتشرة في خراسان وفارس والعراق وبلاد ما وراء النهر قبل دخول (زردشت) لهذه البلاد، ثم انتشرت المجوسية في تلك البلاد، وبقي القليل منهم شرقي بلخ. [٢]

يقول ابن النديم، في كتابه "الفهرست": إن أكثر سكان ما وراء نهر الفرات كانوا يتبعون هذا المذهب، قبل الإسلام.

ويعرفهم البيروني في كتاب "الهند" بأنهم أصحاب البد، أي البوذيون، حيث كانت الديانة السائدة من حدود بلاد الشام في الموصل مرورا بالعراق إلى دولة فارس حتى خراسان، وذلك قبل ظهور دعوة "زرادشت" إلى المجوسية التي انتشرت في تلك المنطقة وتراجعت السمنية إلى الشرق، حتى انتشار الإسلام في تلك البلاد في آسيا الصغرى، إلا أن البعض يرى أن السمنية مذهب، سبق البوذية وكان مقدمة لها.

ويرى الباحث عبد الله نومسوك في كتابه البوذية أنها كانت منتشرة في فترة زمنية من التاريخ فيقول: "انتشرت البوذية في فارس وخراسان وما جاورها قبل الفتح الإسلامي: فقد ثبت بالأدلة التاريخية أن الدعوة البوذية كانت نشطة في زمن قبل الإسلام في شرق البلاد الفارسية، وفي خراسان، وغيرها من بلاد آسيا الوسطى وقد

---

[١] أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، بيروت: عالم الكتب، ٢٠١١ م، (ص: ١٩).

[٢] تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني (ص: ١٥) .

أشار إلى ذلك ابن النديم،[1] وكذلك البيروني، الذي تنبه إلى أن الفرقة المعروفة بالسمنية وهي البوذية كانت مزدهرة في خراسان، وفارس، والعراق، والموصل، إلى حدود الشام. [2]

وما زالت البوذية مزدهرة في هذه المناطق حتى في صدر الإسلام، بدليل ما ذكره «هيون سانغ، الرحالة الصيني المعروف في مذكراته أنه عندما دخل «بلخ» إحدى مدن خراسان [3] وجد الأديرة البوذية منتشرة فيها، وأنه عاش فترة طويلة مع الرهبان البوذيين في بلخ وغيرها من مدن خراسان، ونشر معهم تعاليم البوذية [4] . [5]

المطلب الثالث: عقائدهم:

١ - قولهم بقدم العالم، كالدهرية.

٢ - وزادوا عليهم القول بتكافؤ الأدلة وإبطال النظر والاستدلال.[6]

---

[1] الفهرست (٤٨٤).

[2] انظر: كتاب البيروني في تحقيق ما للهند (١٥).

كان إقليم خراسان أيام الخلافة الإسلامية ينقسم إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الأربعة الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة، وهذه المدن هي نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ. انظر: «بلدان الخلافة الشرقية: (٢١، ٤٢٤، ٤٦٢) وما بعدها.

[4] Buddhism in Middle Asia P. ٥٦، ٥٧» وقد كانت رحلته كانت في فترة (٦٢٩ - ٦٤٥ م) وهي فترة صدر الإسلام، لأن الرسول ﷺ عاش في فترة (٥٧٠. ٦٣٢ م)[4] .

[5] البوذية لعبد الله نومسوك (ص ٣٩٦ - ٣٩٧).

[6] ومعنى ذلك: أنه لا يمكن عندهم نصر مذهب على مذهب، ولا تغليب مقالة على مقالة، بل دلائل كل مقالة مكافئة لدلائل سائر المقالات. انظر: الفصل الابن حزم (٥/ ٢٥٣).

٣ – وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنه لا موجود إلا ما وقعت عليه الحواس.[١] فهم يؤمنون بما تدركه الحواس الخمس فحسب، ولا يؤمنون بالغيبيات مهما كانت، والحواس بالنسبة إليهم تعطي الحقائق التي يمكن إدراكها ومعرفتها،

٤ – وأنكروا وقوع العلم من الأخبار المتواترة. [٢]

٥ – كما أنكروا الأعراض[٣] .

٦ – وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت،

٧ – ومنهم جماعة تؤمن بتناسخ الأرواح[٤]، وأخرى تنكر ذلك. فقال فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة فأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب، وروح الكلب إلى إنسان. ويقولون إن الأرض لا تزال تهوي سفلا بمن عليها.[٥]

[١] الحور العين للحميري (ص: ١٣٩).

[٢] انظر: أصول الدين، للبغدادي (ص ٣١٩ – ٣٢٠).

[٣] الحور العين للحميري (ص ١٣٩).

[٤] الكارما، في اللغة السنسكريتية تعني العمل، والهندوس يرون أن جميع أعمال البشر خيرا كانت أو شرا لابد من أن يجازي عليها بالثواب أو بالعقاب، ويكون الجزاء في هذه الحياة. أما التناسخ فهو القول بأن الروح بعد مفارقتها الجسد ترجع إلى العالم الأرضي، حيث تتقمص جسدا آخر لتثاب في الأرض أو تعاقب حسب ما قدمت من عمل في دورتها السابقة.

[٥] انظر: كتاب التوحيد للماتريدي (ص ١٥٢).

٨ – وكان فريق منهم يعبد الصنم (بوذا)، [١] وكتابهم المقدس (جورامين). [٢] ولا تلتزم هذه الفرقة بطقوس تعبد محددة، ولا يوجد لديها نصوص تستند إليها،

٩ – ولا يدفنون موتاهم، بل يطرحون جثثهم في الماء الجاري، لظنهم أن البوذا أمرهم بذلك. [٣] ولقد شبههم بعض علماء السنة بالمجوس. [٤]

١٠ – وذكر أن لأتباع مذهب السمنية "نبي" اسمه بوداسف، ولكنه ليس محصورا بشخص محدد، وإنما هو اسم مشتق من "بوديساتوا"، أي "الكائن المستنير" كما يصفه البوذيون، وهو الذي يتمتع بدرجة عالية من "الرقي الروحي"، ولكنه لم ينفصل عن الناس، بل بقي قريبا وملاصقا لهم، يعمل على تحريرهم من معاناتهم.

قال أيوب بن أبي تميمة: «ما أعلم أحدا من أهل الضلال أكذب على كتاب الله من السمنية، ثم علق على هذا الكلام محمد بن سلام البيكندي قائلا: «وهو عندنا كما قال. لا أعلم أحدا أجهل، ولا أحمق قولا منهم. لا يتعلقون من كتاب الله بشيء، ولا يحتجون، إنما هو حب وبغض: من أحب دخل الجنة، ومن أبغض دخل النار". [٥]

[١] تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني (ص ٩٣).

[٢] تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني (ص: ١٢٢).

[٣] تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني (ص:٤٧٩).

[٤] انظر ما نقله شيخ الإسلام عن الإمام محمد بن سلام البيكندي في التسعينية (١/ ٢٤٠). ولعل وجه الشبه بالمجوس أنهم ينكرون البعث والمعاد، والله أعلم.

[٥] أخرج هذا الأثر وعلق عليه الإمام أبو عبد الله محمد بن سلام في كتابه: السنة والجماعة، وكتابه مفقود، وقد ذكر هذا الأثر والتعليق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في: التسعينية (١/ ٢٣٩).

هذا أهم ما يعرف عن هذه الفرقة. [1]

المطلب الرابع: مدى تأثيرها

إذا كان الجهم هو الذي أظهر مقالة التعطيل، فلا شك أنه تأثر كذلك بالسمنية،

وهم ينتمون إلى الأديان الوثنية فقال ابن تيمية: "وأخذها الجهم أيضا –فيما ذكره الإمام أحمد وغيره –لما ناظر "السمنية" بعض فلاسفة الهند–" فهذا المشرب الثالث إنما جاء من طريق الجهم لما ناظر السمنية، فقد ذكر كثير من أهل العلم أن الجهم بن صفوان تناظر مع (السمنية)، وكان لهذه المناظرة أثر بالغ في انحرافه، فمن أجلها ترك الصلاة أربعين يوما، وشكك في وجود الله، ثم بعد ذلك أنكر العلو، والرؤية، وادعى أن الله في كل مكان.

---

[1] يقول الباحث ياسر قاضي: وهم معروفون بال (شمن) (، (Shamanism ويظهر من دراسة عقائدهم أنهم تحولوا كثيرا عبر العصور عن عقائدهم القديمة، حيث اهتمامهم الرئيس هو علاج الأمراض الطبية والنفسية بتعليم الحيوانات، ذلك لأنهم يعتقدون أن الحيوانات قادرة على الكلام، فيتكلمون معهم بطرق سحرية. وأظن أن الذي أداهم إلى هذا قول قدمائهم بتناسخ الأرواح، فيظنون أن روح الإنسان داخلة في هذا الحيوان الذي يخاطبونه.

وعددهم قليل جدا، وهم موجودون في قبائل المغول، والهنود الحمر في أمريكا. والكتابات عنهم نادرة، ولكن أكاد أجزم بحسب ما اطلعت عليه أن هذه الديانة هي ما تبقى من (السمنية) القديمة، وذلك لأمور، منها:

١) تشابه الاسمين (علما بأن بعض المصادر الإسلامية لقبتهم ب: الشمنية).

٢) ولأن (الشمن) المعاصرين لا يؤمنون بوجود إله خالق الكون أصلا، وهذا أمر نادر جدا عند الديانات القديمة.

٣) كما أن (الشمن) يذكرون أن أصولهم من بلاد آسيا، وهذا يتطابق مع أصل (السمنية)، إذ كانوا قوما من الهند.

٤) ثم عاداتهم في تعليم الحيوانات فيها إشارة إلى عقائد (السمنية) كما أسلفت. والله تعالى أعلم. انظر عن (الشمن) المعاصرين: (الإنترنت).

.http:// deoxy.org/ shaover.htm

مناظرة الجهم بن صفوان للسمنية. [1]

حفظت لنا كتب العقائد تفاصيل هذه المناظرة، وأثرها على الجهم، حيث نقلها كثير من علماء السلف. وفيما يلي بعض ما نقل عنهم حول هذه المناظرة.

قال ضمرة عن ابن شوذب: «ترك الجهم الصلاة أربعين يوما على وجه الشك، فخاصمه بعض السمنية، فشك فأقام أربعين يوما لا يصلي» ،ثم قال ضمرة: وقد رآه ابن شوذب. [2]

وقال مروان بن معاوية الفزاري: "جهم مكث أربعين يوما لا يعرف ربه". [3] وفي رواية عنه: «قبح الله جهما، حدثني ابن عم لي من أهل خراسان أن جهما شك في الله أربعين صباحا». [4]

وعن يزيد بن هارون قال: «لعن الله الجهم ومن قال بقوله، كان كافرا جاحدا ترك الصلاة أربعين يوما يزعم أنه يرتاد دينا، وذلك أنه شك في الإسلام» .ثم قال يزيد: «قتله سلم بن أحوز على هذا القول». [5]

وقال أبو حاتم الرازي:«افترقت الزنادقة على إحدى عشرة فرقة ... منهم الجهمية، وهم صنف من المعطلة، وهم أصناف. وإنما سموا الجهمية لأن جهم بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية،

[1] المصدر: كتاب مقالات الجهم بن صفوان وأثرها على الفرق الإسلامية ١/ ٨٦ – ٩٤.

[2] خلق أفعال العباد للبخاري (ص ١١)، والسنة للخلال (٥/ ٨٣)، والرد على الجهمية لابن بطة (٢/ ٩٠)، ومسائل أحمد، لأبي داود (ص ٢٩٩) وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٥/ ٩٢١).

[3] خلق أفعال العباد للبخاري (ص ٢٠).

[4] كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ص ١٧٤ و ٢٧٦)، والسنة للخلال (٥/ ٨٧)، والرد على الجهمية لابن بطة (٢/ ٩٣).

[5] كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ص ١٦٧)، والرد على الجهمية لابن بطة (٢/ ٩٤)، والكتاب اللطيف لابن شاهين (ص ٨٨).

وهم صنف من العجم كانوا بناحية خراسان، وكانوا شككوه في دينه وفي ربه، حتى ترك الصلاة أربعين يوما لا يصلي، فقال: لا أصلي لمن لا أعرف، ثم اشتق هذا الكلام». [1]

وروى أحمد بن حنبل عن علي بن عاصم أنه قال: «ذهبت إلى محمد بن سوقة، فقال: ههنا رجل قد بلغني أنه لم يصل، فمررت معه إليه، فقال: يا جهم، ما هذا؟ بلغني أنك لا تصلي.

قال: نعم. قال: مذ كم؟ قال: من تسعة وثلاثين يوما، واليوم أربعين. قال: فلم لا تصلي؟ قال: حتى يتبين لي لمن أصلي. قال: فجهد به ابن سوقة أن يرجع، أو أن يتوب، أو يقلع، فلم يفعل. فذهب إلى الوالي، فأخذه فضرب عنقه وصلبه». [2]

وقال الملطي: "وإنما سموا جهمية لأن جهم بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية – صنف من العجم بناحية خراسان. وكانوا شككوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يوما،وقال: لا أصلي لمن لا أعرفه، ثم اشتق هذا الكلام، وبنى عليه من بعده" . [3]وقال الصفدي: "ترك الصلاة أربعين يوما فأنكر عليه الوالي فقال: إذا ثبت عندي من أعبده صليت له، فضرب عنقه" [4]

ونقل اللالكائي من كتاب ابن أبي حاتم عن أبي معاذ خلف بن سليمان البلخي أنه قال: «كان جهم على معبر ترمذ، وكان رجلا كوفي الأصل، فصيح اللسان، لم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم. كان تكلم كلام المتكلمين، وكلمه السمنية، فقالوا له: صف لنا ربك الذي تعبده. فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا (وفي رواية:

---

[1] كتاب الإبانة لابن بطة كتاب الإيمان (١/ ٣٨١).

[2] تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ١٢١ – ١٩١ هـ، ص ٦٧).

[3] التنبيه والرد (ص ٩٦).

[4] الوافي بالوفيات (١١/ ١٦٠ – ١٦١).

قال لهم: أجلوني، فأجلوه) ثم خرج عليهم بعد أيام، فقال: هو هذا الهواء، مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء. ثم قال: أبو معاذ: كذب عدو الله، إن الله في السماء على عرشه وكما وصف نفسه». [1]

وقال محمد بن سلام البيكندي في كتابه السنة والجماعة:«وكان جهم -فيما بلغنا-لا يعرف بفقه ولا ورع ولا صلاح، أعطي لسانا منكرا، فكان يجادل ويقول برأيه. يجادل السمنية، وهم شبه المجوس، يعتقدون الأصنام، فكلمهم، فأحرجوه حتى ترك الصلاة أربعين يوما، لا يعرف ربه. وكلامهم يدعو إلى الزندقة، وكلامهم وصفناه لغير واحد من أهل الفقه والبصر، فمالوا آخر أمرهم إلى الزندقة، والرجل إذا رسخ في كلامهم ترك الصلاة واتبع الشهوات. [2]

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره تفاصيل هذه المناظرة، حيث قال: «وكان مما علمنا من أمر عدو الله جهم أنه كان من أهل خرسان من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى. فلقي ناسا من المشركين يقال لهم السمنية، فعرفوا الجهم، فقالوا له: «نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك».

فكان مما كلموا به جهما أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلها؟ قال جهم: نعم.

فقالوا له: هل رأيت إلهك؟

قال: لا.

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٢٤).

[2] ذكر هذا الكلام شيخ الإسلام في التسعينية (١/ ٢٤٠).

قالوا: فهل سمعت كلامه؟

قال: لا.

قالوا: فشممت له رائحة؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له حسا؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له مجسا؟

قال: لا.

قالوا: فما يدريك أنه إله؟

قال: فتحير جهم، فلم يدر من يعبد أربعين يوما، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى وذلك أن زنادقة النصارى تزعم أن الروح التي في عيسى–عليه السلام–هي روح الله من ذاته، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب، فدخل في جسد عيسي، فتكلم على لسان عيسي، وهو روح غائب عن الأبصار.

فاستدرك جهم من هذه الحجة، فقال للسمنية: ألستم تزعمون أن في أجسادكم أرواحا؟

قالوا: نعم.

قال: هل رأيتم أرواحكم؟

قالوا: لا.

قال جهم: فكذلك الله–عز وجل–، لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وهو في كل مكان.

وفي رواية أخرى: لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار) ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آيات في كتاب الله–عز وجل–من المتشابه قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾، [الشورى: ١١]، وقوله:﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣). فبنى أصل كلامه على هذه الثلاث الآيات، ووضع دين الجهمية، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ، وتأول كتاب الله على تأويله، فاتبعه من أهل البصرة من أصحاب عمرو بن عبيد، وأناس من أصحاب أبي حنيفة فأضل بكلامه خلقا كثيرا» انتهى كلامه–رحمه الله–.[1]

وقيل: إن جهما تحير في إجابة السمنية، فأرسل إلى واصل بن عطاء يستنجده، فأجابه واصل بحجج عقلية، إلا أن تفاصيل هذه القصة مخالفة تماما مع ما في جميع المصادر الأخرى، والظاهر أنه من مخترعات المعتزلة.[2]

---

[1] الرد على الجهمية للإمام أحمد، (ص: ١٠٢ – ١٠٤)، ورواه ابن بطة في الإبانة، كتاب الرد على الجهمية (٢/ ٨٧ – ٨٩)، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه.

[2] ذكر القاضي عبد الجبار هذه القصة بتفاصيلها، فقال: "وذكر أبو الحسن بن فرذويه أن قوما من السمنية أتوا جهم بن صفوان فقالوا له: هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟ قال: لا. قالوا: فحدثنا عن معبودك الذي تعبده أشيء وجدته في هذه المشاعر؟ قال: لا. قالوا: فإذا كان المعروف لا يخرج عن ذلك، وليس معبودك منها، فقد دخل في المجهول. قال: فسكت جهم، وكتب إلى واصل، فكتب إليه واصل: قد كان يجب أن تشترط وجهة سادسة، وهو الدليل، فتقول: إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل، فلما لم تشترط ذلك، شككت وكفرت ... » إلخ القصة، وفيه أن السمنية قصدوا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه المناظرة: «فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مبدأ حال جهم إمام هؤلاء المتكلمين النفاة يبين ما ذكرته فإنه لما ناظر من ناظره من المشركين السمنية من الهند، وجحدوا الإله، لكون الجهم لم يدركه شيء من حواسه، لا ببصره، ولا بسمعه، ولا بشمه، ولا بذوقه، ولا بحسه، كان مضمون هذا الكلام أن كل ما لا يحسه الإنسان بحواسه الخمس، فإنه ينكره ولا يقر به،فأجابهم الجهم: أنه قد يكون في الموجود ما لا يمكن إحساسه بشيء من هذه الحواس، وهي الروح التي في العبد، وزعم أنها لا تختص بشيء من الأمكنة، وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين. [1]

وقال أيضا: «فكان حق الجهم أن يقول لهم: إن أردتم أني لا بد أن أحس بإلهي فلا يجب عندكم أن ينكر الإنسان ما لم يحسه هو. وإن أردتم أنه لا بد أن يمكن أن يحس به فإلهي يمكن أن يرى وأن يسمع كلامه. وإن أردتم أنه لا بد أن يكون قد عرفه بالحس بعض الآدميين، فهذا –مع أنه غير واجب –فقد سمع كلامه من سمعه من الرسل، وهو أحد الحواس، وقد رآه بعضهم أيضا عند كثير من أهل الإثبات قالوا: وكان يقول لهم: أتريدون أنه لا بد أن يحسه هذا الحس الظاهر، أم يكفي إحساس الباطن إياه وشهوده إياه؟ الأول منقوض بأحوالنا الباطنية، الجسمانية والنفسية، وأما الثاني فمسلم، وقد شهدته بعض القلوب. فعدل عن ذلك، وادعي وجود موجود لا يمكن إحساسه، وهو الروح، وهذا هو قول المتفلسفة المشائين ... إلخ. [2]

واصلا وناظروا معه، ثم أسلموا. راجع: «فضل الاعتزال» و «طبقات المعتزلة» للقاضي عبد الجبار (ص ١٦٥ و ٢٤٠)، و «المنية والأمل» لابن المرتضى (ص: ١٩).

[1] التسعينية (١/ ٢٤٧).

[2] بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٠)، بتصرف يسير.

وهذه الشبهة تقوم على النظرة الفلسفية، وهي أن الإيمان فقط ينحصر في المحسوس المشاهد، وأنه لا قيمة لشيء بعد ذلك، وأنه لا يمكن أن نؤمن بشيء خارج هذه الحواس. فالمبدأ الفلسفي يقوم على ركيزتين

الأولى: أن مصدر العلم هو عقل الإنسان،

والثانية: وأن العلوم محصورة في المحسوس المشاهد.

ورد هذه الشبهة بسيط، فالإيمان لا يتوقف على المحسوسات، فالإنسان يؤمن بكثير من الأشياء وهو لا يحسها ولا يشاهدها، فالإيمان لا يتوقف على المحسوس والمشاهد. لكن الجهم لما قال له هؤلاء هذه الشبه تأثر بها حتى إنه بقي أربعين يوما لا يصلي.

فبعد ذلك خرج يدعو إلى نفي الصفات، وجعل وجود الله تعالى وجودا ذهنيا، فاكتسب هذا من السمنية، واقرأ هذا في كلام الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية.

فعرف ابن تيمية في الفتوى الحموية السمنية بأنهم: "وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات" وهذا مبدأ مشترك بين فلاسفة الهند، وفلاسفة اليونان، وفلاسفة الدنيا كلها إلى يومنا هذا، وسياسيات التعليم والتربية في يومنا هذا تعتمد على هذه المبادئ، ومن أجل ذلك جعلوا العلوم محصورة في العلوم الطبيعية، والعلوم الرياضية دون العلوم الدينية التي تعتمد على الغيب، وعلى الوحي، وعلى النصوص

الفصل الثالث: تحديد أبرز الفرق المخالفة التي تأثرت بالفكر الفلسفي

المبحث الأول: الانحرافات العقدية لدى الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

المبحث الثاني: المتأثرون بالفكر الفلسفي المشائي.

المبحث الثالث: المتأثرون بالفكر الفلسفي الإشراقي.

المبحث الرابع: المتأثرون بالفكر الفلسفي الباطني.

المبحث الأول: الانحرافات العقدية لدى الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

يمكن تقسيم مراحل الانحرافات العقدية إلى مرحلتين:

المطلب الأول: مرحل الظهور.

أول الفرق ظهورًا الخوارج والشيعة الذين ظهروا في آخر خلافة علي رضي الله عنه. [1] فقد كان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدرًا من خلافة عثمان متفقين لا تنازع بينهم، وكانوا على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول. [2]

[ظهور الخوارج]

إلى أن حدث في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه أمور أوجبت نوعا من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة فقتلوا عثمان رضي الله عنه سنة (٣٥ هـ) ، فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ووقعت الفتنة، وأدى ذلك إلى اقتتالهم بصفين سنة (٣٧ هـ) ، واتفقوا على تحكيم حكمين، فخرجت الخوارج من ذلك الحين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له: "حروراء"فكف عنهم إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، فعلم علي رضي الله عنه أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم فهم الفرقة المارقة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: "تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق". [3]

وكانت بدعتهم إنما هي من سوء فهمهم للقرآن؛ ولم يقصدوا معارضته، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ المؤمن هو البر والتقي، فقالوا: فمن لم يكن برا تقيا فهو كافر، وهو مخلد

---

١ درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٤)، مجموع الفتاوى (٦/ ٣٣).

٢ منهاج السنة (١/ ٣٠٦).

٣ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١١٣/٣).

في النار؛ ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

"الأولى": أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

"الثانية": أن عثمان وعليا ومن والاهما كانوا كذلك. [١]

وبذلك خرجت الخوارج بجهلهم وعتوهم وتكفيرهم للمسلمين وقتلهم إياهم. [٢] وكانت آراؤهم مفرعة على الجهل وقوة النفوس والاعتقاد الفاسد.

[ظهور الشيعة]

وحدثت أيضا في خلافة علي رضي الله عنه (٣٥-٤٠هـ) بدعة (التشيع) لكن أصحابها كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته، بل كانوا ثلاث طوائف.

الطائفة الأولى:

"الغلاة" المدعين لإلهية علي، وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار، فإنه خرج ذات يوم فسجدوا له،فقال لهم: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو. قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو. فقال: ويحكم هذا كفر فارجعوا عنه وإلا ضربت أعناقكم، فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك، فأخرهم ثلاثة أيام -لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام- فلما لم يرجعوا أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كنده، وقذفهم في تلك النار، وروى عنه أنه قال: لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

---

١ مجموع الفتاوى (١٣/٣١،٣٢).

٢ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ١٠).

والطائفة الثانية:

"السابة" الذين يسبون أبا بكر وعمر، فإن عليا لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل إنه أراد قتله فهرب منه إلى أرض قرقيسيا.

والطائفة الثالثة:

"المفضلة" الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر، فأمر بجلدهم، فقد روى عنه أنه قال: فلا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري.

وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، روى هذا عنه من أكثر من ثمانين وجها ورواه البخاري [١] وغيره. [٢]

قال الهروي: "وأما فتنة قصب السلف [أي الرفض] فإن الكوفة دارها التي حرفتها، ثم طار في الأفاق شررها، واستطار فيها ضررها، وإنما هاجتها أحلام فيها ضيق، وأشربتها قلوب فيها حمق، ولها عروق خفية، السلامة للقلوب في ترك إظهار بعضها، وأربابها أحمق خلق الله تعالى، عرضت تساوى بين علي بن أبي طالب وأبي بكر وعمر، ثم أخذت تفضله عليهما وتخاصمهما وتضلهما وتوليه حقهما، ثم جاءت تعدله بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وتشركه في وحي السماء، ثم خطأت جبريل عليه السلام في نزوله، فخلت الأمة من النبوة، وأحوجتها إلى علي رضي الله عنه، ثم ادعت له الإلهية ثم ادعتها لولده.

قال الإمام المطلبي: "لو كانوا دوابا لكانوا حمرا، ولو كانوا طيرا لكانوا رخما".

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب حدثنا الحميدي وعبد الله، (٧/ ٥).

٢ منهاج السنة (١/٣٠٧،٣٠٨)، مجموع الفتاوى (١٣/٣٣-٣٤).

فاستظهرت بهؤلاء الغالية أرباب القلوب المريضة، فتظاهرت على قصب السلف الذين هم الناقلون وفيهم قانون الدين والملة، فهؤلاء الذين قالوا في السلف الصالح بالقول السيئ أرادوا القدح في الناقل لأن القدح في الناقل إبطال المنقول، فأرادوا إبطال الشرع الذي نقلوا، وإنما تعلقوا بعلي بن أبي طالب تسلحا.

ولم تكابد الأمة من شؤم شيء ما كابدت من شؤوم تلك الفتنة. لم يكد قلب مسلم يسلم من شرب منها إلا من رحم ربك فعصم.١ [١]

ومنذ أن ظهر التشيع واليهود [٢] والمجوس [٣] يوقدون ناره تحت دعوى أن للرسول صلى الله عليه وسلم وصيًا هو علي بن أبي طالب، ولكن الصحابة تمالؤا على ظلمه وكتمان الوصية على حد زعمهم الكاذب.

ولم يزل التشيع يتطور بتطرفه وتشيعه، حتى صار ملجأ لكل من يريد أن يحارب الإسلام والمسلمين، فقد دخل في الرافضة أهل الزندقة والإلحاد من "النصيرية" و "الإسماعيلية" وأمثالهم من الملاحدة "القرامطة" وغيرهم ممن كان بخراسان والعراق والشام وغير ذلك. [٤]

ومن شنيع عقائدهم القول بأن القرآن مبدل ومحرف ومزيد فيه ومنقوص منه، وأن معظم الصحابة ارتدوا بعد إسلامهم إن لم يكونوا كلهم ماعدا علي بن أبي طالب ونفر قليل معهم.

---

١ ذم الكلام للهروي (ص: ٣٠٤-٣٠٥) «بتصرف».

٢ انظر كتاب بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، لعبد الله الجميلي.

٣ انظر كتاب «وجاء دور المجوس» لعبد الله الغريب.

٤ مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٢٨).

وقد وصل الضلال ببعضهم والجراءة على الله تعالى، إلى أن يقول بخيانة جبريل للرسالة، وأنه أرسل إلى علي فعدل إلى محمد.

ولم يزل الرفض يبتعد بأهله عن الدين والعقل والفطرة إلى يومنا هذا. [1]

فهاتان البدعتان: بدعة الخوارج والشيعة، حدثتا في ذلك الوقت لما وقعت الفتنة، [2] بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فلما قتل ذو النورين بين ظهراني المسلمين في الشهر الحرام، وفي حرم الرسول صلى الله عليه وسلم بأعين المسلمين، وانشقت العصا وتفرقت الجماعة، تشاءمت الأعين، وتخاذلت الأنفس، اختلفت الآراء، وتباعدت القلوب، وساءت الظنون، واستعلت الريب، واستقوت التهم، وجدت كل فتنة فرصتها، فلفظت غصتها، واشتغل الرعاع، وأسلم الشارك، وتزاحف أئمة الهدى رغبة في زهرة الدنيا، فأخذت الغواة أزمة الضلالة، فتهوست لها من قلوب أهل الغفلة. [3]

[ظهور القدرية]

ثم حدثت بعد ذلك بدعة "القدرية" في آخر عصر الصحابة [4] وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير (٦٤-٧٣هـ) بعد موت معاوية. [5]

---

١ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ١٠).

٢ منهاج السنة (١/ ٣٠٨).

٣ ذم الكلام للهروي (ص: ٣٠٣).

٤ منهاج السنة (١/ ٣٠٨).

٥ الحسنة والسيئة (ص: ١٠٣).

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع. [1] رضي الله عنهم.

وابن عباس مات (٦٨هـ) قبل ابن الزبير وابن عمر مات عقب موته (٧٤هـ) . وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز، والشام، والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة، وأقله كان بالحجاز. [2]

وأول من عرف بنفي القدر، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني. [3]

قال الهروي: "فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني رجل من أهل البصرة، كان عنده حظ من العلم يقال له معبد بن خالد، ويقال معبد بن عبد الله بن عويم، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشعث، وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد الله بن عمر بن الخطاب. [4] مات قبل التسعين [5] قتله الحجاج بن يوسف وقيل صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين. [6]

١ منهاج السنة (ص: ١٠٣).

٢ الحسنة السيئة (ص: ١٠٣).

٣ تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥).

٤ ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

٥ سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

٦ تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني. [1]

قال الهروي: (فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان، وكان عنده حظ من العلم، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان، واستتابه عمر بن عبد العزيز، ثم ظهر منه تكذيب التوبة [2] زمن يزيد بن عبد الملك ثم لما ولى هشام بن عبد الملك سنة (١٠٦هـ) أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته، ثم قتله، [3] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر. [4]

"وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه، ونظم له كلاما ونصبه إماما، ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبا يسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأولى رأس المعتزلة، سموا به لاعتزاله حلقة الحسن البصري، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع، سيفا من سيوف الإسلام وهو أبوبكر أيوب بن أبي تميمة السختياني، فهتك استاره، وأظهر عواره، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة". [5]

---

١ سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

٢ ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

٣ الشريعة للآجري (ص: ٢٢٨)، التنبيه والرد للملطي (ص: ١٦٨).

٤ ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

٥ ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة. [1]

وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وآمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه، وظنوا أيضا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد.

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروه إنكارا عظيما وتبرؤا منهم. ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين.

١- "النفاة": يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئا من أفعال العباد.

٢- "المجبرة" كالجهم بن صفوان وأمثاله، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط. [2]

[ظهور المعتزلة]

ثم أحدثت المعتزلة القول بالمنزلة بين المنزلتين وقالوا بإنفاذ الوعيد وخلود أهل التوحيد في النار، وأن النار لا يخرج منها من دخلها. [3]

---

١ ذم الكلام (ص: ٣٠٥).

٢ مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦-٣٧).

٣ كتاب الحسنة والسيئة (ص: ١٠٣).

وكانت "الخوارج" قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا: "إنهم كفار مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك [١] وخاض في ذلك المعتزلة بعد موت الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) في أوائل المائة الثانية، ولم يكن الناس إذ ذاك قد أحدثوا شيئا من نفي الصفات. [٢]

فقال عمرو عبيد (: ١٤٣هـ) وأصحابه لا هم مسلمون ولا كفار بل هم في منزلة بين المنزلتين، وهم مخلدون في النار. فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون، وعلى أنهم ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء، ولكن لم يسموهم كفارا. واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري، مثل قتادة وأيوب السختياني وأمثالهما، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن، وقيل إن قتادة كان يقول: أولئك المعتزلة. [٣]

والمعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا، ولهذا لما ذكر الإمام أحمد قول جهم في رده على الجهمية قال: "فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره، واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف والنظام وأشباههم من أهل الكلام". [٤]

---

١ مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧).

٢ كتاب الحسنة والسيئة (ص: ١٠٣).

٣ مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧-٣٨).

٤ شرح الأصفهانية (ص: ٦٥).

[ظهور المرجئة]

وحدثت المرجئة، وكان أكثرهم من أهل الكوفة، فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا إن الأعمال ليست من الإيمان. [1]

وأول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث سنة (٨٣ هـ) وقيل إن أول من قال به هو ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني (توفي قبل المائة)

فقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن سلمة بن كهيل "قال: وصف "ذر" الإرجاء وهو أول من تكلم فيه، ثم قال إني أخاف أن يتخذ هذا دينا، فلما أتته الكتب من الأفاق قال فسمعته يقول بعد وهل أمر غير هذا". [2]

وقال أبو داود: كان مرجئا وهجره إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير بالإرجاء. [3]

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن حماد بن أبي سليمان (ت: ١٢٠هـ) هو أول من قال بالإرجاء". [4]

وكانت بدعة الإرجاء مقتصرة في بدايتها على إرجاء الفقهاء ولذلك كانت هذه البدعة أخف البدع، فإن كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم، إذ كان الفقهاء الذين يضاف إليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر

---

١ مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨).

٢ السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٣٢٩/١ رقم: ٦٧٧).

٣ تهذيب التهذيب (٣/ ٢١٨).

٤ مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٧، ٣١١)، (٥/ ٥٠٧).

بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة، وعلى أنه لابد في الإيمان أن يتكلم بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب. فكان الخلاف معهم في الأعمال هل هي من الإيمان؟، وفي الاستثناء ونحو ذلك عامته نزاع لفظي. [1]

وصارت المرجئة بعد ذلك على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذين قالوا "الإيمان تصديق القلب وقول اللسان" وهؤلاء يسمون مرجئة الفقهاء. وهم علماؤهم وأئمتهم وأحسنهم قولا.

وقد استقر إرجاء الفقهاء على ثلاثة أسس هي:

١- زعمهم أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان وأن الإيمان هو التصديق.

٢- زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣- زعمهم أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان.

القسم الثاني: الذين قالوا: "هو تصديق القلب فقط" وإن لم يتكلم به.

وهذا قول الجهمية، وهو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه. فالجهم كان يقول إن الإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم يتكلم به. وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها، بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول. ولكن هذا هو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه؟! ولكن قالوا مع ذلك إن كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره واستدللنا على تكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة.

---

١ مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨،٤٨).

القسم الثالث: الذين يقولون: "الإيمان هو القول فقط".

فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار، وهذا قول الكرامية.

وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان، وبعض الناس يحكى عنهم أن من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، بل يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان، وإنه من أهل النار. [١]

[ظهور المعطلة]

ظهرت مقالة التعطيل التي هي مقالة "الجهمية" في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية. [٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه المسألة: (هذه مسألة كبيرة عظيمة القدر اضطرب فيها خلائق من الأولين والآخرين من أوائل المائة الثانية من الهجرة النبوية، فأما المائة الأولى فلم يكن بين المسلمين اضطراب في هذا. وإنما نشأ ذلك في أوائل المائة الثانية لما ظهر "الجعد بن درهم" وصاحبه "الجهم بن صفوان" ومن تبعهما من المعتزلة وغيرهم على انكار الصفات". [٣]

وقد جاءت هذه المقالة من حيث الترتيب بعد مقالات الخوارج، والشيعة والقدرية والمعتزلة والمرجئة فقد كانت تلك المقالات أسبق في الظهور منها.٣ [٤]

---

١ مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨،٤٨-٥٥،٥٦).

٢ منهاج السنة (١/ ٣٠٩)، مجموع الفتاوى (١٣/ ١٧٧).

٣ مجموع الفتاوى (٦/ ٣٣) .

٤ الناس في ترتيب أهل الأهواء على «أقسام» :

لكن مقالة التعطيل تعد أغلظ تلك البدع، والسبب في ذلك:

أولا: أن أصحاب هذه المقالة كانوا أول من عارض الوحي بالرأي ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة علي رضي الله عنه، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم، ولا يدعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص.١ [1]

قال ابن القيم-رحمه الله-: "مضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النور [أي نور الوحي] ، لم تطفئه عواصف الأهواء، ولم تلتبس به ظلم الآراء، وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم، وأن لا يخرجوا عن طريقهم، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمة، ومع هذا لم يفارقوه بالكلية، بل كانوا للنصوص معظمين، وبها مستدلين، ولها على العقول والآراء مقدمين، ولم يدع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص، وإنما أتوا من سوء الفهم فيها والاستبداد بما ظهر لهم منها، دون من قبلهم، ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم.

١- منهم من يرتبهم على زمن حدوثهم، فيبدأ بالخوارج.

٢- ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية، كما فعله كثير من أصحاب أحمد-رحمه الله-، كعبد الله ابنه ونحوه، وكالخلال، وأبي عبد الله بن بطة، وأمثالهما، وكأبي الفرج المقدسي، وكلا الطائفتين تختم بالجهمية؛ لأنهم أغلظ البدع، وكالبخاري في صحيحه فإنه بدأ بـ «كتاب الإيمان والرد على المرجئة» وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية، ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات، فيكون الكلام أولا مع الجهمية) انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٩-٥٠).

١ درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٤).

فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر، ورموهم بالعظائم، وتبرؤا منهم، وحذروا من سبيلهم أشد التحذير وكانوا لا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة، وهو أكثر من أن يذكر هاهنا.

فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي.

ثانيا: أن بدعة هؤلاء كانت في أعظم مسائل الإيمان ألا وهي الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، بل أعظم مسائل الدين وهذا ما لم يسبقهم إليه أحد من أهل المقالات إلا القدرية روى عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن أبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمي [١] قال: (ليس قوم أشد نقضا للإسلام من الجهمية والقدرية، وأما الجهمية فقد بارزوا الله تعالى؛ وأما القدرية فقد قالوا في الله عز وجل".[٢]

ودخل رأس من رؤوس الزنادقة يقال له "شمعلة" على المهدي فقال: دلني على أصحابك. فقال: أصحابي أكثر من ذلك.

فقال: دلني عليهم.

فقال: صنفان ممن ينتحل القبلة: الجهمية والقدرية. [٣]

---

١ الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٩-١٠٧٠).

٢ شيخ الاسلام أبو المعتمر سليمان بن طرخان القيسي البصري مولاهم، لم يكن تيميًا بل نزل فيهم، ثقة عابد، مات سنة ١٤٣هـ (التقريب ١/ ٣٢٦).

٣ السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٠٤، ١٠٥)، رقم (٨).

الجهمي إذا غلا قال ليس ثم شيء وأشار إلى السماء. والقدري إذا غلا قال: هما اثنان، خالق خير وخالق شر فضرب عنقه وصلبه. [1]

وقال عبد الله بن المبارك: "ليس تعبد الجهمية شيئًا" [2] وقد مضى عصر الصحابة [3] وعقيدة الإيمان بأسماء الله وصفاته محفوظة مصونة. إلى أن ابتدع الجعد مقالته في أواخر عصر التابعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام –أعني أن الله ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم". [4]

فالجعد بن درهم هو أول من عرف عنه أنه أظهر في الإسلام مقالة التعطيل. [5]

قال الهروي: "وأما فتنة إنكار الكلام لله عز وجل فأول من زرعها جعد بن درهم، فلما ظهر جعد قال الزهري –وهو أستاذ أئمة الإسلام وقائدهم–: (ليس الجعد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم". [6]

وقال ابن القيم: "فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي، ومع هذا كانوا قليلين أولا مقموعين مذمومين عند الأئمة، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم، وإنما نفق عند الناس

١ كتاب خلق أفعال العباد (ص: ١١)، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد (١/ ٤٨).

٢ السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٠٩)، رقم (١٧).

٣ كان آخر الصحابة موتا الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضي الله عنه، وصحح الذهبي أنه مات سنة عشر ومائة. انظر تدريب الراوي ٢/٢٢٨،٢٢٩.

٤ الفتوى الحموية (ص: ٤٧).

٥ منهاج السنة (١/ ٣٠٩)، مجموع الفتاوى (١٣/ ١٧٧).

٦ ذم الكلام (ص: ٣٠٤).

بعض الشيء لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه، ولهذا كان يسمى مروان الجعدي، وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة.

فلما اشتهر أمره في المسلمين، طلبه خالد بن عبد الله القسري وكان أميرا على العراق، حتى ظفر به، فخطب الناس في يوم الأضحى، وكان آخر ما قال في خطبته: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر فكان ضحية، ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رمي بها، والناس إذ ذاك عنق واحد أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال وأنه كلم عبده ورسوله موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما". [1]

"مرحلة الجهم بن صفوان"

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان [2] الذي أخذ عن الجعد بن درهم مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة [3] والجهم هو الذي نشر ذلك المذهب وتكلم عليه فبسطه وطراه ودعا إليه، وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المبالغة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه، نظرا لما كان عليه من سلاطة في اللسان، وكثرة الجدل والمراء.

فهو صاحب ذلك المذهب الخبيث الذي اشتهر بنسبته إليه والذي صار به مذهبا، فلم يزل هو يدعو إليه الرجال، وامرأته "زهرة" تدعو إليه النساء، حتى استهويا به خلقا من خلق الله كثيرًا.

---

١ الصواعق المرسلة (٣/١٠٧٠-١٠٧٢).

٢ منهاج السنة (١/ ٣٠٩).

٣ مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠)، البداية (٩/ ٣٥٠).

وكانت فتنته بالمشرق، فهناك بسطت ومهدت ثم سارت في البلاد. [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثم ظهر جهم بن صفوان من ناحية المشرق من ترمذ، ومنها ظهر رأي جهم. ولهذا كان علماء السنة والحديث بالمشرق أكثركلاما في رد مذهب جهم من أهل الحجاز، مثل إبراهيم بن طهمان، وخارجة بن مصعب، ومثل عبد الله بن المبارك، وأمثالهم وقد تكلم في ذمهم ابن الماجشون، وغيرهما وكذلك الأوزاعي، وحماد بن زيد وغيرهم". [2]

وقد ظهر الجهم في آخر دولة بني أمية. وقد قتل في بعض الحروب [3] سنة (١٢٨هـ).

وينقسم المعطلة إلى قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول من المعطلة وهم الفلاسفة.

وهم صنفان:

الصنف الأول: أهل الفلسفة البحتة. ١

الصنف الثاني: أهل الفلسفة الباطنية، وهي نوعان:

أ-رافضية.	ب-صوفية.

وهم ينقسمون إلى قسمين:

---

١ ذم الكلام للهروي (ص: ٣٠٥).

٢ مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٥١).

٣ مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٢).

القسم الأول: أهل فلسفة محضة كالفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، والكندي (ت: ٢٥٩ هـ)، وابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥ هـ). (١)

القسم الثاني: أهل فلسفة باطنية وتنقسم إلى قسمين:

الأول: فلسفة باطنية إسماعيلية قرمطية كابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وإخوان الصفا. (٢)

الثاني: فلسفة صوفية اتحادية كابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، وابن سبعين (ت: ٦٦٩ هـ)، وابن الفارض (ت: ٦٣٢ هـ).

"وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه. وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو، وهم المشاؤون خاصة وهم الذين هذب ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، طريقتهم وبسطها وقررها. وهي التي يعرفها، بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين"[٣].

والذي ينبغي معرفته أن الفلاسفة لا يؤمنون بوجود الله حقيقة، ولا يؤمنون بوحي ولا نبوة ولا رسالة، وينكرون كل غيب، فالمبادئ الفلسفية جميعها تقوم على أصلين هما:

الأول الأول: أن الأصل في العلوم هو عقل الإنسان، فهو عندهم مصدر العلم.

الأصل الثاني: أن العلوم محصورة في الأمور المحسوسة المشاهدة فقط.

فتحت الأصل الأول أبطلوا الوحي، وتحت الأصل الثاني أبطلوا الأمور الغيبية بما فيها الإيمان بالله واليوم الآخر.

وقد تسلط الفلاسفة على المسائل الاعتقادية وزعموا أنها مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة ولا وجود لها في الخارج، فلا الله موجود حقيقة، ولا نبوة ولا نبي على التحقيق، ولا ملائكة، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور.

وهم على أربع درجات:

الدرجة الأولى: درجة المكذبة النفاة:

(١) منهاج السنة ٢/ ٥٢٣، ٥٢٤.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص: ٧٦.

٣ إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٧).

وهي التي عليها غُلاة الجهمية وطائفة من الفلاسفة (١) وهو كذلك قول ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ) وأمثاله. (٢)

فهم يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون له إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان (٣)، فهؤلاء وصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات. (٤)

الدرجة الثانية: المتجاهلة الواقفة:

وهم الذين يقولون: لا نُثبت ولا نَنفي، وهذه الدرجة للقرامطة الباطنية المتفلسفة (٥) فهؤلاء يسلبون عنه النقيضين فيقولون: لا موجود، ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول؛ وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول-صلى الله عليه وسلم-، فوقعوا في شر مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات. (٦)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فالقرامطة الذين قالوا لا يوصف بأنه حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، بل قالوا لا يوصف بالإيجاب ولا بالسلب، فلا يقال حي عالم ولا ليس بحي عالم، ولا يقال هو عليم قدير ولا يقال ليس بقدير عليم، ولا يقال هو متكلم مريد، ولا يقال ليس بمتكلم مريد، قالوا: لأن في الإثبات تشبيهًا بما تثبت له هذه الصفات، وفي النفي تشبيه له بما ينفي عنه هذه الصفات". (٧)

الدرجة الثالثة: المتجاهلة اللا أدرية:

وهم الذين يقولون: نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، فلا ننفي النقيضين، بل نسكت عن هذا وهذا، فنمتنع عن كل من المتناقضين، لا نحكم بهذا ولا بهذا، فلا نقول: ليس بموجود ولا معدوم، ولكن لا نقول هو موجود ولا نقول هو معدوم.

---

(١) -مجموع الفتاوى ٣/ ٧-٨.

(٢) -الصفدية ١/ ٢٩٩، ٣٠٠.

(٣) -مجموع الفتاوى ٣/ ٧، شرح الأصفهانية ص: ٥١،٥٢.

(٤) -مجموع الفتاوى ٣/ ٨.

(٥) -شرح العقيدة الأصفهانية ص: ٧٦.

(٦) -مجموع الفتاوى ٣/ ٧-٨.

(٧) -شرح العقيدة الأصفهانية ص: ٧٦.

ومن الناس من يحكي نحو هذا عن الحلاج (ت: ٣٠٩ هـ)، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه. (١)

الدرجة الرابعة: أصحاب وحدة الوجود:

وهم الذين لا يميزون الخالق بصفات تميزه عن المخلوق، ويقولون بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق. فعلى سبيل المثال هم يقولون بأن الله هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام وفي ذلك يقول ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ):

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

يعم به أسماع كل مكـون فمنه إليه بدؤه وختامه (٢)

فيزعمون أنه هو المتكلم على لسان كل قائل. ولا فرق عندهم بين قول فرعون: {أنا ربُّكم الأعلى} [النازعات: الآية: ٢٤] {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي} [القصص: الآية: ٣٨] وبين القول الذي يسمعه موسى {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: الآية: ١٤]. بل يقولون: إنه الناطق في كل شيء، فلا يتكلم إلا هو، ولا يسمع إلا هو، حتى قول مسيلمة الكذاب، والدجال، وفرعون، يصرحون بأن أقوالهم هي قوله". (٣)

وهذا قول أصحاب وحدة الوجود كابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، وابن سبعين وابن الفارض، والعفيف التلمساني.

وأصل مذهبهم: أن كل واحد من وجود الحق، وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر إليه، وفي هذا يقول ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ):

فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده. (٤)

القسم الثاني: الفلاسفة الباطنية المتصوفة.

وسيأتي الحديث عنهم.

القسم الثاني من المعطلة وهم: أهل الكلام.

والفرق بين الفلاسفة وأهل الكلام أن الفلاسفة ينظرون إلى العقائد على أنها أوهام وخيالات.

وأما أهل الكلام فإنهم يوافقون الفلاسفة في بعض المسائل، كتقديم العقل على النقل في أمور العقائد، ولكن أهل الكلام أقل شرًّا من الفلاسفة.

---

(١) -الصفدية ١/ ٩٦-٩٨.

(٢) -الفتوحات المكية ٤/ ١٤١، ط: دار صادر، بيروت.

(٣) -بغية المرتاد ص٣٤٩.

(٤) -فصوص الحكم ٨٣/١.

وقد شارك أهل الكلام الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة. وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم: إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريرا لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ قال الله أو قال رسوله–صلى الله عليه وسلم–، أو قال الصحابة، فإنك لا تجد في كتبهم إلا قال الفضلاء، قال العقلاء، قال الحكماء، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين، فكيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله–صلى الله عليه وسلم–والأخذ بكلام من لا يعرف الله ولا يؤمن برسوله. والمطلع على كتب أهل الكلام يدرك عظم الضرر الذي جنته على الأمة المسلمة، إذ تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة لله ورسوله ولدينه، وجعل بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل والتخييل.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بني آدم حشواً وقولاً للباطل، وتكذيباً للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد–والله أعلم –تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك".[١]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "من تعوّد معارضة الشرع بالرأي، لا يستقر في قلبه الإيمان".[٢]

النوع الثاني من أهل الكلام: متكلمة الصفات:

وهم الذين يقولون بقيام بعض الصفات بالذات، ونفي أن يقوم به بعض الصفات، وهؤلاء هم: متكلمة الصفاتية (الكلابية –الأشاعرة –الماتريدية).

وأهل الكلام ليسوا صنفاً واحداً بل هم عدة أصناف، وهم

١. الجهمية، ٢. المعتزلة، ٣. الكلابية، ٤. الأشاعرة، ٥. الماتريدية.

وهذه الأصناف الخمسة كل له قوله ورأيه بحسب الشبه العقلية التي استند إليها.

---

١ نقض المنطق، ابن تيمية، ص (٢٤).

٢ درء التعارض (١٧٨/١).

أولاً: الجهمية.

فأما الجهمية فهم أتباع جهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ)الذي أخذ عن الجعد ابن درهم (ت: ١٢٤ هـ) مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة [١]، وقد نشر الجهم مقالة التعطيل وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المغالاة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه نظراً لما كان عليه من سلاطة اللسان وكثرة الجدال والمراء.

من أشهر معتقداتهم:

١. إنكارهم لجميع الأسماء والصفات كما سيأتي تفصيله.

٢. أنهم في باب الإيمان مرجئة، يقولون: إن الإيمان يكفي فيه مجرد المعرفة القلبية، وهذا شر أقوال المرجئة.

٣. أنهم في باب القدر جبرية، ينكرون قدرة العبد واختياره في فعله.

٤. ينكرون رؤية الخلق لله يوم القيامة.

٥. يقولون إن القرآن مخلوق.

٦. يقولون بفناء الجنة والنار.

إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة التي قال بها الجهمية.

ثانياً: المعتزلة.

وهم أتباع واصل بن عطاء (ت: ١٣١ هـ) وعمرو بن عبيد (ت: ١٤٣ هـ)، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي:

١. التوحيد، ٢. العدل، ٣. الوعد والوعيد، ٤. المنزلة بين المنزلتين، ٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والاعتزال في حقيقته يحمل خليطاً من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج، والرافضة.

فقد شاركوا الجهمية في بعض أصولهم، فوافقوهم في إنكار الصفات، فزعموا أن ذات الله لا تقوم بها صفة ولا فعل، كما سيأتي تفصيله. وقالوا بإنكار رؤية الله يوم القيامة وقالوا إن القرآن مخلوق إلى غير ذلك.

كما شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة الله في أفعال العباد، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم.

---

١ مختصر تاريخ دمشق (٦/٥٠)، والبداية (٩/٣٥٠).

كما شاركوا الخوارج في مسألة الإيمان، وقالوا بقولهم إن الإيمان قول، واعتقاد، وعمل، لا يزيد ولا ينقص، وأنه إذا ذهب بعضه زال كلّه.

وبناءً على ذلك شاركوهم في مسألة مرتكب الكبيرة، فالمعتزلة وإن قالوا بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، لكنهم وافقوا الخوارج في قولهم بأن مرتكب الكبيرة في الآخرة خالد مخلد في النار.

وأخذوا كذلك عن الخوارج رأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما أنهم شاركوا الروافض في الطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان من كلام واصل بن عطاء (ت: ١٣١ هـ) في أهل صفين قوله: "إن كليهما فاسق لا بعين" وقوله عن علي ومعاوية–رضي الله عنهما–: "لو أن كليهما جاء عندي يشهد على حزمة بقل ما قبلت شهادتهما"، وأواخر المعتزلة كانوا أقرب إلى التشيع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقدماء الشيعة كانوا مخالفين للمعتزلة بذلك (يعني مسائل الصفات والقدر)، فأما متأخروهم من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ونحو ذلك، فإنهم صار فيهم من يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم، والمعتزلة شيوخ هؤلاء إلى ما يوجد في كلام ابن النعمان المفيد (ت: ٤١٤ هـ)، وصاحبيه أبي جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، والملقب بالمرتضى (ت: ٤٣٦ هـ) ونحوهم هو من كلام المعتزلة، وصار حينئذ في المعتزلة من يميل إلى نوع من التشيع إما تسوية علي بالخليفتين، وإما تفضيله عليهما، وإما الطعن في عثمان، وإن كانت المعتزلة لم تختلف في إمامة أبي بكر وعمر.

وقدماء المعتزلة كعمرو بن عبيد (ت: ١٤٣ هـ) وذويه كانوا منحرفين عن علي حتى كانوا يقولون: لو شهد هو وواحد من مقاتليه شهادة لم نقبلها، لأنه قد فسق أحدهما لا بعينه. فهذا الذي عليه متأخرو الشيعة والمعتزلة خلاف ما عليه أئمة الطائفتين وقدماؤهم". [١]

كما أخذوا عن الشيعة الرافضة أكثر آرائهم الخاصة بالإمامة.

وعلى هذا فأفكار المعتزلة إنما هي خليط من آراء الفرق المخالفة في عصرهم.

وأفكار المعتزلة يحملها اليوم كل من: الرافضة الإمامية، والزيدية، والإباضية، وكذلك من يسمون بالعقلانيين. فالمعتزلة ومعهم النجارية والضرارية والرافضة الإمامية والزيدية والإباضية وغيرهم. وهؤلاء مشتركون مع الجهمية والفلاسفة في نفي الصفات (٢) وإن كان بين الفلاسفة والمعتزلة نوع فرق (٣) فالمعتزلة تجمع على غاية

---

١ نقض تأسيس الجهمية (١/٥٤–٥٥).

(٢) –مجموع الفتاوى ١٣/١٣١.

(٣) –مجموع الفتاوى ٦/٥١.

واحدة وهي نفي إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها. ولكنهم سلكوا طريقين في موقفهم من الصفات.

الطريق الأول: الذي عليه أغلبيتهم وهو نفيها صراحة فقالوا: إن الله عالم بذاته لا بعلم وهكذا في باقي الصفات.

والطريق الثاني: الذي عليه بعضهم وهو إثباتها اسماً ونفيها فعلاً فقالوا: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته وهكذا بقية الصفات، فكان مجتمعاً مع الرأي الأول في الغاية وهي نفي الصفات.

والمقصود بنفي الصفات عندهم: هو نفي إثباتها حقيقة في الذات ومتميزة عنها، وذلك أنهم يجعلونها عين الذات فالله عالم بذاته بدون علم أو عالم بعلم وعلمه ذاته. (١)

وهناك آراء أخرى للمعتزلة لكنها تجتمع في الغاية مع الرأيين الأولين، وهو التخلص من إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها. (٢)

وهذه الآراء للمعتزلة حملها عنهم الزيدية والرافضة الإمامية (٣)والإباضية. وابن تومرت (ت: ٥٢٤ هـ) (٤)، وابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ). (٥)

فالمعتزلة يرون امتناع قيام الصفات به، لاعتقادهم أن الصفات أعراض، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه فقالوا حينئذ إن القرآن مخلوق، وإنه ليس لله مشيئة قائمة به، ولا حب ولا بغض ونحو ذلك.

وردوا جميع ما يضاف إلى الله إلى إضافة خلق، أو إضافة وصف من غير قيام معنى به. (٦)

النجارية:

وهم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله النجار المتوفى سنة (ت: ٢٢٠ هـ) تقريباً

---

(١) -المعتزلة وأصولهم الخمسة ص: ١٠٠.

(٢) -المصدر السابق ص: ١٠١.

(٣) -كان أبو عبد الله محمد بن تومرت على مذهب المعتزلة في نفي الصفات، شرح الأصفهانية ص: ٢٣.

(٤) -لم يكن في قدماء الرافضة من يقول بنفي الصفات بل كان الغلو في التجسيم مشهوراً عن شيوخهم هشام بن الحكم وأمثاله، شرح الأصفهانية ص: ٦٨.

(٥) -درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٥٠،٢٤٩.

(٦) -مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٩،١٤٨،١٤٧.

وكان يزعم أن الله سبحانه لم يزل جواداً بنفي البخل عنه، وأنه لم يزل متكلماً بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام، وأن كلام الله سـبحانه محدث مخلوق، وكان يقول بقول المعتزلة في التوحيد، إلا في باب الإرادة والجود، وكان يخالفهم في القدر ويقول بالإرجاء. (١)

الضرارية:

وهم أتباع ضـرار بن عمرو الغطفاني (ت: ١٩٠ هـ) تقريباً وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر أنه ليس بجاهل ولا عاجز وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري لنفسه". (٢)

فكل من النجارية والضـرارية يحملون النصـوص الثبوتية على المعاني السـلبية، كما قال البغدادي عنهم: "من غير إثبات معنى أو فائدة سوى نفي الوصف بنقيض تلك الأوصاف عنه". (٣)

وكان الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية هم خصوم أهل السنة زمن فتنة القول بخلق القرآن. (٤)

ثالثاً: متكلمة الصفاتية (الكلابية –الأشاعرة –الماتريدية).

١. أما الكلابية:

وهم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان (ت: ٢٤٣ هـ). ٥

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ): "كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) صنفين:

فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله –تعالى–من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها.

والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا.

فأثبت ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها. ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري)، وأبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وغيرهما.

---

(١) –مقالات الإسلاميين ١/ ٣٤١–٣٤٢، وانظر الفرق بين الفرق ص: ٢٠٧، والملل والنحل ١/ ٨٩،٩٠.

(٢) –مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٩.

(٣) –الفرق بين الفرق ص: ٢١٥.

(٤) –مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٥١،٣٥٢.

٥ مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٥).

وأما الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ)، ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وأتباعه ثم قيل عن الحارث: إنه رجع عن قوله". [١]
فهذا النهج الذي أحدثه ابن كلاب هو ما صار يعرف فيما بعد بمنهج متكلمة الصفاتية لأن ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) كان في طريقته يميل إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن كان في طريقته نوع من البدعة، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته.

وقد كانت له جهود في الرد على الجهمية[٢] ولكنه ناظرهم بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولاً هم واضعوها من امتناع تكلمه تعالى بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك.[٣] فأصبح بعد ذلك قدوة وإماماً لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها، لكن شاركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول". [٤]

فابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) أحدث مذهباً جديداً، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية. وبذلك يكون قد أسس مدرسة ثالثة وهي مدرسة «الصفاتية» التي اشتهرت بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية. [٥] وقد سار على هذا النهج القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري)، والأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، والمحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ)، وغيرهم، وهؤلاء هم سلف الأشعري والأشاعرة القدماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وكان أبو محمد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) هو الأستاذ الذي اقتدى به الأشعري في طريقه هو وأئمة أصحابه، كالحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ)، وأبي

---

١ درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١).

٢ مجموع الفتاوى (١٢/٣٦٦).

٣ مجموع الفتاوى (١٢/٣٧٦).

٤ مجموع الفتاوى (١٢/٣٦٦).

٥ مجموع الفتاوى (١٢/٢٠٦).

العباس القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري)، وأبي سليمان الدمشقي (كان حيًا سنة ٣٥١ هـ)، وأبي حاتم البستي (ت: ٣٥٤ هـ)". [1]

فابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) هو إمام الأشعرية الأول، وكان أكثر مخالفة للجهمية، وأقرب إلى السلف من الأشعري[2].

ولكن هذا النهج الكلابي ابتعد شيئاً فشيئاً عن منهج السلف، وأصبح يقرب أكثر فأكثر إلى نهج المعتزلة وذلك على يد وارثيه من الأشاعرة.

فابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) كما أسلفنا كان أقرب إلى السلف من أبي الحسن الأشعري، وأبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، والقاضي أبو بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) وأتباعه. [3]

ولهذا يوجد في كلام الرازي والغزالي ونحوهما من الفلسفة مالا يوجد في كلام أبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) وذويه، ويوجد في كلام الرازي والغزالي والجويني (ت: ٤٧٨هـ) من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه، ويوجد في كلام أبي الحسن الأشعري من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذي أخذ أبو الحسن طريقته.

ويوجد في كلام ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) من النفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة. وإذا كان الغلط شبراً صار في الأتباع ذراعاً ثم باعاً حتى آل إلى هذا المآل والسعيد من لزم السنة. [4]

وقد تلاشت الكلابية كفرقة، لكن أفكارها حملت بواسطة الأشاعرة، فقد احتفظ الأشعري وقدماء أصحابه بأفكار الكلابية ونشروها، وبذلك اندرست المدرسة الكلابية الأقدم تاريخاً والأسبق ظهوراً في الأشعرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والكلابية هم مشايخ الأشعرية، فإن أبا الحسن الأشعري إنما اقتدى بطريقة أبي محمد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ)، وابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) كان أقرب إلى السلف زمناً وطريقة. وقد

---

١ منهاج السنة (٣٢٧/٢).

٢ مجموع الفتاوى (٢٠٢/١٢، ٢٠٣).

٣ مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٢).

٤ بغية المرتاد (ص٤٥١).

جمع أبو بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) كلام ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) والأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وبين اتفاقهما في الأصول". ١

فالكلابية أسبق في الظهور من الأشاعرة والماتريدية، فقد نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث، وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة، فقد توفي ابن كلاب سنة (ت: ٢٤٣ هـ).

قولهم في الصفات.

الكلابية: أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ)، وقول الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) (٢) وأبي العباس القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري)، وأبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، وقدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري والباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) وابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأبي جعفر السمناني (ت: ٤٤٤ هـ)، ومن تأثر بهم من الحنابلة كالقاضي أبي يعلى (ت: ٤٥٨ هـ)، وابن عقيل (ت: ٥١٣ هـ) وأبي الحسن بن الزاغوني (ت: ٥٢٧ هـ)، والتميميين وغيرهم. (٣)

وهؤلاء يجمعهم أنهم نفاة الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة.

وهؤلاء يسمَّوْن الصفاتية لأنهم يثبتون صفات الله تعالى خلافاً للمعتزلة، لكنهم لم يثبتوا لله أفعالاً تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته. (٤)

وأصلهم الذي أصلوه في هذا أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته (٥) لا فعل ولا غير فعل. (٦)

والفرق بينهم وبين المعتزلة:

---

١ الاستقامة (١/١٠٥).

(٢) -قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكان الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) يوافقه -أي يوافق ابن كلاب -ثم قيل إنه رجع عن موافقته؛ فإن أحمد بن حنبل أمر بهجر الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) وغيره من أصحاب ابن كلاب لما أظهروا ذلك، كما أمر السري السقطي الجنيد أن يتقى بعض كلام الحارث؛ فذكروا أن الحارث رحمه الله تاب من ذلك. وكان له من العلم والفضل والزهد والكلام في الحقائق ما هو مشهور وحكى عنه أبوبكر الكلاباذي صاحب (مقالات الصوفية): (أنه كان يقول إن الله يتكلم بصوت)، وهذا يوافق قول من يقول: إنه رجع عن قول ابن كلاب). مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢١،٥٢٢.

(٣) -مجموع الفتاوى ٥/٤١١، ٦/٥٢،٥٣، ٤/١٤٧، شرح الأصفهانية ص: ٧٨

(٤) -مجموع الفتاوى ٦/٥٢٠.

(٥) -مجموع الفتاوى ٦/٥٢٤.

(٦) -مجموع الفتاوى ٦/٥٢٢.

أن المعتزلة تقول: (لا تحله الأعراض والحوادث) فالمعتزلة لا يريدون [بالأعراض] الأمراض والآفات فقط، بل يريدون بذلك الصفات. ولا يريدون [بالحوادث] المخلوقات، ولا الأحداث المحيلة للمحل ونحو ذلك –مما يريده الناس بلفظ الحوادث–بل يريدون نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها فلا يجوزون أن يقوم به خلق، ولا استواء، ولا إتيان، ولا مجيء، ولا تكليم، ولا مناداة، ولا مناجاة، ولا غير ذلك مما وصف بأنه مريد له قادر عليه.

ولكن ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ). ومن وافقه خالفوا المعتزلة في قولهم: "لا تقوم به الأعراض" وقالوا: "تقوم به الصفات ولكن لا تسمى أعراضاً".

ووافقوا المعتزلة على ما أرادوا بقولهم: لا تقوم به الحوادث من أنه لا يقوم به أمر من الأمور المتعلقة بمشيئته. (١)ففرقوا بين الأعراض –أي الصفات–والحوادث–أي الأمور المتعلقة بالمشيئة. (٢)(٣)

(١) –مجموع الفتاوى ٥٢١/٦،٥٢٠.

(٢) –مجموع الفتاوى ٥٢٥/٦.

(٣) –تتميماً للفائدة فإن الخلاف في هذه المسألة على أربعة أقوال:

١ –قول المعتزلة ومن وافقهم: أن الله لا يقوم به صفة ولا أمر يتعلق بمشيئته واختياره وهو قولهم: (لا تحله الأعراض ولا الحوادث).

٢ –قول الكلابية ومن وافقهم: التفريق بين الصفات والأفعال الاختيارية فأثبتوا الصفات، ومنعوا أن يقوم به أمر يتعلق بمشيئته وقدرته لا فعل ولا غير فعل.

٣ –قول الكرامية ومن وافقهم: يثبتون الصفات ويثبتون أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك حادث بعد أن لم يكن، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك، وقالوا لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها.

٤ –قول أهل السنة والجماعة: أثبتوا الصفات والأفعال الاختيارية وأن الله متصف بذلك أزلاً، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم، وإن كانت المفعولات محدثة. وهذا هو الصحيح. مجموع الفتاوى ١٤٩/٦،٥٢٥،٥٢٠.

فالكلابية ومن تبعهم ينفون صفات أفعاله (١)، ويقولون: "لو قامت به لكان محلاً للحوادث. والحادث إن أوجب له كمالاً فقد عدمه قبله وهو نقص، وإن لم يوجب له كمالاً لم يجز وصفه به. (٢). ولتوضيح قولهم نقول: إن المضافات إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة لا تخلو من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إضافة الصفة إلى الموصوف

كقوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ} [البقرة: الآية: ٢٥٥] وقوله: {إن الله هو الرَّزَّاق ذو القوَّة} [الذاريات: الآية: ٥٨]، فهذا القسم يثبته الكلابية ولا يخالفون فيه أهل السنة، وينكره المعتزلة.

والقسم الثاني: إضافة المخلوق.

كقوله تعالى: {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس الآية: ١٣]، وقوله تعالى: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ} [الحج: الآية: ٢٦] وهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق.

والقسم الثالث: -وهو محل الكلام هنا-ما فيه معنى الصفة والفعل.

كقوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء الآية: ١٦٤] وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} [المائدة: الآية: ١]، وقوله تعالى: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ} [البقرة: الآية: ٩٠].

فهذا القسم الثالث لا يثبته الكلابية ومن وافقهم على زعم أن الحوادث لا تحل بذاته. فهو على هذا يلحق عندهم بأحد القسمين قبله فيكون:

١-إما قديماً قائماً به.

٢-وإما مخلوقاً منفصلاً عنه.

ويمتنع عندهم أن يقوم به نعت أو حال أو فعل ليس بقديم ويسمون هذه المسألة: ((مسألة حلول الحوادث بذاته)) (٣) وذلك مثل صفات الكلام، والرضا، والغضب، والفرح، والمجيء، والنزول والإتيان، وغيرها. وبالتالي هم يؤولون النصوص الواردة في ذلك على أحد الوجوه التالية:

(١) -الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، أو التي تنفك عن الذات: كالاستواء، والنزول، والضحك، والإتيان، والمجيء، والغضب والفرح. مجموع الفتاوى ٦/٦٨، ٥/٤١٠.

(٢) -مجموع الفتاوى ٦/٦٩، وانظر الرد على هذه الشبهة ٦/١٠٥.

(٣) -مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٧،١٤٤.

(١)-إرجاعها إلى الصفات الذاتية واعتبارها منها، فيجعلون جميع تلك الصفات قديمة أزلية، ويقولون: نزوله، ومجيئه وإتيانه، وفرحه، وغضبه، ورضاه، ونحو ذلك: قديم أزلي. (١) وهذه الصفات جميعها صفات ذاتية لله، وإنها قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته واختياره. (٢)

(٢)-وإما أن يجعلوها من باب «النسب» و«الإضافة» المحضة بمعنى أن الله خلق العرش بصفة تحت فصار مستوياً عليه، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه فيصير جائياً إليهم ونحو ذلك. وأن التكليم إسماع المخاطب فقط. (٣)

فهذه الأمور من صفات الفعل منفصلة عن الله بائنة وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به. ولهذا يقول كثير منهم: "إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات. (٤)

(٣) -أو يجعلوها "أفعالاً محضة" في المخلوقات من غير إضافة ولا نسبة. (٥)

مثل قولهم في الاستواء إنه فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم بالله فعل اختياري. (٦)

وكقولهم في النزول إنه يخلق أعراضاً في بعض المخلوقات يسميها نزولاً. (٧)

ونفاة الصفات الاختيارية يثبتون الصفات التي يسمونها عقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. واختلفوا في صفة البقاء.

ويثبتون في الجملة الصفات الخبرية كالوجه، واليدين، والعين ولكن إثباتهم لها مقتصر على بعض الصفات القرآنية، على أن بعضهم إثباته لها من باب التفويض.

وأما الصفات الخبرية الواردة في السنة كاليمين، والقبضة، والقدم، والأصابع فأغلب هؤلاء يتأولها. (٨)

---

(١) -مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٢.

(٢) -مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٠.

(٣) -مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٩.

(٤) -مجموع الفتاوى ٥/ ٤١١،٤١٢.

(٥) -مجموع الفتاوى ١٤٩/٦.

(٦) -مجموع الفتاوى ٤٣٧/٥، الأسماء والصفات للبيهقي ص٥١٧.

(٧) -مجموع الفتاوى ٣٨٦/٥.

(٨) -مجموع الفتاوى ٥٢/٦، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٠٣٤،١٠٣٦/٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة، وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد كلاب (ت: ٢٤٣ هـــ) وأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، وأئمة أصـــحابه: كأبي عبد الله بن مجاهد (ت: ٣٧٠ هـ)، وأبي الحســـن الباهلي (ت: ٣٧٠ هـ)، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـــ)، وأبي إسحاق الإسفرائيني (ت: ٤١٨ هـ)، وأبي بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأبي محمد بن اللبان (ت: ٤٠٢ هـ)، وأبي علي بن شـاذان (ت: ٤٢٥ هـ)، وأبي القاسـم القشـيري (ت: ٤٦٥ هـ)، وأبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، وغير هؤلاء. فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصــفات الخبرية ما شــاء الله تعالى. وعماد المذهب عندهم: إثبات كل صفة في القرآن.

وأما الصفات التي في الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها. (١)

وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت بقية فرق أهل الكلام وهم الأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) والماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) وهي الفرق القائمة حتى زماننا هذا.

٢. الأشعرية:

يعتبر أبو الحسن الأشعري امتداداً للمذهب الكلابي فأبو الحسن الأشعري الذي عاش في الفترة ما بين (٢٦٠هـ -٣٢٤هـ) كان معتزلياً إلى سن الأربعين، حيث عاش في بيت أبي علي الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة في البصرة، ثم رجع عن مذهب المعتزلة وسلك طريقة ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وتأثر بها مدة طويلة، ولعل السبب في ذلك أنه وجد في كتب ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وكلامه بغيته من الرد على المعتزلة وإظهار فضائحهم وهتك أستارهم، وكان ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) قد صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم. ولكن فات الأشعري أن ابن كلاب وإن رد على المعتزلة وكشف باطلهم وأثبت لله تعالى الصفات اللازمة، فقد وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالى وقدرته، فنفى كما نفت المعتزلة أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته. كما نفى أيضاً الصفات الاختيارية مثل الرضى، والغضب، والبغض، والسخط وغيرها.

(١) -مجموع الفتاوى ٤/١٤٨،١٤٧.

وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويلقى الدروس في الرد على المعتزلة سالكاً هذه الطريقة.

ثم التقى بزكريا بن يحي الساجي فأخذ عنه ما أخذ من أصول أهل السنة والحديث، [1] وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها[2] ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى وذلك بآخر أمره.

ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة، فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك. [3]

وقال عنه السجزي: "رجع في الفروع وثبت في الأصول" [4] أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات، مثل دليل الأعراض وغيره. [5]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاَّب البصري (ت: ٢٤٣ هـ)، وأبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة. ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً". [6]

---

١ مجموع الفتاوى (٥/ ٣٨٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٩٠٧).

٢ العلو (ص١٥٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٩٠٧).

٣ مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٤).

٤ الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٦٨).

٥ موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٣٦٧).

٦ الاستقامة (١/ ٢١٢).

وقال أيضاً: "والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) والأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) بقايا من التجهم والاعتزال، مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام، وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشاؤها ويختارها، وأمثال ذلك". ١

وقد مرت الأشعرية بأطوار ومراحل كان أولها زيادة المادة الكلامية، ثم الجنوح الكبير للمادة الاعتزالية، ثم خلط هذه العقيدة بالمادة الفلسفية.

فالأشعرية المتأخرة مالوا إلى نوع التجهم بل الفلسفة وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه. ٢

فقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية بالجملة، كأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأبي عبد الله بن مجاهد (ت: ٣٧٠ هـ)، وأبي الحسن الباهلي (ت: ٣٧٠ هـ)، والقاضي أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، وأبي إسحاق الإسفرائيني (ت: ٤١٨ هـ)، وأبي بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأبي محمد بن اللبان (ت: ٤٠٢ هـ)، وأبي علي بن شاذان (ت: ٤٢٥ هـ)، وأبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥ هـ)، وأبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، وغير هؤلاء. ٣

لكن المتأخرين من أتباع أبي الحسن الأشعري كأبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي (: ٦٠٦ هـ)، والآمدي (ت: ٦٣١ هـ)، وغيرهما.

ونفاة الصفات الخبرية منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوض معناها إلى الله تعالى.

وأما من أثبتها كالأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأئمة أصحابه. فهؤلاء يقولون: تأويلها بما يقتضي نفيها تأويل باطل، فلا يكتفون بالتفويض بل يبطلون تأويلات النفاة. ٤

وهذا الاضطراب في العقيدة الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين سببه ما أسلفنا من ميل الأشاعرة بأشعريتهم إلى الاعتزال أكثر فأكثر بل إنهم خلطوا معها الفلسفة.

قولهم في الصفات.

---

١ درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٩٧).

٢ درء تعارض العقل والنقل (٩٧/٧).

٣ مجموع الفتاوى (١٤٧/٤، ١٤٨).

٤ منهاج السنة (٢٢٣/٢، ٢٢٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فالأشعرية وافق بعضهم المعتزلة في الصفات الخبرية، وجمهورهم وافقهم في الصفات الحديثية، وأما الصفات القرآنية فلهم قولان: فالأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، والباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) وقدماؤهم يثبتونها، وبعضهم يقر ببعضها؛ وفيهم تجهم من جهة أخرى.

فإن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) شرب كلام الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم.

وابن الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) أكثر إثباتاً بعد الأشعري(ت: ٣٢٤ هـ)، وبعد ابن الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) ابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، فإنه أثبت بعض ما في القرآن.

وأما الجويني (ت: ٤٧٨هـ) ومن سلك طريقته فمالوا إلى مذهب المعتزلة فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم (ت: ٣٢١ هـ)، قليل المعرفة بالآثار، فأثر فيه مجموع الأمرين. [١]

فما إن جاء أبوبكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، فتصدى للإمامة في تلك الطريقة وهذبها ووضع لها المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية من حيث وجوب الإيمان بها [٢] وأسهم إلى حد كبير في تنظير المذهب الأشعري الكلامي وتنظيمه مما أدى إلى تشابه منهجي بين المذهب الأشعري والمذهب المعتزلي فقد كان الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) يجعل النص هو الأساس والعقل عنده تابع، أما الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) فالعقيدة كلها بجميع مسائلها تدخل في نطاق العقل[٣] ويعتبر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) المؤسس الثاني للمذهب الأشعري[٤].

ثم جاء بعده إمام الحرمين الجويني (ت: ٤٧٨هـ) فاستخدم الأقيسة المنطقية في تأييد هذه العقيدة، وخالف الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) في كثير من القواعد التي وضعها. وإن كان الجويني

---

١ منهاج السنة (٢/٢٢٣، ٢٢٤).

٢ مقدمة ابن خلدون (ص٤٦٥)، ط: مصطفى محمد.

٣ مقدمة التمهيد للباقلاني (ص١٥)، بتحقيق الخضيري وأبو ريدة.

٤ نشأة الأشعرية وتطورها (ص٣٢٠).

(ت: ٤٧٨هـ) قد استفاد أكثر مادته الكلامية من كلام الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، لكنه مزج أشعريته بشيء من الاعتزال استمده من كلام أبي هاشم الجبائي المعتزلي (ت: ٣٢١ هـ) على مختارات له، وبذلك خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة.

وأما كلام أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) فلم يكن يستمد منه، وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس [١] وعلى طريقة الجويني (ت: ٤٧٨هـ) اعتمد المتأخرون من الأشاعرة، كالغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) وابن الخطيب الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني (ت: ٤٧٨ هـ) مادة فلسفية، وبذلك ازدادت الأشعرية بعداً وانحرافاً.

فالغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني (ت: ٤٧٨هـ) في "الإرشاد" و"الشامل" ونحوهما مضموماً إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ). ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٧ هـ)، ولهذا يقال أبو حامد أمرضه "الشفا"، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي (ت: ٤١٤ هـ)، ونحو ذلك.

وأما الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي (ت: ٤٧٨ هـ) و الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري (ت: ٥١٢ هـ)، عن أبي المعالي (ت: ٤٧٨ هـ)، وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري (ت: ٤٣٦هـ)، وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٧ هـ) و الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) ونحوهما. [٢]

والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام وجبرية في باب القدر، وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم، ولا يرون الخروج على الأئمة بالسيف موافقة لأهل الحديث وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى أهل السنة والحديث. [٣]

وهناك عدة عوامل أدت إلى انتشار الأشعرية واشتهارها لعل من أبرزها ما يلي:

أولاً: نشأةُ المذهب في "بغداد" التي كانت حاضرة الخلافة العباسية ومحط أنظار طلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها من شتى الأقطار، فهذا العامل أدى بدوره إلى تبني البعض للمذهب

---

١ بغية المرتاد (ص٤٤٨، ٤٥١)، بتصرف.

٢ بغية المرتاد (ص: ٤٤٨)، بتصرف.

٣ مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥).

الأشعري والسعي لنشره في الأقطار الأخرى [1] بسبب تواجد كثير من أعيان المذهب الأشعري في بغداد في ذلك الحين.

ثانياً: التقارب الذي كان موجوداً بين الأشعرية والحنبلية وما نفقت الأشعرية وراجت إلا بتوالفها مع الحنبلية. ولولا ذلك لكان مصيرها مصير المعتزلة الذين كان للحنابلة دور كبير في مقاومتهم والرد عليهم. وقد كان بين الأشعرية والحنبلية شيء من التوالف والمسالمة وكانوا قديما متقاربين. فإن أبا الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) ما كان ينتسب إلا إلى مذهب أهل الحديث، وإمامهم عنده أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، وكان عداده في متكلمي أهل الحديث.

والأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم.

وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) [2] وكان تلميذاً لابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) الذي كان من أشعرية خراسان الذين انحرفوا إلى التعطيل، فلما صنف القاضي أبو يعلى الحنبلي (ت: ٤٥٨ هـ) كتابه «إبطال التأويلات» رد فيه على ابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) شيخ القشيري وكان الخليفة وغيره مائلين إليه. فلما صار للقشيرية دولة بسبب السلاجقة جرت تلك الفتنة. [3]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فَالْأَشْـعَرِيَّةُ " وَافَقَ بَعْضُـهُمْ فِي الصِّـفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَجُمْهُورُهُمْ وَافَقَهُمْ فِي الصِّفَاتِ الحديثية؛ وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فَلَهُمْ قَوْلَانِ:

- فَالْأَشْعَرِيُّ (ت: ٣٢٤ هـ)، والباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) وَقُدَمَاؤُهُمْ يُثْبِتُونَهَا.
- وَبَعْضُهُمْ يُقِرُّ بِبَعْضِهَا؛

وَفِيهِمْ تَجَهُّمٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى:

- فَإِنَّ الْأَشْعَرِيَّ شَرِبَ كَلَامَ الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ) شَيْخِ الْمُعْتَزِلَةِ وَنِسْبَتُهُ فِي الْكَلَامِ إلَيْهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا عِنْدَ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ؛
- وَابْنُ الْبَاقِلَانِي (ت: ٤٠٣ هـ) أَكْثَرُ إثْبَاتًا بَعْدَ الْأَشْعَرِيِّ فِي " الْإِبَانَةِ ".

---

١ انظر كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٤٩٩).

٢ مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢-٥٣).

٣ مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢-٥٤).

- وَبَعْدَ ابْنِ الْبَاقِلَانِي (ت: ٤٠٣ هـ) ابْنُ فورك (ت: ٤٠٦ هـ) فورك (ت: ٤٠٦ هـ) فَإِنَّهُ أَثْبَتَ بَعْضَ مَا فِي الْقُرْآنِ.
- وَ " أَمَّا الجُوَيْنِي (ت: ٤٧٨هـ)" وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَتَهُ: فَمَالُوا إلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ فَإِنَّ أَبَا الْمَعَالِي كَانَ كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ لِكُتُبِ أَبِي هَاشِمٍ (ت: ٣٢١ هـ) قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِالْآثَارِ فَأَثَّرَ فِيهِ مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ.
- والقشيري (ت: ٤٦٥ هـ) تِلْمِيذُ ابْنِ فورك (ت: ٤٠٦ هـ)؛ فَلِهَذَا تغلظ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ مِنْ حِينَئِذٍ وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَنْبَلِيَّةِ تَنَافُرٌ بَعْدَ أَنْ كَانُوا متوالفين أَوْ مُتَسَالِمِينَ.

وَ " أَمَّا الْحَنْبَلِيَّةُ:

- فَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ (ت: ٤٠٣ هـ)، قَوِيٌّ فِي الْإِثْبَاتِ جَادٌّ فِيهِ يَنْزِعُ لِمَسَائِلِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ؛
- وَسَلَكَ طَرِيقَهُ صَاحِبُهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى؛ لَكِنَّهُ أَلْيَنُ مِنْهُ وَأَبْعَدُ عَنْ الزِّيَادَةِ فِي الْإِثْبَاتِ.
- وَأَمَّا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بَطَّةَ فَطَرِيقَتُهُ طَرِيقَةُ الْمُحَدِّثِينَ الْمَحْضَةِ كَأَبِي بَكْرٍ الآجري فِي " الشَّرِيعَةِ " واللالكائي فِي السُّنَنِ وَالْخَلَّالُ مِثْلُهُ قَرِيبٌ مِنْهُ وَإِلَى طَرِيقَتِهِ يَمِيلُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَمُتَأَخِّرُو الْمُحَدِّثِينَ.
- [وَ " أَمَّا التَّمِيمِيُّونَ "كَأَبِي الْحَسَنِ وَابْنِ أَبِي الْفَضْلِ (ت: ٤١٠ هـ) وَابْنِ رِزْقِ اللَّهِ (ت: ٤٨٨ هـ)] فَهُمْ أَبْعَدُ عَنْ الْإِثْبَاتِ وَأَقْرَبُ إلَى مُوَافَقَةِ غَيْرِهِمْ وَأَلْيَنُ لَهُمْ؛ وَلِهَذَا تَتْبَعُهُمْ الصُّوفِيَّةُ وَيَمِيلُ إلَيْهِمْ فُضَلَاءُ الْأَشْعَرِيَّةِ: كَالْبَاقِلَانِي (ت: ٤٠٣ هـ)، وَالْبَيْهَقِي؛ فَإِنَّ عَقِيدَةَ أَحْمَد الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو الْفَضْلِ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا البيهقي مَعَ أَنَّ الْقَوْمَ مَاشُونَ عَلَى السُّنَّةِ.
- وَأَمَّا ابْنُ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) فَإِذَا انْحَرَفَ وَقَعَ فِي كَلَامِهِ مَادَّةٌ قَوِيَّةٌ مُعْتَزِلِيَّةٌ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ الْأَشْعَرِيُّ أَحْسَنَ قَوْلًا مِنْهُ وَأَقْرَبَ إلَى السُّنَّةِ. فَإِنَّ الْأَشْعَرِيَّ مَا كَانَ يَنْتَسِبُ إلَّا إلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَإِمَامُهُمْ عَنْهُ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ (ت: ٣٦٣ هـ) وَغَيْرُهُ فِي مُنَاظَرَاتِهِ: مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ عِنْدَهُ مِنْ مُتَكَلِّمِي أَهْلِ الْحَدِيثِ لَمْ يَجْعَلْهُ مُبَايِنًا لَهُمْ؛ وَكَانُوا قَدِيمًا مُتَقَارِبِينَ إلَّا أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ مَا قَدْ يُنْكِرُونَهُ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إلَى شَيْءٍ مِنْ الْكَلَامِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْبِدْعَةِ؛ مَعَ أَنَّهُ فِي أَصْلِ مَقَالَتِهِ لَيْسَ عَلَى السُّنَّةِ الْمَحْضَةِ بَلْ هُوَ مُقَصِّرٌ عَنْهَا تَقْصِيرًا مَعْرُوفًا.

وَ " الْأَشْــعَرِيَّةُ " فِيمَا يُثْبِتُونَهُ مِنْ السُّــنَّةِ فَرْعٌ عَلَى الْحَنْبَلِيَّةِ كَمَا أَنَّ مُتَكَلِّمَةَ الْحَنْبَلِيَّةِ -فِيمَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنْ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ-فَرْعٌ عَلَيْهِمْ؛

وَإِنَّمَا وَقَعَتْ الْفُرْقَةُ بِسَبَبِ فِتْنَةِ القشيري. وَلَا رَيْبَ أَنَّ " الْأَشْعَرِيَّةَ " الخراسانيين كَانُوا قَدْ انْحَرَفُوا إلَى التَّعْطِيلِ.

وَكَثِيرٌ مِنْ الْحَنْبَلِيَّةِ زَادُوا فِي الْإِثْبَاتِ. وَصَــنَّفَ الْقَاضِــي أَبُو يَعْلَى (ت: ٤٥٨ هـ) كِتَابَهُ فِي " إبْطَالِ التَّأْوِيلِ " رَدَّ فِيهِ عَلَى ابْنِ فورك (ت: ٤٠٦ هـ) شَيْخِ القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) وَكَانَ الْخَلِيفَةُ وَغَيْرُهُ مَائِلِينَ إلَيْهِ؛ فَلَمَّا صَارَ للقشيرية دَوْلَةٌ بِسَبَبِ السَّلَاجِقَةِ جَرَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ وَأَكْثَرُ الْحَقِّ فِيهَا كَانَ مَعَ الفرائية مَعَ نَوْعٍ مِنْ الْبَاطِلِ وَكَانَ مَعَ القشــيرية فِيهَا نَوْعٌ مِنْ الْحَقِّ مَعَ كَثِيرٍ مِنْ الْبَاطِلِ.

فَابْنُ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) إنَّمَا وَقَعَ فِي كَلَامِهِ الْمَادَّةُ الْمُعْتَزِلِيَّةُ بِسَــبَبِ شَــيْخِهِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَبِي الْقَاسِــمِ بْنِ التَّبَّانِ المعتزليين؛ وَلِهَذَا لَهُ فِي كِتَابِهِ " إثْبَاتِ التَّنْزِيهِ " وَفِي غَيْرِهِ كَلَامٌ يُضَاهِي كَلَامَ المريسي وَنَحْوِهِ لَكِنْ لَهُ فِي الْإِثْبَاتِ كَلَامٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ وَعَلَيْهِ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ فِي كِتَابِ "الْإِرْشَــادِ" مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَزِيدُ فِي الْإِثْبَاتِ لَكِنْ مَعَ هَذَا فَمَذْهَبُهُ فِي الصِّــفَاتِ قَرِيبٌ مِنْ مَذْهَبِ قُدَمَاءِ الْأَشْــعَرِيَّةِ والْكُلَّابِيَة فِي أَنَّهُ يُقِرُّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ وَيَتَأَوَّلُ غَيْرَهُ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْضُ الْحَنْبَلِيَّةِ أَنَا أُثْبِتُ مُتَوَسِّــطًا بَيْنَ تَعْطِيلِ ابْنِ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ)، وَتَشْــبِيهِ ابْنِ حَامِدٍ.

- وَالْغَزَالِيُّ (ت: ٥٠٥ هـ) فِي كَلَامِهِ مَادَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ كَبِيرَةٌ بِسَبَبِ كَلَامِ ابْنِ سِينَا (ت: ٤٢٧ هـ) فِي " الشـفا " وَغَيْرِهِ؛ " وَرَسَـائِلِ إخْوَانِ الصَّـفَا " وَكَلَامِ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ (ت: ٤١٤ هـ). وَأَمَّا الْمَادَّةُ الْمُعْتَزِلِيَّةُ فِي كَلَامِهِ فَقَلِيلَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ كَمَا أَنَّ الْمَادَّةَ الْفَلْسَــفِيَّةَ فِي كَلَامِ ابْنِ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) قَلِيلَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَكَلَامُهُ فِي "الْإِحْيَاءِ" غَالِبُهُ جَيِّدٌ لَكِنَّ فِيهِ مَوَادَّ فَاسِدَةً: مَادَّةٌ فَلْسَـفِيَّةٌ وَمَادَّةٌ كَلَامِيَّةٌ وَمَادَّةٌ مِنْ تُرَّهَاتِ الصُّــوفِيَّةِ؛ وَمَادَّةٌ مِنْ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُــوعَةِ. وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) قَدْرٌ مُشْـتَرَكٌ مِنْ جِهَةِ تَنَاقُضِ الْمَقَالَاتِ فِي الصِّـفَاتِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكْفُرُ فِي أَحَدِ الصِّـفَاتِ بِالْمَقَالَةِ الَّتِي يَنْصُـرُهَا فِي الْمُصَـنَّفِ الْآخَرِ؛ وَإِذَا صَـنَّفَ عَلَى طَرِيقَةِ طَائِفَةٍ غَلَبَ عَلَيْهِ مَذْهَبُهَا.

- وَأَمَّا ابْنُ الْخَطِيبِ (ت: ٦٠٦ هـ) فَكَثِيرُ الِاضْـطِرَابِ جِدًّا لَا يَسْـتَقِرُّ عَلَى حَالٍ وَإِنَّمَا هُوَ بَحْثٌ وَجَدَلٌ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يَطْلُبُ وَلَمْ يَهْتَدِ إلَى مَطْلُوبِهِ؛ بِخِلَافِ أَبِي حَامِدٍ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْتَقِرُّ". [١]

ثالثاً: انتساب بعض الأمراء والوزراء للمذهب الأشعري وتبنيهم له ومن أبرزهم:

أ-الوزير نظام الملك (ت: ٤٨٥ هـ) الذي تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة فتولى الوزارة لألب أرسلان وملكشاه مدة ثلاثين سنة وذلك من سنة (٤٥٥هـ إلى ٤٨٥هـ).

وفي عهده أنشئت المدارس النظامية نسبة إليه وذلك في عدة مدن منها البصرة، وأصفهان، وبلخ، وهراة، ومرو، والموصل، وأهمها وأكبرها المدرسة النظامية في نيسابور وبغداد.

وكان نظام الملك معظماً للصوفية والأشعرية، إذ كان هؤلاء الذين يلقون الدروس في هذه المدارس، فكان لذلك دوره الكبير في نشر أصول العقيدة الأشعرية[٢].

ب-المهدي بن تومرت (٥٢٤ هـ) صاحب دولة الموحدين واسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، الذي تلقب بالمهدي، وكان قد ظهر في المغرب في أوائل المائة الخامسة، وكان قد دخل إلى بلاد العراق، وتعلم طرفاً من العلم، وكان فيه طرف من الزهد والعبادة، ولما رجع إلى المغرب صعد إلى جبال المغرب ونشر دعوته بين أناس من البربر وغيرهم من الجهال الذي لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله فعلمهم بعض شرائع الإسلام واستجاز أن يظهر لهم أنواعاً من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين، وادعى أنه المهدي الذي بشر به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. وعظم اعتقاد أتباعه فيه، واستحلوا بسبب ما علمهم من المعتقد الأشعري والفلسفي دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا على معتقد أهل السنة واتهموهم زوراً وبهتاناً أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة. [٣]

فكان ابن تومرت هو السبب في إدخال العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب التي كانت قبل ذلك سنية سلفية فحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

[١] مجموع الفتاوى:٦/ ٥١-٥٦.

٢ انظر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٥٠٠).

٣ انظر مجموع الفتاوى (١١/ ٤٧٥).

جـ-صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩ هـ)، وكان صلاح الدين الأيوبي أشعرياً، فقد حفظ في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري (ت: ٥٧٨ هـ) أحد أعلام الأشعرية وصار يحفظها صغار أولاده، ولذلك نشأ هو وأولاده على المعتقد الأشعري، فحمل صلاح الدين الكافة على عقيدة أبي الحسن الأشعري، وتمادى الحال على ذلك في جميع أيام ملوك بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك.[١]

وقد كان لذلك دوره الكبير في نشر الأشعرية في سائر أنحاء العالم الإسلامي، فمصر التي كانت مقر الدولة الأيوبية كانت هي حاضرة العلم في تلك العصور وقد كان للأزهر دور كبير في نشر العقيدة الأشعرية التي ادخلها صلاح الدين (ت: ٥٨٩ هـ) في مصر بعد أن قضى على الدولة العبيدية الإسماعلية، ومنذ زمن صلاح الدين والأزهر يقرر عقيدة الأشاعرة إلى يومنا هذا.

والأشاعرة يخالفون أهل السنة في الكثير من مسائل الاعتقاد.

ومنها على سبيل المثال:

١. أن مصدر التلقي عندهم في قضايا الإلهيات (أي التوحيد) والنبوات هو العقل وحده، فهم يقسمون أبواب العقيدة إلى ثلاثة أبواب: إلهيات، نبوات، سمعيات، ويقصدون بالسمعيات ما يتعلق بمسائل اليوم الآخر من البعث والحشر والجنة والنار وغير ذلك.

وسموها سمعيات لأن مصدرها عندهم النصوص الشرعية وأما ما عداها أي الإلهيات والنبوات فمصدرهم فيها العقل.

٢. زعمهم أن الإيمان هو مجرد التصديق، فأخرجوا العمل من مسمى الإيمان.

٣. بناءً على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا توحيد الألوهية من تقسيمهم للتوحيد، فالتوحيد عندهم هو أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وواحد في صفاته لا نظير له. وهذا التعريف خلا من الإشارة إلى توحيد الألوهية، فلذلك فإن أي مجتمع أشعري تجد فيه توحيد الإلهية مختلاً، وسوق الشرك والبدعة رائجة لأن الناس لم يعلّموا أن الله واحد في عبادته لا شريك له.

---

١ الخطط للمقريزي (٣٥٨/٢).

٤. وبناءً كذلك على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا الاتباع من تعريفهم للإيمان بالنبي-صلى الله عليه وسلم-فحصروا الإيمان بالنبي في الأمور التصديقية فقط، ومن أجل ذلك انتشرت البدع في المجتمعات الأشعرية.

٥. خالفوا أهل السنة في أسماء الله وصفاته وهذا سيأتي بيانه.

٦. خالفوا أهل السنة في باب القدر، فقولهم موافق لقول الجبرية.

٧. خالفوا أهل السنة في مسألة رؤية الله من جهة كونهم يقولون يرى لا في مكان.

٨. خالفوا أهل السنة في مسألة الكلام، فهم لا يثبتون صفة الكلام على حقيقتها بل يقولون بالكلام النفسي. إلى غير ذلك من أنواع المخالفات.

٣. الماتريدية:

تعد الماتريدية شقيقة الأشعرية، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة، ويصعب التفريق بينهما. ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلاً من أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم[١].

ولعل هذا التوافق مع كونه يرجع إلى سبب رئيسي وهو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما وخاصة مع الأشعرية المتأخرة، إلا أن هناك أسباب مهمة يرجع إليها ويجب اعتبارها وأخذها في الحسبان ولعل أهمها التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى. فالماتريدية انتشرت بين الأحناف الذين كانوا متواجدين في شرق العالم الإسلامي وشماله فقل أن تجد حنفياً على عقيدة الأشاعرة إلا ما ذكر من أن أبا جعفر السمناني -وهو حنفي-كان أشعرياً.

بينما نجد الأشعرية قد انتشرت بين الشافعية والمالكية وهم اليوم يتواجدون في وسط وغرب وجنوب وجنوب شرق العالم الإسلامي، فجل الشافعية والمالكية على الأشعرية. ولست أعني بذلك عوامهم وإنما الطبقة المثقفة منهم.

---

١ مفتاح السعادة (٢/ ١٥١، ١٥٢) تأليف: طاش كبرى زاده

والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) ١ كان معدوداً في فقهاء الحنفية، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار، ٢ وقد نهج منهجاً كلامياً في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة، وعداده في أهل الكلام من الصفاتية من أمثال ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأمثالهما. وقد تابع الماتريدي ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها٣.

ومن المعلوم أن الأحناف وأهل المشرق عموماً كانوا من أسبق الناس تأثراً بعلم الكلام، فقد كانت بداية الجهم من تلك الجهات، وفي هذا يقول الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ) في معرض كلامه عن الجهم (ت: ١٢٨ هـ): "وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة (ت: ١٥٠ هـ) وأصحاب عمرو بن عبيد (تك ١٤٣ هـ) بالبصرة". ٤

فبشر بن غياث المريسي (٢٢٨هـ) والقاضي أحمد بن أبي دؤاد (٢٤٠هـ) وغيرهما كانوا من الأحناف، فلا غرابة أن يكون الماتريدي الحنفي من أولئك الذين ناصروا علم الكلام وسعوا في تأسيسه وتقعيده، إلى أن أصبح علماً من أعلامه وصاحب إحدى مدارس الكلام التي صارت فيما بعد تعرف باسمه.

فالماتريدي لا يبعد كثيراً عن أبي الحسن الأشعري (في طوره الثاني) فهو خصم لَدُود للمعتزلة، إلا أنه كان متأثراً بالمنهج الكلامي على طريقة ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) من الاعتماد على المناهج الكلامية في تقرير المسائل الاعتقادية شأنه في ذلك شأن أبي الحسن الأشعري، فكلاهما يعتبر امتداداً لمدرسة ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) التي عرفت كمدرسة ثالثة بعد أن كان الخلاف دائراً بين أهل السنة والجماعة من جهة، والجهمية والمعتزلة من جهة أخرى، فجاء ابن كلاب

---

١ انظر ترجمته في كتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (١/ ٢٠٩) للدكتور شمس الدين الأفغاني.

٢ العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص: ٢٧٩) تأليف: عبد الله بن يوسف الجديع.

٣ مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٣)، كتاب الإيمان (ص: ٤١٤)، منهاج السنة (٢/ ٣٦٢).

٤ الرد على الجهمية (ص: ١٠٣-١٠٥).

(ت: ٢٤٣ هـ) وأحدث منهجاً ثالثاً حاول فيه التلفيق بين النصوص الشرعية والمناهج الكلامية كما سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الكلابية.

فالمذهب الكلابي كان له وجوده في العراق والري وخراسان وكان له انتشار في بلاد ما وراء النهر التي كانت تغص بمختلف الطوائف والفرق. [١]

ولم تتعرض الماتريدية للتطور الذي حصل على العقيدة الأشعرية والذي سبق بيانه في الحديث عن الأشعرية فالماتريدية بقيت على ما كانت عليه.

ينقسم المعطلة في مسالك تعطيلهم إلى ثلاث طوائف:

"أهل التخييل".

"وأهل التأويل".

"وأهل التجهيل".

ومسالك التعطيل في الأصل تعود إلى مسلكين:

المسلك الأول: مسلك التبديل. وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: مسلك الوهم والتخييل.

"فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف. فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول -صلى الله عليه وسلم- من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق.

ثم هم على قسمين:

١ انظر أحسن التقاسيم للمقدسي (ص: ٣٢٣).

منهم من يقول: إن الرسول–صلى الله عليه وسلم–لم يعلم الحقائق على ما هي عليه.

ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية.

ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال: فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

فالفلاسفة دعواهم العريضة في هذا الباب هي قولهم: إن ما ذكره الرسول–صلى الله عليه وسلم– إنما هو من باب الوهم والتخييل، وهم يقولون: ليس هناك أصلا نبوة على الحقيقة، وأن النبوة على زعمهم إنما هي أمر مكتسب كأي مهنة من المهن، وأن هذا النبي استطاع بقوة ذكائه أن يخيل للناس أن هناك ربا على الحقيقة، وأن نتجلى على الحقيقة، وأن هناك بعثا وحشرا وإلى غير ذلك، وهذا كله عندهم من باب الوهم والخيال.

تحت هذا الزعم يقولون: إن هذه الأمور لا حقيقة لها، وأن هذا الرجل إنما هو مجرد مصلح زعم بأنه بهذه الطريقة استطاع أن يصلح الناس، وعند بعضهم لا بأس بالإبقاء على ذلك لأن في ذلك مصلحة، فعقول عامة الناس لا تتسع لغير ذلك، وليس بمقدور كل أحد أن يدرس الفلسفة التي هم عليها حتى يعرفوا الأمر على حقيقته.

وهذا مسلك الفلاسفة، ولذلك هم ينكرون كل غيب، فعندهم أن وجود الله–عز وجل–لا حقيقة له وإنما هو أمر مقدر في الخيال والذهن لا في الخارج، وأن الملائكة هي قوى الخير في النفس، والشياطين هي قوى الشر في النفس، وأن الجنة هي السعادة النفسية، وأن النار هي الشقاء النفسي، إلى غير ذلك من التأويلات التي قالوها تحت هذا الزعم، فهم ليسوا مع ذلك بحاجة إلى أن يؤولوا على وجه التفصيل.

فهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ليس لينتفع به خواص الناس وإنما هو فقط خطاب للعوام والجمهور من الناس، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق، فإذا طعنوا في علمه، وطعنوا في بيانه، وطعنوا حتى في قدرته على الحق عند بعضهم.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وكان لهؤلاء الفلاسفة أقوال فاسدة تلقوها من أسلافهم الفلاسفة، ولما رأوا أن ما تواتر عن الرسل يخالفها، سلكوا طريقهم الباطنية فقالوا: إن الرسل لم تبين العلم والحقائق التي يقوم عليها البرهان في الأمور العلمية، ثم منهم من قال: إن الرسل علمت ذلك وما بينته، ومنهم من يقول: إنها لم تعلمه وإنما كانوا بارعين في الحكمة العملية دون الحكمة العلمية، ولكن خاطبوا الجمهور بخطاب تخييلي، خيلت لهم في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما ينفعهم اعتقاده في سياستهم، وإن كان ذلك اعتقادا باطلا لا يطابق الحقائق.

وهم يقرون بالعبادات، ولكن يقولون مقصودها إصلاح أخلاق النفس، وقد يقولون إنها تسقط عن الخاصة العارفين بالحقائق فكانت بدعة أولئك المتكلمين مما أعانت إلحاد هؤلاء الملحدين". [١]

---

١ منهاج السنة ١/ ٣٢١، ٣٢٢. «بتصرف».

القسم الثاني: مسلك التحريف والتأويل.

وهذا القسم الثاني من مسلك التبديل وهو مسلك التأويل والتحريف، وأهل هذا المسلك هم طوائف أهل الكلام وهم: الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية.

والفرق بين مسلك أهل الوهم والتخييل ومسلك أهل التأويل والتحريف من وجهين:

الوجه الأول:

- أن الفلاسفة يعممون قولهم في كل غيب، فيتكلمون بهذا الزعم في مسائل الإيمان بالله وفي مسائل الإيمان باليوم الآخر، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى الأمور العملية.

- أما أهل الكلام فيطلقون هذه العبارات في أبواب دون أبواب، فهم دونهم في هذا الأمر، فهم يعممون مثل هذه الأقوال في مسائل الصفات دون مسائل الإيمان باليوم الآخر، مع ما عند الجهمية والمعتزلة من خلل في بعض مسائل المعاد كمسائل عذاب القبر، وكذلك الشفاعة وفناء الجنة والنار وغيرها من المسائل التي تتعلق باليوم الآخر.

فإطلاقهم بمثل هذه العبارات خاص في باب الصفات دون غيره من الأبواب.

الوجه الثاني: من الفروق بين مسلك الفلاسفة ومسلك أهل الكلام: هو أن الطريقة اختلفت.

- فالفلاسفة يقولون: إن ما جاء به الرسول وهم وخيال.

- أما أهل الكلام فيقولون: إن الرسول ﷺ لم يقصد أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين تلك المعاني ولا دل الناس عليها ولكن ترك ذلك امتحانا لعقولهم

وأصحاب مسلك التأويل هم:

أولاً: الجهمية.

وقد كان الغلاة من القرامطة والباطنية والفلاسفة والاتحادية نسخة للجهمية الذين تكلم فيهم السلف والأئمة، مع كون أولئك كانوا أقرب إلى الإسلام. فقد كان كلام الجهمية يدور أيضاً على هذين الأصلين فهم يظهرون للناس والعامة أن الله بذاته موجود في كل مكان، أو يعتقدون ذلك.

وعند التحقيق يصفونه بالسلب الذي يستوجب عدمه كقولهم: ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ومحايث، ولا متصل به ولا منفصل عنه، وأشباه هذه السلوب.

فكلام أول الجهمية وآخرهم يدور على هذين الأصلين:

١-إما النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه.

٢-وإما الإثبات الذي يقتضي أنه هو المخلوقات. أو جزء منها أو صفة لها.

وكثير منهم يجمع بين هذا النفي وهذا الإثبات المتناقضين، وإذا حوقق في ذلك قال: ذاك السلب مقتضى نظري. وهذا الإثبات مقتضى شهودي وذوقي. ومعلوم أن العقل والذوق إذا تناقضا لزم بطلانهما أو بطلان أحدهما. (١)

وهذا حال الجهمية دائماً يترددون بين هذا النفي العام المطلق، وهذا الإثبات العام المطلق، وهم في كليهما حائرون ضالون لا يعرفون الرب الذي أمروا بعبادته. (٢)

---

(١) -بغية المرتاد ص: ٤١١،٤١٠.

(٢) -نقض تأسيس الجهمية ٢/ ٤٦٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والجهمية نفاة الصفات تارة يقولون بما يستلزم الحلول والاتحاد، أو يصرحون بذلك. وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل، فنفاتهم لا يعبدون شيئاً، ومثبتتهم يعبدون كل شيء.) (١

ولا ريب أن هؤلاء المعطلة بصنيعهم هذا قد أعرضوا عن أسمائه وصفاته وآياته وصاروا جهالاً به، كافرين به، غافلين عن ذكره، موتى القلوب عن معرفته ومحبته وعبادته، وهذا هو غاية القرامطة الباطنية والمعطلة الدهرية أنهم يبقون في ظلمة الجهل وضلال الكفر، لا يعرفون الله ولا يذكرونه. (٢).

وأما أهل الكلام فقد شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة.

وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريراً لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ "قال الله" أو "قال رسوله صلى الله عليه وسلم" أو "قال الصحابة"، فإنك لا تجد في كتبهم إلا "قال الفضلاء"، "قال العقلاء"، "قال الحكماء"، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين، فكيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله–صلى الله عليه وسلم–والأخذ بكلام من لا يعرف الله ولا يؤمن برسوله؟!

والمطَّلِع على كتب أهل الكلام يدرك عِظَم الضرر الذي جَنَتْهُ على الأمة المسلمة، إذ تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة لله ورسوله ولدينه، وجُعِلَ بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل والتخييل

(١) –مجموع الفتاوى ٦/ ٣٩.

(٢) –مجموع الفتاوى ٦/ ٤٨. «بتصرف»

والمسلك الثاني: مسلك التجهيل:

وهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول-صلى الله عليه وسلم-لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني [تلك] الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه.

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: الآية: ٧]، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } وهو وقف صحيح [لكن] لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعمله، وظنوا أن التأويل [المذكور] في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

من الافتراءات التي ألصقت بمذهب السلف أهل السنة والجماعة، أنهم يؤمنون بألفاظ مجردة دون التطرق للمعاني، وهو ما يسميه من ينسبه إليهم مذهب التفويض، واستدلوا لذلك بقول أكثر من واحد من أئمة السلف في نصوص الصفات: "أمروها كما جاءت"، وهم إنما نفوا العلم بالكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة.

وهذا الزعم فيه تجهيل للسلف، واتهام لهم بعدم العلم، وحقيقة الأمر أن السلف كانوا أعظم الناس فهما وتدبرا للنصوص الشرعية، وبخاصة ما يتعلق منها بمعرفة الله-عز وجل-، يؤمنون بألفاظها، ويعرفون معانيها، لكن لم يكونوا يتكلفون ما لم يحيطوا به علما ولا فهما، ولا يخوضون في كيفية ذات الله-عز وجل-وصفاته.

فالسلف يؤمنون بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني والأحكام، أما كيفيتها فيفوضون علمها إلى الله.

وهم برآء مما اتهمهم به المعطلة الذين زعموا أن السلف يؤمنون، بألفاظ نصوص الأسماء والصفات، ويفوضون معانيها.

فإنهم كانوا أعظم الناس فهما وتدبرا لآيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ، خاصة فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى، فكانوا يدرون معاني ما يقرأون ويحملون من العلم، ولكنهم لم يكونوا يتكلفون الفهم للغيب المحجوب، فلم يكونوا يخوضون في كيفيات الصفات شأن أهل الكلام والبدع، فإنهم حين خاضوا في ذات الله وصفاته وقعوا في التأويل والتعطيل، وإنما ألجأهم إلى ذلك، الضيق الذي دخل عليهم بسبب التشبيه، فأرادوا الفرار منه فوقعوا في التعطيل،، ولم يقع تعطيل إلا بتشبيه، ولو أنهم نزهوا الله تعالى ابتداء عن مشابهة الخلق، وأثبتوا الصفة مع نفي المماثلة لسلموا ونجوا، ولوافقوا اعتقاد السلف ولبان لهم أن السلف لم يكونوا حملة أسفار لا يدرون ما فيها.

ومن تدبر كلام أئمة السلف المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظرا، وأعلم الناس في هذا الباب، وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، ولذلك صار أولئك الذين خالفوا مختلفين في الكتاب، مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [البقرة: الآية: ١٧٦].

ومن له اطلاع على أقوال السلف المدونة في كتب العقيدة والتفسير والحديث، يدرك أن السلف تكلموا في معاني نصوص الصفات، وبينوها ولم يسكتوا عنها، وهذه الأقوال أكبر شاهد على فهم السلف لتلك النصوص وإدراك معانيها. [٥٧٧]

---

٥٧٧ انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٨-٢٧٩، ٧/ ١٠٨-١٠٩).

ودعوى تفويض معاني النصوص دعوى مرفوضة وهي دليل على جهل المخالفين بأقوال السلف في هذا الباب.

وقد حاول أولئك تمرير هذا الباطل تحت عدد من المسميات، فقد أثاروا هذه المسألة تحت قضية المحكم والمتشابه، وتحت دعوى التأويل، وتحت دعوى المجاز، وتحت دعوى التفويض، وغيرها من المسائل.

والقسمان الواقفان الذين يقفون في هذا على أحد قولين:

القسم الأول:

- قسم يقول: تجرى على ظاهرها، ومع ذلك يجوز أن يكون المراد أمراً آخر، فيجوز أحد الاعتبارين، أحد الحالين، يجوز في نفس الوقت إجراؤها على ظاهرها، ويجوز في نفس الوقت أن يكون لها معنى آخر لا يعلمه إلا الله تعالى، فهذا فرق بينه وبين الذي قبله، فالذي قبله يجزم بأنها على خلاف ظاهرها لكن يسكت عن تحديد المراد، أما هذا فيجوِّز الحالين، يجوِّز الحالين معًا وهذا في غاية التناقض لأنه جمع بين ضدين.

القسم الثاني:

- وقسم أصحاب الجهل البسيط الذين يمسكون عن هذا كله، ويقولون: نحن نقرأ القرآن ولا نتجاوز قراءة النص، ونُعرض عن هذا كله، وهذا يعني لا شك أنه إعراض عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) سبب نشوء هذه الشبهة فيقول عن المفوضة: "هم طائفة من المنتسبين إلى السنة، وأتباع السلف، تعارض عندهم المعقول والمنقول، فأعرضوا عنها جميعا بقلوبهم وعقولهم، بعد أن هالهم ما عليه أصحاب التأويل من تحريف

للنصوص، وجناية على الدين فقالوا في أسماء الله وصفاته، وما جاء في ذكر الجنة والنار، والوعد والوعيد إنما هي نصوص متشابهة لا يعلم معناها إلا الله تعالى.

وهم طائفتان من حيث إثبات ظواهر النصوص ونفيها.

الأولى تقول: المراد بهذه النصوص خلاف مدلولها الظاهر، ولا يعرف أحد من الأنبياء، ولا الملائكة، ولا الصحابة، ولا أحد من الأمة، ما أراد الله بها، كما لا يعلمون وقت الساعة.

الثانية تقول: بل تجري على ظاهرها، وتحمل عليه، ومع هذا، فلا يعلم تأويلها إلا الله تعالى فتناقضوا؛ حيث أثبتوا لها تأويلا يخالف ظاهرها، وقالوا، مع هذا بأنها تحمل على ظاهرها.

وهم أيضا طائفتان؛ من حيث علم الرسول–صلى الله عليه وسلم–بمعاني النصوص

الأولى تقول: إن الرسول–صلى الله عليه وسلم–كان يعلم معاني النصوص المتشابهة، لكنه لم يبين للناس المراد منها، ولا أوضحه إيضاحا يقطع النزاع، وهذا هو المشهور عنهم.

والثانية تقول: وهم الأكابر منهم، أن معاني هذه النصوص المتشابهة لا يعلمها إلا الله، لا الرسول، ولا جبريل، ولا أحد من الصحابة والتابعين، وعلماء الأمة.

وعند الطائفتين أن هذه النصوص إنما أنزلت للابتلاء، والمقصود منها تحصيل الثواب بتلاوتها، وقراءتها، من غير فقه، ولا فهم". [٥٧٨]

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) أن القول بالتفويض يفضي إلى "القدح في الرب–جلا وعلا–، وفي القرآن الكريم، وفي الرسول–صلى الله عليه وسلم–؛ وذلك بأن يكن الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم، وأمر بتدبر ما لا يتدبر، وبعقل ما لا يعقل، وأن يكون القرآن الذي هو النور المبين والذكر الحكيم سبب لأنواع الاختلافات، والضلالات، بل يكون

٥٧٨ مجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٤٢.

بينهم، وكأنه بغير لغتهم، وأن يكون الرسول-صلى الله عليه وسلم-لم يبلغ البلاغ المبين، ولا بين للناس ما نزل إليهم، وبهذا يكون قد فسدت الرسالة، وبطلت الحجة، وهو الذي لم يتجرأ عليه صناديد الكفر". [٥٧٩]

[ظهور المشبهة]

ينقسم التمثيل إلى قسمين:

القسم الأول: تمثيل المخلوق بالخالق.

وهذا ما زعمه النصارى في شأن عيسى عليه السلام إذ أعطوه خصائص الخالق عز وجل وجعلوه إلهًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها، ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة، وقالوا المسيح ابن الله". [٥٨٠]

ومن هذا القسم كذلك السبيئة [٥٨١] من غلاة الروافض: الذين شبهوا عليا رضي الله عنه بالله، وجعلوه إلها، وقالوا: أنت الله حتى حرقهم، فإنه خرج ذات يوم فسجدوا له. فقال لهم: ما هذا؟ فقالوا:أنت هو. قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو.

---

٥٧٩ انظر كتاب درء تعارض العقل والنقل: ١/ ٢٠٤.

٥٨٠ منهاج السنة (٥/ ١٦٩).

٥٨١ السبيئة: نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي أظهر الإسلام، وكاد للمسلمين كيدا عظيما، وهو الذي قال لعلي: أنت الله. انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢٣٣)، والملل والنحل (١/ ١٧٤) .

فقال: ويحكم هذا كفر، فارجعوا عنه، وإلا ضربت أعناقكم، فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك، فأخرهم ثلاثة أيام -لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام- فلما لم يرجعوا، أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كندة، وقذفهم في تلك النار، وروي عنه أنه قال:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا ... أججت ناري ودعوت قنبرا". [٥٨٢]

القسم الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق

وهذا ما زعمه اليهود قاتلهم الله إذ وصفوا الخالق ببعض صفات المخلوقين، كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه العزيز حيث قال: {لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء} [آل عمران: الآية: ١٨١]، وقال تعالى {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا} [المائدة: الآية: ٦٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يتصف بها المخلوق، كما قالوا: إنه بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب". [٥٨٣]

وإنه رمد وعادته الملائكة وإنه بكى على طوفان نوح عليه السلام. [٥٨٤]

ويدخل في هذا القسم المشبهة الذين جعلوا ما ورد من صفات الله جل وعلا مماثلا ومشابها لصفات المخلوقين كقولهم له يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري.

أصل مقالة المشبهة.

---

٥٨٢ منهاج السنة (١/ ٣٠٧) .

٥٨٣ منهاج السنة (٥/ ١٦٨) .

٥٨٤ منهاج السنة (٢/ ٦٢٧).

وقد وقع في التمثيل والتكييف "المشبهة" الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق.

والتمثيل نزعة يهودية الأصل، "فإن اليهود كثيرًا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها، وهي من صفات خلقه". ٥٨٥

فقد حكي الله عنهم ذلك في كتابه، كقوله -تعالى: {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء} [المائدة: الآية: ٦٤].

،وقوله: {إن الله فقير ونحن أغنياء} [آل عمران: ١٨١] ، وقوله ردا على وصفه سبحانه بالتعب: {ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب} [ق الآية: ٣٨].

وأول ظهوره في هذه الأمة على يد الرافضة الغلاة. قال البغدادي -رحمه الله-: "وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة". ٥٨٦

---

٥٨٥ مجموع الفتاوي (١٠/ ٥٥).

٥٨٦ الفرق بين الفرق (ص: ٣٢٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "أول من قال: إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي" [٥٨٧] . [٥٨٨]

ولعل سبب ظهور مقالة التمثيل راجع إلى أمرين:

الأمر الأول: مضاهاة أهل الكتاب –وخاصة اليهود–في مقالاتهم؛ حيث إن الإسرائيليات طافحة بتمثيل الباريء سبحانه بالمخلوقين، كما أن اليهود والنصارى ضاهوا الرومان والإغريق والهنود وغيرهم في عقائدهم. قال–تعالى–: {وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون} [التوبة: الآية: ٣٠].

فاليهود وقعوا في تمثيل الخالق بالمخلوق، والنصارى وقعوا في تمثيل المخلوق بالخالق. وكذلك جرى في هذه الأمة –كما سيأتي عند ذكر فرق الممثلة – قال صلى الله عليه وسلم: ((لتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!. [٥٨٩]

الأمر الثاني: مقابلة التعطيل بضده، فقد ظهر مذهب التعطيل فقوبل بالتمثيل، وإلى هذا المعنى يشير الذهبي –رحمه الله–بقوله: "وظهر بخراسان: الجهم بن صفوان، ودعا إلى تعطيل الرب عز

---

٥٨٧ هشام بن الحكم الكوفي الرافضي، المشبه المعثر، وله نظر وجدل وتواليف كثيرة قال في مختلف الحديث: كان من الغلاة ويقول بالجبر الشديد، وذكر عنه ابن حزم أنه يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، ويزعم أن علم الله محدث. مات بعد نكبة البرامكة بمديدة مستترا وقيل عاش إلى خلافة المأمون. لسان الميزان (٦/ ١٩٤).

٥٨٨ الفتاوي (٣/ ١٨٦).

٥٨٩ رواه البخاري: كتاب الاعتصام (٨/ ١٥١)، ورواه مسلم، (كتاب العلم ٦).

وجل وخلق القرآن، وظهر بخراسان في قبالته مقاتل بن سليمان المفسر، وبالغ في إثبات الصفات حتى جسم". [٥٩٠]

قال ابن رجب الحنبلي: "وأما ما أحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علوما وظنوا أن من لم يكن عالما بها فهو جاهل أو ضال فكلها بدعة وهي من محدثات الأمور المنهي عنها. فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الأمثال لله". [٥٩١]

إلى أن قال رحمه الله: "وينقسم هؤلاء إلى قسمين:

أحدهما: من نفى كثيرًا مما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عنده للتشبيه بالمخلوقين كقول المعتزلة لو رؤي لكان جسما لأنه لا يرى إلا في جهة: وقولهم لو كان له كلام يسمع لكان جسما ووافقهم من نفى الاستواء فنفوه لهذه الشبهة: وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم.

النوع الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق: ومعناه أن يثبت الله –تعالى–في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك. [٥٩٢]

وقد وقع كلا النوعين في هذه الأمة على درجات متفاوتة بين الكفر والبدعة. ونسوق ها هنا تصنيف عبد القاهر البغدادي –رحمه الله–لفرق المشبهة مختصرا: "المشبهة الذين ضلوا بتشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة، وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة:

---

٥٩٠ تذكرة الحفاظ (ص: ١٥٩، ١٦٠).

٥٩١ بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص: ٢).

٥٩٢ فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص: ١٥).

وأما الفرق التي وقعت في النوع الأول: وهو تشبيه المخلوق بالخالق: ومعناه إثبات شيء للمخلوق مما يختص الخالق من الأفعال والحقوق والصفات.

فيمكن تقسيم فرق المشبهة من هذا النوع إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: الأصناف الخارجون عن دين الإسلام.

ومنهم "السبئية": الذين سموا عليا إلها، وشبهوه بذات الله ...

ومنهم "البيانية": أتباع بيان بن سمعان [٥٩٣] الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه، وأنه يفنى كله إلأ وجهه.

ومنهم "المغيرية" أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء.

ومنهم "المنصورية"، أتباع أبي منصور العجلي، [٥٩٤] الذي شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد إلى السماء ...

ومنهم "الخطابية"، الذين قالوا بإلهية الأئمة، وبإلهية أبي الخطاب الأسدي، ٥٩٥ ومنهم الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر. [٥٩٦]

---

[٥٩٣] بيان بن سمعان التيمي النهدي اليمني، ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني الهجري، زعم أن جزءًا إلهيًا حل في علي ثم في محمد بن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم ثم في بيان نفسه، فلما ظفر به خالد بن عبد الله القسري قتله. الفرق بين الفرق ص: ٢٣٧، الملل والنحل ١/ ١٥٢، مقالات الإسلاميين ص: ٥.

٥٩٤ أبو منصور العجلي، رجل من عبد القيس، عزا نفسه إلى أبي جعفر الباقر أولًا، فلما تبرأ منه زعم أنه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه. وزعم أن عليا هو الكسف الساقط، وأنه عرج به إلى السماء، حتى وقف على قصته يوسف بن عمر الثقفي فصلبه. الملل والنحل ١/ ١٧٨، مقالات الإسلاميين ٩، الفرق بين الفرق ص: ٢٤٣.

٥٩٥ محمد بن أبي زينب الأسدي، كان يزعم أولا أن الأئمة أنبياء، ثم زعم أنهم آلهة، ثم ادعى الألوهية لنفسه، وخرج في أيام المنصور فقتله عيسى بن موسى والي الكوفة سنة ١٤٣هـ. الملل والنحل ١ /١٧٩، الفرق بين الفرق ٢٤٧، مقالات الإسلاميين ١٠.

٥٩٦ عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب. كان فتاكا سيء الحاشية واتهم بالزندقة، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية سنة ١٢٧ه بالكوفة. مات سنة ١٣١ ه. الأعلام ٤/ ١٣٩، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٢١، لسان الميزان ٣/ ٢٦٣.

ومنهم "الحلولية"، الذين قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة، وعبدوا الأئمة لأجل ذلك.

ومنهم "الحلولية الحلمانية"، المنسوبة إلى أبي حلمان الدمشقي، [597] الذي زعم أن الإله بحل في كل صورة حسنة، وكان يسجد لكل صورة حسنة.

ومنهم "المقنعية المبيضة" في دعواهم أن المقنع [598] كان إلها، وأنه مصور في كل زمان بصورة مخصوصة.

ومنهم "العذافرة"، الذين قالوا بإلهية ابن أبي العذافر المقتول ببغداد.

وهذه الأصناف خارجون عن دين الإسلام وإن انتسبوا في الظاهر إليه ...

القسم الثاني: الأصناف الذين يعدون من فرق الملة.

وهؤلاء فرق من المشبهة عدهم المتكلمون في فرق الملة لإقرارهم بلزوم أحكام القرآن، وإقرارهم بوجوب أركان شريعة الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج عليهم، وإقرارهم بتحريم المحرمات عليهم، وإن ضلوا وكفروا في بعض الأصول العقلية، ومن هذا الصنف:

"الهشامية" منتسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي الذي شبه معبوده بالإنسان، وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض، عميق، وذو لون وطعم ورائحة.

وقد روي عنه أن معبوده كسبيكة الفضة، وكاللؤلؤة المستديرة، وروي عنه أنه أشار إلى أن جبل أبي قبيس أعظم منه. وروي عنه أنه زعم أن الشعاع من معبوده متصل بما يراه ...

---

٥٩٧ أبو حلمان الدمشقي، كان أصله من فارس، ومنشؤه حلب، وأظهر بدعته بدمشق، وكان يقول بحلول الإله في الأشخاص ذوي الصور الحسنة، وكان يقول بالإباحية. الفرق بين الفرق ص: ٢٥٩.

٥٩٨ اسمه عطاء ويعرف بالمقنع الخراساني مشعوذ مشهور، ادعى الربوبية من طريق التناسخ، وتبعه قوم وقاتلوا في سبيله وكان مشوه الخلقة فاتخذ وجهاً من ذهب تقنع به، واشتهر أمره سنة ١٦١ ه فثار الناس عليه فاعتصم بقلعة فاحتسى سما فمات بها سنة ١٦٣ ه.
الأعلام ٤/ ٢٣٥، الكامل ٦/ ١٧، وفيات الأعيان ١/ ٣١٩.

ومنهم "الهشامية"، المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي[٥٩٩] الذي زعم أن معبوده على صورة الإنسان، وأن نصفه الأعلى مجوف، ونصفه الأسفل مصمت، وأن له شعرة سوداء وقلباً تنبع منه الحكمة.

ومنهم "اليونسية" المنسوبة إلى يونس بن عبد الرحمن القمي [٦٠٠] الذي زعم أن الله –تعالى– يحمله حملة عرشه، وإن كان هو أقوى منهم كما أن الكركي تحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه.

ومنهم "المشبهة"، المنسوبة إلى داود الجواربي[٦٠١]، الذي وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية.

ومنهم "الإبراهيمية" المنسوبة إلى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي. [٦٠٢]

ومنهم "الخابطية"، من القدرية وهم منسوبون إلى أحمد ابن خابط[٦٠٣]... شبه عيسى ابن مريم بربه، وزعم أنه الإله الثاني، وأنه هو الذي يحاسب الخلق في القيامة.

فأما المشبهة الذين وقعوا في النوع الثاني وهو تشبيه صفاته بصفات المخلوقين فأصناف:

---

٥٩٩ هشام بن سالم الجواليقي، نسج على منوال هشام بن الحكم في التشبيه، وزعم أن الله نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس... إلخ تخريفاته وضلالاته. الملل والنحل ١/ ١٨٤، مقالات الإسلاميين ٢٠٩.

٦٠٠ يونس بن عبد الرحمن مولى علي بن يقطين، فقيه إمامي عراقي، من أصحاب موسى بن جعفر، له نحو ثلاثين كتاباً، توفي سنة ٢٠٨ هـ، الأعلام ٨/ ٢٦١، ابن النديم ٢٢٠.

٦٠١ داود الجواربي مشبه أخذ مقالته عن هشام بن سالم الجواليقي، وزعم أن الله جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم... إلخ. وقال ابن حجر: رأس في الرافضة والتجسيم من مرامي جهنم، وقال يزيد بن هارون: الجواربي والمريسي كافران. انظر مقالته في: الملل والنحل ١/ ١٨٧، مقالات الإسلاميين ٢٠٩، لسان الميزان ٢/ ٤٢٧.

٦٠٢ إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، مولاهم، قال فيه الإمام أحمد: كان قدرياً جهمياً معتزلياً كل بلاء فيه، وقال البخاري: جهمي تركه ابن المبارك والناس، وقال العجلي: كان قدريا معتزليا رافضيًا، توفي سنة ١٨٤هـ. تهذيب التهذيب ١/ ١٥٨.

٦٠٣ أحمد بن خابط: معتزلي منتسب إلى النظام، له مقالات شنيعة وغيره، منها قوله: إن للعالم خالقين الله هو القديم، والثاني محدث وهو الكلمة، ومن ضلالاته قوله بالتناسخ، وينفي قدرة الله على زيادة نعيم أهل الجنة أو عذاب أهل النار. الفرق بين الفرق ص: ٢٧٣، لسان الميزان ١/ ١٤٨.

فمنهم الذين شبهوا إرادة الله -تعالى- بإرادة خلقه، وهذا قول المعتزلة البصرية ... ومنهم الذين شبهوا كلام الله -عز وجل- بكلام خلقه ...

ومنهم "الزرارية"، أتباع زرارة بن أعين الرافضي[٦٠٤] في دعواه حدوث جميع صفات الله -عز وجل- وأنها من جنس صفاتنا...

ومنهم الذين قالوا من الروافض بأن الله -تعالى- لا يعلم الشيء حتى يكون، فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم منا. [٦٠٥]

ويلاحظ من هذا السياق لفرق المشبهة الملاحظات الآتية:

١-أن التشبيه نشأ في أحضان الرافضة وترعرع فيها.

٢-تفاوت هذه الفرق على النحو التالي:

(أ)-**الغلاة:** وهم الذين مثلوا ذات الخالق بذات مخلوق معين، أو زعموا أن الله حال فيه -سبحانه- وهؤلاء خارجون عن الملة إجماعاً، وغالبا ما يجمعون إلى هذا الكفر كفراً آخر من الزندقة الباطنية كالفرق العشر الأولى.

(ب)-المكيفة: وهم الذين يكيفون صورة معبودهم بأوصاف وكيفيات معهودة في الذهن والخارج لكن غير مقيدة بمماثل معين، كالهشاميين.

(ج)-ممثلة الأفعال: الذين يمثلون الخالق بالمخلوق، والمخلوق بالخالق في الأفعال كالمعتزلة.

براءة أهل السنة من تهمة التمثيل التي حاول بعض نفاة الصفات من المتكلمين نبزهم بها. فليس في هذه الفرق المذمومة طائفة من أهل السنة، إلا أن المتكلمين بناء على أصولهم الفاسدة عدوا إثبات الصفات الخبرية تمثيلاً، فوصموا المثبتين لها بوصمة التمثيل، كما صنع

---

٦٠٤ زرارة بن أعين الشيباني بالولاء، رأس الفرقة الزرارية، من غلاة الشيعة، ونسبتها إليه، كان متكلماً شاعرًا، وهو من أهل الكوفة، وكانت وفاته سنة ١٥٠هـ. الأعلام ٣/ ٤٣، لسان الميزان ٢/ ٤٧٣، اللباب ١/ ٤٩٨، خطط المقريزي ٢/ ٣٥٣.

٦٠٥ الفرق بين الفرق ٢٢٥ -٢٣٠، مختصراً. وانظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١٠٦، ٢٨١، والملل والنحل ١/ ١٠٣.

الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) في مبحث "المشبهة"، حيث أدخل في مقالات المشبهة ما هو من صريح مذهب السلف". [٦٠٦] . [٦٠٧]

من نسب إلى التشبيه

أ- الكرامية [٦٠٨] هم أتباع محمد بن كرام بن عراق بن حزبة السجستاني المتوفى سنة (٢٥٥هـ).

وهم في باب الصفات يثبتونها، ولكنهم خالفوا أهل السنة في مسألتين:

المسألة الأولى: أنهم يبالغون في الإثبات ويخوضون في شأن الكيفية، ودخل عليهم ذلك، من جهة إطلاقهم لألفاظ مبتدعة كلفظ (الجسم)، و (المماسة). ومن بدع الكرامية أنهم يقولون في المعبود إنه جسم لا كالأجسام. [٦٠٩] ومن بدعهم قولهم: إن الأزلي الخالق جسم لم يزل ساكنا. [٦١٠]

ويقولون: إن الله جسم قديم أزلي، وإنه لم يزل ساكنا ثم تحرك لما خلق العالم، ويحتجون على حدوث الأجسام المخلوقة بأنها مركبة من الجواهر المفردة، فهي تقبل الاجتماع والافتراق، ولا تخلو من اجتماع وافتراق، وهي أعراض حادثة لا تخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

وأما الرب فهو عندهم واحد لا يقبل الاجتماع والافتراق، ولكنه لم يزل ساكنا. والسكون عندهم أمر عدمي، وهو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة. وهؤلاء يقولون:

---

٦٠٦ انظر: الملل والنحل ١/ ١٠٥، وما بعدها.

٦٠٧ المصدر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ص: ٧٩. ٨٢.

٦٠٨ يبلغ عدد طوائف الكرامية اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة هي:

١- العابدية، ٢- النونية، ٣- الزرينية، ٤- الإسحاقية، ٥- الواحدية، ٦- الهيصمية. (وهم في باب الإيمان مرجئة يقولون: إن الإيمان هو القول فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار، وبعض الناس يحكي عنهم أنه من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم، بل يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان وانه من أهل النار). انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٥٦). وانظر الكلام عن الكرامية في الفصل لابن حزم (٤/ ٢٠٥،٢٠٤،٤٥)، لسان الميزان (٥/ ٣٥٣-٣٥٦)، والفرق بين الفرق (ص: ٣ ١- ١٣٧)، والملل والنحل (١/١٨٠-١٩٣).

٦٠٩ لسان الميزان (٥/ ٣٥٤).

٦١٠ درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٦).

إن الباري لم يزل خاليا من الحوادث حتى قاما به، بخلاف الأجسام المركبة من الجواهر المفردة، فإنها لا تخلو من الاجتماع والافتراق. [٦١١]

ويقولون: إن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم، ويجوزون وجود جسم ينفك من قيام الحوادث به ثم يحدث فتقوم به بعد ذلك. [٦١٢]

ويقول ابن كرام: إن الله مماس للعرش من الصفحة العليا. [٦١٣]

ويقول كذلك: له حد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش ولا نهاية له. [٦١٤] وقد غالى أتباع ابن كرام في شأن الكيفية فزعم بعضهم أنه تعالى على بعض أجزاء العرش. [٦١٥] وادعى بعضهم أن العرش امتلأ به بحيث لا يزيد على عرشه من جهة المماسة، ولا يفضل منه شيء على العرش. [٦١٦]

المسألة الثانية: إن الكرامية يثبتون الصفات بما فيها أن الله تعالى تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن، أنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك، وقالوا: لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها، فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها.

فعندهم أن الله يتكلم بأصوات تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه تقوم به الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته، لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن، وأن الله في الأزل لم يكن متكلما إلا بمعنى القدرة على الكلام، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك. [٦١٧]

---

٦١١ درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٢٧).
٦١٢ درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٦).
٦١٣ الفرق بين الفرق (ص: ١٩٨)، والملل والنحل (١/ ١٠٨-١٠٩).
٦١٤ التبصير في الدين ص: ١١٢.
٦١٥ الملل والنحلل (١/ ١٠٩).
٦١٦ الفرق بين الفرق (ص: ٩٨ ١)، والملل والنحل (١/ ١٠٨-١٠٩).
٦١٧ انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٤-٥٢٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٧٦).

ومعلوم أن عقيدة السلف تقوم على إثبات جميع الصفات الذاتية منها والفعلية، وأثبتوا أن الله متصف بذلك أزلا، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم، وإن كانت المفعولات محدثة.[٦١٨]

٢- مقاتل بن سليمان.[٦١٩]

نسب إلى مقاتل بن سليمان المفسر أنه من المشبهة وذكروا أنه هو الذي قال فيه الإمام أبو حنيفة-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ): أتانا من المشرق رأيان خبيثان؟ جهم معطل، ومقاتل مشبه"[٦٢٠] وقال ابن حبان-رحمه الله-(ت: ٣٥٤ هـ):" كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي وافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث".[٦٢١] وقال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-(ت: ٣٢٤ هـ) في" المقالات ":" وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ): إن الله جسم وإنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان وعينين وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره".[٦٢٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله. والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم انحراف على مقاتل ابن سليمان، فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو من نقلوا عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد. وقد قال الشافعي: "من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل،[٦٢٣] ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة". ومقاتل بن سليمان وإن

---

٦١٨ انظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٩ ٥٢٠-٥٢٥).

٦١٩ هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء، البلخي، الخراساني، المروزي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها. ذكره الذهبي في آخر ترجمة ابن حيان (تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٤) وقال: (فأما مقاتل بن سليمان المفسر فكان في هذا الوقت، وهو متروك الحديث، وقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرًا في التفسير) . وقد توفي بالبصرة سنة (١٥٠هـ) وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩-٢٨٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٩٦-١٩٧)، تاريخ بغداد (١٣/ ١٦٠-١٦٩) وفيات الأعيان (٤/ ٣٤١- ٣٤٣).

٦٢٠ لسان الميزان (١٠/ ٢٨١).

٦٢١ ميزان الاعتدال (١٧٥/٤).

٦٢٢ المقالات (ص ٢٠٩).

٦٢٣ وجاء في "وفيات الأعيان" في ترجمة مقاتل بن سليمان: "حكي عن الإمام الشافعي-رضي الله عنه-أنه قال: "الناس كلهم عيال على ثلاثة، على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام". وفيات الأعيان (٣٤١١٤).

لم يكن ممن يحتج به في الحديث–بخلاف مقاتل بن حيان (ت: ١٥٠ هـ)، فإنه ثقة–لكن لا ريب في علمه في التفسير وغيره وإطلاعه، كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء وأنكروها عليه، فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه، وهي كذب عليه قطعًا، مثل مسألة الخنزير البري ونحوها، وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب". [٦٢٤]

[ظهور المتصوفة]

يمكن أن نلخص الأطوار التي مر بها التصوف عمومًا فيما يلي:

المرحلة الأولى: كان يغلب على أصحابها جانب العبادة والبعد عن الناس، حيث اشتهروا بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس والبعد عن الدنيا، وكان يغلب على بعضهم الخوف الشديد والبكاء المستمر، ولكنه كان يغلب على أكثرهم الإستقامة في العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن بعضهم. مثل الجنيد ، بعض العبارات التي عدها العلماء من الشطحات، ومن أشهر رموز هذا التيار:

الجنيد بن محمد الجنيد–رحمه الله–(ت: ٢٩٧ أو ٢٩٨ هـ)، وأبي سليمان الداراني–رحمه الله–(ت: ٢١٥ هـ)، وسهل بن عبد الله التستري–رحمه الله–(ت: ٢٨٣ هـ).

قال ابن خلدون–رحمه الله–(ت: ٨٠٨ هـ)، في مقدمته الضافية عن علم التصوف وبدايات ظهور هذا المنهج حيث قال: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقةَ الحق والهداية. وأصلُها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة. وكان ذلك عامًا في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختُصَّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفية ". [(٦٢٥)]

---

٦٢٤ منهاج السنة ٢/ ٦١٨–٦٢٠.

٦٢٥ انظر: مقدمة ابن خلدون (١/ ٦١١).

ولذلك كانت طريقة الأئمة هي الكتاب والسنة كما هو صريح عبارات كبار الأئمة، قال الجنيد البغدادي: "الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم". وقال: "من لم يحفظ القرآن ويكتب الأحاديث لم يقتد به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة، وقال: إني لتخطر لي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة". [٦٢٦]

المرحلة الثانية: انتقل في هذه المرحلة الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات: الوحدة، والفناء، والاتحاد، والحلول، والسكر، والصحو، والكشف، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم، مما زاد العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية.

قال القشيري–رحمه الله–(ت: ٤٦٥ هـ): "ثم اعلموا، رحمكم الله، أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة..، لا، بل إندرست الطريقة بالحقيقة: مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوى رباطه.

وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام. ودانوا بترك الإحترام.

---

[٦٢٦] انظر: تصنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي (٤/ ٨٥٧).

وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى انباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة، والنسوان، وأصحاب السلطان.

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وهم محوه، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكامه للبشرية. وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا. بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا.

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحت ببعضه من هذه القصة وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار، غبرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء، أو يجد مخالف لثلبهم مساغًا، إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين لعيها شديدة.

ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم، ولعل الله سبحانه يجود بلطفه في التنيه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة.

ولما أبى الوقت إلا استصعابًا. وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تماديا فيما اعتادوه واغترارا بما ارتادوه.

أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده. وعلى هذا النحو سار سلفه.

فعلقت هذه الرسالة إليكم، أكرمكم الله. وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجيدهم، وكيفية ترقيهم من بدايتهم إلى نهايتهم؛ لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة، ومنكم لي بتصحيح شهادة، ولي في نشر هذه الشكوى سلوة". [٦٢٧]

ومن أهم القضايا التي تساهل فيها بعض الزهاد باسم التصوف هي طلب العلم والتفقه في الشريعة إذ ادعوا أن الأساس هو علم الحقيقة والذوق لا علم الشريعة، ومنهم من يظن أن هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة ولا من الكتاب والسنة وإنما يتلقى من الخواطر والإلهامات والكشوفات، ونتج عن ذلك جهلهم بالسنة، ومن بين كبار أئمة الصوفية الذين لم يلتزموا في مصنفاتهم الصحة بل أخرجوا الضعيف والموضوع وربما تسربت إلى مصنفات غيرهم وتناقلتها كتب الزهد والتصوف: محمد بن علي أبو طالب المكي -رحمه الله-(ت: ٣٨٦ هـ) صاحب (قوت القلوب)، وأبو نعيم الأصفهاني-رحمه الله-(ت: ٤٣٠ هـ)في كتابه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)، وكذلك أبو حامد الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ) في كتابه (الإحياء)

والذي لا خلاف فيه أن المنهج السوي هو تحصيل علم الشريعة وقبل التصوف وليس العكس: فقد ذكر الغزالي-رحمه الله-عن السري السقطي-رحمه الله-(ت: ٢٥٣ هـ): أنه قال للجنيد-رحمه الله-(ت: ٢٩٧ أو ٢٩٨ هـ): "جعلك الله صاحب حديث صوفيًّا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث" قال الغزالي: "أشار إلى أن من حصَّل الحديث ثم تصوف والعلم ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه". [٦٢٨]

قال الإمام أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ): "جعلك الله صاحب حديث صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث، يعني أنك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيًا عارفًا.

---

[٦٢٧] انظر: الرسالة القشيرية (١/ ١٦-١٧).

[٦٢٨] انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٥/ ٣٨).

وإذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن فخرجت إما شاطحًا أو غالطًا لجهلك بالأصول والسنن". [٦٢٩]

فالعلم هو الميزان الذي لا بد أن يكون حاضرًا مع الإنسان ليميز بين الصواب والخطأ، وبين الحق والباطل.

ومن أبرز أعلام هذه الطبقة: أبو اليزيد البسطامي (ت: بين عامي ٢٦١ هـ و ٢٦٤ هـ)، ذو النون المصري (ت: ٢٤٥ هـ)، الحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠ هـ)، أبو بكر الشبلي (ت: ٣٣٤ هـ)....... الخ.

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة تسربت الفلسفة اليونانية، فأثرت تأثيرًا كبيرًا في التصوف، إذ كان تأثير الفلاسفة قويًا بعد ترجمة كتب اليونان، وعرفت في هذه المرحلة عدة نظريات فلسفية منها نظرية الفيض والإشراق، حيث ولع الكثيرين بالفلسفة وتأثروا بهما.

ويدخل تحت هذا القسم أتباع المدرسة الإشراقية من المتصوفة الذين أخذوا نظرية الفيض التي تمسكوا بها عن الأفلاطونية المحدثة. ويرى آخرون أنها مأخوذة من البوذية، وغيرها من الديانات المحرفة كاليهودية والنصرانية "، فصار بعض يعتقدون أنه ليس هناك فرق بين الله وخلقه، إلا أن الله تعالى كل والخلق جزؤه، وأن الله متجل في كل شيء من الكون حتى الكلاب والخنازير، فالكل مظاهره، وما في الوجود إلا الله، فهو الظاهر في الكون، والكون مظهرها، ولكن هذا الكلام لا يقوله مسلم عاقل فقد يكون مدسوسة على مدعي الإسلام لمحاولة النيل منه.

وهنا يبدو موقف دقيق؛ ففريق من المتصوفة قد غالوا وأفرطوا وهم الذين قالوا بوحدة الوجود، وفريق آخر عبث بظاهر الشرع وأفرط في السبحات والوثبات والاستغراقات حتى تحلل من الفرائض والآداب.

---

٦٢٩ انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (١/ ٢٧١).

[ظهور الباطنية]

التعريف بالباطنية.

الباطنية: فرقة لقبوا بها "لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة؛.

فالباطن في لغة القوم قيل معناه: علم السرائر والخفيات، وقيل أيضا: هو العالم بكل ما بطن، يقال:بطنت الأمر: إذا عرفت باطنه.

والباطني عند القوم: هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها، وقيل: هو الرجل الذي يكتم اعتقاده فلا يظهره إلا لمن يثق به، وقيل: هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة في الحقيقة.

النشأة التأريخية للباطنية:

الباطنية: فرقة لقبوا بها "لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة". [٦٣٠]

فالباطن في لغة القوم قيل معناه: علم السرائر والخفيات، وقيل أيضا: هو العالم بكل ما بطن، يقال:بطنت الأمر: إذا عرفت باطنه.

---

[٦٣٠] فضائح الباطنية (ص: ١١).

والباطني عند القوم: هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها، وقيل: هو الرجل الذي يكتم اعتقاده فلا يظهره إلا لمن يثق به، وقيل: هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة في الحقيقة.

قال عبد القاهر البغدادي (ت: ٤٢٩ هـ): "اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم". [٦٣١]

فالباطنية ليست مذهبًا إسلاميًّا أو فِرقة من فِرَق أهل الإسلام، وإنما هي مذهب وطريقة أراد بها واضعوها هدم الإسلام وإبطاله عقيدة وشريعة.

هناك عدة آراء في الأصل التاريخي للباطنية، فمنهم من يرجعها إلى المجوس. [٦٣٢] ومنهم من ينسبها إلى الصابئة في حران، [٦٣٣] ومنهم من يعود بأصولها إلى الفلسفة اليونانية التي غذت بأفكارها الكثير من الفرق الباطنية. [٦٣٤]

ولعل الراجح–تأريخيا–أن اليهودية الموتورة التي لا تستطيع الانتقام بحد الحسام، لجأت إلى الحيلة والمؤامرة لإيجاد الفرقة بين المسلمين ليضربوا بعضهم ببعض؛ حيث تقدم عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء ذلك الحبر اليهودي بإشعال الفتن والاضطرابات التي حاقت المجتمع الإسلامي وذلك عن طريق ابتداع مناهج الباطنية في تأويل الشريعة على نحو يفضي إلى نسخها، والاستعاضة

---

[٦٣١] الفرق بين الفرق (٣٨٢).

[٦٣٢] الفرق بين الفرق (ص: ٢٨٤).

[٦٣٣] خطط الشام لمحمد كرد علي (٦/ ٢٥١).

[٦٣٤] الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، لمحمد بن أحمد الخطيب، (ص: ٢٠).

عنها بخليط عجيب من الحكمة، يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الإغريق وعقائد اليهود الذي حرفوا دينهم من قبل.

فعلماء اليهود أولوا التوراة على أسس الأفلاطونية الحديثة، وقالت بها أيضا طائفة يهودية معروفة. والتي شوهت التوراة وحرفتها عن طريق التأويل وادعت الجمع بين التأويل الباطني وادعاء الكشف عن الغيب وأسرار الحروف وغير ذلك من التلفيق الواضح بين فلسفة والدين. ولعل الراجح تاريخيًا أن اليهودية الموتورة التي لا تستطيع الانتقام بحد الحسام، لجأت إلى الحيلة والمؤامرة لإيجاد الفرقة بين المسلمين ليضربوا بعضهم ببعض؛ حيث تقدم عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء ذلك الحبر اليهودي بإشعال الفتن والاضطرابات التي حاقت المجتمع الإسلامي وذلك عن طريق ابتداع مناهج الباطنية في تأويل الشريعة على نحو يفضي إلى نسخها، والاستعاضة عنها بخليط عجيب من الحكمة، يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الإغريق وعقائد اليهود الذي حرفوا دينهم من قبل.

ولهذا لم تلبث أن ظهرت تلك العقائد اليهودية المطعمة بالوثنية الفارسية والإغريقية، بعد صبغها بصبغة إسلامية خادعة، كفكرة النور المحمدي، وعصمة الأئمة ومعجزاتهم، وتقديس الأئمة، والغيبة والرجعة والحلول، وتجسيد الألوهية، والتأويل وغير ذلك من الأفكار والعقائد.

وهذه الأفكار كانت في الحقيقة قبل هذا لدى علماء اليهود لأنهم أولوا التوراة على أسس الأفلاطونية الحديثة، وقالت بها أيضا طائفة يهودية معروفة. والتي شوهت التوراة وحرفتها عن طريق التأويل وادعت الجمع بين التأويل الباطني وادعاء الكشف عن الغيب وأسرار الحروف وغير ذلك من التلفيق الواضح بين فلسفة الإغريق والأفلاطونية الحديثة ورواسب من عقائد الفرس.

إذن نستطيع أن نقول: إن الباطنية دسيسة يهودية، خليطة بالعقائد الوثنية الإغريقية والفارسية، وغيرهما.

تاريخ ظهور الباطنية في الإسلام وفرقها.

ومن بعد هذه الحقبة ظهرت الباطنية، واختلف المؤرِّخون في تحديد زمن ظهور الباطنية وهو خلاف مبرَّر؛ إذ من أصول المذاهب الباطنية عدم نشر عقائدها وأفكارها، فهم يأخذون العهود والمواثيق على من يدخل في مذهبهم ألا يُظهر شيئًا منها، ويَعُدُّون ذلك من أصول دينهم وأركانه التي لا يجوز الإخلال بها.

ويرى السيوطي أن أول ظهور للباطنية كان في سنة ٢٩٠هـ، وذهب البعض إلى أن ظهورها كان سنة ٢٠٥هـ، [٦٣٥] وقال آخرون سنة ٢٥٠هـ، [٦٣٦] ويرى البعض أن ظهورها سنة ٢٧٦هـ، [٦٣٧] حينما قام زعيمهم ميمون القداح بإنشاء الفكر الباطني.

والذي يترجح من أقوال العلماء أنه بدء التخطيط لإقامة هذا لمذهب ما بين (سنة ٢٠٠و٣٠٠هـ)". [٦٣٨]

وعليه يرى كثير من العلماء أن الباطنية إنما نشأت كفرقة لها آراؤها الاعتقادية بعد مائتين من الهجرة، في زمن المأمون، وانتشرت في عهد المعتصم.

---

[٦٣٥] بيان مذهب الباطنية وبطلانه للدليمي (ص: ١٨).

[٦٣٦] بيان مذهب الباطنية وبطلانه للدليمي (ص: ٣).

[٦٣٧] انظر: كشف أسرار الباطنية (ص: ٣٢).

[٦٣٨] كتاب فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لغالب بن علي العواجي (٢/ ٤٨١).

فرق الباطنية:

فيما يلي بيان أهم هذه الفرق ووقوعها في الشرك بالله سبحانه وخروجها من الإسلام.

١ – القرامطة. ٢ – الإسماعيلية. ٣ – النصيرية. ٤ – الدرزية. ٥ – البهائية والبابية. ٦ – الواقفة من الإسماعيلية". [٦٣٩]

المطلب الثاني: مرحلة الانتشار.

يرجع ابن تيمية–رحمه الله–السبب الرئسي لانتشار البدع لأمرين:

الأمر الأول: أن الدولة العباسية كان أنصارها من أهل المشرق من الفرس وغيرهم.

الأمر الثاني: فتح باب ترجمة كتب الفلاسفة.

أما عن الأمر الأول:

لما انتشرت الدولة العباسية وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((الفتنة هاهنا))؛ ظهر حينئذ كثير من البدع، وعربت أيضًا إذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم من المجوس الفرس، والصابئين الروم، والمشركين الهنود، وكان المهدي من خيار خلفاء بني العباس، وأحسنهم إيمانًا وعدلًا وجودًا، فصار يتتبع المنافقين الزنادقة كذلك. [٦٤٠]

---

[٦٣٩] الشرك بين القديم والحديث (١/ ٨٠٨–٨١٠).

٦٤٠ مجموع الفتاوى (٤/ ٢٠).

[خلافة المأمون]

لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وتلقى عن هؤلاء ما تلقاه. ثم لما تولى الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء، ودعا إلى قولهم في آخر عمره، وكتب وهو بالثغر بطرسوس إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتابًا يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا القرآن مخلوق، فلم يجبه أحد؛ ثم كتب كتابًا ثانيا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه، فأجاب أكثرهم، ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد، وبقي اثنان لم يجيبا: الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، فأرسلوهما إليه فمات قبل أن يصلا إليه؛ وكان هذا سنة ثماني عشر ومائتين". [٦٤١]

وفي دولة "أبي العباس المأمون" ظهر "الخرمية" ونحوهم من المنافقين، وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة.

فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين، وقوى ما قوى من حال المشركين وأهل الكتاب، كان من أثر ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة. وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلًا وعدلًا، وإنما هو جهل وظلم، إذ التسوية بين المؤمن والمنافق، والمسلم والكافر أعظم الظلم، وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل، فتولد من ذلك محنة الجهمية، حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته، وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى، مما يطول وصفه". (٦٤٢)

---

٦٤١ مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٣).

٦٤٢ مجموع الفتاوى (٤/ ٢٠،٢١).

قال الذهبي: "لما تولى المأمون الخلافة على رأس المائتين، نجم التشيع وأبدى صفحته. وكان المأمون شيعيًا". [٦٤٣]

فما إن جاء أول المائة الثالثة، وولي على الناس عبد الله المأمون (١٩٨هـ - ٢١٨هـ) ، وكان يحب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامرا بأنواع المتكلمين في العلوم، فغلب عليه حب المعقولات فأمر بتعريب كتب اليونان، وأقدم لها المترجمين من البلاد فعربت له، واشتغل بها الناس، والملك سوق ما سوق فيه جلب إليه، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتتبعهم بالحبس والقتل. فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه، فقبلها، واستحسنها، ودعا الناس إليها، وعاقبهم عليها". [٦٤٤]

الأمر الثاني: ترجمة كتب الفلاسفة.

قال ابن تيمية: "وأنه بعد ذلك أواخر المائة الثانية وقبلها وبعدها اجتلبت كتب اليونان وغيرهم من الروم من بلاد النصارى وعربت وانتشر مذهب مبدلة الصابئة مثل أرسطو وذويه، ظهر في ذلك الزمان الخرمية، وهم أول القرامطة الباطنية الذين كانوا في الباطن يأخذون بعض دين الصابئين المبدلين، وبعض دين المجوس، كما أخذوا عن هؤلاء كلامهم في العقل والنفس، وأخذوا عن هؤلاء كلامهم في النور والظلمة، وكسوا ذلك عبارات وتصرفوا فيه وأخرجوه إلى المسلمين، وكان من القرامطة الباطنية في الإسلام ما كان، وهم كانوا يميلون كثيرا إلى طريقة الصابئة المبدلين، وفي زمنهم صنفت رسائل إخوان الصفا، وذكر ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، أن أباه كان من أهل دعوتهم من أهل دعوة المصريين منهم، وكانوا إذ ذاك قد ملكوا مصر وغلبوا عليها، قال ابن سينا وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة لكونهم كانوا يرونها، وظهر في غير هؤلاء من التجهم ما ظهر، وظهر بذلك تصديق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((لتتبعن سنن من كان

---

٦٤٣ سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨١).

٦٤٤ الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٧٢).

قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)). قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى. قال ((فمن))، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرا بشبر وذراعا بذراع)) فقيل يا رسول الله كفارس والروم قال: ((فمن الناس إلا أولئك)) ومعلوم أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المجوس والصابئين والمشركين فكان أول ما ظهر من البدع فيه شبه من اليهود والنصارى.

والنبوة كل ما ظهر نورها انطفت البدع، وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهورا فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره، كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والتشيع، ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة، ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية، ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفارس والروم وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم إلى المسلمين، فظهرت الملاحدة الباطنية الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان، مع ما أظهروه من التشيع، وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلا وكفرا، كفرهم من جنس كفر فرعون بل شر منه". [٦٤٥]

قال ابن القيم: "وبزغ فجر الكلام، وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين، وقد كانت الأمة منه في عافية، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة، وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله. إن من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وتقدم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويمارى في القرآن، ويتبرم بالسنن والآثار، وتقع في الحيرة. فالفرار قبل حلول الدمار، وإياك ومضلات الأهواء ومجاراة العقول، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم". [٦٤٦]

---

[٦٤٥] بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٧٨).

[٦٤٦] تذكرة الحفاظ ١/٣٢٨.

فالمأمون أول من أعلن بدعة القول بخلق القرآن من السلاطين ودعا إليها بقوة السلطان، "وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومائتين فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت". [٦٤٧] "ولكنه لم يرجع عن قوله وصمم على امتحان العلماء في سنة ثمان عشرة وشدد عليهم فأخذه الله". [٦٤٨]

قال السفاريني: قال الصلاح الصفدي: حدثني من أثق به أن شيخ الإسلام ابن تيمية روح الله روحه كان يقول: "ما أظن الله يغفل عن المأمون، ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها". [٦٤٩]

ونقل السيوطي عن شيخ الإسلام أنه كان يقول: "ما أظن الله يغفل عن المأمون ولابد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخاله هذه العلوم الفلسفية بين أهلها". [٦٥٠]

قال السيوطي: "أول من أدخل المنطق والفلسفة وسائر علوم اليونان في ملة الإسلام وأحضرها من جزيرة قبرص المأمون". [٦٥١]

وترجمة تراث الفلاسفة ليست مقصورة على الخليفة المأمون ولكنه هو الذي تولى كبرها. فقد بدأت الترجمة كما يذكر في عهد الخليفة المنصور الذي أوعز إلى ابن المقفع بترجمة بعض كتب المنطق ككتاب (المقولات) "وبعد مضي عصر المنصور أتى عصر المهدي وانتهى ومر عصر الهادي بعد عصر المهدي دون أن تؤثر عنهما أو عن واحد من الأشخاص البارزة في وقتهما شيء يتعلق بالترجمة في عمومها فضلا عن ترجمة الفلسفة بمعناها الخاص".[٦٥٢] أما الرشيد فقد أمر بإعادة ترجمة الكتب التي سبقت ترجمتها في العهود التي قبله أكثر من تشجيعه على ترجمة

---

[٦٤٧] سير أعلام النبلاء (٢٨١/١٠).

[٦٤٨] سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨٣)، فوات الوفيات (٢/ ٢٣٨).

[٦٤٩] "لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرية المضية في عقيدة الفرقة المرضية" (١/٩).

[٦٥٠] صون المنطق للسيوطي (ص: ٩) .

[٦٥١] الوسائل إلى مسامرة الأوائل (ص: ١١٨).

[٦٥٢] ((الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي)) – محمد البهي (١٦٩).

كتب جديدة. ثم جاء عصر المأمون وهو العصر الذهبي للترجمة كما يقال. قال ابن صاعد في طبقات الأمم "لما أفضت الخلافة إلى المأمون تمم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على هذه العلوم فداخل ملوك الروم وأتحفهم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وبقراط وغيرهم من الفلاسفة فاختار لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما يمكن ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها". [٦٥٣]

والمأمون هو الذي جعل من شروط الصلح مع أعدائه أن يزوِّدوه بما لديهم من كتب، فقد حصل هذا مع حاكم صقليَّة. [٦٥٤] فتردد الحاكم في تلبية الطلب، إلى أن أشار عليه المطران الأكبر بقوله: "أرسلها إليه؛ فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها"، فأرسلها إليه، [٦٥٥]

وحصل هذا مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث؛ [٦٥٦] إذ كان من شروط الصلح أن ينزل ميخائيل الثالث للخليفة المأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية. [٦٥٧]

يقول محمد بن إسحاق النديم: "إنه كان بين الخليفة المأمون وملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة

---

[٦٥٣] ((الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي)) – محمد البهي (ص: ١٦٩) باختصار.

[٦٥٤] صقلية: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط (بحر الغرب)، مثلثية الشكل، فتحها أسد بن الفرات سنة ٢١٢هـ أيام المأمون، وفيها جبال وآثار وأشجار؛ انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان؛(٣/ ٤١٦-٤١٩).

[٦٥٥] عصر المأمون؛ أحمد فريد رفاعي، (ص: ٣٧٧).

[٦٥٦] يذكر الكتبي في: فوات الوفيات (٢: ٢٣٧): أن ملك الروم أهدى للمأمون تحفًا سنية، منها مائة رطل مسك، ومائة حلة سمور، فقال المأمون: أضعفوها له ليعلم عز الإسلام، وذل الفقر، وعلق على هذا فيليب حتي وإدوارد جرجي وجورج جبُّور في: تاريخ العرب؛ (ص: ٣٦٥)، بأن ملك الروم هذا قد يكون ميخائيل الثالث.

[٦٥٧] القسطنطينية: دار ملك الروم في ذلك العصر، ويقال لها إسطنبول، عَمَرها ملك الروم قسطنطين فسميت باسمه، فتحها المسلمون، وكانت مقرًّا لعاصمة الخلافة العثمانية زمنًا؛ انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان؛ (٤/ ٣٤٧-٣٤٨)، وهي الآن من أهم مدن تركيا .

المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن يوسف بن مطر، وابن البطري، وسلْم، صاحب بيت الحكمة، وغيرهم-على ما مر ذكره، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه، أمره بنقله فنُقل. وقد قيل: إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلاد الروم. [٦٥٨]

وبعض تلك الترجمات التي وصلت عن طريق السُّرْيان، وكان يعتورها شيء من الوهن والضعف. وتلاها النقل والترجمة المباشرة عن اليونانية، وعلى أيدي مترجمين مسلمين عرب، بعد أن كانت النقول والترجمات تنقل على أيدي السُّرْيان، فأضحت الترجمات في معظمها خالية من العيوب، "بل يمكن عدها آثارًا شامخة تدل على عناية وإخلاص وصدق في عملية الترجمة". [٦٥٩]

لا يعني هذا أن النقل والترجمة المباشرة من اللغة نفسها كانت وليدة هذا الطور، وإنما ازدهرت فيه. ولا يعني هذا كذلك أن النقل والترجمة المباشرة-من اللغة نفسها- كانت خالية من الأخطاء والعيوب على الإطلاق؛ فالنظرة هنا نسبية.

كان النقل والترجمة عن اللغة اليونانية مباشرة شبه معدوم، في عصر الخلافة الأُموية، ثم صار في المنزلة الثانية، في الطور الأول من العصر العباسي، فأصبح ندًّا في بداية الطور الثاني، وتغلَّب على النقل السُّرْياني في النصف الثاني من الطور الثاني، (النصف الثاني من القرن الثالث الهجري)، حيث أصبح النقل والترجمة من السُّرْيانية في المنزلة الثانية بعد اليونانية. [٦٦٠]

ومن أبرز النَّقلة والمترجمين: يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي يمثِّل نقطة التحول في هذا المجال، مع أنه لم يترك الترجمة، إلا أنه كان ينتقد أصحاب الكتب المترجمة ويخطِّئهم، وينقل ابن أبي أصيبعة في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء عن أبي معشر في: المذكرات أن الكندي "أحد أربعة حذَّاق الترجمة في الإسلام: حنين، وثابت بن قرة، وعمر بن الفرخان، والكندي". [٦٦١]

[٦٥٨] النديم، الفهرست؛ (ص: ٥٤٧)، (الفن الثاني من المقالة السابعة).

[٦٥٩] حركة الترجمة العلمية وتوسعها في العصر العباسي، لمحمد مروان السبع - (ص: ١٨٩).
منشور في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب.

[٦٦٠] تاريخ تطور الفكر العربي بالترجمة والنقل عن الثقافة اليونانية، إسماعيل مظهر، (ص: ٤)، المقتطف - (مج٦٧، ع٢ (١٩٢٥/٨م) - ص: ٣٤٩-٣٥٦).

[٦٦١] تاريخ التمدن الإسلامي؛ لجرجي زيدان (٣/ ١٦٣-١٦٤).

ويذكر أنَّ للكندي مائتين وواحدًا وثلاثين (٢٣١) كتابًا؛ منها اثنان وعشرون (٢٢) كتابًا في الفلسفة، واثنان وعشرون (٢٢) كتابًا في الطب، واثنا عشر (١٢) كتابًا في السياسة، وأحد عشر (١١) كتابًا في الحساب، وعشرة (١٠) كتب في الأحكام، وتسعة (٩) كتب في المنطق، وثمانية (٨) كتب في الكريات، وثمانية (٨) كتب أخرى في الأبعاد، وسبعة (٧) كتب في الموسيقا، وخمسة (٥) كتب في النفس، وخمسة (٥) كتب أخرى في تقدمة المعرفة.

وقد حصَر المؤلِّف هذه الكتب عن النديم في الفهرست، وله غيرها كثير، وكان الكندي معاصرًا للخليفة المأمون، والخليفة المعتصم إلى الخليفة المتوكل، يقول الذهبي في "سير أعلام النبلاء" عن الكندي: "إنه كان متَّهمًا في دينه، ساقطَ المروءة، همَّ بأن يجعل شيئًا مثل القرآن، فعجز". [٦٦٢]

ومن أبرز النَّقلة والمترجمين في هذا الطور يوحنا بن البطريق، والحجاج بن يوسف بن مطر، وقسطا بن لوقا،[٦٦٣] وعبدالمسيح بن ناعمة الحمصي، وحنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين بن إسحاق،[٦٦٤] وثابت بن قرة الصابئ، وحبيش بن الأعسم، وغيرهم.

وأبرز هؤلاء حنين بن إسحق "فقد كان لهذا الرجل أثرٌ بارز على النقل، ويعدُّ أستاذًا فيه". [٦٦٥]فقد قيل: إنه يمثل العصر الذهبي للترجمة، [٦٦٦] وإنه ترجم من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابًا إلى اللغة السريانية، وترجم منها إلى العربية تسعة وثلاثين كتابًا، وأصلح مما نقل تلاميذه ستة كتب إلى اللغة السُّرْيانية، ونحوًا من سبعين كتابًا إلى اللغة العربية، وأصلح-كذلك-معظم الكتب التي نقلها إلى السُّرْيانية سرجيس الراسُعيني وأيوب الرهاوي، وغيرهما من الأطباء، وقد

---

[٦٦٢] انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (١٢/ ٣٣٧).

[٦٦٣] قسطا بن لوقا البعلبكي: كان ناقلًا خبيرًا باللغات، فاضلًا في العلوم الحكيمة وغيرها، نقل كتبًا كثيرة عن اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، وكان يجيد النقل، فصيح اللِّسان اليوناني والسرياني والعربي، وأصلح نقولًا كثيرة، وله تآليف كثيرة؛ انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء؛ لابن أبي أصيبعة، (ص: ٢٨٠و ٣٢٩).

[٦٦٤] أبو يعقوب إسحاق بن حنين: في نجاد أبيه في الفضل، وصحة النقل، من اللغة اليونانيَّة والسريانيَّة إلى اللغة العربية، وكان أفصح من أبيه في العربية، توفي بالفالج (سنة ٢٩٨هـ)، وله تآليف؛ انظر: النديم، الفهرست؛ (ص: ٣٥٦).

[٦٦٥] كتاب حنين بن إسحق: شيخ المترجمين العرب، محمد على الزركان (ص: ١٦٩ — ١٨٤).

منشور في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب؛ (ص: ٤٠٧).

[٦٦٦] تاريخ التمدن الإسلامي؛ جرجي زيدان (٣/ ١٦٣ - ١٦٤)، وانظر أيضًا: حنين بن إسحق: العصر الذهبي للترجمة، ماهر عبدالقادر محمد، حيث يدور الكتاب كله حول هذا المفهوم.

وصلَت إلى خمسين كتابًا، [٦٦٧] ويمكن أن يعد حنين بن إسحاق "أحسن مَن أجاد اللغة اليونانية، وخدم الترجمة في ذلك العصر". [٦٦٨]

وفي هذه المرحلة قويت شوكت التعطيل واتسعت دائرته ونشط دعاته وكثرت طوائفه. فبعد أن كان خصوم أهل السنة هم الجهمية فقط، ظهر المعتزلة الذين حملوا راية التعطيل ووجهوا دفته، ودخلوا فيه بقوة هيأها لهم المأمون ومن بعده المعتصم ثم الواثق. وشايعهم على ذلك العديد من الفرق الضالة، فجمعت المعتزلة من ذلك الوقت بين بليتين "بلية نفي الصفات" و"بلية نفي القدر". وفي هذه المرحلة ظهر القرامطة، وبدؤوا يظهرون قولهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكانت "محنة الإمام أحمد" سنة عشرين ومائتين، وفيها شرعت القرامطة الباطنية يظهرون قولهم، فإن كتب الفلاسفة قد عربت وعرف الناس أقوالهم فلما رأت الفلاسفة أن القول المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته هو هذا القول الذي يقوله المتكلمون الجهمية ومن اتبعهم، ورأوا أن هذا القول الذي يقولونه فاسد من جهة العقل؛ طمعوا في تغيير الملة. فمنهم من أظهر إنكار الصانع، وأظهر الكفر الصريح، وقاتلوا المسلمين، وأخذوا الحجر الأسود، كما فعلته قرامطة البحرين". [٦٦٩]

---

[٦٦٧] انظر: حنين بن إسحق: أحد بناة النهضة العلمية في العصر العباسي شحادة الخوري، التعريب؛ (ص: ١٤٢)، وينقل الخوري بعض المترجمات عن: ماهر عبدالقادر محمد، حنين بن إسحق: العصر الذهبي للترجمة؛ (ص: ٧٧ وما بعدها).

[٦٦٨] انظر: مدرسة آل حنين وأثرها في التراث العلمي العربي، محمد أحمد زيود: (ص: ٣٧٣).
الحضارة العربية الإسلامية في العصور الإسلامية ودورها في بناء الحضارة العالمية.

٦٦٩ مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٨).

وفي هذه المرحلة أيضا ظهرت "الصفاتية" وهم وإن كانوا من أقرب المتكلمين إلى السنة إلا أنهم خالفوا قول أهل السنة بنفيهم للصفات الاختيارية، وعلى رأس أولئك عبد الله بن سعيد بن كلاب (٢٣٤هـ)والحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٣٤) وأبو العباس القلانسي وغيرهم.

ومنذ ذلك الحين اتسعت دائرة التعطيل وعظم خطره وكثر خصوم السنة.

وقد دخلت المعتزلة في تلك المرحلة في هذه المقالة، وشاركوا الجهمية في بعض أصولهم، "مع أن المعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا، ولهذا لما ذكر الإمام أحمد في رده على الجهمية [٦٧٠] قول جهم قال: "فاتبعه قوم من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة.

واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف (٢٣٥ هـ) والنظام (٢٣١ هـ) وأشباههم من أهل الكلام". [٦٧١]

وبدأ اشتهار مقالة التعطيل من حين فتنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فالمعطلة للأسماء والصفات في زمن إمارة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) قووا وكثروا، فإن المأمون كان قد أقام بخراسان مدة، واجتمع بهم، ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثماني عشرة ومائتين، وفيها مات المأمون.

٦٧٠ الرد على الزنادقة والجهمية ص٦٧،٦٦. (ضمن كتاب عقائد السلف).

٦٧١ شرح الأصفهانية (ص: ٦٥).

[خلافة المعتصم والواثق]

فقد سار المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) والواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ) على طريقة المأمون، فامتحنوا العلماء بذلك وحملوا الكافة على القول بخلق القرآن، فمدت بدعة التعطيل رواقها، وتنفذ أهلها على البلاد والعباد، وصارت المنابر والحلق والقضاء حكرا على هؤلاء المعطلة، وضيق على أهل السنة ونالهم العنت الشديد. وهو أمر لم يسبق له نظير قبله في خلفاء الأمة.

وقد ردوا أحمد بن حنبل إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين ومائتين وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم في الكلام. فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه، وبين أن لا حجة لهم في شيء من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم، وامتحانهم إياهم جهل وظلم. وأراد المعتصم إطلاقه، فأشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه حتى لا تنكسر حرمة الخلافة مرة بعد مرة. فلما ضربوه قامت الشناعة عليهم في العامة، وخافوا الفتنة. فأطلقوه.

وكان أحمد بن أبي دؤاد قد جمع له نفاة الصفات القائلين بخلق القرآن من جميع الطوائف، وكانت الطوائف التي تقول بخلق القرآن في ذلك الحين هم المعتزلة، والجهمية أتباع جهم والنجارية أتباع حسين النجار، والضرارية أتباع ضرار بن عمرو ولذلك يخطئ من يظن أن خصوم الإمام أحمد هم المعتزلة فقط، فيظن أن بشر بن غياث المريسي -وإن كان مات قبل محنة الإمام أحمد- ، وابن أبي دؤاد ونحوهما كانوا معتزلة وليس كذلك. [٦٧٢]

وقد استمرت محنة القول بخلق القرآن أربعة عشر عاما من سنة ثماني عشرة ومائتين إلى سنة أربع وثلاثين ومائتين للهجرة

---

٦٧٢ مجموع الفتاوى ٣٥١،٣٥٢/١٤. «بتصرف» و ٥٥٤/٥.

[خلافة المتوكل]

واستمر الأمر كذلك حتى جاء الله بالفرج والنصر لأهل السنة في عهد الخليفة المتوكل رحمه الله سنة أربع وثلاثين ومائتين فانقضى عصر المحنة بعد سنتين من خلافة المتوكل الذي أظهر السنة، وقمع البدعة، وزجر عن القول بخلق القرآن". [٦٧٣]

وظهر للناس وتبين لهم باطن أمر الجهمية، وأنهم معطلة الصفات يقولون إن الله لا يرى، ولا له علم، ولا قدرة، وإنه ليس فوق العرش رب، ولا على السماوات إله، وإن محمدا لم يعرج به إلى ربه، إلى غير ذلك من أقوال الجهمية النفاة، فكثر رد الطوائف عليهم بالقرآن والحديث والآثار تارة وبالكلام الحق تارة، وبالباطل تارة. [٦٧٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكان في أيام "المتوكل" (٢٣٢-٢٤٧هـ) قد عز الإسلام، حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمرية، وألزموا الصغار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم.

[خلافة المعتضد والمهدي والقادر]

وكذلك في أيام "المعتضد" (٢٧٩-٢٨٩هـ) "والمهدي" (١٥٨-١٦٩هـ) "والقادر" (٣٨١-٤٢٢هـ) وغيرهم من الخلفاء الذين كانوا أحمد سيرة وأحسن طريقة من غيرهم. وكان الإسلام في زمنهم أعز، وكانت السنة بحسب ذلك. [٦٧٥]

[أوضاع الخلافة العباسية بعد مقتل الخليفة المتوكل]

٦٧٣ سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤، مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٣-١٨٤).

٦٧٤ مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٥).

٦٧٥ مجموع الفتاوى (٤/ ٢١،٢٢) .

شكَّلت حادثة مقتل الخليفة المتوكِّل على الله (سنة: ٢٤٧ هـ) على أيدي قادة جُنده الأتراك الذين اصطنعهم، شكَّلت بداية الانحطاط وانقسام الدولة العبَّاسيَّة كما يعتقد ابن خلدون فضعُفت الدولة بعد الاستفحال وتغلَّب على الخليفة فيها الأولياء والقرابة والمصطنعون، وحدثت الفتن في بغداد، وصار العلويُّون والمنتسبون إلى آل البيت إلى النواحي مُظهرين دعوتهم، فدعا أبو عبد الله الشيعي (سنة: ٢٨٦ هـ) بِإفريقية في طاعة عُبيد الله المهدي، وظهر بِطبرستان الحسن بن زيد بن مُحمَّد المعروف بِالدَّاعي (سنة: ٢٥٠ هـ) في خلافة المستعين بالله وملكها.

وظهر باليمن الإمام القاسم الرسِّي وهو ابن إبراهيم طباطبا، فأظهر دعوة الزيديَّة وملك صعدة وصنعاء وغيرها من بلاد اليمن.

ومَلَك بنو سامان بلاد ما وراء النهر آخر (سنة: ٢٦٠ هـ).

وبدأت دولة بني الصفَّار في الظُّهُور (سنة: ٢٥٣ هـ) بعد استيلائه على سجستان وهراة من خُراسان، كما بدأ أمر صاحب الزَّنج سنة ٢٥٥هـ وفي سنة ٢٥٤هـ بدأ أمر أحمد بن طولون بِالظُّهُور. وما كادت (سنة: ٢٦٤ هـ) تغيب حتَّى مَلَك الشَّام إضافةً إلى مصر. وبدأ أمر القرامطة (سنة: ٢٧٦ هـ) وخلال عشر سنواتٍ عظُم أمرهم واشتدَّ في البحرين، أمَّا المغرب الأقصى والأندلُس فاقتُطعا عن الدولة العبَّاسيَّة مُنذُ زمنٍ بعيد.

[الدولة الزيدية (الطالبية) بطبرستان ٢٥٠ – ٣١٦ هـ]

نجح الحسن بن زيد (علوي من نسل الحسن بن علي) في تكوين هذة الدولة، حيث اقتطع من ملك بني العباس وآل طاهر طرفا عظيما تحميه الجبال، بطبرستان والديلم (جنوب بحر قزوين)، ثم حكم أخوه محمد بن زيد. وتوالت الأسرة على الحكم، إلى أن استولى (مراداويج بن زيار) على السلطة، وكان من القادة العسكريين للزيديين (٣١٦ – ٣٢٣ هـ/٩٢٨ – ٩٣٤ م).

وتعاقبت ذريته على الحكم حتى سنة ٤٧١ هـ/١٠٧٨ م، ثم جاءت الإسماعيلية". [٦٧٦]

[الدولة الصفارية (إيران وهرات وما وراء النهر) ٢٥٤ – ٢٩٨ هـ].

دولة شيعية تأسست على يد يعقوب بن الليث الصفار (وهو من أصل فارسي)، وكان هذا يعمل صفارا للأواني النحاسية في بداية حياتها ثم انخرط جنديا في فرقة عسكرية في سجستان، فعلا شأنه، وصار قائدا عظيما. فاستولى على سجستان وما حولها.

وأغار على الدولة الطاهرية بخراسان، واستولى على عاصمتها نيسابور، وحارب الترك، وتوسع واستولى على جنديسابور والأهواز، وحكم خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان.

وقد اعتمد في فتوحاته على ضعف الخلافة العباسية، حتى أنه طمع في الزحف إلى بغداد للسيطرة على الخلافة، ثم جاء المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩ هـ) وفي عهده تولى أخوه الموفق قيادة الجيش، وكان حازما قويا، أعاد للخلافة صحوتها وهيبتها وراح الموفق يصارع كل المتمردين في الشرق والغرب. وكان يعقوب واحدا من هؤلاء. وقد قلم الموفق أظفاره، فانفلتت من يعقوب ولايات كثيرة، كانت خاضعة له، ثم هزمه الموفق هزيمة قاضية. فنزل به المرض والهم فتوفي (سنة: ٢٦٥ هـ). وخلفه أخوه الذي حاول استرداد بلاد ما وراء النهر، فهزمه السامانيون، ووقع في أسرهم وقضى عليه، وأخيرا وقعت الدولة بأكملها في قبضة السامانيين.

* * *

وأبرز حكامها:-

---

[٦٧٦] كتاب موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص: ٢٢٠).

- يعقوب بن الليث الصفار ٢٥٤ – ٢٦٥ هـ.

- عمرو بن الليث الصفار ٢٦٥ – ٢٨٨ هـ.

- طاهر بن محمد بن عمرو ٢٨٨ – ٢٩٦ هـ.[٦٧٧]

٢٦١ – ٣٩٠ هـ/٨٧٤ – ١٠٠٠ م:-

[الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر وغيرها] (٢٦١–٣٩٠ هـ).

وهم شيعة رافضة. وتنسب هذه الأسرة إلى رجل فارسي اسمه سامان، كان مجوسي، ثم اعتنق الإسلام، وهو من أسرة عريقة الجد في فارس، وخلفه ابنه أسد وظهر أبناء أسد كزعماء في عهد المأمون. فأحمد بن أسد تولى فرغانة، ونوح بن أسد تولى سمرقند، ويحيى تولى الشاس وأشروسنة، وإلياس تولى هراة (عام: ٢٠٤ هـ). وعندما آل حكم خراسان والمشرق إلى طاهر بن الحسين أقرهم. وتولى بعد أحمد بن أسد ابنه نصر، فأقره الطاهريون. وفي (سنة: ٢٦١ هـ) ولاه الخليفة المعتمد بلاد ما وراء النهر كلها، فجعل عاصمته سمرقند وولى أخوه إسماعيل بخارى. وكانا قد تقاتلا ثم اصطلحا، وبعد وفاة نصر خلفه إسماعيل.

ويعتبر إسماعيل المؤسس الحقيقي للدولة السامانية، وفي عهده تحولت الإمارة السامانية إلى مملكة وأصبحت بخارى عاصمتها، ويعتبر عهد إسماعيل عهد قمة في العهود السامانية، قضى على الدولة الزيدية بطبرستان وضم أراضيها، ثم قضى على الدولة الصفارية فضم أراضيها وممتلكاتها، وأصبح ملك السامانيين يشمل ما وراء النهر وخراسان وسجستان وجرجان وطبرستان والري وكرمان فبلغت الدولة بذلك قمة اتساعها، ونذكر عن هذه الدولة أنها شجعت التشيع وأجلته حتى أصبح فيما بعد المذهب الرسمي لإيران.

---

[٦٧٧] كتاب موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص: ٢٢١–٢٢٢).

ضعفت دولتهم في أواخر عهدها، ثم انقرضت على يد الدولة الغزنوية، والترك الخاقانية.

وأبرز حكامها:-

نصر بن أحمد بن سامان (٢٦١-٢٧٩ هـ).

إسماعيل بن أحمد (٢٧٩-٢٩٥ هـ).

نصر الثاني بن أحمد (٣٠١-٣٣١ هـ)". [٦٧٨]

[الدولة الزيدية (بنو الرسي) في صعدة وصنعاء] (٢٨٠ - ١٣٨٢ هـ)

(وهم شيعة رافضة). قدم الحسين بن القاسم الرسي (من ذرية الحسن بن علي) إلى اليمن واستقر بها سنة ٢٨٠ هـ، فخلفه ابنه يحيى بن الحسين ودعا لنفسه، وتلقب بالهادي، واتخذ صعدة عاصمة له، وبويع بالإمامة (سنة ٢٨٤ هـ) وملك صنعاء وقوي نفوذه، وكان عادلا كريما شجاعا، وخلفه ابنه، ثم تتابعت ذريتهم على ملك اليمن.

كما في حديثنا عن الإمارات اليمنية نتوقف عند سنة ٥٦٩ هـ وهي السنة التي دخل فيها الأيوبيون اليمن. لكننا مع الأئمة الزيدية لن نقف عند ذلك التاريخ لأن هؤلاء لم يختفوا كما اختفي سواهم. لكنهم بقوا في أكثر فترات التاريخ حتى سنة ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م.

ومما يذكر أن الأئمة عاشوا في صراع مع الدول اليمنية الأخرى منذ بداياتهم وحتى سنة ١٠٤٥ هـ/١٦٣٥ م حيث خلصت لهم اليمن الشمالية حتى قيام الثورة -فيما عدا فترة الاحتلال العثماني- وقد كان سلطانهم سابقا محصورا في المنطقة الشمالية (صعدة) حتى القرن ٧ هـ/١٣ م، بعدها امتد للجنوب.

ومنذ أوائل (القرن ١١ هـ) حاول الأئمة الاندفاع لليمن الجنوبية ففشلوا لاختلاف المذاهب ولتعصبهم

[٦٧٨] كتاب موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص: ٢٢٢-٢٢٣).

وأهم الأئمة الزيدية:-

- الهادي يحيي بن الحسين (٢٨٤ - ٢٩٨ هـ).

- المتوكل أحمد بن سليمان (٥٣٢ - ٥٦٧ هـ).

- المهدي محمد بن المطهر (٦٩٧ - ٧٢٨ هـ).

- شرف الدين بن المهدي (٩١٢ - ٩٦٥ هـ).

- يحيى بن محمد بن حميد الدين (١٣٢٢ - ١٣٦٧ هـ).

- البدر بن أحمد ١٣٨٢ - ١٩٦٢ م (حكم عدة أيام ثم هبت ثورة السلال).

". [٦٧٩]

[الدولة العبيدية] (٢٩٧- ٥٦٠ هـ)

وهم شيعة رافضة. ادعوا (كذبا وافتراءا) أنهم من نسل فاطمة الزهراء. اختلف المؤرخون في نسبهما فقيل ينسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، لذا سموا بالإسماعيلية أيضا. وقيل إنهم يرجعون إلى رجل فارسي هو عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي. الثنوي المذهب الذي يقول بوجود إلهين (إله النور وإله الظلمة).

ومؤسس هذه الدولة عبيد الله بن محمد المهدي وإليه تنسب الدولة. وكان أبوه قد استطاع نشر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن، ثم اليمامة والبحرين والسند ومصر والمغرب. ثم واصل عبيد الله طريق والده. ووسع نفوذه. وتصدى للهجمات والثورات حتى قبض عليه اليسع بن مدرار أمير سجلماسه وسجنه. واصل قائده أبو عبد الله الشيعي فتوحه، ومد نفوذه إلى أكثر أجزاء المغرب.

---

[٦٧٩] كتاب موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص: ٢٢٤-٢٢٥)..

ودخل أخيرا (رقادة) عاصمة الأغالبة وأزال دولتهم عام ٢٩٦ هـ/٨٧٥ م. ثم سار إلى سجلماسه فهرب حاكمها.

فأطلق زعيمه عبيد الله عام ٢٩٦ هـ/٨٧٥ م فبايعوه. وتلقب بخليفة المسلمين وأمير المؤمنين. وواصل انتصاراته، وهكذا استطاع القضاء على ملك الأغالبة. وآل رستم، والأدارسة، ودان له الشمال الأفريقي كاملا، واتخذ القيروان عاصمة ملكه. وفي عام ٣٠٤ هـ/٩١٦ م بنى (المهدية) وجعلها عاصمته، مات سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٣ م وخلفه ابنه القائم، ثم تتالى عليها ذريته.

قامت هذه الدولة في بلاد المغرب، ثم ضمت مناطق وأقاليم واسعة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فامتد نطاقها من المغرب إلى مصر، ثم توسعت فضمت جزيرة صقلية والشام والحجاز، فأصبحت أكبر دولة استقلَت عن الدولة العباسية.

واستطاعت أن تكون بمثابة أول كيان دولة يتوّج جهود أئمة الإسماعيلية التي بدأت منذ منتصف القرن الثاني الهجري بنشر دعوتهم في كثير من أرجاء العالم الإسلامي.

ودامت دولة العبيديين في المغرب نيفًا وستين سنة هجرية من ٢٩٧ إلى ٣٦٢هـ، وقد رمى أهل المغرب دولتهم عن قوس واحدة، وأيقن العبيديون تمام اليقين أن السيطرة على المغرب الأوسط نهايتها الفشل، خاصة مع استقواء آل بلكين بن زيري الصنهاجيين وغلبتهم فيها، بينما شهد المغرب الأقصى صعود الأمويين الأندلسيين أيام حكم المستنصر الذي خلف أباه عبد الرحمن الناصر لدين الله (سنة: ٣٥٠ هـ)، وكان الأندلسيون يرون العبيديين مرتدين عن الإسلام وحربهم جهاد، لذلك كرّسوا الجانب الأكبر من قواهم في حربهم في المغرب وخاض خيرة جندهم المعارك الضارية حتى تمكنوا من طردهم من المغرب الأقصى وأتموا عملهم بالقضاء على أنصارهم والتقارب مع الأدارسة.

وقد سيرت الدولة العبيدية في بلاد المغرب ثلاث حملات إلى مصر للاستحواذ عليها وإنهاء تبعيتها للخلافة العباسية، كان أولها في (سنة: ٣٠١- ٣٠٢ هـ).

وثانيها في (٣٠٧–٣٠٩ هـ) وكلاهما في عهد الخليفة المهدي، وردهما مؤنس الخادم قائد الخليفة العباسي المقتدر بالله.

أما الحملة الثالثة فكانت في (٣٢٣ هـ). في عهد الخليفة القائم بأمر الله وردها محمد بن طغج الإخشيد قائد الخليفة العباسي الراضي بالله.

ونجح الفاطميين في ضم مصر سنة ٣٥٨هـ من خلال حملتهم الرابعة في عهد الخليفة المعز لدين الله على يد قائده جوهر الصقلي، وانتقل إلى مصر مقر الحكم الفاطمي بانتقال المعز لدين الله إليها (سنة: ٣٦٢ هـ).

لكنها دولة شغلت تاريخ المنطقة لمرحلة قصيرة نسبيًا، فسرعان ما قامت ضدها الثورات المحلية وارتدت عليها سياساتها الهدامة، فضعف نفوذ العبيديين وأُجبروا على الانتقال إلى مصر حيث كانوا على موعد مع انهيار دولتهم على يد القائد صلاح الدين الأيوبي، فلم تقم لهم قائمة بعد وفاة آخر خلفائهم العاضد عبد الله بن يوسف (سنة: ٥٦٧ هـ). واعتبر العلماء هذا الإنجاز أشرف إنجازات صلاح الدين، أي القضاء على الدولة العبيدية؛ لكونها دولة باطنية وزندقة تدعو إلى مذهب التناسخ وتعتقد حلول الجزء الإلهي في أشباح أصحابها. [٦٨٠]

خلفاء العبيدين:

توالى على حكم الدولة العبيدية أربع عشرة خليفة، أغلبهم في مصر:

---

[٦٨٠] شذرات الذهب (٢/ ١٤١).

١-أولهم المهدي عبيد الله الذي حكم لمدة ٢٥ سنة. (٢٩٧-٣٢٢ هـ)

٢-ثم خلفه القائم بأمر الله محمد الذي حكم لمدة ١٢ سنة. (٣٢٢-٣٣٤ هـ).

٣-ثم المنصور بنصر الله إسماعيل الذي حكم لمدة ٧ سنوات. (٣٣٤-٣٤١ هـ).

٤-ثم المعز لدين الله معد الذي حكم لمدة ٢٤ سنة. (٣٤١-٣٦٥ هـ).

٥-ثم العزيز بالله نزار بن معد الذي حكم لمدة ٢١ سنة، وهو من أبرز خلفاء العبيديين، كان له الفضل في إرساء حكمهم بعد السيطرة على الشام ومصر.

٦-ثم الحاكم بأمر الله منصور بن نزار، مدعي الألوهية، والذي حكم لمدة ٢٥ سنة.

٧-ثم الظاهر لإعزاز دين الله علي بن منصور الذي حكم لمدة ١٦ سنة.

٨-ثم المستنصر بالله معد الذي حكم لمدة ٦٠ سنة، وفي عصره تقلص حكم العبيديين على مصر فقط، وحصل النزاع بينه وبين أمه فانقسم الجند بينهما. ومع نهاية عصره أصبح الحكم الحقيقي للدولة بيد الوزراء إلى غاية انهيارها.

٩-ثم المستعلي بأحكام الله أحمد بن معد لمدة ٨ سنوات.

١٠-ثم الآمر بأحكام الله منصور بن أحمد لمدة ٢٩ سنة.

١١-ثم الحافظ لدين الله الذي حكم لمدة ٢٠ سنة.

١٢-ثم الظافر بأمر الله إسماعيل لمدة ٥ سنوات.

١٣-ثم الفائز بنصر الله عيسى لمدة ٦ سنوات وتوفي وعمره ١١ سنة.

١٤-ثم آخرهم العاضد لدين الله عبد الله لمدة ١٢ سنة

وقد عمد العبيديون، الباطنية، فنشروا البدع، والرفض في مصر والشام، والمغرب العربي، وحاربوا أهل السنة، ونكلوا بهم، تركز اهتمام الخليفة العبيدي إلى تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، وفي سبيل ذلك، استعمل كل الأساليب الماكرة؛ منها إسناد المناصب العليا وخاصة القضاء إلى الشيعيين، واتخاذ المساجد الكبيرة مراكز للدعاية للمذهب الإسماعيلي، فتحول مسجد عمرو بن العاص، ومسجد أحمد بن طولون، وجامع الأزهر، إلى مراكز تدعو لدعوته الخبيثة، وكان يقوم بقيادة هذه الجهود أحد كبار دعاتهم في مذهب الشيعة، وتزامن هذا النشر لمذهبهم تعمد العبيديين إظهار شعائرهم المخالفة لشعائر أهل السنة؛ كالأذان والاحتفال بالعاشر من المحرم، وعيد "الغدير" المعروف بِ "غدير خم" في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، مما تسبب في حوادث اصطدام عنيفة بين أهل مصر والعبيديين، منها ما حصل في الاحتفال بعيد "غدير خم" في ١٨ ذي الحجة (سنة: ٣٦٢ هـ) حيث قام المصريون بثورة عارمة قمعها جوهر.

وكان الشيعة يعتدون على من لا يشاركهم مظاهر الأسى والحزن حتى تعدى الأمر إلى التضييقات على أهل السنة في حياتهم، ومنع صلاة الضحى والتراويح، كل هذا والبلاد تسير وفق أحكام المذهب الإسماعيلي الذي أصبح شرطًا لتولي المناصب المهمة والوظائف في الدولة العبيدية، فتشيّع العديد من السنيين لأجل الوظيفة. [٦٨١]

فقد أمر نائب دمشق بمغربي فطيف به على حمار، ونودي عليه: هذا جزاء من يحب أبا بكر، وعمر-رضي الله عنهما-ثم ضرب عنقه في سنة ٣٩٣ هـ. [٦٨٢]

أما في بلاد المشرق -خراسان وما جاورها- فالأمر أهون من ذلك، لأن الغزنويين، والسلاجقة من أهل السنة في الجملة، فلم تتأثر تلك البلاد، كما تأثرت البلاد الأخرى، وتولى الرافضة، والباطنية السلطة في بلاد المسلمين كان أمرا طارئا، لم يدم بحمد الله تعالى

[٦٨١] المقريزي، خطط، (٢/ ١٦٦).

[٦٨٢] سير أعلام النبلاء (١٥ / ١٥١).

[الدولة الحمدانية في الموصل وحلب] (٣١٧ - ٣٩٤ هـ)

وهم شيعة رافضة. ينتسبون إلى حمدان بن حمدون. من قبيلة تغلب العربية. قام حمدان بدور هام في الحوادث السياسية في الموصل منذ (عام: ٢٦٠ هـ).

ثم اشتهر ابنه الحسين بن حمدان بحروبه ضد القرامطة. وعين الخليفة المقتدر أخاه عبد الله بن حمدان على الموصل وما حولها عام: (٢٩٢ هـ)

بعد سيطرة بن بويه على مركز الخلافة طرد معز الدولة البويهي الحمدانيين من الموصل. فذهبوا إلى حلب. وكان سيف الدولة الحمداني قد استقل بها (عام ٣٣٣ هـ). ثم استعادوا الموصل. ولكن دب فيهم الضعف والتناحر إلى أن أزال الأكراد دولتهم في الموصل (عام ٣٨٠ هـ). أما حلب فقد استقل بها سيف الدولة ٣٣٣ - ٣٥٦ هـ)، وامتاز عهده بكثرة حروبه مع البيزنطيين. وكان يوغل في بلاد الروم. وتولى بعده ابنه سعد الدولة.

ثم ضعفت الدولة، واستمرت في الضعف حتى قضى عليها الفاطميون في حلب (عام ٣٩٤ هـ).

وأبرز الحكام:-

- ناصر الدولة أبو محمد الحسن (٣٠٨ - ٣٥٨ هـ).

- سيف الدولة أبو المحاسن علي (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ).

- سعد الدولة أبو المعالي شريف (٣٥٦ - ٣٨١ هـ).[٦٨٣]

[الدولة البويهية] (٣٣٤-٤٥٤ هـ)

وهذا الاسم يُطلق على إحدى الدُّويلات الإسلاميَّة التي قامت في ظل الدولة العبَّاسيَّة أواخر العصر العبَّاسي الثاني، وسُمِّيت نسبةً إلى بني بُويه، وهُم سُلالةٌ

[٦٨٣] كتاب موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص: ٢٢٨).

من الديالمة الشيعة الزيود، الذين هيمنوا على الخِلافة قُرابة مائةٍ وعشرين سنة (٣٣٤-٤٥٤ هـ). فأقاموا لأنفسهم سلطانا قويًا في العراق وفارس.

ينتسب البويهيون إلى أبي شجاع بويه بن فناخسرو الذي ينحدر أصله من أحد ملوك الفرس وهو شابور ذي الأكتاف [٦٨٤] فهم من سلالة الفرس، سكنوا الديلم، ولم يكونوا ذوي بال، إلى أن ظهر أبو شجاع بن بويه وكانت بداية ظهوره في الحرب التي جرَتْ (سنة: ٣٠٤ هـ) قرب مدينة جرجان [٦٨٥] بين عساكر الدولة الزيدية [٦٨٦]وجيش خراسان [٦٨٧]، حيث كان أحد قوَّاد الدولة الزيدية في هذه الحرب. [٦٨٨]

وكان أبو شجاع بويه رجلًا متوسِّط الحال، ماتتْ زوجته وهو في بلاد الديلم، [٦٨٩]وخلَّفت له ثلاثة أولاد هم: "علي والحسن وأحمد"، وظهر أكبرهم علي وأخوه الحسن (سنة: ٣٢١ هـ)؛ حيث كانا من جملة رجال القائد الديلمي ماكان بن كالي، [٦٩٠] فلمَّا تبيَّن لهما ضعف هذا القائد فارَقَاه، والتحقا بخدمة قائد آخر يدعى مرداويج بن زيار [٦٩١]، فخلع عليهما، وقلَّد علي

---

٦٨٤ الكامل في التاريخ لابن الأثير (٨/ ٢٦٤-٢٦٥) .

٦٨٥ جرجان: إقليم يقع في جنوب شرق بحر قزوين، (لسترنج، "بلدان الخلافة الشرقية"؛ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (ص: ٤١٧).

٦٨٦ أسَّس هذه الدولة الحسن بن زيد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب في بلاد الديلم سنة ٢٥٠هـ، واتَّخذ مدينة آمل بطبرستان مقرًّا لدولته التي تعاقَب عليها عددٌ من أفراد أسرته حتى سقوطها سنة ٣١٦هـ، (الصابئ: "المنتزع من كتاب التاجي"؛ تحقيق محمد بن حسين الزبيدي، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧١ م، ص٤٠ وما بعدها.

٦٨٧ خراسان: الإقليم الشرقي من بلاد فارس، وهي حاليًّا مقسمة بين إيران وأفغانستان وجزء منها يتبع حاليًّا روسيا، (محمود شاكر: "تركستان"، بيروت، ص ٢٦).

٦٨٨ الصابئ: "المنتزع من كتاب التاجي"، (ص: ٥٩).

٦٨٩ بلاد الديلم: تقع جنوب غرب بحر قزوين، لسترنج: "بلدان الخلافة الشرقية"، (ص: ٢٠٧).

٦٩٠ ويسمى أحيانًا "ماكا ن بن كاكي"، وهو أحد قوَّاد جيش الدولة الزيدية بطبرستان في عهد (الحسن بن قاسم ٣٠٤- ٣١٦هـ)، لقي مصرعه (سنة ٣٢٩هـ) على يد أحد قوَّاد الدولة السامانية، (عباس إقبال: "تاريخ إيران بعد الإسلام"؛ ترجمة محمد علاء الدين، (ص: ٢٩، ٤٣).

٦٩١ مرداويج بن زيار الديلمي، كان قائدًا من قوَّاد أسفار بن شيرويه الديلمي في بلاد الجبال، ولكنه خرج عليه، وهزمه سنة ٣١٦هـ، ثم ملَك بلاده، وقتَل مرداويج سنة ٣٢٣هـ، (ابن الأثير: "الكامل"، ٨/ ١٩٦، ٢٩٨).

بن بويه ولاية الكرج، [٦٩٢] ثم أعطاه الري، [٦٩٣] واستولى على أصفهان، [٦٩٤]وبسط (سنة: ٣٢٢هـ) سيطرته على شيراز. [٦٩٥]

ولما تمكَّن علي بن بويه وأخوه الحسن من بلاد فارس [٦٩٦] وإقليم الجبال [٦٩٧]، وبقي أخوهم الأصغر أحمد بغير ولاية يستبدُّ بحكمها سيَّراه إلى كرمان، [٦٩٨] فهزم صاحبها ابن إلياس، [٦٩٩] واستولى عليها (سنة: ٣٢٤هـ). [٧٠٠]

ولم تتوقَّف حملة أحمد بن بويه عند هذا الحد، حيث توجَّه إلى الأهواز [٧٠١] (سنة: ٣٢٦هـ)، وكانت من البلاد الخاضعة للخلافة العباسية مباشرة فبسط نفوذه عليها. [٧٠٢]

ولما أحكم أحمد بن بويه سيطرته على الأهواز رنا ببصره غربًا ناحية العراق ولكنَّه لم يتعجَّل المسير إليها، وظلَّ يراقب الأحداث الجارية هناك؛ حيث كانت الأحوال السياسية والاقتصادية

٦٩٢ الكرج: تقع في بلاد الجبل بين همذان وأصفهان (ابن حوقل، صورة الأرض، (ص: ٣٩٤).

٦٩٣ الري: مدينة تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال، قامت على أنقاضها مدينة طهران عاصمة إيران حاليًّا (لسترنج: "بلدان الخلافة"، ص ٢٤٩- ٢٥٢).

٦٩٤. أصفهان: تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال، (لسترنج: "بلدان الخلافة"، ص ٢٣٨).

٦٩٥ شيراز: كانت حاضرة بلاد فارس وتقع وسط هذا الإقليم (ياقوت: "معجم البلدان"، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م (٣/ ٣٨٠).

٦٩٦ فارس: كانت ولاية واسعة، تقع حاليًّا جنوب إيران، وقصبتها شيراز (لسترنج: "بلدان الخلافة"، (ص: ٢٨٣).

٦٩٧ الجبال: هي المنطقة الواسعة الممتدَّة من سهول العراق والجزيرة في الغرب إلى مفازة فارس في الشرق، وينقسم هذا الإقليم إلى قسمين: الصغير وهو كردستان في الغرب، والكبير وهو عراق العجم في الشرق، (لسترنج: "بلدان الخلافة"، (ص: ٢٢٠- ٢٢١).

٦٩٨ كرمان: ناحية كانت تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان (ياقوت، (٤/ ٤٥٤).

٦٩٩ أبو علي محمد بن إلياس، نائب الدولة السامانية في كرمان، توفي مريضًا ببخارى سنة ٣٥٧هـ (ابن الأثير: "الكامل"، ٨/ ٥٨٦).

٧٠٠ مسكوية: "تجارب الأمم"، مصر ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، (١/ ٣٥٢- ٣٥٣)، القلقشندي: "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، القاهرة ١٢٣١هـ/ ١٩١٣م، (٣/ ٢٥٨).

٧٠١ الأهواز: ناحية بين البصرة وفارس، ويُقال لها: خوزستان، (القزويني، "آثار البلاد وأخبار العباد"، بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، (ص: ١٥٢).

٧٠٢ تجارب الأمم، مسكويه: نفسه، (١/ ٣٧٨).

فيها تدهورت بشكلٍ ملموس في ذلك الوقت بسبب تنافس الأتراك والديلم على منصب إمرة الأمراء من جهة، وعجزهم عن دفع أرزاق الجند وحفظ الأمن في البلاد من جهة أخرى. [٧٠٣]
وفي جمادى الأولى (سنة: ٣٣٤ هـ) دخل أحمد بن بويه مدينة بغداد، وذلك بناءً على رغبة الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤ هـ)، [٧٠٤] فاستقبله، وخلع عليه، ومنحه لقب معز الدولة، ولقَّب أخاه عليًّا عماد الدولة، ولقَّب أخاهما الحسن ركن الدولة، وأمر أن تُضرَب ألقابهم وكُناهم على الدنانير والدراهم. [٧٠٥].
ولم يمضِ وقت طويل على دخول البويهيين عاصمة الخلافة العباسية حتى عملوا على خلع الخليفة المستكفي بالله، ثم ولوا من بعده خلفاء لم يكن لهم من الأمر شيء سوى ذكر اسمهم في الخطبة، وضربه على السكة، ومن ثَمَّ أقام البويهيون في بغداد إمارة وراثية، إلا أنهم لم يلبثوا أن تنازعوا على الحكم وظلَّت دولتهم قائمة حوالي مائة وثلاث عشرة سنة (٣٣٤- ٤٤٧هـ/ ٩٤٥). [٧٠٦]
فقد كانت لهم الغلبة والسيطرة على بغداد ونواحيها، وقد استبدوا بأمر الدولة، رغم قربهم من مقر الخليفة، حيث شاركوه في بعض مظاهر الخلافة، إذ كان الأمير البويهي هو الذي يتولى إصدار الأوامر، أما الخليفة فما عليه إلا توقيعها، لتأخذ صفة الشرعية أمام الرأي العام. [٧٠٧]

وفي (سنة ٣٣٤ هـ)، دخل أحمد بن بُويه عاصمة الخلافة بعدما خرج الأتراك منها، واستقبلهُ الخليفة المستكفي بالله واحتفى به وخلع عليه، وعيَّنهُ أميرًا لِلأُمراء، ولقَّبهُ «مُعز الدولة»، ولقَّب أخاهُ عليًّا «عماد الدولة»، كما لقَّب أخاه الحسن «رُكن الدولة».

---

٧٠٣ علي المحيميد، "دراسات في تاريخ المشرق الإسلامي"، (ص: ١٣٥).
٧٠٤ هو أبو القاسم عبدالله بن المكتفي بن المعتضد، بُويع له بالخلافة عند خلع المتَّقي، ترجم له السيوطي، "تاريخ الخلفاء"، بيروت، (ص: ٣٦٧).
٧٠٥: "الكامل" بن الأثير، (٨/ ٤٤٩ – ٤٥٠) .
٧٠٦ مسكويه: "تجارب الأمم"، (٢/ ٨٤ – ٨٥)، القلقشندي: "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، (٣/ ٢٥٨).
٧٠٧ انظر: "الكامل في التاريخ" (٨/ ٤٦٦) .

وهكذا أسَّس البُويهيُّون مُلكًا وراثيًّا لهم، وهيمنوا على الخلافة العبَّاسيَّة كما فعل التُّرك قبلهم. لكنَّ عصرهم هذا تميَّز عن عصر الحرس التُّركي بِشيءٍ من الاستقرار السياسي، خاصَّةً مُدَّة حُكم الخُلفاء. فعلى سبيل المثال دامت خِلافة المطِيع لله تسعًا وعِشرين سنة (٣٣٤- ٣٦٣هـ)، (والقادر بالله إحدى وأربعين سنة (٣٨١- ٤٢٢ هـ). ولعلَّ مردَّ ذلك يعود إلى أنَّ إمرة الأُمراء التي تولَّاها البُويهيُّون كانت تتحمَّل كافَّة تبعات الحُكم، في حين اقتصر دور الخليفة على إضفاء الصفة الشرعيَّة على أعمالهم، ولم يتولَّ من مقاليد الأُمُور شيئًا. ونتيجةً لذلك أصبح للبويهيين في وقت واحد تقريبًا ثلاث حكومات قامتْ في مناطق مختلفة في (بلاد فارس وإقليم الجبال والعراق)، وتعاقَب على حكمها عددٌ من أفراد هذه الأسرة، وكانت على النحو التالي:

أولاً: الحكم البويهي في إقليم فارس: الذي أقامه الأمير عماد الدولة (علي بن بويه)، وذلك في حدود سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م، واتَّخذ مدينة شيراز عاصمة له، ولما توفي هذا الأمير سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م لم يكن له ولد ذكَر، فضم أخوه ركن الدولة الحسن بلاد أخيه إليه واتخذ من الري بدلاً من شيراز مقرًّا له، وأسند إمارة فارس في شيراز إلى ابنه عضد الدولة (٣٣٨- ٣٧٢ هـ) [٧٠٨] ثم تعاقَب عددٌ من أبناء عضد الدولة وأحفاده على الحكم من بعده وهم:

١-شرف الدولة بن عضد الدولة (٣٧٢- ٣٧٩هـ/ ٩٨٢ - ٩٨٩م).

٢- صمصام الدولة بن عضد الدولة (٣٧٩- ٣٨٨هـ/ ٩٨٩- ٩٩٨م).

٣- بهاء الدولة بن عضد الدولة (٣٨٨- ٤٠٣هـ/ ٩٩٨- ١٠١٢م).

٤- سلطان الدولة بن بهاء الدولة (٤٠٣- ٤١٥هـ/ ١٠١٢- ١٠٢٤م).

٥- أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة (٤١٥- ٤٤٠هـ/ ١٠٢٤- ١٠٤٨م).

٧٠٨ أبو شجاع فناخسرو، الملقب عَضُد الدولة ابن ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه الديلمي، حكم بلاد عمِّه عماد الدولة، وهو أول مَن خُوطِب بلقب ملك في الإسلام، وأول مَن خُطِب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، وكان من ألقابه "تاج الملة"، (ابن خلكان، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"؛ حققه إحسان عباس، بيروت، ١٩١٧م (٤/ ٥٠ - ٥٥).

٦- أبو نصر خسرو "فيروز" بن أبي كاليجار المرزبان -٤٤٠)٤٤٧هـ/ ١٠٤٨- ١٠٥٥م).
[٧٠٩]

ثانيًا: الحكم البويهي في إقليم الجبال: الذي أقامَه ركن الدولة الحسن بن بويه (٣٢٠- ٣٦٦ هـ)، واتخذ مدينة الري قاعدة لحكمه في هذه البلاد، ولكنه قبل وفاته قام بتقسيم أملاكه بين ولديه مؤيد الدولة (٣٦٦-٣٧٣ هـ)، [٧١٠] وفخر الدولة (٣٦٦- ٣٨٧هـ)، [٧١١] وذلك مقابل أن يطيعَا أمر أخيهما عضد الدولة الذي سبق أن أشرنا إلى أن والده ركن الدولة جعله نائبًا عنه في بلاد فارس.
[٧١٢]

وبعد وفاة ركن الدولة بثلاث سنين نشب الصراع بين ولديه عضد الدولة وأخيه فخر الدولة، ودام الوضع على هذه الحال حتى توفي عضد الدولة (سنة: ٣٧٢ هـ)، ثم لَحِق به أخوه مؤيد الدولة في العام التالي، وعندئذ صفت الأمور في بلاد الجبال لفخر الدولة وبقي في الحكم حتى وفاته (سنة: ٣٨٧ هـ)، ثم خلفه ولداه (مجد الدولة (٣٨٧- ٤٢٠ هـ)، [٧١٣] و(شمس الدولة (٣٨٧- ٤١٢ هـ) [٧١٤]

---

٧٠٩ انظر: عصام الدين عبدالرؤوف، "الدول الإسلامية المستقلة في الشرق"، القاهرة، ص ٢٠، بدر عبدالرحمن: "الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي"، ط١، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٩٤، محمد بن حسين الزبيدي: "العراق في العصر البويهي"، بغداد ١٩٦٩م..

٧١٠ مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة، مات بجرجان سنة ٣٧٣هـ، ولم يعهد بالملك لأحد، وكان عمره ثلاثًا وأربعين سنة، وخلفه أخوه فخر الدولة (ابن الأثير: "الكامل" (٩/ ٢٦).

٧١١ فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة، توفي بقلعة طبرق في شعبان سنة ٣٨٧هـ، (ابن الأثير: "الكامل"، (٩/ ١٣١- ١٣٢).

٧١٢ مسكويه: "تجارب الأمم"، (٢/ ٣٦٣- ٣٦٤)، ابن الأثير: "الكامل"، (٨/ ٦٦٩- ٦٧٠).

٧١٣ مجد الدولة أبو طالب رستم، تولى الحكم بعد والده فخر الدولة، وكان عمره أربع سنين، وصارت أمه هي التي تدير شؤون الدولة حتى وفاتها سنة ٤١٩هـ (ابن الأثير: "الكامل"، ٩/ ١٣٢، ٣٦٩).

٧١٤ شمس الدولة أبو طاهر، نصبته أمه سيدة خاتون في ولايتي همذان وكرمانشاه، وبقي حتى سنة ٤١٢هـ تقريبًا، (عباس إقبال: "تاريخ إيران"، (ص ٩١- ٩٢).

ويُعَدُّ الأمير سماء الدولة بن شمس الدولة (٤١٢ تقريبًا- ٤١٤ هـ) الذي انحصر حكمه في مدينة همذان هو آخر حكام البويهيين في بلاد الجبال. [٧١٥]

ثالثًا: الحكم البويهي في العراق والأهواز وكرمان: الذي أقامه –كما سبقت الإشارة إلى ذلك – الأمير معزُّ الدولة أحمد بن بويه (٣٣٤- ٣٥٦ هـ) وظلَّ هذا الأمير حتى وفاته، ثم خلفه ابنه عز الدولة بختيار (٣٥٦- ٣٦٧ هـ)، [٧١٦] وبعد مقتل هذا الأمير خرجت بلاد العراق والأهواز وكرمان عن أسرة معزِّ الدولة أحمد بن بويه، وانتقلت إلى ابن أخيه عضد الدولة بن ركن الدولة حاكم إقليم فارس، [٧١٧] ثم تعاقَب عليها أبناؤه وأحفاده من بعده، وصارت العراق وفارس تحت إدارة حكومة واحدة حتى تمكَّن السلاجقة سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م من دخول بغداد، والقضاء على الحكم البويهي في العراق وبلاد المشرق الإسلامي. [٧١٨] . [٧١٩]

واضطربت أوضاع البُويهيين بعد وفاة بهاء الدولة ابن عضُد الدولة سالف الذِّكر، في (سنة ٤٠٣هـ)، وذلك لأسبابٍ عديدة، أبرزها تنازُع أبناء بهاء الدولة واستئثار كُلٍّ منهم بِقسمٍ من البلاد، وعودة الجُند التُّرك إلى سابق قُوَّتهم وتنافُسهم مع الديالمة ممَّا سبَّب الكثير من المتاعب لِبني بُويه، وانكماش هؤلاء على أنفُسهم ضمن دائرة نُفُوذهم وإهمالهم ما كان يجري من أحداثٍ على تُخُوم دولتهم، وأبرزها تنامي قُوَّة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وصُعُود نجم بني سَلجُوق. فظهرت في هذه المناطق إماراتٌ إسلاميَّة أخذت على عاتقها القيام بهذه المهمَّة، أمثال العُقيليين في شماليّ العراق وبعض مناطق الجزيرة، والنميريين في حرَّان والرُّها والرِّقَّة ،والمروانيين في ديار بكر وميَّافارقين، وغيرهم.

---

٧١٥ عباس إقبال: "تاريخ إيران"، ص ٩٢.

٧١٦ أبو منصور بختيار عز الدولة بن معز الدولة، تزوج الخليفة الطائع ابنته، ولقي عز الدولة مصرعه أثناء القتال الذي نشب بينه وبين ابن عمه عضد الدولة سنة ٧٦٣هـ (ابن خلكان: "وفيات الأعيان"، ١/ ٢٦٧- ٢٦٨).

٧١٧ عباس إقبال: "تاريخ إيران"، ص ٨٤.

٧١٨ البنداري، "تاريخ دولة آل سلجوق"، ط١، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٢.

٧١٩: المصدر: بحث بعنوان مؤرخو البلاط في الدولة البويهية لعلي بن صالح المحيميد، منشور في مجلة الدرعية العدد ١٥، رجب ١٤٢٢هـ/ أكتوبر ٢٠٠١م، السنة الرابعة.

وفي (سنة: ٤٤٧هـ) دخل السلاجقة بغداد بِقيادة طُغرُل بك، ووقع آخر مُلُوك البُويهيين أبو نصر خسرو فيروز في أسرهم، لتسقط بذلك الدولة البُويهيَّة في العراق

وأما في فارس فقد استمرَّ مُلك بني بُويه حتَّى (سنة: ٤٥٤ هـ)، حينما قُتل آخر أُمرائهم أبو منصور فولادستون ووقع شقيقه الأصغر إسفنديار في أسر السلاجقة.

عقيدتهم

فالبُويهيُّون على الأرجح ينتسبون إلى الديلم، وقد دخلوا في الإسلام مع من دخله من قومهم على يد الإمام الحسن بن علي الأطروش، واتبعوا المذهب الزيدي
فاحتضنوا الشيعة الاثنا عشريَّة في سبيل الاعتماد عليهم كقُوَّةٍ شعبيَّة في مُواجهة أهل السُنَّة الذين هم القُوَّة الشعبيَّة لِلخلافة العبَّاسيَّة. وكان لِلبُويهيين دور كبيرٌ في الدعوة الإثنيّ عشريَّة، فقد عاش في ظلّهم وبِحمايتهم الفُقهاء الذين حدَّدوا مُنذُ ذلك الحين المضمون الدقيق والثَّابت لِهذه العقيدة. ومن هؤلاء الفُقهاء الثلاثة الكبار، أصحاب الكُتُب الأربعة، وهُم: الشيخ الكليني الذي تُوفي بُعيد قيام الدولة البُويهيَّة، والشيخ مُحمَّد بن علي بن بابويه، وهو أهمُّهم، فقد عمل بتشجيع وحماية البُويهيين في الرُبع الثالث من القرن الرَّابع الهجري، والشيخ الطوسي. وإلى هؤلاء يُضاف عددٌ آخر من كبار عُلماء وفُقهاء الإثنيّ عشريَّة.

ومن أساليب تقرُّب البُويهيين من الرعايا الشيعة أن جعلوا من مُناسباتهم الدينيَّة أعيادًا واحتفالات. ففي (سنة ٣٥٢ هـ)، عمد مُعزُّ الدولة إلى تحويل ذكرى مأساة كربلاء في العاشر من مُحرَّم إلى احتفالٍ دينيّ، فأمر أهل بغداد بأن يُغلقوا دكاكينهم ويُبطِّلوا الأسواق والبيع والشِّراء، وأن يُظهروا النياحة، وأن تخرج النساء مُنشِّراتٍ الشُعُور مُسوِّدات الوُجُوه قد شققن ثيابهُنَّ، يدُرن في البلد بالنَّوائح ويلطمن وُجُوههُنَّ حُزنًا على مقتل الحُسين وأصحابه، ففعل الناسُ ذلك. يقول ابن الأثير: «وَلَمْ يَكُنْ لِلسُّنَّةِ قُدْرَةٌ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ لِكَثْرَةِ الشِّيعَةِ؛ وَلِأَنَّ السُّلْطَانَ مَعَهُمْ «ثُمَّ أتبع مُعزُّ الدولة ذلك بأن جعل من الثامن عشر من ذي الحجَّة مُناسبة ذكرى غدير خُمّ عيدًا لِلشيعة، فأظهروا الفرح وأشعلوا النيران وزيَّنوا البلد، وفُتحت الأسواق بِاللَّيل ابتهاجًا.

وتمادى مُعزُّ الدولة في إثارة أهل السُنَّة مُحاولًا استقطاب الشيعة، ففي سنة ٣٥١هـ الموافقة لِسنة ٩٦٢م، أمر الشيعة ببغداد أن يكتبوا على المساجد: «لَعَنَ الله مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَعَنَ مَنْ غَصَبَ فَاطِمَةَ-رضي الله عنها فَدْكًا، وَمَنْ مَنَعَ مِنْ أَنْ يُدْفَنَ الْحَسَنُ عِنْدَ قَبْرِ جَدِّهِ-عليه السلام-، وَمَنْ نَفَى أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ، وَمَنْ أَخْرَجَ الْعَبَّاسَ مِنَ الشُّورَى». فلمَّا كان الليل محى بعضُ العامَّة ما كُتب، ونتيجة هذه السياسة، بات العراق في العصر البُويهيّ المركز الأوَّل للتشيُّع في ديار الإسلام. [٧٢٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقدماء الشيعة كانوا مخالفين للمعتزلة بذلك (يعني مسائل الصفات والقدر)، فأما متأخروهم من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ونحو ذلك، فإنهم سار فيهم أن يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم، والمعتزلة شيوخ هؤلاء إلى ما يوجد في كلام ابن النعمان المفيد وصاحبيه أبي جعفر الطوسي، والملقب بالمرتضى ونحوهم هو من كلام المعتزلة، وصار حينئذ في المعتزلة من يميل إلى نوع من التشيع إما تسوية علي بالخليفتين، وإما تفضيله عليهما، وإما الطعن في عثمان، وإن كانا المعتزلة لم تختلف في إمامة أبي بكر وعمر. وقدماء المعتزلة كعمرو بن عبيد وذويه كانوا منحرفين عن علي حتى كانوا يقولون: لو شهد هو وواحد من مقاتليه شهادة لم نقبلها، لأنه قد فسق أحدهما لا بعينه. فهذا الذي عليه متأخرو الشيعة والمعتزلة خلاف ما عليه أئمة الطائفتين وقدماؤهم ". [٧٢١]

وقال ابن تيمية: "وكذلك رمي بالزندقة والنفاق قوم من ملوك النواحي الخلفاء من بني بويه وغير بني بويه". [٧٢٢]

---

[٧٢٠] انظر: "التاريخ الإسلامي" لمحمود شاكر (٦/ ٢١٨ - ٢٢٩).

[٧٢١] نقض تأسيس الجهمية (١/ ٥٤- ٥٥).

[٧٢٢] مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٨).

المبحث الثاني: المتأثرون بالفكر الفلسفي المشائي

المطلب الأول: القسم الأول: الفلاسفة.

المطلب الثاني: القسم الثاني أهل الكلام.

المطلب الأول: القسم الأول: الفلاسفة.

وهم صنفان:

الصنف الأول: أهل الفلسفة البحتة؛ ومنهم

ثابت بن قرة بن زهرون الحراني الصابئ (ت: ٢٨٨ هـ).

ولد سنة (٢٢١هـ)، وهو طبيب، حاسب، فيلسوف، نشأ بحران، وانتقل إلى بغداد، فاشتغل بالفلسفة والطب فيرع، واتصل بالمعتضد العباسي، فكانت له عنده منزلة رفيعة، توفي ببغداد سنة (٢٨٨ هـ). وله مصنفات كثيرة منها: الذخيرة في علم الطب، وأصول الأخلاق، وطبائع الكواكب". [٧٢٣].

يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي (ت: ٢٥٦ هـ).

ويعد الكندي أول الفلاسفة المشّائِين المنتسبين للمسلمين، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب، والفلسفة، والموسيقى، والهندسة، والفلك . أصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة وإكرامًا، ووشي به إلى المتوكل العباسي، فضرب وأخذت كتبه، ثم ردت إليه. توفي سنة (٢٥٦ هـ) . له تصانيف كثيرة منها: رسالة في التنجيم، والقول في النفس، ورسائل الكندي، وعمل السيوف". [٧٢٤].

كما اشتهر في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية القديمة والهلنستية، وكان القرن الثالث الهجري يموج بألوان شتى من المعارف القديمة والحديثة وذلك بتأثير حركة النقل والترجمة، فأكب الكندي على الفلسفة والعلوم القديمة حتى حذقها. أوكل إليه المأمون مهمة الإشراف على ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية اليونانية إلى العربية في بيت الحكمة، وقد عدّه ابن أبي أصيبعة مع حنين بن إسحق وثابت بن قرة وابن الفرخان الطبري حذّاق الترجمة المسلمين، إلا أن أعماله لم تعد ذات أهمية بعد ظهور مثل الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، بعده.

---

[٧٢٣] انظر: طبقات الأطباء والحكماء (٧٠) ، وفيات الأعيان (١/ ٣١٣)، والأعلام (٢/ ٩٨).

[٧٢٤] انظر: طبقات الأطباء والحكماء (٧٣)، والفهرست لابن النديم (٣١٥)، والأعلام (١٩٥٨).

أبو بكر الرازي (ت: ٣١١ هـ)

أخذ الفلسفة عن البلخي الفيلسوف حتى فاق أستاذه، وبلغ فيها درجة الفارابي وابن سينا، وضل بسبب ذلك ضلالًا بعيدًا، وفسدت عقيدته، وتاه في دروب الفلسفة المهلكة، وألف فيها الكثير من الكتب والرسائل.

من أشهر الملحدين ومن كُتبه: خوارق الأنبياء، وأنكر على المعتزلة محاولة إدخال العقل بالدين، بحجة أن الفلسفة والدين لا يجتمعان. ومن مقولاته: "إنكم تدّعون أن المعجزة قائمة موجودة وهي القرآن: "من أنكر ذلك فليأت بمثله" إن أردتم أن نأتي بمثله في الوجوه التي يتفاضل بها الكلام فعلينا أن نأتيكم بألف مثله من كلام البلغاء والفصحاء والشعراء وما هو أطلق منه ألفاظًا وأشدّ اختصارًا في المعاني وأبلغ أداء وعبارة وأشكل سجعا. فإن لم ترضوا بذلك فإنّا نطالبكم بمثل ما نطالبكم به".

وقال أبو بكر الرازي عن العقل: "وإذا كان هذا مقداره ومحله وخطره وجلالته فحقيق علينا أن لا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته، ولا نجعله، وهو الحاكم، محكوما عليه... ولا وهو – المتبوع – تابعا، بل نرجع في الأمور إليه ونعتبرها به ونعتمد فيها عليه، فنُمضيها على إمضائه ونوقفها على إيقافه". [٧٢٥]

ومن ذلك ما نُقل عن الرازي في قوله بالقدماء الخمسة، وهي رؤية مادية للعالم وفيها شبهة إلحاد، على اعتبار أن الرازي يضع إلى جانب الله قدماء أربعة وهم: النفس، والهيولى، والمكان، والزمان، وقد عبر الرازي عن ذلك في أحد كتبه بعنوان "العلم الالهي"، ونُسب إليه بعضهم كتابا موسوما ب"القدماء الخمسة"، قام المستشرق بول كراواس بجمع شذرات منه اعتمادا على

[٧٢٥] الطب الروحاني، للرازي (ص: ٣٦).

أبي حاتم الرازي والكرماني وناصر خسرو، وعلق على هذا الكتاب بقوله «إنه مذهب غريب". [٧٢٦]

محمد بن محمد بن طرخان بن أو زلغ ، أبو نصر الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ).

ويعرف بالمعلم الثاني من كبار الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، تركي الأصل، مستعرب، ولد في فاراب سنة (٢٦٠ هـ) في إقليم تركستان (كازاخستان حاليًا)، وتوفي بدمشق سنة (٣٣٩ هـ). دَخَلَ حَرَّانَ وَأَخَذَ عَنْ فَلَاسِفَةِ الصَّابِئِينَ تَمَامَ فَلْسَفَتِهِ"

والفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، هو أول من ترجم كتب أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، هو أول الفلاسفة القائلين بقدم العالم، فقد أخذ الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، كتب أرسطو وترجمها إلى العربية، وحاول أن يصبغها بصبغة الإسلام.

فالفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، معروف تاريخه أنه من الفلاسفة الزنادقة، وكما يقول ابن كثير: "إن كان مات على ما كان عليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" فهو أول من ترجم كتب أرسطو وصبغها بصبغة إسلامية، وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، عيال على الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، في هذه المسألة، فأول من ترجم كتب هذا الملحد من ملاحدة اليونان–يعني أرسطو–الذي كان ينكر وجود الله تعالى؟ وهو أول من قال بقدم العالم، وأراد بهذا أن يخضع الإسلام للفلسفة. فالفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وهذا يشير إلى استمرار هذه المدرسة حتى إلى عهد الفارابي، فالفارابي كان متأخرا، ومع ذلك ما زال في حران من يدعو إلى تلك الفلسفات.

قال ابن القيم: "والمقصود أن الملاحدة درجت على أثر هذا المعلم الأول، حتى انتهت نوبتهم إلى معلمهم الثاني أبي نصر الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، فوضع لهم التعاليم الصوتية، كما أن المعلم الأول وضع لهم التعاليم الحرفية، ثم وسع الفارابي الكلام في صناعة المنطق، وبسطها، وشرح فلسفة أرسطو وهذبها، وبالغ في ذلك، وكان على طريقة سلفه من الكفر بالله تعالى، وملائكته،

[٧٢٦] رسائل الرازي الفلسفية، كراوس (ص: ١٩١).

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. فكل فيلسوف لا يكون عند هؤلاء كذلك فليس بفيلسوف في الحقيقة". [٧٢٧]

والفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، لما سئل: "أأنت أعلم أم أرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)؟، فقال: لو أدركته لكنت أكبر تلامذته". [٧٢٨].[٧٢٩].

وقال –أيضًا–: "لولا ما أنقذ الله به أهل العقول والأذهان بهذين الحكيمين أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، وأرسطو (ت: ٣٢٢ ق. م)، ومن سلك سبيلهما؛ لكان النَّاس في حيرة ولبس". [٧٣٠]

ولذلك قال عنه ابن القيم: "وكان على طريقة سلفه أرسطو من الكفر بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ...". [٧٣١]

ابن رشد (ت: ٥٩٥ هـ)

وهو محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، ويعرف بابن رشد الحفيد (ابو الوليد).

ومن أشهر مصنفاته : (بداية المجتهد) في الفقه ، و (الكليات) في الطب ، و (مختصر المستصفى) في الأصول ، ومؤلفات أخرى كثيرة في الفلسفة، اهتم فيها بتلخيص فكر فلاسفة اليونان، فألف: كتاب (جوامع كتب أرسطوطاليس) ، وكتاب (تلخيص الإلهيات) لنيقولاوس، كتاب (تلخيص ما بعد الطبيعة) لأرسطو، ولخص له كتبا أخرى كثيرة يطول سردها، حتى عرف بأنه ناشر فكر أرسطو وحامل رايته، وذلك ما أدى به في نهاية المطاف إلى العزلة ، فقد هجره أهل عصره لما صدر منه من مقالات غريبة ، وعلوم دخيلة.

---

[٧٢٧] إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٢٢).

[٧٢٨] إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٢٢).

[٧٢٩] الوافي بالوفيات الصفدي (١/ ١٠٣).

[٧٣٠] إغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٠.

[٧٣١] إغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٠.

قال شيخ الشيوخ ابن حمويه: "لما دخلت البلاد، سألت عن ابن رشد، فقيل: إنه مهجور في بيته من جهة الخليفة يوسف بن يعقوب، لا يدخل إليه أحد، لأنه رفعت عنه أقوال ردية، ونسبت إليه العلوم المهجورة، ومات محبوسا بداره بمراكش، سنة خمسة وتسعين وخمسمائة". [٧٣٢]

وفيما يلي ذكر بعض المآخذ المجملة التي كانت مثار جدل في مؤلفاته:

١ – تأويل الشريعة لتوافق الفلسفة الأرسطية

فقد أخذ بفكر أرسطو، حتى قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: "من أتبع الناس لمقالات المشائين؛ أرسطو وأتباعه، ومن أكثر الناس عناية بها، وموافقة لها، وبياناً لما خالف فيه ابن سينا وأمثاله لها". [٧٣٣]

٢ – اعتقاده بالظاهر والباطن في الشريعة

يقول ابن رشد: "الشريعة قسمان: ظاهر ومؤول، والظاهر منها هو فرض الجمهور، والمؤول هو فرض العلماء، وأما الجمهور ففرضهم فيه حمله على ظاهره وترك تأويله، وأنه لا يحل للعلماء أن يفصحوا بتأويله للجمهور، كما قال علي –رضي الله عنه–: حدثوا الناس بما يفهمون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله". [٧٣٤]

وقد استغرق ابن رشد في تقرير هذه الفكرة الباطنية في كتبه، حتى إنه جعل من أبرز سمات الفرقة الناجية من أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– أنها هي "التي سلكت ظاهر الشرع، ولم تؤوله تأويلا صرحت به للناس". [٧٣٥]

[٧٣٢] سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٠٩).

[٧٣٣] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦/ ٢١٠)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٢٠).

[٧٣٤] كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة (ص: ٩٩).

[٧٣٥] الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة (ص: ١٥٠).

ولذلك توسع شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في الرد على خصوص كلام ابن رشد في هذا الكتاب، وبيان بطلان التفسير الباطني لنصوص الشريعة، وذلك في كتابيه العظيمين: "بيان تلبيس الجهمية"، و"درء تعارض العقل والنقل".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية؛ بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب: سلك مسلك التخييل، وقال: إنه خاطب الجمهور بما يخيل إليهم؛ مع علمه أن الحق في نفس الأمر ليس كذلك. فهؤلاء يقولون: إن الرسل كذبوا للمصلحة. وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية." [٧٣٦]

فقول ابن رشد في الشرائع من جنس قول ابن سينا وأمثاله من الملاحدة، من أنها أمثال مضروبة لتفهيم العامة ما يتخيلونه في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، وأن الحق الصريح الذي يصلح لأهل العلم؛ إنما هو أقوال هؤلاء الفلاسفة. [٧٣٧] وكان مفرطًا في تعصبه لهؤلاء الفلاسفة بالباطل، وغير عارفٍ بحقيقة مذهبهم. [٧٣٨]
عرّف ابن رشد الشرائع قائلاً: "إنّ الشّرائع هي الصناعة الضرورية المدنية التي تُؤخذُ مبادئها من العقل والشّرع، ولا سيما ما كان منها عامّاً لجميع الشرائع وإنْ اختلف بذلك بالأقل والأكثر". [٧٣٩]

قال ابن تيمية: "وأولئك المتفلسفة أبعد عن معرفة الملة من أهل الكلام، فمنهم من ظن أن ذلك من الملة، ومنهم من كان أخبر بالسمعيات من غيره، فجعلوا يردون من كلام المتكلمين

---

[٧٣٦] مجموع الفتاوى "(١٩/ ١٥٧).

[٧٣٧] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦/ ٢٤٢).

[٧٣٨] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩/ ٣٩٧).

[٧٣٩] تهافت التهافت لابن رشد ، (ص: ١٣٩).

ما لم يكن معهم فيه سمع، وما كان معهم فيه سمع كانوا فيه على أحد قولين: إما أن يقروه باطنا وظاهرا إن وافق معقولهم،وإلا ألحقوه بأمثاله وقالوا: إن الرسل تكلمت به على سبيل التمثيل والتخييل للحاجة.

وابن رشد ونحوه يسلكون هذه الطريقة، ولهذا كان هؤلاء أقرب إلى الإسلام من ابن سينا وأمثاله، وكانوا في العمليات أكثر محافظة لحدود الشرع من أولئك الذين يتركون واجبات الإسلام ويستحلون محرماته، وإن كان في كل من هؤلاء من الإلحاد والتحريف بحسب ما خالف به الكتاب والسنة، ولهم من الصواب والحكمة بحسب ما وافقوا فيه ذلك.

ولهذا كان ابن رشد في مسألة حدوث العالم ومعاد الأبدان مظهرا للوقف ومسوغا للقولين، وإن كان باطنه إلى قول سلفه أميل. وقد رد على أبي حامد في " تهافت التهافت " ردا أخطأ في كثير منه، والصواب مع أبي حامد، وبعضه جعله من كلام ابن سينا لا من كلام سلفه، وجعل الخطأ فيه من ابن سينا، وبعضه استطال فيه على أبي حامد ونسبه فيه إلى قلة الإنصاف؛ لكونه بناه على أصول كلامية فاسدة، مثل كون الرب لا يفعل شيئا بسبب ولا لحكمة، وكون القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح، وبعضه حار فيه جميعا لاشتباه المقام". [٧٤٠]

٣–قوله في النبوة.

وابن رشد قد قال قولًا شططًا بادعاء النبوة للفلاسفة، بل إنه يجعلهم نخبة ممتازة من الأنبياء ومرسلة إلى نخبة ممتازة من الناس – إذ يقول: "وكذلك الفلاسفة وهم أنبياء السبقة العالمة". [٧٤١]

٤ –قوله في البعث والجزاء.

[٧٤٠] منهاج السنة النبوية (١/ ٣٥٦).

[٧٤١] كتاب العقل والنقل عند ابن رشد لمحمد أمان الجامي (ص: ٧٩–٨٠).

مال في باب "البعث والجزاء" إلى قول الفلاسفة أنه بعث روحاني فقط، بل وقع هنا في ضلالة أعظم من مجرد اعتقاده مذهب الفلاسفة في البعث الروحاني؛ حيث جعل هذه المسألة من مسائل الاجتهاد، وأن فرض كل ناظر فيها هو ما توصل إليه قال: "والحق في هذه المسألة أن فرض كل إنسان فيها هو ما أدى إليه نظره فيها". [٧٤٢]

٥-عدم عنايته بالنسة النبوية.

ولعل من أبرز سمات منهج ابن رشد في كتبه، وفي الوقت نفسه من أبرز أسباب أخطائه: هو عدم العناية بالسنة النبوية مصدرا من مصادر التشريع.

يقول الدكتور خالد كبير علال حفظه الله: "ابن رشد لم يعط للسنة النبوية مكانتها اللائقة بها كمصدر أساسي للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، ولم يتوسع في استخدامها في كتبه الكلامية والفلسفية، ففاتته أحاديث كثيرة ذات علاقة مباشرة بكثير من المواضيع الفكرية التي تطرق إليها، كما أن الأحاديث التي استخدمها في تلك المصنفات كثير منها لم يفهمه فهما صحيحا، وأخضعه للتأويل التحريفي خدمة لفكره وأرسطيته". [٧٤٣] . [٧٤٤]

أبو البركات بن ملكا

هو : أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي البغدادي، الفيلسوف الطبيب، من سكان بغداد، كان يهوديًا فأسلم في آخر عمره، توفي بهمدان سنة (٥٦٠ هـ) وقيل سنة (٥٧٤ هـ). بعد اسلامه لم يكن يقرئ يهوديًا أصلاً بل كان يتنصل منهم ويلعنهم ويسبهم. [٧٤٥]

---

[٧٤٢] الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة (ص: ٢٠٤).

[٧٤٣] نقد فكر الفيلسوف ابن رشد (ص: ٩٧).

[٧٤٤] المصدر: كتاب بغية المقتصد شرح بداية المجتهد (١/ ٣٠-٣٢)

[٧٤٥] إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ص: ٢٢٤)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي صبيعة (ص: ٣٧٤).

قال فيه الذهبي: "العلامة الفيلسوف، شيخ الطب، أوحد الزمان، برع في علم الفلسفة إلى الغاية". [٧٤٦]

قيل في سبب إسلامه أنه دخل على الخليفة المستنجد، فقام له الكل سوى القاضي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان القاضي لم يقم لأني على غير ملته، فأنا أسلم. فأسلم. خلف ثلاث بنات، وعاش نحو الثمانين. [٧٤٧]

من كتبه: المعتبر في الحكمة مطبوع، ورسالة في العقل وماهيته، مقالة في إثبات علم الرب بالجزئيات رد فيها على أرسطو ذكرها عنه ابن تيمية. [٧٤٨]

أثنى ابن تيمية على أبي البركات في مواطن عدة من كتبه، فوصفه بالإمام [٧٤٩] وأنه أوحد زمانه"،[٧٥٠] ومن أعظم الفلاسفة المتأخرين قدراً، [٧٥١] ولم يكن مقلداً لسلفه من الفلاسفة كما هو الحال ممن ينتسب إلى الإسلام، وأنه استنار بنور النبوة بسبب اختلاطه بأهل الحديث والأثر فكان قوله أصلح قولاً ، [٧٥٢] وأقرب إلى الحجة الصحيحة بحسب نظره"،[٧٥٣] وهو من مقتصدة

[٧٤٦] سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤١٩).

[٧٤٧] إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ص: ٢٢٤)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي صبيعة (ص: ٣٧٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤١٩).

[٧٤٨] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩/ ٤٩٠).

[٧٤٩] جامع الرسائل تحقيق محمد رشاد سالم (١/ ١٨٠).

[٧٥٠] بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٢٤٠) .

[٧٥١] منهاج السنة (١/ ٣٤٨).

[٧٥٢] منهاج السنة (١/ ٤٠٣).

[٧٥٣] بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٩٨).

الفلاسفة، [٧٥٤]ومنهجه مغاير لمنهج من سلفه لاختلاطه بأهل السنة والحديث، فهو أقرب إلى الإسلام من ابن سينا وأتباعه". [٧٥٥]

ومن تأمل سياقاتها في تلك الأوصاف من تلك المواضع يرى أن ابن تيمية ذكرها في أحد سياقين:

الأول: من جهة المقارنة بينه وبين بقية المتفلسة. كما في قوله: "وأبو البركات أقرب إلى تحرير النقل وجودة البحث في هذا الباب من ابن رشد، وابن رشد أقرب إلى جودة القول في ذلك من ابن سينا مع غلوه في تعظيم أرسطو وشيعته". [٧٥٦]

الثاني: من جهة تعضيد قوله في تأييد مسألة أو الرد على المخالف لا سيما إن كانت في ردوده على الفلاسفة. وهذا أكثرها.

فهذا الثناء جاء من باب الإنصاف، وبيان الحق الذي فيه، ولا ويلزم من ذلك سلامته من الخلل العقدي. [٧٥٧]

ومن المآخذ على أبو البركات ما ذكره ابن تيمية عن موقف ابن ملكا من نظرية الفيض فقد استحسن ابن تيمية موقف ابن ملكا من نظرية الفيض حين ردها غير أنه لم يغفل عن ذكر ضلاله من إثبات جواهر قائمة أزلية بنفسها مع الرب. وأن هذا وحده كاف في بيان مخالفته لصريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل؟. [٧٥٨]

ومن المآخذ على أبو البركات ما ذكره ابن تيمية عن موقف ابن ملكا من الملائكة فأبو البركات كما يقرره ابن تيمية يقول بما تقوله الفلاسفة من كونهم نفوس وعقول، إلا أنه لا يحدهم بعدد

---

[٧٥٤] مجموع الفتاوى (٢/ ٢٠٥).

[٧٥٥] الرد على الشاذلي (ص: ١٤٠).

[٧٥٦] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩/ ٤٣٤).

[٧٥٧] انظر بحث موقف ابن تيمية من أبي البركات ابن ملكا، للدكتوراه بن كريم الأنصاري، بحث منشور في مجلة الدراسات العربية بكلية دار العلوم-جامعة المنيا (ص: ١١٢).

[٧٥٨] مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٨٩).

كما يقول سلفه، بل قال: لا دليل على نفي الزيادة، كيف وقد أخبرت النبوات بالكثرة، فأثبت كثرتهم بطريقة فلسفية. [٧٥٩]

يقول ابن تيمية: "ويجعلون الملائكة هي العقول والنفوس، ومنهم طائفة ادعت كثرة الملائكة كأبي البركات صاحب المعتبر". [٧٦٠]

قال: "وهؤلاء المتكلمون المتفلسفة صار بينهم نزاع في الملائكة. هل هي متحيزة أم لا؟ فمن مال إلى الفلسفة ورأى أن الملائكة هي العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفة وأن تلك ليست متحيزة قال: إن الملائكة ليست متحيزة لا سيما وطائفة من الفلاسفة لم تجعل عددها عشرة عقول وتسعة نفوس كما هو المشهور عن المشائين بل قال: لا دليل على نفي الزيادة ورأى النبوات قد أخبرت بكثرة الملائكة فأراد أن يثبت كثرتهم بطريقة فلسفية كما فعل ذلك أبو البركات صاحب المعتبر والرازي في المطالب العالية وغيرهما". [٧٦١]

فابن تيمية يرى أن أبا البركات لم يخرج عن سلفه في حقيقة الملائكة إلا أنه يختلف عنهم في أنه لم يكن يحدهم بعدد كما هو عند سلفه. [٧٦٢]

الصنف الثاني: أهل الفلسفة الباطنية، وهي نوعان:

النوع الأول: فلسفة رافضية باطنية إسماعيلية قرمطية

ومنهم:

ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ).

---

[٧٥٩] مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٣٩).

[٧٦٠] الرد على المنطقيين (ص: ٤٤٤).

[٧٦١] مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٣٨-٣٣٩).

[٧٦٢] انظر بحث موقف ابن تيمية من أبي البركات ابن ملكا، للدكتوراه بن كريم الأنصاري، بحث منشور في مجلة الدراسات العربية بكلية دار العلوم-جامعة المنيا (ص: ١٣١).

ابن سينا هو: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، ولد (سنة: ٣٧٠ هـ)، وتوفي (سنة ٤٢٨ هـ). وكان من الإسماعيلية، وهي فرقة باطنية، من غلاة فرق الشيعة، ومن أخبثها، فاجتمع فيه ثلاث بلايا هذه، والفلسفة، والمنطق.

وله مقالات كفرية مشهورة، ولهذا كفره جمع من العلماء، وحكيت توبته قبل موته، والله أعلم بما مات عليه.

أقوال العلماء فيه

قال ابن تيمية: "فابن سينا وأمثاله من أئمة هؤلاء وكان أهل بيته من أهل دعوة الحاكم وأمثاله من أئمة القرامطة الباطنية الإسماعيلية". [٧٦٣]

وكان ابن سينا كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم، فكان من القرامطة الباطنية، الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا رب خالق، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى.

وكان هؤلاء زنادقة يتسترون بالرفض، ويبطنون الإلحاد المحض، وينتسبون إلى أهل بيت الرسول- صلى الله عليه وسلم-وهو وأهل بيته برآء منهم نسبا ودينا، وكانوا يقتلون أهل العلم والإيمان، ويدعون أهل الإلحاد والشرك والكفران، لا يحرمون حرامًا، ولا يحلون حلالًا، وفي زمنهم ولخواصهم وضعت «رسائل إخوان الصفا». [٧٦٤]

وقال ابن القيم-رحمه الله-: "وكان ابن سينا كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم [يعني : الحاكم بأمر الله ، العُبَيْدي ، الذي كان يحكم بمصر] .

---

[٧٦٣] الصفدية (٢/ ١٨).

[٧٦٤] إغاثة اللهفان (ص: ٢٦٦-٢٦٧).

فكان من القرامطة الباطنية، الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا ربٍّ خالق، ولا رسولٍ مبعوث جاء من عند الله تعالى". [٧٦٥]

ووصفه ابن القيم أيضا بقوله : "الملحد، بل رأس ملاحدة الملة". [٧٦٦]

قال الذهبي: "له كتاب (الشفاء) وغيره وأشياء لا تحتمل وقد كفّره الغزالي في كتاب (المنقذ من الضلال) وكفّر الفارابي".. [٧٦٧]

وقال: "فلسفي النحلة ضال".. [٧٦٨]

ونقل الحافظ ابن حجر قول الذهبي في ابن سينا: "فلسفي النحلة ضال" وزاد "لا رضي الله عنه". [٧٦٩]

ومن أشهر من رد على ابن سينا وبين ضلالاته وكفرياته وهتك ستره وكشف عواره وفضحه شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلفاته القيمة ومنها نقض المنطق، ودرء تعارض العقل والنقل وغيرها، ومما قاله فيه: "وابن سينا تكلم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم فإنه استفادها من المسلمين وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض وقد صنف المسلمون في كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتبًا كبارًا وصغارًا وجاهدوه باللسان واليد إذ كانوا بذلك أحق من اليهود والنصارى ولو لم يكن إلا كتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار) للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب، وكتاب عبد الجبار بن أحمد، وكتاب أبي حامد الغزالي، وكلام أبي إسحاق، وكلام ابن فورك، والقاضي أبي يعلى، والشهرستاني، وغير هذا مما

---

[٧٦٥] إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٣١).

[٧٦٦] "الصواعق المرسلة" (٣/ ١١٠٥).

[٧٦٧] سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣٥) .

[٧٦٨] الميزان (١/ ٥٣٩) .

[٧٦٩] لسان الميزان (٢/ ٢٩١).

يطول وصفه والمقصود هنا أن ابن سينا أخبر عن نفسه أن أهل بيته وأباه وأخاه كانوا من هؤلاء الملاحدة وأنه إنما اشتغل بالفلسفة بسبب ذلك".

إلى أن قال: "وابن سينا لما عرف شيئاً من دين المسلمين وكان قد تلقى ما تلقاه عن الملاحدة وعمن هو خير منهم من المعتزلة والروافض أراد أن يجمع بين ما عرفه بعقله من هؤلاء وبين ما أخذه من سلفه". [٧٧٠]

وقال شيخ الإسلام: "وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونان ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية وحقيقته تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية فإن أهل بيته كانوا من الإسماعيلية أتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمن هو دينهم دين أصحاب "رسائل إخوان الصفا" وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى". [٧٧١]

وقال: "وكذلك ابن سينا وغيره، يذكر من التنقص بالصحابة ما ورثه من أبيه وشيعته القرامطة".. [٧٧٢]

وممن وافق في نقد وتكفير ابن سينا، العلامة ابن القيم–رحمه الله–في كثير من كتبه منها: "إغاثة اللهفان" و "شفاء العليل" و "الكافية الشافية" وغيرها.

فمن ذلك قوله–رحمه الله–: "وكان ابن سينا كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم فكان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمبدأ ولامعاد ولا رب ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى". [٧٧٣]

ولقبه ابن القيم بـ: (إمام الملحدين) [٧٧٤] ولقب (شيخ الملحدين) في كتابه (شفاء العليل) وغيره.

---

[٧٧٠] مجموع الفتاوى (٩/ ٢٣٣–٢٣٥).

[٧٧١] مجموع الفتاوى (١١/ ٥٧١).

[٧٧٢] مجموع الفتاوى (١٠٣/٤).

[٧٧٣] إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٥).

[٧٧٤] انظر إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٦) .

قال ابن الصلاح : "كان شيطاناً من شياطين الإنس". [٧٧٥]

وقال الكشميري : "ابن سينا الملحد الزنديق القرمطي غدامدى شرك الردىوشريطة الشيطان". [٧٧٦]

بعض ضلالات ابن سينا :

أولًا: قوله عن وجود الله –عز وجل–أنه وجود مطلق بشرط الإطلاق.

قال ابن تيمية: "وأما الملاحدة فقلبوا الأمر وأخذوا يشبهونه بالمعدومات والممتنعات... ثم قال: ثم منهم من يقول: إنه وجود مطلق، إما بشرط الإطلاق كمايقول ((ابن سينا)) وأتباعه مع أنهم قرروا في (المنطق) ماهو معلوم لكل العقلاء أن المطلق بشرط الإطلاق لايكون موجودًا في الأعيان، بل في الأذهان وكان حقيقة قولهم: أن الموجود الواجب ليس موجودًا في الخارج". [٧٧٧]

ثانيًا: القول بأن علم الله وأنبيائه وأوليائه إنما يحصل بواسطة القياس.

قال ابن تيمية–رحمه الله–: "... حتى زعموا أن علم الله وأنبيائه وأوليائه إنما يحصل بواسطة القياس المشتمل على الحد الأوسط كما يذكر ذلك عن ابن سينا وأتباعه ...فابن سينا لما تميز عن أولئك بمزيد عقل وعلم سلك طريقهم المنطقي في تقرير ذلك، وأن كانوا أعلم من سلفهم وأكمل فهم أضل من اليهود والنصارى وأجهل...". [٧٧٨]

ثالثًا: قوله بأن معجزات الأنبياء (قوى نفسانية).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا القول فأجاب: "الحمد لله رب العالمين : هذا الكلام –وهو قول القائل: أن معجزات الأنبياء صلى الله عليهم وسلم قوى نفسانية باطل بل هو كفر

[٧٧٥] فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢٠٩).

[٧٧٦] فيض الباري (١/ ١٦٦).

[٧٧٧] الفتاوى (٦/ ٥١٦-٥١٧).

[٧٧٨] :الرد على المنطقيين (ص: ١٥٧).

يستتاب قائله ويبين له الحق، فإن أصر على اعتقاده بعد قيام الحجة عليه كفر وإذا أصر على إظهاره بعد الاستتابة قتل.

وهو قول طائفة من المتفلسفة والقرامطة الباطنية والإسماعيلية ونحوهم، كابن سينا وأمثاله وأصحاب رسائل إخوان الصفا والعبيديين الذين كانوا بمصر من الحاكمية وأشباههم وهؤلاء كانوا يتظاهرون بالتشيع وهم في الباطن ملاحدة، ويسمون القرامطة والباطنية وغير ذلك". [٧٧٩]

رابعًا: جعل ما أخبر به الأنبياء كذب لمصلحة الجمهور.

ومنها قوله أن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر وعن الجنة والنار بل وعن الملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبوهم بما يتخيلونه ويتوهمون به أن الله جسم عظيم، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيمًا محسوسًا وعقابًا محسوسًا، وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر، وان كان هذا كذبًا فهو كذب لمصلحة الجمهور". [٧٨٠]

خامسًا: تنقصه من الصحابة–رضوان الله عليهم–.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك ابن سينا وغيره يذكر من التنقص بالصحابة ما ورثه عن أبيه وشيعته القرامطة حتى تجدهم إذا ذكروا حاجة النوع الإنساني إلى الإمامة عرضوا بقول الرافضة الضلال، لكن أولئك الرافضة يصرحون بالسب بأكثر مما يصرح به هؤلاء الفلاسفة". [٧٨١]

سادسًا: تقريب مذهب الفلاسفة الملاحدة من الإسلام.

قال ابن القيم: "وأما هذا الذي يوجد في كتب المتأخرين من حكاية مذهبه (أرسطو) فإنما هو من وضع ابن سينا فإنه قرب مذهب سلفه الملاحدة من دين الإسلام بجهده وغاية ما أمكنه أنقربه من أقوال الجهمية الغالين في التجهم فهم في غلوهم في تعطيلهم ونفيهم أسد مذهبًا وأصح قولًا من هؤلاء". [٧٨٢]

---

[٧٧٩] كتاب الصفدية لشيخ الإسلام (١/ ٢).

[٧٨٠] :الرسالة الأضحوية لابن سينا (ص: ٤).

[٧٨١] نقض المنطق (ص: ٨٧).

[٧٨٢] إغاثة اللهفان (٢/ ٣٧٤).

وقال ابن حجر-رحمه الله-: "وقال ابن أبي الحموي الفقيه الشافعي شارح الوسيط، في كتابه الملل والنحل: لم يقم أحد من هؤلاء، يعني فلاسفة الإسلام، مقام أبي نصر الفارابي وأبي علي ابن سيناء، وكان أبو علي أقوم الرجلين وأعلمهما.

إلى أن قال:

وقد اتفق العلماء على أن ابن سيناء كان يقول بقدم العالم، ونفي المعاد الجسماني، ولا ينكر المعاد النفساني.

ونُقل عنه أنه قال: إن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي، بل بعلم كلي.

فقطع علماء زمانه، ومن بعدهم من الأئمة، ممن يعتبر قولهم، أصولا وفروعًا: بكفره، وبكفر أبي نصر الفارابي، من أجل اعتقاد هذه المسائل ، وأنها خلاف اعتقاد المسلمين". [٧٨٣]

ثم جاء بقول ابن الحموي الشافعي: "وقد اتفق العلماء على أن ابن سينا كان يقول بقدم العالم ونفي المعاد الجسماني ولا ينكر المعاد النفساني ونقل عنه أنه قال: إن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كلي فقطع علماء زمانه ومن بعدهم من الأئمة ممن يعتبر قولهم أصولًا وفروعًا بكفره وبكفر أبي نصر الفارابي من أجل اعتقاد هذه المسائل وأنها خلاف اعتقاد المسلمين"..

وقال الحافظ ابن كثير: "قد حصر الغزالي كلامه في"مقاصد الفلاسفة" ثم رد عليه في "تهافت الفلاسفة" في عشرين مجلسًا له، كفره في ثلاث منها، هي: قوله بقدم العالم وعدم المعاد الجسماني وأن الله لا يعلم الجزئيات وبدَّعه في البواقي ويقال أنه تاب عند الموت والله أعلم". [٧٨٤]

ونقل ابن العماد قول اليافعي في ابن سينا: "طالعت كتاب(الشفا) وما أجدره بقلب الفاء قافًا، لاشتماله على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين والله أعلم بخاتمته وصحة توبته". [٧٨٥]

ونقل قول ابن الصلاح فيه: "لم يكن من علماء الإسلام بل كان شيطانًا من شياطين الإنس".

---

[٧٨٣] لسان الميزان (٢/ ٢٩٣).

[٧٨٤] البداية والنهاية (١٢/ ٤٣).

[٧٨٥] شذرات الذهب (٣/ ٢٣٧).

وممن كفره: أبو حامد الغزالي ونسب إليه المقولات الثلاث السابقة. [٧٨٦]

ومن أشهر وأخطر مؤلفات ابن سينا:

أولًا: الشفاء.

وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه، وقالوا: "مرضه الشفاء، يعني ابن سينا في الفلسفة". [٧٨٧]

وقال ابن القشيري في الرد على الشفاء:

قطعنا الأخوة من معشر **** بهم مرض من كتاب الشفا

وكم قلت: يا قوم أنتم على **** شفا جرف من كتاب الشفا

فلما استهانوا بتنبيهنا **** رجعنا إلى الله حتى كفى

فماتوا على دين رسطالس *** وعشنا على ملة المصطفى.

ثانيًا: الإشارات والتنبيهات.

وهو في تقرير عقيدته الباطلة.

ثالثًا: الرسالة الأضحوية في المعاد.

وقد بينا ما قال فيه من الكفر الصريح.

مسألة توبته إن صحت.

وفي شأن توبته، قال ابن خلكان-رحمه الله-: "وقد ضعف جدًا وأشرفت قوته على السقوط، فأهمل المداواة وقال: المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا تنفعني المعالجة .
ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء، ورد المظالم على من عرفه، وأعتق مماليكه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة، ثم مات". [٧٨٨]

---

[٧٨٦] المنقذ من الضلال (ص: ١٤٤).

[٧٨٧] الفتاوى (١٠/٥٥٢).

[٧٨٨] وفيات الأعيان (٢/ ١٦٠).

وقال ابن كثير رحمه الله: "وقد لخص الغزالي كلامه في " مقاصد الفلاسفة "، ثم رد عليه في " تهافت الفلاسفة "في عشرين مسألة، كفره في ثلاث مسائل منهن: وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجسماني، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه في البواقي .

ويقال: إنه تاب عند الموت. فالله سبحانه وتعالى أعلم". [٧٨٩]

والواجب البراءة من إلحاده وكفرياته، والحذر من بدعه وضلالاته، وأما التوبة: فنرجو أن يكون قد حصل له ذلك. [٧٩٠]

إخوان الصفا ([٧٩١])

وهم في واقع الأمر جماعة سرية باطنية، مزجت الفلسفة الإغريقية والعقيدة الباطنية ببعض المبادئ الإسلامية، ونتيجة لذلك؛ فهي أُولَى ثمار الحركة الباطنية التي استغلت التشيع والتصوف الفلسفي وجعلت من ذلك ستارًا؛ لنشر رسائلها وأفكارها الهدَّامة بأسلوب متلوِّن غير صريح وغامض؛ حيث جمجموا ([٧٩٢]) ولم يفصحوا للتلبيس على الأتباع.

---

[٧٨٩] البداية والنهاية (١٥/ ٦٦٨).

[٧٩٠] المصدر: موقع الإسلام سؤال وجواب (السؤال رقم ٢٥٩٠٦٥).

[٧٩١] شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٧٦). وللشيخ محمد أمان علي الجامي بحث في مجلة الجامعة الإسلامية اسمه: "العقل والنقل عند ابن رشد" أتى فيه على كل سمات ابن رشد. عن حياته، عن فلسفته، لكي نعرف الظروف التي نشأ فيها حتى صار أحد أساطين الفلسفة، وما الذي عرضه لذلك للاتهام بالإلحاد والزندقة أحيانًا.

[٧٩٢] جمجم: لم يُبَيّن كلامه، لسان العرب: مادة (جمم)..

ولذلك خفي أمرهم على كثير من الناس حتى في عصرنا هذا، وأصبحوا لغزاً مبهَماً في التاريخ الإسلامي، واختلف الباحثون والعلماء في تصنيفهم، إلا القليل من العلماء النقَّاد المحققين الذين كشفوا عن هويتهم وأهدافهم، وعن فحوى رسائلهم. (٧٩٣)

يعرِّفهم ابن تيمية بقوله: "كانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنِّفة؛ جمعوا-بزعمهم-بين دين الصابئة المبدِّلين وبين الحنيفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة، وفيه من الكفر والجهل شيء كثير... ". (٧٩٤)

وقال الذهبي حين ترجم لأبي حامد الغزالي في كتاب السِّيَر: "وحُبِّبَ إليه إدمان النظر في كتاب (رسائل إخوان الصفا) وهو داء عضال، وجَرَبٌ مُرْدٍ، وسُمٌّ قاتل، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء لتَلَف ". (٧٩٥)

وفعلاً كما يقول ابن تيمية والذهبي-رحمهما الله-لقد ضل إخوان الصفا وزاغوا عن الصراط المستقيم، وشطحوا شطحات كثيرة لا سيما في تأثُّرهم ببعض الِملَل الزائغة والعقائد الوثنية، وإن كانت هذه الوثنية غامضة الملامح؛ ليست بالإغريقية الصرفة، ولا بالبابلية والآشورية الخالصة، وليست مزدكية ولا مانوية، وإنما هي خليط من جميع هذه العناصر المختلفة.

وهكذا نجد أن المبادئ العامة التي بنى عليها إخوان الصفا نظرياتهم مقتبَسة من الديانات المختلفة (موحِّدة ومجوسية) جاهدين في التوفيق بينها كلها.

وقد انتهت بهم نزعتهم التلفيقية هذه إلى أن يَرَوا في جميع المذاهب الفلسفية والوثنية والموحدية مذهباً واحداً يوفِّق بين جوهر الأديان، ولهذا قالوا: " الرجل الكامل يكون فارسي النسب،

---

٧٩٣ من كتاب (الباطنية وموقف الإسلام منهم)، د جميل أبو العلا، وكذلك (فضائح الباطنية) لأبي حامد الغزالي.

٧٩٤ مجموع الفتاوى (٤/ ٧٩).

٧٩٥ سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٨).

عربي الدين، عراقي الأدب، عبراني المخبَر، مسيحي المنهج، شامي النسك، يوناني العلم، هندي البصيرة، صوفي السيرة، ملَكيَّ الأخلاق". (٧٩٦)

وقالوا كذلك: "ينبغي لإخواننا ألاَّ يعادوا عِلمًا من العلوم أو يهجروا كتابًا من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها". (٧٩٧)

إن هذه الرؤية محاولة لوضع نظام ديني جديد يَحُل مَحَل الشريعة الإسلامية التي يزعم إخوان الصفا أنها أصبحت لا تؤدي رسالتها، وهي دعوة إلى دين عالمي جديد وضْعي، على غرار ما يفعل الماديون الغربيون المعاصرون؛ بوضعهم أسس نظام عالمي جديد يقوم على القوانين الوضعية التي تعارف عليها البشر؛ قِوامه الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وبلورتْها العولمة في شتى المجالات (السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والإعلامية)، وتمخَّض عنها الإنسان الكوني الذي تجتمع فيه الصفات التي ينبغي – في زعمهم وحسب أهوائهم – أن تكون قاسماً مشتركَاً بين بني البشر.

وبالجملة؛ فإننا نجد في توجُّه إخوان الصفا نزعة باطنية ذات مسحة شيعية عامة؛ تتجلى في بعض مقاطع الرسائل، كما سنرى.

إلاَّ أن الفكر الذي يحمله هؤلاء يتعدى حدود المذاهب الشيعية المتعددة، كما يخرج على حدود الفِرق الإسلامية المعروفة؛ فهو فكر انتقائي يجمع بين الكثير من المعتقدات الدينية والمذاهب الفكرية، وينفتح أصحابه على أفكار كل نِحلة، ويبتغون جَمْعَ حكمة كل الأمم والأديان والمِلل؛ مذهبهم حسب تعبيرهم: " يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها، وذلك أنه بالنظر في

---

٧٩٦ رسائل إخوان الصفا (٤/ ٢٤٠).

٧٩٧ رسائل إخوان الصفا (٤/ ٤٢).

جميع الموجودات بأسْرِها (الحسية والعقلية، من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليّها وخفيِّها) بعين الحقيقة من حيث هي كلها مبدأ واحد، وعلَّة واحدة، وعالَم واحد". ([٧٩٨])

بعض أمثلة التأويل عند إخوان الصفا:

أوَّلَ إخوان الصفا الثواب والعقاب الحسي الموجود في الجنة والنار؛ فزعموا: "أن جهنم هي: عالم الكون والفساد التي هي دون فلك القمر، وأن الجنة هي: عالم الأرواح وسعة السموات، وأن أهل جهنم هم: النفوس المتعلقة بأجساد الحيوانات التي تنالها الآلام والأوجاع دون سائر الموجودات". ([٧٩٩])

وهم في سبيل البرهان على معتقداتهم؛ يعمدون إلى تأويل الآيات القرآنية التي تتحدث عن عذاب جهنم ونعيم الجنة.

فمن الآراء الفاسدة في زعمهم: "من يظنون أن جهنم هي خندق محفور، كبير واسع، مملوء من نيران تشتعل وتلتهب، وأن الله -تعالى- يأمر الملائكة - قصداً منه وغيظاً على الكفار - أن يأخذوهم ويرموهم في ذلك الخندق، ثم إنه كلما احترقت أجسادهم وصارت فحماً ورماداً أعاد فيها الرطوبة والدم حتى تشتعل من الرأس ثانياً كما اشتعل أول مرة، وهكذا يكون دأبهم أبدًا". ([٨٠٠])

وهذا الرأي على حد زعمهم يعني الإساءة إلى الله-تعالى-والاعتقاد بأن فيه من الحقد وقِلَّة الرحمة لخلقه ([٨٠١]) تعالى الله عمَّا يقولون علوًا كبيرًا.

---

[٧٩٨] رسائل إخوان الصفا (٤/ ٤٢).

[٧٩٩] رسائل إخوان الصفا (٣/ ٦٣).

[٨٠٠] رسائل إخوان الصفا (٣/ ٦٢).

[٨٠١] رسائل إخوان الصفا (٣/ ٦٢).

ويرون أن من الاعتقادات والآراء المحيِّرة، والتي تبعث على الشك والريبة، أن يعتقد الإنسان أنه يباشر الأبكار في الجنة ويلتذ بها، وأن يرجو الجنة بعد خراب السموات وطيها كطي السجل للكتب، وأن يعتقد أن الأعمال تُجعل في كفتي الميزان، وأن يعتقد سؤال منكر ونكير في القبر من جسد الميت، وأن يعتقد أن في الجحيم تنانين وثعابين وأفاعيَ يأكلن الفساق، وما شاكل هذه الاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها. (٨٠٢)

بَيْد أن هذا الكلام ينفي القدرة والحكمة عن الله -تعالى- حين يرى إخوان الصفا أنه لا مجال لرجاء الجنة بعد خراب السموات وطيها كطي السجل للكتب، وفيه إلحاد في أسمائه -تعالى- وتعطيلها عن معانيها وجحد حقائقها؛ فقدرة الله - عز وجل - طليقة لا يحدها شيء؛ إذا قضى أمراً، فإنما يقول له: كن فيكون، كما أن أفعاله -تعالى- على مقتضى الحكمة من جميع الوجوه؛ إذ لا بد من مجازاة المسيء بالعقاب والعذاب ومجازاة المحسن بالفضل والجنة، كما قال -تعالى-: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } [النجم: الآية:٣١]، ويوم الدين هو ميقات الفصل بين العباد: {إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ} [الدخان: الآية: ٤٠].

ولأجل ذلك؛ فإن اعتقادهم هذا من أعظم الإلحاد في أسماء الله الحسنى وصفاته العلا؛ عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: الآية: ١٨٠] ومَرَدُّ ذلك أن إخوان الصفا استنبطوا اعتقاد الفلاسفة الماديين الذين سلبوا الله -تعالى- صفات كماله، وجحدوها وعطلوها.

وقد أدى تأويلهم للبعث والقيامة إلى إنكار الحشر والنشور؛ إذ اعتقدوا أن خراب العالم وحشر الأجساد يوم القيامة شيء يأباه العقل، وإنما هي أحوال تطرأ على النفس بعد الموت أو حين تنتبه من غفلتها في الدنيا، في كلام متناقض مضطرب لا يوقن بحقائق الآخرة.

يقولون: " إن البعث والقيامة أمور تقال لعامة الناس ولمن لا يعرف من الأمور شيئاً.

---

٨٠٢ رسائل إخوان الصفا (٣/ ٨٧).

أما الخاص ومن نظر في العلوم، فإن هذا لا يصلح لهم؛ وذلك لأن كثيراً من العقلاء والحكماء (الفلاسفة) ينكرون خراب السموات ويأبون ذلك إباءً شديداً، والجيد لهم أن يعتقدوا أمر الآخرة، وأن لها عَوداً متأخراً عن الكون في الدنيا، كما كان في الدنيا موجوداً متأخراً عن الكون في الرحم، وكما كانت أيام الشيخوخة متأخرة عن أيام الشباب.. وهي أحوال تطرأ على النفس بعد مفارقتها الجسد إذا هي انتبهت من نوم غفلتها في الدنيا واستيقظت من رقدة جهالتها قبل الممات". ([٨٠٣])

وهذه عقيدة مستوحاة من نظرة الفلاسفة الماديين إلى الكون والحياة؛ إذ يؤمنون بقِدَم العالم وخلوده، وأنه لا يلحقه الزوال والخراب، وأنه لا بعث ولا حساب على الإنسان بعد مماته؛ ولهذا ينكر إخوان الصفا اليوم الآخر، كما جاء في الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة ويؤمن به المسلمون.

كما أنكروا في رسائلهم أيضاً وجود إبليس والشياطين؛ فالاعتقاد بوجودهم – على حد زعمهم – من الآراء الفاسدة.

يقولون: " ومن الآراء الفاسدة من يعتقد أن الله خلق خلقًا وربَّاه وأنماه وأنشأه وسلَّطه وقوَّاه على عباده متمكنًا في بلاده، ثم ناصبه العداوة والبغضاء، وهو إبليس وجنوده من الشياطين". ([٨٠٤])

وبالجملة؛ فإن المتأمل في رسائلهم يرى بجلاء ووضوح أنهم لا يؤمنون بالأمور الغيبية مطلقاً، رغم أنها شرط في صحة الإيمان بالله –تعالى-: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: الآية: ٣]، بل أوَّلُوها إلى أمور حسية، كما رأينا في تأويلاتهم للجنة والنار متأثرين بلوثة وترّهات الفلاسفة الماديين الذين انسدَّت في قلوبهم مدارك البصيرة، والمعرضين عن آيات الله –تعالى– التي لا تحصى في الآفاق والأنفس.

٨٠٣ رسائل إخوان الصفا (٤/ ٤٠).

٨٠٤ رسائل إخوان الصفا (٤/ ٦٢).

من خلال ما تقدم نلاحظ بوضوح أن رسائل إخوان الصفا كانت مقدِّمة لتحويل الدعوة الباطنية إلى مؤامرة خطيرة لتدمير العقيدة والشريعة الإسلامية معًا، وتفكيك الدولة الإسلامية.

فإخوان الصفا جماعة سِرِّية من الباطنية المجوس والزنادقة الحاقدين على الإسلام واللغة العربية؛ كان هدفهم من كتابة هذه الرسائل وضع مخطط لتقويض المجتمع الإسلامي؛ إذ لما تعذَّر عليهم مَطلَبُهم وعزَّ عليهم مرامهم؛ بالنيل من الإسلام، لجؤوا إلى حقن جسد الأمة الإسلامية بأنسجة فاسدة، وما ذلك إلا التلفيق بين دين الأمة وهويتها وخصوصيتها الحضارية، وبين ما يناقض دينها ويصادم هويتها وينتهك خصوصيتها الحضارية؛ من المناهج الفكرية الدخيلة الضارة.

وقد أسهم في تنفيذ هذا المخطط الذي وضع لبِنَاته، إخوان الصفا، العبيديون في بلاد المغرب ومصر، والحشاشون في بلاد فارس، والدروز والنصيرية في بلاد الشام.

كما حاول إخوان الصفا وضع دين عالمي جديد يحل محل دين الإسلام بعقيدته وشريعته التي يزعمون أنها أصبحت عتيقة لا تؤدي رسالتها.

وقد أخفقت محاولتهم إخفاقًا تامًا؛ فلم تنتج نظامًا علميًا، ولم تنشئ مجتمعًا جديدًا يقوم على أساسها، وأصبحت في مدة قريبة من الآثار التاريخية التي لا تأثير لها في حياة الناس، وإن تلقَّفت الفِرق الباطنية الأخرى أفكارها واستعانت بها في تقويض دعائم المجتمع الإسلامي في فترات من تاريخه. [٨٠٥]

النصير الطوسي (٥٧٩-٦٧٣ هـ)

وهو: أبو جعفر محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي، المعروف عند الشيعة بالمحقّق الطوسي والخواجة نصير الدين.

٨٠٥ المصدر: بحث بعنوان: إخوان الصفا جناح فكري الباطنية تأليف: أ.د أحمد أمحزون، منشور في مجلة البيان.

ولد في طوس ، واختلف في سنة ولادته، وعند الأغلب من المؤرخين أ نّه ولد (سنة: ٥٧٩ هـ).

كان إسماعيلي المذهب ولكنه يظهر أنه كان يتعبد وفق المذهب الشيعي الإمامي، وقد أشار في أغلب كتبه الكلامية من قبيل تجريد الإعتقاد إلى إمامة الأئمة الإثني عشر ووجوب عصمتهم. وقد كتب رسائل خاصة في هذا المجال من قبيل رسالة الفرقة الناجية ورسالة في حصر الحق بمقالة الإمامية ورسالة في الإمامة وغيرها.

توفّي في مدينة بغداد، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجّة (سنة: ٦٧٢ هـ).

أقوال العلماء فيه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: (ت: ٧٢٨ هـ): "أنه ممن يقول بأن الله موجب بالذات ويقول بقدم العالم كما ذكر في كتاب شرح الإشارات له فيلزم على قوله أن كافرا والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين. وهذا الرجل اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيلية بالألموت ثم لما قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين وجاءوا إلى بغداد دار الخلافة كان هذا منجما مشيرا لملك الترك المشركين هولاكو أشار عليه بقتل الخليفة وقتل أهل العلم والدين واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من البخشية السحرة وأمثالهم وأنه لما بنى الرصد الذي بمراغة على طريقة الصابئة المشركين كان أبخس الناس نصيبا منه من كان إلى أهل الملل أقرب وأوفرهم نصيبا من كان أبعدهم عن الملل مثل الصابئة المشركين ومثل المعطلة وسائر المشركين وإن ارتزقوا بالنجوم والطب ونحو ذلك. ومن المشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرماته لا يحافظون على الفرائض كالصلوات ولا ينزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات حتى أنهم في شهر رمضان يذكر عنهم من إضاعة الصلوات وارتكاب الفواحش وشرب الخمور ما يعرفه أهل الخبرة بهم ... وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف ومع هذا فقد قيل إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ويشتغل بتفسير البغوى وبالفقه ونحو ذلك فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات

والله تعالى يقول: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} سورة الزمر لكن ما ذكره عنه هذا إن كان قبل التوبة لم يقبل قوله وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض بل من الإلحاد وحده". ([806])

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: "كان النصير الطوسي وأمثاله مع هولاكو ملك الكفار. وهو الذى أشار عليهم بقتل الخليفة ببغداد لما استولى عليها وأخذ كتب الناس، ملكها ووقفها، وأخذ منها ما يتعلق بغرضه، وأفسد الباقي، وبنى الرصد ووضعها فيه، وكان يُعطي من وقف المسلمين لعلماء المشركين البخشية والطوينية، ويعطى في رصده الفيلسوف والمنجم والطبيب أضعاف ما يعطى الفقيه، ويشرب هو وأصحابه الخمر في شهر رمضان، ولا يصلون". ([807])

قال ابن القيم: "ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة، النصير الطوسي، وزير هولاكو شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفى إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قدم العالم، وبطلان المعاد، وإنكار صفات الرب جل جلاله، من علمه، وقدرته، وحياته، وسمعه، وبصره، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وليس فوق العرش إله يعبد البتة.

واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل «إشارات» إمام الملحدين ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، مكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال: "هي قرآن الخواص، وذاك قرآن العوام"، ورام تغيير الصلاة، وجعلها صلاتين، فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحرًا يعبد الأصنام.
وصارعه محمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، في كتاب سماه «المصارعة»، أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد، ونفي علم الرب تعالى وقدرته، وخلقه للعالم، فقام له نصير الإلحاد وقعد، ونقضه بكتاب سماه «مصارعة المصارع». ووقفنا على الكتابين ـ نصر فيه: أن الله تعالى لم يخلق

---

[806] منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٤٥).

[807] دقائق التفسير لابن تيمية، (١/ ٢٦٩).

السماوات والأرض في ستة أيام، وأنه لا يعلم شيئا، وأنه لا يفعل بقدرته واختياره، ولا يبعث من في القبور". ([808])

قال ابن كثير-رحمه الله-:"الخواجا نصير الدين الطوسي وزر لأصحاب قلاع الألموت من الإسماعيلية، ثم وزر لهولاكو، وكان معه في واقعة بغداد". ([809])

وقال في موضوع آخر: "كان النصير وزيرا لشمس الشموس ولأبيه قبله علاء الدين بن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة – أي في واقعة بغداد (٦٥٦ هـ)، هون عليه الوزير-الطوسي-ذلك فقتلوه رفسا، وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه وأشار الطوسي بقتل جماعة كبيرة-من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء وأولي الحل والعقد-مع الخليفة فباء بآثامهم". ([810])

وتعدت خيانة الطوسي الخيانة في القتل إلى نوع خطير من الخيانة إنه خيانة الأمة الإسلامية في حضارتها، في تراثها وفكرها وثقافتها

قال الشيخ محب الدين الخطيب:" النصير الطوسي. جاء في طليعة موكب السفاح هولاكو، وأشرف معه على إباحة الذبح العام في رقاب المسلمين والمسلمات، أطفالا وشيوخا، ورضي بتغريق كتب العلم الإسلامية في دجلة، حتى بقيت مياهها تجري سوداء أياما وليالي من مداد الكتب المخطوطة التي ذهب بها نفائس التراث الإسلامي من تاريخ وأدب ولغة وشعر وحكمة، فضلا عن العلوم الشرعية ومصنفات أئمة السلف من الرعيل الأول، التي كانت لا تزال موجودة

---

[808] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٦٣).

[809] ((البداية والنهاية)) (١٣/ ٢٦٧)، وانظر ((شذرات الذهب)) (٥/ ٣٤٠).

[810] ((البداية والنهاية)) (١٣/ ٢٠١)، بتصرف.

بكثرة إلى ذلك الحين، وقد تلف مع ما تلف من أمثالها في تلك الكارثة الثقافية التي لم يسبق لها نظير". ([811])

وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

والفلسفة التي يقرؤها أتباع هؤلاء اليوم: هي مأخوذة عنه وعن إمامه ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وبعضها عن أبي نصر الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، وشيء يسير منها من كلام أرسطو، وهو مع قلته وغثاثته وركاكة ألفاظه كثير التطويل، لا فائدة فيه.

وخيار ما عند هؤلاء: فالذي عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم خير منه، فإنهم يدأبون حتى يثبتوا واجب الوجود، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق، لا صفة له ولا نعت، ولا فعل يقوم به، لم يخلق السماوات والأرض بعد عدمهما، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئا. وعباد الأصنام كانوا يثبتون ربا خالقا، مبدعا، عالما، قادرا، حيا، يشركون به في العبادة. فنهاية أمر هؤلاء: الوصول إلى شيء برز عليهم فيه عباد الأصنام". [812]

النوع الثاني: صوفية: ومنهم فرق الاتحادية؛ كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض أصحاب وحدة الوجود: وهم الذين لا يميزون الخالق بصفات تميزه عن المخلوق، ويقولون بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق. فعلى سبيل المثال هم يقولون بأن الله هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام وفي ذلك يقول ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ):

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

يعم به أسماع كل مكون فمنه إليه بدؤه وختامه ([813])

[811] الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الاثني عشرية (ص: ٤٧-٤٨).

[812] إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٢٧-١٠٣٣).

[813] الفتوحات المكية (٤/ ١٤١).

فيزعمون أنه هو المتكلم على لسان كل قائل. ولا فرق عندهم بين قول فرعون: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ} [النازعات: الآية: ٢٤] {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي}[القصص: الآية: ٢٨] وبين القول الذي يسمعه موسى {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤]. بل يقولون: إنه الناطق في كل شيء، فلا يتكلم إلا هو، ولا يسمع إلا هو، حتى قول مسيلمة الكذاب، والدجال، وفرعون، يصرحون بأن أقوالهم هي قوله".[٨١٤]

وهذا قول أصحاب وحدة الوجود كابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، وابن سبعين وابن الفارض، والعفيف التلمساني.

وأصل مذهبهم: أن كل واحد من وجود الحق، وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر إليه، وفي هذا يقول ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ):

فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده [٨١٥]

وسيأتي مزيد تفصيل عنهم عند الحديث عن المتأثرين بالمشرب الفلسفي الإشراقي.

المطلب الثاني: القسم الثاني: أهل الكلام.

أهل الكلام شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة. وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم: إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريرا لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ قال الله، أو قال رسوله–صلى الله عليه وسلم–، أو قال الصحابة، فإنك لا تجد في كتبهم إلا قال الفضلاء، قال العقلاء، قال الحكماء، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين، فكيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بكلام من لا يعرف الله ولا

---

٨١٤ بغية المرتاد (ص: ٣٤٩).

٨١٥ فصوص الحكم ١/ ٨٣.

يؤمن برسوله. والمطلع على كتب أهل الكلام يدرك عظم الضرر الذي جنته على الأمة المسلمة، إذ تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة لله ورسوله ولدينه، وجعل بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل والتخييل. وأهل الكلام ليسوا صنفا واحدا بل هم عدة أصناف، وأشهرهم خمسة أصناف: [٨١٦]

١-الجهمية.

٢ - المعتزلة.

٣ - الكلابية.

٤ - الأشاعرة.

٥ — الماتريدية.

فأما الجهمية: وهم أتباع جهم بن صفوان الذي أخذ عن الجعد بن درهم مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة، [٨١٧] وقد نشر الجهم مقالة التعطيل وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المغالاة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه نظرا لما كان عليه من سلاطة اللسان وكثرة الجدال والمراء.

من أشهر معتقداتهم:

١-إنكارهم لجميع الأسماء والصفات، فلا يثبتون لله صفة، وإنما يثبتون أسماء مترادفة مجردة من المعاني، فعندهم: (الله) مثل (السميع) ومثل (البصير) هي أعلام على الله، ولكن لا تثبت لله سمعًا ولا بصرًا.

٢-إنهم في باب الإيمان مرجئة، يقولون: إن الإيمان يكفي فيه مجرد المعرفة القلبية، وهذا شر أقوال المرجئة.

٣-إنهم في باب القدر جبرية، ينكرون قدرة العبد واختياره في فعله.

---

[٨١٦] مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات (ص: ٨٥).

[٨١٧] مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٥٠).

٤-ينكرون رؤية الخلق لله يوم القيامة.

٥-يقولون: إن القرآن مخلوق.

٦- يقولون بفناء الجنة والنار. إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة التي قال بها الجهمية.

ومن مشاهير هؤلاء:

أولًا: الجعد بن درهم (ت: ١٠٥ هـ).

فالجعد بن درهم فيما قيل من أهل "حران" كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران". [٨١٨]

وقال ابن عساكر: "وقيل إنه كان من أهل حران". [٨١٩]

وقال الذهبي: "وأصله من حران". [٨٢٠]

فالجعد بن درهم حراني المولد والنشأة، وكان يسكن الجزيرة الفراتية في أول أمره، وعمل في تلك الفترة معلماً ومؤدباً لمروان بن محمد لما كان والياً على الجزيرة أيام هشام بن عبد الملك[٨٢١] ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق وسكن فيها[٨٢٢] ثم هرب من دمشق إلى الكوفة. [٨٢٣]

وإذا كان الجعد قد نشأ بحران وتعلم فيها، فيكون الجعد قد أخذ مقالته عن هؤلاء الصابئة الفلاسفة الذين يقولون: إنه ليس للرب إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما.[٨٢٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال الإمام أحمد: وكان يقال إنه [أي الجعد] من أهل حران، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات وكان بحران أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة،

---

[٨١٨] منهاج السنة (٢/ ١٩٢).

[٨١٩] مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠).

[٨٢٠] تاريخ الإسلام وفيات (١٠١-١٢٠) (٧/ ٣٣٧ . ٣٣٨).

[٨٢١] مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠)، تاج العروس (٢/ ٣٢١).

[٨٢٢] مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠)، والبداية (٩/ ٣٥٠).

[٨٢٣] مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠)، والبداية (٩/ ٣٥٠).

[٨٢٤] الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٤٩).

بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال ولهم مصنفات في دعوة الكواكب".
[٨٢٥]

ذكر العلماء جملة من الأفكار المنحرفة التي كان الجعد كان ينادي بها ويظهرها ويدعو إليها. ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١-إنكاره لصفات الخالق، ولا شك أن جحود صفاته مستلزم لجحود ذاته. ([٨٢٦])

فأراد الجعد بذلك هدم الأصل الأول من أصلي الدين الذي هو "الإيمان بالله"

فالجعد وأمثاله لا يؤمنون بوجود حقيقي لله تعالى، ويجعلون وجود الله أمرًا مقدرًا في الذهن والخيال لا حقيقة له في الخارج، فلذلك هم لا يصفونه بصفة ثبوتية، ويقتصرون على وصفه بالصفات السلبية أو الإضافية أو المركبة منهما.

والجعد أول من أحدث ذلك في الإسلام، وقد كان أسبق من الجهم ابن صفوان، ولكن الجهم كان له في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه ولذلك اشتهر نسبة هذه المقالة إليه ([٨٢٧])

فقيل مقالة الجهمية، ولم يقل مقالة الجعدية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهاتان الصفتان -أي كلامه ورضاه الذي يتضمن محبته ومشيئته- هما اللتان أنكرهما الجعد بن درهم أول الجهمية، لما زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، إذ لا محبة له ولا رضا؛ ولم يكلم موسى تكليما". ([٨٢٨])

٢-إنكاره أن الله يتكلم حقيقة، وهذا إنكار لحقيقة الرسالة. ([٨٢٩])

فالصابئة المتفلسفة شيوخ الجعد لا يثبتون وجود الله على الحقيقة فضلاً أن يثبتوا له صفة الكلام، ولذلك هم يقولون: "إن الله ليس له كلام في الحقيقة، وإن كلام الله اسم لما يفيض على قلب

---

[٨٢٥] درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣١٣).

[٨٢٦] مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥١).

[٨٢٧] لوامع الأنوار البهية (١/١٦٣، ١٦٤) "بتصرف".

[٨٢٨] الاستقامة (١/ ٢١٥).

[٨٢٩] مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥٠).

النبي من "العقل الفعال" أو غيره. و"ملائكة الله" اسم لما يتشكل في نفسه من الصور النورانية ولهذا يقول هؤلاء إن خاصية النبي التخييل (٨٣٠)، وإن ما جاء به النبي ليس كلامًا لله على الحقيقة، وإنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق". (٨٣١)

٣-إنكاره محبة الله لأحد من عباده، وبالتالي أنكر أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وهو يريد بذلك الطعن في نبي الله إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، ولا غرابة في ذلك فأئمة الجعد هم الصابئة المشركون عباد الكواكب، وهؤلاء هم أعداء إبراهيم الخليل عليه السلام إمام الحنفاء، وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلاً. (٨٣٢) بل إن هؤلاء يقولون إن الله لا يُحِبُ ولا يُحَبُ، فلا يحب الرب عبده، ولا يحب العبد ربه.

وهدفهم هو التعطيل والجحود، لأن إنكار محبة العبد ربه هو في الحقيقة إنكار لكونه إلها معبوداً. كما أن إنكار محبته لعبده يستلزم إنكار مشيئته وهو يستلزم إنكار كونه رباً خالقاً.

فصار إنكار المحبة مستلزماً لإنكار كونه رب العالمين، ولكونه إله العالمين. وهذا هو قول أهل التعطيل والجحود (٨٣٣) ولذا أطلق إمام المعطلة الجعد بن درهم القول بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً. (٨٣٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان الجعد بن درهم من أهل حران، وكان فيهم بقايا من الصابئين والفلاسفة-خصوم إبراهيم الخليل عليه السلام-، فلهذا أنكر تكليم موسى وخلة إبراهيم، موافقة لفرعون ونمرود، بناءً على أصل هؤلاء النفاة، وهو أن الرب تعالى لا يقوم به

---

٨٣٠ مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥١، ٣٥٢).

٨٣١ ذم الكلام (ص: ٣٠٦).

٨٣٢ مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٧،٦٩).

٨٣٣ مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٣)، منهاج السنة (٥/ ٣٢٢).

٨٣٤ مجموع الفتاوى (١٠/ ٧١).

كلام، ولا يقوم به محبة لغيره، فقتله المسلمون، ثم انتشرت مقالته فيمن ضل من هذا الوجه. والمحبة متضمنة للإرادة، ومسألة الكلام والإرادة ضل فيهما طوائف". ([835])

وقال-رحمه الله-: "وكان أول من أنكر المحبة الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: "ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً" ثم نزل فذبحه. فإن الخلة من توابع المحبة، فمن كان من أصله أن الله لا يُحِبُ ولا يُحَبُ، لم يكن للخلة عنده معنى". ([836])

٤-من بدع الجعد معارضته للنصوص بالعقليات، وهو أول من أحدث هذه البدعة، وفتح بابًا من أبواب الشر على المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة علي-رضي الله عنه-، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم، لا يدَّعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص. ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم،.... وأولهم الجعد بن درهم) ([837])

فأول ما ظهر علم الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى، من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، ثم صار إلى أصحاب عمرو بن عبيد، كأبي الهذيل العلاف وأمثاله. ([838])

فالجعد هو مشعل نار هذه الفتنة، وعلم الكلام جر على المسلمين الكثير من البلايا والمحن والفتن التي لا نزال إلى يومنا هذا نعاني منها.

٥-من بدع الجعد إنكاره للقدر.

---

[835] درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٧٥،١٧٦)، وانظر منهاج السنة (٣/ ١٦٥،١٦٦).

[836] منهاج السنة (٥/ ٣٢١-٣٢٢)، وانظر كتاب: مدارج السالكين (١/ ٩٢).

[837] درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٤).

[838] منهاج السنة (٥/ ٨).

فقد ذكره البغدادي في عداد القدرية حيث قال: "ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، والجعد بن درهم". ([٨٣٩])

وذكر أن الحمارية من القدرية قد تأثروا ببعض أفكار الجعد في هذه المسألة فقال: "وأخذوا من جعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري قوله بأن النظر الذي يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلاً لا فاعل لها". ([٨٤٠])

ثانيًا: الجهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ).

فالجهم كان تلميذًا للجعد بن درهم، ومن خاصته بحيث لم يشتهر بين تلاميذ الجعد سواه.

قال البخاري: "قال قتيبة بن سعيد: بلغني أن جهمًا كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم". [٨٤١]، فالجعد إذا هو الشيخ الأساسي للجهم بن صفوان.

وذكر بعض المؤرخين أن الجهم لقي الجعد في الكوفة، بعد ما هرب الجعد من بني أمية، حيث نص ابن كثير أن الجعد "أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن، فطلبته بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة، فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول منه". [٨٤٢]

يقول شيخ الإسلام: "فإن جهمًا أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات، وبالغ في نفي ذلك، فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه، وإن كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك". [٨٤٣]

---

[٨٣٩] الفرق بين الفرق (ص: ١٨-١٩).

[٨٤٠] الفرق بين الفرق ص ٢٧٨-٢٨٩.

[٨٤١] خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٨)، وذكره كذلك السمعاني في الأنساب (١/ ٤٦٨).

[٨٤٢] البداية والنهاية (٩/ ٤٠٥).

[٨٤٣] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ١١٩).

وبين شيخ الإسلام أن "... أصل قولهم هذا مأخوذ من المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلاً". [٨٤٤]

وذكر في موضع آخر أن إسناد جهم في مقالاته متلقي من الصابئة الفلاسفة، والمشركين البراهمة، واليهود السحرة". [٨٤٥]

المعتزلة

وقد دخلت المعتزلة في تلك المرحلة في هذه المقالة، وشاركوا الجهمية في بعض أصولهم، "مع أن المعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا، ولهذا لما ذكر الإمام أحمد في رده على الجهمية [(٨٤٦)] قول جهم قال: "فاتبعه قوم من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة".

واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف (ت: ٢٣٥ هـ) والنظام (ت: ٢٣١ هـ) وأشباههم من أهل الكلام". [(٨٤٧)]

وبدأ اشتهار مقالة التعطيل من حين فتنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فالمعطلة للأسماء والصفات في زمن إمارة المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ) قووا وكثروا، فإن المأمون كان قد أقام بخراسان مدة، واجتمع بهم، ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثماني عشرة ومائتين، وفيها مات المأمون.

---

[٨٤٤] مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٩٧).

[٨٤٥] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥١).

[٨٤٦] الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ٦٦،٦٧). (ضمن كتاب عقائد السلف).

[٨٤٧] شرح الأصفهانية (ص: ٦٥).

وردوا أحمد بن حنبل إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين ومائتين وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم في الكلام. فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه، وبين أن لا حجة لهم في شيء من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم، وامتحانهم إياهم جهل وظلم. وأراد المعتصم إطلاقه، فأشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه حتى لا تنكسر حرمة الخلافة مرة بعد مرة. فلما ضربوه قامت الشناعة عليهم في العامة، وخافوا الفتنة. فأطلقوه.

وكان أحمد بن أبي دؤاد قد جمع له نفاة الصفات القائلين بخلق القرآن من جميع الطوائف، وكانت الطوائف التي تقول بخلق القرآن في ذلك الحين هم المعتزلة، والجهمية أتباع جهم والنجارية أتباع حسين النجار، والضرارية أتباع ضرار بن عمرو ولذلك يخطئ من يظن أن خصوم الإمام أحمد هم المعتزلة فقط، فيظن أن بشر بن غياث المريسي –وإن كان مات قبل محنة الإمام أحمد– ، وابن أبي دؤاد ونحوهما كانوا معتزلة وليس كذلك. [٨٤٨]

وقد استمرت محنة القول بخلق القرآن أربعة عشر عاما من سنة ثماني عشرة ومائتين إلى سنة أربع وثلاثين ومائتين للهجرة فقد سار المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) والواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ) على طريقة المأمون، فامتحنوا العلماء بذلك وحملوا الكافة على القول بخلق القرآن، فمدت بدعة التعطيل رواقها، وتنفذ أهلها على البلاد والعباد، وصارت المنابر والحلق والقضاء حكرا على هؤلاء المعطلة، وضيق على أهل السنة ونالهم العنت الشديد. وهو أمر لم يسبق له نظير قبله في خلفاء الأمة.

---

٨٤٨ مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٥١،٣٥٢). «بتصرف» و (٥/ ٥٥٤).

واستمر الأمر كذلك حتى جاء الله بالفرج والنصر لأهل السنة في عهد الخليفة المتوكل رحمه الله سنة أربع وثلاثين ومائتين فانقضى عصر المحنة بعد سنتين من خلافة المتوكل الذي أظهر السنة، وقمع البدعة، وزجر عن القول بخلق القرآن". [٨٤٩]

وظهر للناس وتبين لهم باطن أمر الجهمية، وأنهم معطلة الصفات يقولون إن الله لا يرى، ولا له علم، ولا قدرة، وإنه ليس فوق العرش رب، ولا على السماوات إله، وإن محمدا لم يعرج به إلى ربه، إلى غير ذلك من أقوال الجهمية النفاة، فكثر رد الطوائف عليهم بالقرآن والحديث والآثار تارة وبالكلام الحق تارة، وبالباطل تارة. [٨٥٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان في أيام "المتوكل" (٢٣٢-٢٤٧هـ) قد عز الإسلام، حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمرية، وألزموا الصغار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم.

وكذلك في أيام "المعتضد" (٢٧٩-٢٨٩هـ) "والمهدي" (١٥٨-١٦٩هـ) "والقادر" (٣٨١-٤٢٢هـ) وغيرهم من الخلفاء الذين كانوا أحمد سيرة وأحسن طريقة من غيرهم. وكان الإسلام في زمنهم أعز، وكانت السنة بحسب ذلك". [٨٥١]

والمعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي:

---

[٨٤٩] سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤)، مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٣،١٨٤).

[٨٥٠] مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٥).

[٨٥١] مجموع الفتاوى (٤/ ٢١،٢٢).

١- التوحيد، ٢- العدل، ٣- الوعد والوعيد، ٤- المنزلة بين المنزلتين، ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج والرافضة، والاعتزال في حقيقته يحمل خليطا من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد ١-فقد شاركوا الجهمية في بعض أصولهم، فوافقوهم في إنكار الصفات فزعموا أن ذات الله لا تقوم به صفة ولا فعل، وقالوا بإنكار رؤية الله يوم القيامة وقالوا: إن القرآن مخلوق إلى غير ذلك.

٢-كما شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة الله في أفعال العباد، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم.

٣-كما شاركوا الخوارج في مسألة الإيمان، وقالوا بقولهم إن الإيمان قول واعتقاد، وعمل، لا يزيد ولا ينقص، وأنه إذا ذهب بعضه زال الإيمان. وبناء على ذلك شاركوهم في مسألة مرتكب الكبيرة، فالمعتزلة وإن قالوا بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، لكنهم وافقوا الخوارج في قولهم بأن مرتكب الكبيرة في الآخرة خالد مخلد في النار.

٤-وأخذوا كذلك عن الخوارج رأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥-كما أنهم شاركوا الروافض في الطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان من كلام واصل بن عطاء في أهل صفين قوله: "إن كليهما فاسق لا بعين" وقوله عن علي ومعاوية رضي الله عنهما: "لو أن كليهما جاء عندي يشهد على حزمة بقل ما قبلت شهادتهما"، وأواخر المعتزلة كانوا أقرب إلى التشيع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقدماء الشيعة كانوا مخالفين للمعتزلة بذلك (يعني مسائل الصفات والقدر) ، فأما متأخروهم من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ونحو ذلك،

فإنهم سار فيهم أن يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم، والمعتزلة شيوخ هؤلاء إلى ما يوجد في كلام ابن النعمان المفيد وصاحبيه أبي جعفر الطوسي، والملقب بالمرتضى ونحوهم هو من كلام المعتزلة، وصار حينئذ في المعتزلة من يميل إلى نوع من التشيع إما تسوية علي بالخليفتين، وإما تفضيله عليهما، وإما الطعن في عثمان، وإن كانا المعتزلة لم تختلف في إمامة أبي بكر وعمر. وقدماء المعتزلة كعمرو بن عبيد وذويه كانوا منحرفين عن علي حتى كانوا يقولون: لو شهد هو وواحد من مقاتليه شهادة لم نقبلها، لأنه قد فسق أحدهما لا بعينه. فهذا الذي عليه متأخروا الشيعة والمعتزلة خلاف ما عليه أئمة الطائفتين وقدماؤهم ". [٨٥٢]

كما أخذوا عن الشيعة الرافضة أكثر آرائهم الخاصة بالإمامة.

وعلى هذا فأفكار المعتزلة إنما هي خليط من آراء الفرق المخالفة في عصرهم. وأفكار المعتزلة يحملها اليوم كل من: الرافضة الإمامية، والزيدية والإباضية، وكذلك من يسمون بالعقلانيين.

وقد ظهرت المعتزلة في بداية القرن الثاني الهجري بزعامة رجل يسمَّى واصل بن عطاء الغزال، وتفرَّعت المعتزلة عن الجهمية في معظم الآراء، ثم انتشرت انتشارًا واسعًا في أكثر بلدان المسلمين وترجع بداية نشأة المعتزلة، وسبب تسميتهم بذلك إلى ما وقع بين الحسن البصري–رحمه الله– وواصل بن عطاء من خلافٍ في حكم مرتكب الكبيرة، حين سئل الحسن البصري عن ذلك، فبادر واصل بن عطاء إلى الجواب قبل أنْ يُجيب الحسن البصري، ومن هنا تطوَّر الأمر إلى اعتزال واصلٍ ومَنْ معه حلقةَ الحسن البصري، فسُمُّوا معتزلةً، وإلى هذا ذهب أكثر العلماء". [٨٥٣]

والفكر المعتزلي قد مرَّ بمرحلتين:

---

[٨٥٢] نقض تأسيس الجهمية (١/ ٥٤– ٥٥) .

[٨٥٣] انظر: الملل والنحل، (١/ ٤٠)؛ والفرق بين الفرق، (ص ١١٦)؛ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (٢/ ٨٢٢).

الأولى وهي المرحلة التأسيسية، التي مثلها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وكان التركيز فيها على جوانب تتعلق بالبدع من النوع الذي لأصحابها متمسك بالنصوص كبدعة القول في مرتكب الكبيرة، ومسألة القدر. فقد برزت المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الغزال (٨٠ هـ-١٣١ هـ) الذي كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين (أي ليس مؤمناً ولا كافراً) وأنه مخلد في النار إذا لم يتب قبل الموت، وقد عاش في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، والفرقة المعتزلية التي تنسب إليه تسمى: الواصيلة.

أما المرحلة الثَّانية:

كانت المعتزلة في البداية فرقة واحدة بعد مر من الزمان أصبحت فرقًا مختلفة، تختلف كل واحدة منها من الأخري وذلك لأسباب، أهمها:

أولًا: المبالغة في الاعتماد على العقل، وعدم التقيد بالنصوص من الكتاب والسنة، مما كان له الأثر العظيم في نشوء الخلافات بينهم.

ثانيًا: انغماسهم في الفلسفة اليونانية التي أخذوا يدرسونها ويستمدون منها بعض الأفكار ويمزجونها بعقيدة المسلمين.

وهذه المرحلة كان التفلسف فيها واضحًا، وكان المعتزلة أوَّل مَن استعان بالفلسفة اليونانية، واستقوا منها في تأييد نزعاتهم، فأقوالٌ كثيرة من أقوال النَّظَّام، وأبي الهُذيل، والجاحظ، وغيرهم؛ بعضُها نَقْلٌ بحتٌ من أقوال فلاسفة اليونان، وبعضُها يُستقى من نبعِه، ويُغترَف من معينه بشيء من التحوير والتعديل". [٨٥٤]

قال شتينز: "إن الاعتزال في تطوراته الأخيرة كان أكثره متأثرا بالفلسفة اليونانية". [٨٥٥]

وهذه المرحلة كانت ممثلة بـ:

١- إبراهيم النظام (ت: ٢٣١ هـ)

---

[٨٥٤] مقدمة تحقيق كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري، (١/ ٢٣).

[٨٥٥] المعتزلة (ص: ٤٩).

هو إبراهيم بن يسار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النَّظَّام، شيخ المعتزلة، تبحَّر في علوم الفلسفة، وانفرد بآراءٍ، وقد تأثر أيضاً بالفلسفة اليونانية مثل بقية المعتزلة، تابعته فِرقةٌ من المعتزلة سميِّت "النظامية"، اتُّهم بالزندقة، وكفَّره جماعة، مات سنة بضع وعشرين ومائتين، وله كتب في الفلسفة والاعتزال". [٨٥٦]

قال الحافظ ابن حجر: "من رؤوس المعتزلة، مُتَّهم بالزندقة، وكان شاعرًا أديبًا بليغًا، وله كُتُب كثيرة في الاعتزال والفلسفة ذكرها النديم". [٨٥٧]

وقال بعضهم : "كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويخفي ذلك". [٨٥٨]

٢- **محمد بن الهذيل العلاف** (ت: ٢٣٥ هـ)

هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصري العلاف، من أئمة المعتزلة، له مقالات في الاعتزال، وانفرد بآراءٍ، وله تصانيف كثيرة. [٨٥٩] ويعد من علماء الكلام، وشيخ المعتزلة البصريين، ومقدم الطائفة، ومقرر الطريقة، والمناظر عليها تنسب له الفرقة الهذلية، أخذ الاعتزال من عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء". [٨٦٠]

٣- **الجاحظ** (ت: ٢٥٥ هـ):

---

[٨٥٦] انظر: طبقات المعتزلة، لابن المرتضى (ص: ٤٩-٥٢).

[٨٥٧] لسان الميزان (١/ ١٥٥-١٥٦، ١٧٦).

[٨٥٨] سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢).

[٨٥٩] انظر: طبقات المعتزلة، (ص: ٤٤).

[٨٦٠] الفرق بين الفرق (ص: ٧٦).

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، مولاهم، أبو عثمان، المشهور بالجاحظ، البصري، المعتزلي، كان مُتبحِّرًا في الأدب، ورئيس الفِرقة الجاحظية من المعتزلة، ليس بثقة ولا مأمون، وكان من أئمة البدع. [861]

يؤكد العلماء تأثير الفلسفة اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم فقد طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة وتمذهب بمذهبهم. حتى إنه خلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعبارته البليغة، وحسن براعته اللطيفة". [862]

ومذهبه: مذهب الفلاسفة في نفي الصفات، وفي إثبات القدر خيره وشره من العبد؛ مذهب المعتزلة".

قال الشهرستاني عنه: "ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة، إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلهيين". [863]

وقال ابن حزم: "وأما أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري الكناني صليبة، وقيل: بل هو مولى، وهو تلميذ النظام وأحد شيوخ المعتزلة، فإنه كان يقول: إن الله تعالى لا يقدر على إفناء الأجسام البتة، إلا أن يرفقها ويفرق أجزاءها فقط، وأما إعدامها فلا يقدر على ذلك أصلا...". [864]

٤-أبو الحسين بن أبي عمر الخياط (ت: ٣٠٠ هـ).

---

[861] انظر: تاريخ بغداد، (١٢/ ٢١٢).

[862] انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٧٥).

[863] انظر: الملل والنحل للشهرستاني (ص: ٤٩-٥٠).

[864] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل-لابن حزم (٣/ ٢٠٤).

من معتزلة بغداد وبدعته التي تفرد بها قوله بأن المعدوم جسم، والشيء المعدوم قبل وجوده جسم، وهو تصريح بقدم العالم، وهو بهذا يخالف جميع المعتزلة وتسمى فرقته الخياطية .

٥-القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني (ت: ٤١٤ هـ).

وهو من متأخري المعتزلة، قاضي قضاة الري وأعمالها، وأعظم شيوخ المعتزلة في عصره، وقد أرخ للمعتزلة وقنن مبادئهم وأصولهم الفكرية والعقدية.

سمات هذه المرحلة

أولًا: تعتبر المرحلة التي بدأها العلاف هي بداية الفلسفة، وهي لا تنفصل عن المرحلة الكلامية، وقد تميزت هذه المرحلة بالتأليف أو التصنيف الفلسفي.

ثانيًا: انتشار أفكارها وكان ذلك في العهد العباسي فقد برز المعتزلة في عهد المأمون (ت: ٢١٨ هـ) حيث اعتنق الاعتزال، وتبعه على ذلك من الخلفاء الخليفة المعتصم (ت: ٢٢٧ هـ)، والخليفة الواثق (ت: ٢٣٢ هـ).

لما تولى المتوكل الخلافة (عام ٢٣٢هـ) انتصر لأهل السنة، وأكرم الإمام أحمد وأنهى عهد سيطرة المعتزلة على الحكم ومحاولة فرض عقائدهم بالقوة خلال مدة حكم المأمون التي كانت حوالي عشرين عامًا و خمسة أشهر من: (٢٥ محرم ١٩٨ هـ) إلى:(١٨ رجب ٢١٨ هـ)، وحكم المعتصم بالله حوالي ثمان سنوات وثمانية أشهر، من: (١٨ رجب ٢١٨ هـ) إلى: (١٨ ربيع الأول ٢٢٧ هـ)، وحكم الواثق بالله، فقد حكم لمدة خمس سنوات تقريبًا من: (٢٢٧ هـ) إلى: (٢٣٢ هـ).

في عهد دولة بني بويه عام ٣٣٤ هـ في بلاد فارس ـ وكانت دولة شيعية ـ توطدت العلاقة بين الشيعة والمعتزلة وارتفع شأن الاعتزال أكثر في ظل هذه الدولة فعين القاضي عبد الجبار رأس المعتزلة في عصره قاضيًا لقضاء الري (عام ٣٦٠ هـ) بأمر من الصاحب بن عباد وزير مؤيد

الدولة البويهي ، وهو من الروافض المعتزلة، يقول فيه الذهبي: "وكان شيعيًّا معتزليًّا مبتدعاً" ويقول المقريزي: " إن مذهب الاعتزال فشا تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخراسان وما وراء النهر"

وممن برز في هذا العهد: الشريف المرتضى الذي قال عنه الذهبي: "وكان من الأذكياء والأولياء المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر لكنه إمامي جلد".

بعد ذلك كاد أن ينتهي الاعتزال كفكر مستقل إلا ما تبنته منه بعض الفرق كالشيعة الإمامية والزيدية، والإباضية وغيرهم

وعاد فكر الاعتزال من جديد في الوقت الحاضر، على يد بعض الكتاب والمفكرين، الذين يمثلون المدرسة العقلانية الجديدة وهذا ما سنبسطه عند الحديث عن فكر الاعتزال الحديث .ولقد تأثَّر بمنهج المعتزلة–حديثًا– كثير من خصوم الإسلام، وأعداء السُّنة، حيث وجدوا في مذهبهم الفكري عِشًّا يفرخون فيه بمفاسدهم وآرائهم، ويهاجمون من خلاله الوحي المبين؛ كتابًا وسنة. [٨٦٥]

ومن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فليرجع إلى الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق.

والمعتزلة قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية عامة وبالمنطق الصوري الأوسطي خاصة.

فمن مبادئ المعتزلة الاعتماد على العقل كليًّا في الاستدلال لعقائدهم وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً فقالوا كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني: "المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبيح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح".

وقد تأثر المعتزلة بفلاسفة اليونان في موضوع الذات والصفات، فمن ذلك قول أنبادقليس الفيلسوف اليوناني: "إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الإرادة المحضة

[٨٦٥] انظر: المؤامرة على الإسلام، أنور الجندي (ص: ٢١).

وهو الجود والعزة، والقدرة والعدل والخير والحق، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو، وهو هذه كلها". [٨٦٦]

وكذلك قول أرسطوطاليس في بعض كتبه "إن الباري علم كله، قدره كله، حياة كله، بصر كله". [٨٦٧]

فأنكروا صفات الله-عز وجل-وأوَّلوها بما يلائم عقولهم الكلية، كصفات الاستواء واليد والعين وكذلك صفات المحبة والرضى والغضب والسخط ومن المعلوم أن المعتزلة تنفي كل الصفات ويثبتون أسماء مجردة من الصفات والمعاني المتعلقة بها، فيثبتون الأسماء دون ما تضمنته من الصفات.

قال ابن تيمية: «ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بصير بلا سمع ولا بصر، فأثبتوا الاسم دون ما تضمّنه من الصفات».

وقد وافق المعتزلة في قولهم هذا عدة فرق، وهم: (النجارية، والضرارية، والرافضة الإمامية، والزيدية، والإباضية، وابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ)، وغيرهم.

فالجهمية والمعتزلة يشتركان في قولهم: إن الله تعالى لا يقوم به شيءٌ من الصفات: لا حياة ولا علم، ولا قدرة، ولا كلام، ولا غير ذلك، وإن كلامه مخلوق، ومن بعض مخلوقاته، خلقه كما خلق السموات والأرض. خارجا عن ذاته، وأنه خلقه في بعض الأجسام، وابتداؤه من ذلك الجسم لا من الله.[٨٦٨]

النوع الثاني من أهل الكلام: متكلمة الصفات:

وهم الذين يقولون بقيام بعض الصفات بالذات، ونفي أن يقوم به بعض الصفات، وهؤلاء هم: متكلمة الصفاتية (الكلابية -الأشاعرة -الماتريدية).

---

[٨٦٦] انظر: الملل والنحل (٢/ ٦٧).

[٨٦٧] انظر: التسعينية لابن تيمية.، وكتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق (ص: ٧١).

[٨٦٨] مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٨٨، ٢٨٩، شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٨٠)، العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ٢٧٧".

١- الكُلَّابية:

وهم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان (ت ٢٤٣هـ). [٨٦٩]

فالكلابية أسبق في الظهور من الأشاعرة والماتريدية، فقد نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث، وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة، فقد توفي ابن كلاب سنة (٢٤٣هـ) ، وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت بقية فرق أهل الكلام وهم الأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤ هـ) والماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣ هـ) وهي الفرق القائمة حتى زماننا هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين: فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها.

والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا.

وكان ممن انتدب للرد على الجهمية والمعتزلة أبو محمد عبد الله ابن سعيد بن كلاب القطان.١ [٨٧٠] فقد جاء عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري المتوفي سنة (٢٤٣هـ) بعد هؤلاء [أي الجهمية والمعتزلة] في زمن محنة القول بخلق القرآن التي سبق ذكرها وكان قد انتشر بين الأمة النزاع في هذه المسائل، فقام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، وكان رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وصنف في الرد على الجهمية والمعتزلة مصنفات، وبين تناقضهم فيها وكشف كثيرا من عوراتهم وكان له فضل وعلم ودين.٢ [٨٧١]

---

٨٦٩ مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٥).

٨٧٠ مجموع الفتاوى (٥/٥٥٥).

٨٧١ منهاج السنة النبوية (٣١٢/١).

لكن ابن كلاب لما رد على الجهمية لم يهتد لفساد أصل الكلام المحدث الذي ابتدعوه في دين الإسلام، بل وافقهم عليه٣ [٨٧٢] وسلم لهم ذلك الأصل الذي هو ينبوع البدع "وهي مسألة حلول الحوادث".

فاحتاج بذلك إلى أن يقول: إن الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا نادى موسى حين جاء الطور، بل ولا يقوم به نداء حقيقي، ولا يكون إيمان العباد وعملهم الصالح هو السبب في رضاه ومحبته، ولا كفرهم هو السبب في سخطه وغضبه، فلا يكون بعد أعمالهم لا حب ولا رضا ولا سخط ولا فرح ولا غير ذلك مما أخبرت به نصوص الكتاب والسنة.٤ [٨٧٣]

فابتدع ابن كلاب مسلكا خاصا به، حاول أن يلفق فيه بين النصوص الشرعية والنظريات الكلامية، فأنشأ في المسألة ما يعرف "بمذهب الصفاتية" فأصبح قولا ثالثا في المسألة بينما كان الأمر في السابق يتنازعه فريقان "المثبتة" وهم أهل السنة والجماعة. و "النفاة" وهم الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية. [٨٧٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين:

فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها.

والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا.

---

٨٧٢ مجموع الفتاوى (٥/٥٥٥).

٨٧٣ منهاج السنة (١/٣١٢).

٨٧٤ درء تعارض العقل والنقل ٢/٦.

فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها. ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري وغيرهما.

وهؤلاء يسمّون (الصفاتية) لأنهم يثبتون صفات الله تعالى خلافًا للمعتزلة، لكنهم لم يثبتوا لله أفعالًا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته.(٨٧٥)

والفرق بينهم وبين المعتزلة: أن المعتزلة تقول: (لا تحله الأعراض والحوادث) فالمعتزلة لا يريدون [بالأعراض] الأمراض والآفات فقط، بل يريدون بذلك الصفات. ولا يريدون [بالحوادث] المخلوقات، ولا الأحداث المحيلة للمحل ونحو ذلك -مما يريده الناس بلفظ الحوادث- بل يريدون نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها فلا يجوزون أن يقوم به خلق، ولا استواء، ولا إتيان، ولا مجيء، ولا تكليم، ولا مناداة، ولا مناجاة، ولا غير ذلك مما وصف بأنه مريد له قادر عليه.

ولكن ابن كلاب ومن وافقه خالفوا المعتزلة في قولهم: «لا تقوم به الأعراضُ»، وقالوا: «تقوم به الصفات ولكن لا تسمى أعراضًا».

ووافقوا المعتزلة على ما أرادوا بقولهم: لا تقوم به الحوادث من أنه لا يقوم به أمر من الأمور المتعلقة بمشيئته الأعراض- أي: الصفات والحوادث- أي: الأمور المتعلقة بالمشيئة(٨٧٦)

فالكلابية ومَن تبعهم ينفون صفات أفعاله(٨٧٧)، ويقولون: «لو قامت به لكان محلًّا للحوادث. والحادث إن أوجب له كمالًا فقد عدمه قبله وهو نقص، وإن لم يوجب له كمالًا لم يجز وصفه به (٨٧٨)

---

٨٧٥ مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٠.

٨٧٦ مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٥.

٨٧٧ الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، أو التي تنفك عن الذات: كالاستواء، والنزول، والضحك، والإتيان، والمجيء، والغضب والفرح. مجموع الفتاوى ٦/٦٨، ٥/٤١٠.

٨٧٨ مجموع الفتاوى ٦/ ٦٩، وانظر الرد على هذه الشبهة ٦/ ١٠٥.

فهذا النهج الذي أحدثه ابن كلاب هو ما صار يعرف فيما بعد بمنهج متكلمة الصفاتية لأن ابن كلاب كان في طريقته يميل إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن كان في طريقته نوع من البدعة، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته.

وقد كانت له جهود في الرد على الجهمية[٨٧٩]، ولكنه ناظرهم بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولًا هم واضعوها من امتناع تكلمه تعالى بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك.[٨٨٠]، فأصبح بعد ذلك قدوة وإمامًا لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها، لكن شاركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول».[٨٨١]

فابن كلاب أحدث مذهبًا جديدًا، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية. وبذلك يكون قد أسس مدرسة ثالثة وهي مدرسة «الصفاتية» التي اشتهرت بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية.[٨٨٢]

وقد سار على هذا النهج القلانسي، والأشعري، والمحاسبي، وغيرهم، وهؤلاء هم سلف الأشعري والأشاعرة القدماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان أبو محمد بن كلاب هو الأستاذ الذي اقتدى به الأشعري في طريقه هو وأئمة أصحابه، كالحارث المحاسبي، وأبي العباس القلانسي، وأبي سليمان الدمشقي، وأبي حاتم البستي".[٨٨٣]

---

٨٧٩ مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٦).

٨٨٠ مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٦).

٨٨١ مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٦).

٨٨٢ مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦).

٨٨٣ منهاج السنة (٢/ ٣٢٧).

وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب، ولهذا أمر بهجره، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه ثم قيل عن الحارث: إنه راجع عن قوله. [٨٨٤] فهذا النهج الذي أحدثه ابن كلاب هو ما صار يعرف فيما بعد بمنهج متكلمة الصفاتية لأن ابن كلاب كان في طريقته يميل إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن كان في طريقته نوع فن البدعة، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته.

وقد كان له جهود في الرد على الجهمية [٨٨٥] ولكنه ناظرهم بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولًا هم واضعوها من امتناع تكلمه تعالى بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك [٨٨٦] فأصبح بعد ذلك قدوة وإماما لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها، لكن شاركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول". [٨٨٧]

فابن كلاب أحدث مذهبا جديدا، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية. وبذلك يكون قد أسس مدرسة ثالثة وهي مدرسة " الصفاتية " التي اشتهرت بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية. [٨٨٨]

---

٨٨٤ درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢).

٨٨٥ مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٦).

٨٨٦ مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٦).

٨٨٧ مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٦).

٨٨٨ مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦).

الحارث المحاسبي

الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي، أبو عبد الله، ولد بالبصرة ولكنه انتقل إلى بغداد وعاش فيها، وكانت ولادته (سنة ١٦٥ هـ) تقريبا، أما وفاته فقد كانت (سنة ٢٤٣ هـ). [٨٨٩]

١-كان المحاسبي ذا صلة بأهل الحديث، وقد روى عن جماعة منهم [٨٩٠] ، والظاهر أنه انصرف عن ذلك بانشغاله في التصوف والتأليف فيه، ومع ذلك فقد ترجم في كتب الرجال، وقال فيه الذهبي: " صدوق في نفسه وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه"، [٨٩١]

وقال فيه ابن حجر"مقبول". [٨٩٢] وليست له رواية عن أحد من أصحاب الكتب الستة.

٢-كان معارضا للفرق المنحرفة في عصره وخاصة المعتزلة والرافضة، والجهمية، والخوارج والمرجئة، [٨٩٣] وأشد مواقفه ماكان مع المعتزلة، وقد رد عليها طويلا في كتابه (فهم القرآن) ، كما لم تخل كتبه الصوفية من فضح لأحوالهم وغرورهم، ومن ذلك قوله فيهم:" فرقة ضالة مضلة، لا تفطن لضلالتها، لاتساعها في الحجاج، ومعرفتها بدقائق مذاهب الكلام، وحسن العبارة بالرد على

---

٨٨٩ انظر: في ترجمته: طبقات الصوفية (ص: ٥٦) ، والحلية (٧٣/١٠) ، وتاريخ بغداد (٢١١/٨) ، والرسالة القشيرية (٧٨/١) ، والأنساب (١٠٣/١٢) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٨/١) ، والكامل (٨٤/٧) ، وميزان الاعتدال (٤٣٠/١) ، والسير للذهبي (١١٠/١٢) ، ووفيات الأعيان (٥٧/٢) ، والوافي (٢٥٧/١١) ، وطبقات السبكى (٢٧٥/٢) ، وتهذب الكمال للمزى (٢٠٨/٥) – المطبوعة- وتهذيب التهذيب (١٣٤/٢) ، والبداية والنهاية (٣٣٠/١٠- ٣٤٥،٣٣١) ، والطبقات الكبرى للشعراني (٦٤/١) وغيرها..

٨٩٠ انظر: تهذيب المزى (٢١٨/٥) ، وتهذيب التهذيب (١٣٤/٢) ، ومقدمة تحقيق العقل وفهم القرآن (ص: ١٣- ١٨).

٨٩١ ميزان الإعتدال (١٣٠/١).

٨٩٢ التقريب (١٣٩/١).

٨٩٣ انظر: الرعاية للمحاسبي (ص: ٩٧) ، والمكاسب (ص:١٠٨-١٠٩) ، وفهم القرآن (ص: ٣٣٣).

من خالفها، فهم عند أنفسهم من القائلين على الله عز وجل بالحق، والرادين لكل ضلالة، لا أحد أعلم منهم بالله، ولا أولى به منهم، وكل الأمم ضالة سواهم، وان الله عز وجل لا يعذب مثلهم، بل لاينجو أحد في زمانهم غيرهم، وغيرهم من المغترين يدعي ذلك وينتحله، ويشهد عليهم بالاكفار. فهم فرق كثيرة كفر بعضها بعضا، وكل فرقة منها مغترة، لاترى أن أحدا يقول عليه بالحق غيرها"، [٨٩٤] والمحاسبي الذى يقول هذا الكلام ممن عاصر محنة القول بخلق القرآن، من أولها الى نهايتها، فهو خبير بأحوالهم، ولذلك لم يوافق على القول بخلق القرآن، إن لم ينله فيها ما نال أئمة أهل السنة من المحنة. [٨٩٥]

٣-ترك المحاسبي مجموعة من المؤلفات، وغالبها ذو صبغة صوفية، ولذلك عني بنشرها من لهم اهتمام بهذا الشأن.

٤-وأبرز قضية في حياة المحاسبي هجر الإمام أحمد له، وأمره الناس بهجره حتى انه لما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر، وقل من يترجم له إلا ويتعرض لهذه المسألة، ومن أهم أسباب ذلك دخوله في علم الكلام وموافقته لبعض أقوالهم وكلامه في التصوف

٥-يعتبر الحارث من متقدمي أهل الكلام الذين عاصروا أئمة أهل السنة، ووقفوا معهم ضد كثير من أقوال المعتزلة وخاصة في مسائل القرآن وأنه غير مخلوق، والقدر والوعد والوعيد، كما وقفوا معهم ضد الطوائف الأخرى المنحرفة، ولذلك فالمحاسبي ومن في طبقته أكثر إثباتا وأحسن اتباعا ممن جاء بعدهم كالأشعري وطبقته

---

٨٩٤ الرعاية (ص: ٣٥٨) .

٨٩٥ وقد تساءل هذا التساؤل عبد القادر عطا. انظر مقدمة تحقيق آداب النفوس (ص: ١٣) ، والمكاسب (ص: ١٣) ، وقد أجاب عن ذلك بأن العداء الذي وقع بينه وبين الإمام أحمد جعل السلطة ترى أنه لا خطر من المحاسبي، ويمكن أن يضاف الى هذا أن المحاسبي كان كلابيا يميل الى النفي لبعض الصفات وهذا قربه من المعتزلة .

ولكن مع موافقته لأهل السنة في ذلك إلا أن في أقواله ما يخالف منهجهم من جانبين، أحدهما:التصوف، والآخر: آراؤه في العقيدة، وفي كل من الجانبين كان المحاسبي شيخا للأشعرية كما يقول البغدادي. [٨٩٦]

أقواله في العقيدة:

ترد أقوال المحاسبي في الغالب مقرونة برأي ابن كلاب، ولذلك فهما متقاربان في كثير من مسائل العقيدة، ولذا سيقتصر الكلام هنا على بعض أقواله التي ذكرها في كتابه (فهم القرآن).

١- إثباته للصفات:

يصف المحاسبي من يمتدحهم من الخاصة بأنهم "وصفوه بصفاته الكاملة ونزهوه من كل مالا يليق"،[٨٩٧] فهو يثبت الصفات بإجمال، وسيتضح أنه ينفي منها مايتعلق بمشيئة الله من الصفات الاختيارية.

كما يثبت أن القرآن كلام الله "إذ تكلم الله عز وجل به تكليما من نفسه من فوق عرشه، من فوق سماواته". [٨٩٨]

ويقرر أن الصفات لا يجوز نسخها فيقول:"لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله جل ثناؤه ولا صفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ جل وعز وصف نفسه بصفاته الكاملة ومدح نفسه بمدحه الطاهرة وبأسمائه الحسنى، فمن أجاز النسخ بها أجاز أن يبدل أسماءه الحسنى فيبدلها قبيحة

---

٨٩٦ يقول البغدادي في أصول الدين (ص: ٢٠٨-٢٠٩) " وعلى كتب الحارث ابن أسد في الكلام والفقه والحديث معول متكلمي أصحابنا وفقهائهم وصوفيتهم".

٨٩٧ فهم القرآن (ص: ٢٦٧).

٨٩٨ فهم القرآن (ص: ٣٠٢، ٣٠٩).

سوى وصفاته الكاملة العلية فيكون دنية ناقصة سفلى، ومدحه الطاهرة فيكون مذمومة دنية، جل وتعالى عن ذلك علوا كبيرا "(١) . [٨٩٩]

ويحتج لبعض الصفات بالعقل مع دليل السمع مثل صفة العلم (٢) . [٩٠٠]

٢- إثباته للعلو والاستواء:

ذكر أدلة ذلك من نصوص القرآن ورد على الذين يقولون:"إن الله في كل مكان، [٩٠١] ثم قال:" وأما قوله {على العرش استوى} [طه: الآية: ٥] ..{وهو القاهر فوق عباده} [الأنعام: الآية: ١٨] و {أأمنتم من في السماء}[الملك: الآية: ١٦] و {إذا لابتغوا إلى ذي العرش} بالإسراء: الآية: ٤٢] فهذه وغيرها مثل قوله: {إليه يصعد الكلم الطيب} [فاطر: الآية: ١٠] وقوله: {ثم يعرج إليه} [السجدة: الآية: ٥] ، فهذا مقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء، منزه عن الدخول في خلقه لا يخفي عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده لأنه قال: {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض} [الملك: الآية: ١٦]، يعني فوق العرش، والعرش على السماء لأن من كان فوق شيء على السماء فهو في السماء، وقد قال مثل ذلك {فسيحوا في الأرض} [التوبة: الآية: ٢] ، يعني على الأرض، لايريد الدخول في جوفها ... ". [٩٠٢] ويستمر في عرض الأدلة، ويناقش أدلة الحلولية في مسألة المعية وأن آية {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا

---

٨٩٩ فهم القرآن (ص: ٣٣٢).

٩٠٠ فهم القرآن (ص: ٣٣٨).

٩٠١ انظر: فهم القرآن (ص: ٣٠٦-٣٤٩).

٩٠٢ انظر: فهم القرآن (ص: ٣٤٩-٣٥٠) .

خمسة إلا هو سادسهم} [المجادلة: الآية: ٧] مبدوءة بالعلم ومختومة به، ويناقش ذلك بشكل موسع وقوي. (٩٠٣)

٣-كما يذكر أن القرآن غير مخلوق ويرد على المعتزلة الذين يسميهم الضلال، ويذكر أدلتهم ويناقشها بالتفصيل. (٩٠٤)

٤- كما يذكر مسألة الوعد والوعيد ويرد على المعتزلة ويذكر مذهب أهل السنة في ذلك ويورد أقوالهم وأقوال الخوارج في مذهبهم في مرتكب الكبيرة،(٩٠٥) ويناقش على ضوء ذلك مسألة الشفاعة وكيف أنكرها المعتزلة لقولهم بالوعيد على أهل الكبائر. (٩٠٦)

٥- مذهبه في الصفات الاختيارية:

يوافق المحاسبي ابن كلاب في نفي هذه الصفات، بناء على نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى،ونصوص المحاسبي في ذلك واضحة جدا:

أ- يقول عن القرآن وعظمته:"ومن عقل عن الله جل ذكره ما قال فقد استغني به عن كل شيء، وعز به من كل ذل، لا تتغير حلاوته، ولا تخلق جدته في قلوب المؤمنين به على كثرة الترداد والتكرار لتلاوته، لأن قائله دائم لا يتغير، ولا ينقص، ولا يحدث به الحوادث، (٩٠٧) وهذا منطلق الكلابية في نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته.

---

٩٠٣ انظر: فهم القرآن (ص: ٣٥٢-٣٥٦).

٩٠٤ انظر: فهم القرآن (ص: ٣٦٣) وما بعدها.

٩٠٥ انظر: فهم القرآن (ص: ٣٧٠) وما بعدها.

٩٠٦ انظر: فهم القرآن (ص: ٣٩٠) وما بعدها .

٩٠٧ انظر: فهم القرآن (ص: ٣٠٧) وما بعدها .

ب- ويقول في مسألة علم الله:"والله جل ذكره لا تحدث فيه الحوادث، لأنا لم نجهل موت من مات أنه سيكون، وكذلك علمنا أن النهار سيكون صبيحة ليلتنا، ثم يكون فنعلم أنه قد كان من غير جهل منا تقدم أنه سيكون، فكيف بالقديم الأزلي الذي لا يكون موت ولا نهار ولا شيء من الأشياء إلا وهو يخلقه ونحن لا نخلق شيئا، وكذلك قوله: {لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين} [الفتح: ٢٧] وقوله: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنامترفيها} [الإسراء: الآية: ١٦] وقوله: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} [النحل: الآية: ٤٠]، ليس ذلك ببدء منه لحدوث إرادة حدثت له ولا أن يستأنف مشيئة لم تكن له، وذلك فعل الجاهل بالعواقب الذى يريد الشيء وهو لايعلم العواقب، فلم يزل تعالى يريد ما يعلم أنه يكون، لم يستحدث إرادة لم تكن، لأن الارادات إنما تحدث على قدر مالم يعلم المريد، فأما من لم يزل ما يكون ومالا يكون من خير وشر فقد أراد على علم لا يحدث له بداء إذا كان لا يحدث فيه علم به "(٢) ، [٩٠٨] والمحاسبي يقرر مسألة أزلية صفات الله تعالى لينفي ما يتعلق بمشيئة الله تعالى من صفات الأفعال، ولذلك يقول معلقا على الآية: {إذا اردناه أن نقول له كن فيكون} [النحل: الآية: ٤٠] ،وقوله: {وإذا أدرنا أن نهلك قرية..} [الإسراء: الآية: ١٦] : "فإنه لم يزل يريد، قبل أن يحدث الشيء أن يحدثه في وقت إحداثه، فلم يزل يريد احداثه في الوقت المؤخر، فإذا جاء الوقت فهو أيضا يريد أن يحدثه فيه، فبإرادته أحدثه في ذلك الوقت الذى فيه أحدثه، فإرادة الله جل وعز دائمة لأنه مريد قبل الوقت الذى يحدث فيه المخلوقات، وفي الوقت الذى أحدثه فيه ... "، [٩٠٩] ولا يحتاج هذا الى تعليق سوى التناقض الذى يفيده

٩٠٨ فهم القرآن (ص:٣٤٠-٣٤١).

٩٠٩ فهم القرآن (ص: ٣٤٢-٣٤٣).

قوله " فإذا جاء الوقت فهو أيضا يريد أن يحدثه فيه" لأن هذه الإرادة إن كانت هي الإرادة الأزلية فلا فائدة من قوله هذا، وإن كانت إرادة حادثة نقض قوله.

ج- ومما يدل على كلابيته ونفيه الصفات الاختيارية أن تقوم بالله قوله في صفتي السمع والبصر:" وكذلك قوله عز وجل: {إنا معكم مستمعون} [الشعراء: الآية:١٥] ليس معناه احداث سمع، ولا تكلف لسمع مايكون من المتكلم في وقت كلامه، وانما معنى (انا معكم مستمعون) ،{فسيرى الله عملكم} [التوبة:٩٤] أي المسموع والمبصر لن يخفي على سمعي ولا على بصرى أن أدركه سمعا وبصرا لا بالحوادث في الله جل وعز وتعالى عن ذلك، وكذلك قوله: {اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله} [التوبة: الآية:١٠٥] لا يستحدث بصرا ولحظا محدثا في ذاته تعالى عن ذلك، [٩١٠] ثم يرد المحاسبي على من خالفه في هذا ممن يثبت لله الصفات الاختيارية فيقول: "وقد ذهب قوم [٩١١] أن لله جل وعز اسماعا حادثا في ذاته، فذهب الى ما يعقل من الخلق أنه يحدث فيهم علة لسمع ما يكون من قول عند سمعه للقول، لأن المخلوق اذا سمع الشيء حدث له عنه فهم عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك ذهب الى أن رؤية تحدث له، قال أبو عبد الله: وهذا خطأ، وانما معنى (سيرى) و (إنا معكم مستمعون) أن المسموع والمبصر لم يخف على عيني ولا على سمعي أن أدركه سمعا وبصرا لا بالحوادث في الله جل وعز، ومن ذهب الى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع، وإبصار مع حدوث المبصر فقد أدعى على الله عز وجل مالم يقل ولإنما على العباد التسليم كما قال، وانه عالم سميع بصير ولا يريد مالم يكن، وإنما معني (حتى يعلم) حتى يكون المعلوم، وكذلك حتى يكون المبصر والمسموع، ولا يخفى على الله عز وجل أن يعلمه موجودا ويراه موجودا

[٩١٠] فهم القرآن (ص: ٣٤٤-٣٤٥).

[٩١١] يقصد الكرامية.

ويسمعه موجودا بغير حدوث علم في الله جل وعز، ولا سمع ولا بصر، ولا يعني حدوثا في ذات الله، جل الله عن الحوادث في نفسه وتعالى عن البداوات في علمه وإرادته علوا كبيرا". [٩١٢]

ثم يذكر نصوص العلو والاستواء وأن ذلك لا يدل على حلول الحوادث. [٩١٣]

وهذه النصوص- وهي من المصادر القليلة التي بقيت من كتب الكلابية-تبين إلى أي حد كان رسوخ هذه المسألة عندهم، حتى إن المحاسبي يجزم ويقطع بما يراه ويخطئ من خالفه وكأنها من مسائل أصول أهل السنة المسلمة. وهذا يفسر موقف أهل السنة الصلب من الكلابية وخاصة موقف الامام أحمد -رحمه الله- من الحارث المحاسبي.

- هل رجع الحارث عن قوله؟:

ينسب الكلاباذي إلى الحارث المحاسبي قولًا في القرآن يخالف قول ابن كلاب، فابن كلاب- كما سبق- يقول: إن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، أما الحارث فقد نسب اليه الكلاباذي أنه يقول:"وقالت طائفة منهم: كلام الله حروف وصوت، وزعموا أنه لايعرف كلامه الا كذلك مع إقرارهم أنه صفة الله تعالى، في ذاته غير مخلوق، وهذا قول الحارث المحاسبي"، [٩١٤] فهذا

٩١٢ فهم القرآن (ص: ٣٤٥-٣٤٦) .

٩١٣ فهم القرآن (ص: ٣٤٦-٣٤٩).

٩١٤ التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٤٠).

القول قد يدعم ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن معمر ابن زياد أن الحارث رجع عن أقواله. (٩١٥). (٩١٦).

أبو العباس القلانسي

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خال القلانسي الرازي.

يرتبط اسم القلانسي بابن كلاب كثيرا، وكان مقيمًا بالري، من المدن الكبرى المشهورة قرب خراسان، مقالته كانت منتشرة وأقواله معروفة، وكان يقول بقول الكلابية. (٩١٧)

ومع اشتهاره إلا أن كتب التراجم لم تعن بترجمته كما فعلت مع ابن كلاب والمحاسبي، ولذلك فتاريخ ولادة القلانسي ووفاته غير معروفين سوي أنه كان معاصرا لأبي الحسن الأشعري، والذي ذكر ابن عساكر عنه أنه "من معاصري أبي الحسن-رحمه الله- لا من تلامذته كما قال الأهوازي، وهو من جملة العلماء الكبار الأثبات، واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات". (٩١٨)

أما البغدادي فقد وصفه بأنه " إمام أهل السنة ... الذي زادت تصانيفه في الكلام على مئة وخمسين كتابا"، (٩١٩) وقد أشار البغدادي كثيرًا إلى أقواله في ثنايا كتابه "أصول الدين".

---

٩١٥ انظر: درء التعارض (٧/١٤٨-١٤٩) ، وقد ذكر شيخ الإسلام أن معمر بن زياد ذكر رجوع المحاسبي في ماكتبه عن أخبار شيوخ أهل المعرفة والتصوف، وذكر الدكتور محمد رشاد سالم -رحمه الله- أن لمعمر هذا نسخة خطية في دار الكتب المصرية بعنوان " شواهد التصوف" ورقمها ٦٦ م مجاميع. .

٩١٦ المصدر: كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤٥٢-٤٦٦).

٩١٧ الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٢٦٩).

٩١٨ تبيين كذب المفتري (ص: ٣٩٨).

٩١٩ أصول الدين. للبغدادي (ص: ٣١٠).

ومن أبرز أقواله:

١- أنه يقول بتقديم العلوم النظرية على الحسية خلافا للأشعري. [٩٢٠]

٢-كما أجاز وجود الكلام لما ليس بحي خلافا للاشعرية الذين جعلوا الحياة شرطا في وجود الكلام. [٩٢١]

٣- وافق ابن كلاب أن الله قديم بقدم بمعنى هو قائم به، خلافا للأشعري

الذى يقول: انه قديم لذاته. [٩٢٢]

٤- وفي صفة اليدين قال القلانسي أن التثنية ترجع الى اللفظ لا الى الصفة [٩٢٣] ويفسر البغدادي ذلك حين يقول:"وزعم بعض أصحابنا أن اليدين صفتان لله سبحانه وتعالى، وقال القلانسي هما صفة واحدة". [٩٢٤]

٥- وقال في الاستواء على العرش أن معناه:"كونه فوق العرش بلا مماسة". [٩٢٥]

٦- أنه يقول: " بوجوب المعارف العقلية على العاقل من جهة العقل". [٩٢٦]

---

٩٢٠ انظر: أصول الدين للبغدادي (ص:١٠) .

٩٢١ انظر: أصول الدين للبغدادي (ص: ٢٩).

٩٢٢ انظر: أصول الدين للبغدادي (ص:٨٩).

٩٢٣ انظر: نقض التأسيس المطبوع (١/٨٠).

٩٢٤ أصول الدين (ص:١١١) وانظر: المجرد لابن فورك (ص: ٣٢٦).

٩٢٥ انظر: أصول الدين للبغدادي (ص:١١٣).

٩٢٦ انظر: أصول الدين للبغدادي (ص:٢٥٦).

٧- كما توقف في التفضيل بين على وعثمان. [٩٢٧]

هذه أهم أقوال القلانسي، ويجعل شيخ الإسلام القلانسي من العراقيين الذين هم أكثر إثباتا من أهل خراسان وإن كان الجميع كلابية فيقول:"كما أن العراقيين المنتسبين الى أهل الإثبات من أتباع ابن كلاب كأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري، وأبي الحسن على بن مهدي الطبري، والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني وأمثالهم أقرب الى السنة وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله، من أهل خراسان المائلين الى طريقة ابن كلاب". [٩٢٨]. [٩٢٩]

وقد تلاشت الكلابية كفرقة، لكن أفكارها حملت بواسطة الأشاعرة، فقد احتفظ الأشعري وقدماء أصحابه بأفكار الكلابية ونشروها، وبذلك اندرست المدرسة الكلابية الأقدم تاريخًا والأسبق ظهورًا في الأشعرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والكلابية هم مشايخ الأشعرية، فإن أبا الحسن الأشعري إنما اقتدى بطريقة أبي محمد بن كلاب، وابن كلاب كان أقرب إلى السلف زمنا وطريقة. وقد جمع أبو بكر بن فورك (ت٤٠٦هـ) كلام ابن كلاب والأشعري وبين اتفاقهما في الأصول". [٩٣٠]

فابن كلاب هو إمام الأشعرية الأول، وكان أكثر مخالفة للجهمية، وأقرب إلى السلف من الأشعري.[٩٣١]

ولكن هذا النهج الكلابي ابتعد شيئًا فشيئًا عن منهج السلف، وأصبح يقرب أكثر فأكثر إلى نهج المعتزلة وذلك على يد وارثيه من الأشاعرة.

---

٩٢٧ انظر: أصول الدين للبغدادي (ص:٢٩٣، ٣٠٤).

٩٢٨ انظر: درء التعارض (١/٢٧٠).

٩٢٩ المصدر: كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤٦٦-٤٦٩).

٩٣٠ الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٠٥).

٩٣١ مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٢، ٢٠٣).

فابن كلاب كما أسلفنا كان أقرب إلى السلف من أبي الحسن الأشعري، وأبو الحسن الأشعري أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني، والقاضي أبو بكر وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي الجويني وأتباعه.[٩٣٢]

ونفاة الصفات الاختيارية يثبتون الصفات التي يسمونها عقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. واختلفوا في صفة البقاء.

ويثبتون في الجملة الصفات الخبرية كالوجه، واليدين، والعين ولكن إثباتهم لها مقتصر على بعض الصفات القرآنية، على أن بعضهم إثباته لها من باب التفويض.

وأما الصفات الخبرية الواردة في السنة كاليمين، والقبضة، والقدم، والأصابع فأغلب هؤلاء يتأولها [٩٣٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة، وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد كلاب وأبي الحسن الأشعري، وأئمة أصحابه: كأبي عبد الله بن مجاهد وأبي الحسن الباهلي، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني، وأبي إسحاق الإسفرائيني، وأبي بكر بن فورك، وأبي محمد بن اللبان، وأبي علي بن شاذان، وأبي القاسم القشيري، وأبي بكر البيهقي، وغير هؤلاء. فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى. وعماد المذهب عندهم: إثبات كل صفة في القرآن.

وأما الصفات التي في الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها". [٩٣٤]

٢- الأشاعرة:

يعد أبو الحسن الأشعري امتدادا للمذهب الكلابي فأبو الحسن الأشعري الذي عاش في الفترة ما بين (٢٦٠هـ- ٣٢٤هـ) كان معتزليا إلى سن الأربعين، حيث عاش في بيت أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في البصرة، ثم رجع عن مذهب المعتزلة وسلك طريقة ابن كلاب وتأثر بها مدة

---

[٩٣٢] مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٣).

[٩٣٣]() -مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٠٣٦،١٠٣٤.

[٩٣٤] مجموع الفتاوى ١٤٨/٤،١٤٧.

طويلة، ولعل السبب في ذلك أنه وجد في كتب ابن كلاب وكلامه بغيته من الرد على المعتزلة وإظهار فضائحهم وهتك أستارهم، وكان ابن كلاب قد صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم. ولكن فات الأشعري أن ابن كلاب وإن رد على المعتزلة وكشف باطلهم وأثبت لله تعالى الصفات اللازمة لكنه وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالى وقدرته فنفى كمالا المعتزلة أن الله يتكلم بمضيئته وقدرته. كما نفى أيضا الصفات الاختيارية مثل الرضى، والغضب، والبغض، والسخط وغيرها.

وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطا يؤلف ويناظر ويلقي الدروس في الرد على المعتزلة سالكا هذه الطريقة.

ثم التقى بزكريا بن يحي الساجي فأخذ عنه ما أخذ من أصول أهل السنة والحديث، [٩٣٥] وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها [٩٣٦] ثم لما قدم بغداد أخذ من حنبلية بغداد أمورا أخرى وذلك بآخر أمره.

ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك. [٩٣٧]

---

٩٣٥ مجموع الفتاوى (٥/ ٣٨٦) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧ ٠ ٩).

٩٣٦ العلو (ص: ١٥٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٩٠٧).

٩٣٧ مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٤).

وقال عنه السجزي: " رجع في الفروع وثبت في الأصول"١ [٩٣٨] أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات، مثل دليل الأعراض وغيره٢ [٩٣٩]

وقال ابن تيمية: "أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، وأبو الحسن الأشعري كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة. ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولا فاسدة صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقا ". [٩٤٠]

وقال أيضا: "والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهم والاعتزال، مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام، وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشأها ويختارها، وأمثال ذلك". [٩٤١]

أطوار الأشعرية:

وقد مرت الأشعرية بأطوار ومراحل كان أولها زيادة المادة الكلامية ثم الجنوح الكبير للمادة الاعتزالية، ثم خلط هذه العقيدة بالمادة الفلسفية. " فالأشعرية المتأخرة مالوا إلى نوع من التجهم بل الفلسفة وفارقوا قول الأشعري وأئمة الصحابة"٥ [٩٤٢]

---

[٩٣٨] الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ١٦٨).

[٩٣٩] موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٣٦٧).

[٩٤٠] الاستقامة (١/ ٢١٢).

[٩٤١] درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٩٧) .

[٩٤٢] درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٩٧) .

فقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية بالجملة، كأبي الحسن الأشعري وأبي عبد الله بن مجاهد وأبي الحسن الباهلي والقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي إسحاق الاسفرائيني، وأبي بكر بن فورك، وأبي محمد بن اللبان، وأبي علي بن شاذان، وأبي القاسم القشيري، وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء. [٩٤٣]

لكن المتأخرين من أتباع أبي الحسن الأشعري كأبي المعالي الجويني وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدي وغيرهما.

وابن الباقلاني أكثر إثباتا بعد الأشعري، وبعد ابن الباقلاني ابن فورك، فإنه أثبت بعض ما في القرآن.

ونفاة الصفات الخبرية منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوض معناها إلى الله تعالى.

وأما من أثبتها كالأشعري وأئمة أصحابه. فهؤلاء يقولون تأويلها بما يقتضي نفيها تأويل باطل، فلا يكتفون بالتفويض بل يطلون تأويلات النفاة.[٩٤٤] وهذا الاضطراب في العقيدة الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين سببه ما أسلفنا من ميل الأشاعرة بأشعريتهم إلى الاعتزال أكثر فأكثر بل إنهم خلطوا معها الفلسفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالأشعرية وافق بعضهم المعتزلة في الصفات الخبرية، وجمهورهم وافقهم في الصفات الحديثية، وأما الصفات القرآنية فلهم قولان:

فالأشعري والباقلاني وقدماؤهم يثبتونها، وبعضها يقر ببعضها، وفيهم تجهم من جهة أخرى.

---

٩٤٣ مجموع الفتاوى (٤ ١ ٤٧ ١، ٤٨ ١).

٩٤٤ منهاج السنة (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

فإن الأشعري شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم.

ومتأخرو الأشاعرة يثبتون الذات ولكن لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها.

فالأشعرية المتأخرة مالوا إلى نوع التجهم بل الفلسفة وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه.[٩٤٥]

فقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية بالجملة، كأبي الحسن الأشعري وأبي عبد الله بن مجاهد، وأبي الحسن الباهلي والقاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي إسحاق الإسفرائيني، وأبي بكر بن فورك، وأبي محمد بن اللبان، وأبي علي بن شاذان، وأبي القاسم القشيري، وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء.[٩٤٦]

لكن المتأخرين من أتباع أبي الحسن الأشعري كأبي المعالي الجويني وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدي وغيرهما.

ونفاة الصفات الخبرية منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوض معناها إلى الله تعالى.

وأما من أثبتها كالأشعري وأئمة أصحابه. فهؤلاء يقولون: تأويلها بما يقتضي نفيها تأويل باطل، فلا يكتفون بالتفويض بل يبطلون تأويلات النفاة .[٩٤٧]

وهذا الاضطراب في العقيدة الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين سببه ما أسلفنا من ميل الأشاعرة بأشعريتهم إلى الاعتزال أكثر فأكثر بل إنهم خلطوا معها الفلسفة.

قول الأشعرية في الصفات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالأشعرية وافق بعضهم المعتزلة في الصفات الخبرية، وجمهورهم وافقهم في الصفات الحديثية، وأما الصفات القرآنية فلهم قولان:

فالأشعري والباقلاني وقدماؤهم يثبتونها، وبعضهم يقر ببعضها؛ وفيهم تجهم من جهة أخرى.

---

[٩٤٥] درء تعارض العقل والنقل (٩٧/٧).

[٩٤٦] مجموع الفتاوى (١٤٧/٤، ١٤٨).

[٩٤٧] منهاج السنة (٢٢٣/٢، ٢٢٤).

فإن الأشعري شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم.

وابن الباقلاني أكثر إثباتاً بعد الأشعري، وبعد ابن الباقلاني ابن فورك، فإنه أثبت بعض ما في القرآن.

وأما الجويني ومن سلك طريقته فمالوا إلى مذهب المعتزلة فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم، قليل المعرفة بالآثار، فأثر فيه مجموع الأمرين.[٩٤٨]

فما إن جاء أبوبكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، فتصدى للإمامة في تلك الطريقة وهذبها ووضع لها المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة، وجعل هذه القواعد تبعًا للعقائد الإيمانية من حيث وجوب الإيمان بها[٩٤٩] وأسهم إلى حد كبير في تنظير المذهب الأشعري الكلامي وتنظيمه مما أدى إلى تشابه منهجي بين المذهب الأشعري والمذهب المعتزلي فقد كان الأشعري يجعل النص هو الأساس والعقل عنده تابع، أما الباقلاني فالعقيدة كلها بجميع مسائلها تدخل في نطاق العقل[٩٥٠]، ويعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري.[٩٥١]

ثم جاء بعده إمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ) فاستخدم الأقيسة المنطقية في تأييد هذه العقيدة، وخالف الباقلاني في كثير من القواعد التي وضعها. وإن كان الجويني قد استفاد أكثر مادته الكلامية من كلام الباقلاني، لكنه مزج أشعريته بشيء من الاعتزال استمده من كلام أبي هاشم الجبائي المعتزلي على مختارات له، وبذلك خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة.

وأما كلام أبي الحسن الأشعري فلم يكن يستمد منه، وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس[٩٥٢] وعلى طريقة الجويني اعتمد المتأخرون من الأشاعرة، كالغزالي (ت٥٠٥هـ) وابن الخطيب الرازي

---

٩٤٨ منهاج السنة (٢/٢٢٣، ٢٢٤).

٩٤٩ مقدمة ابن خلدون (ص: ٤٦٥).

٩٥٠ مقدمة التمهيد للباقلاني (ص١٥)، بتحقيق الخضيري وأبو ريدة.

٩٥١ نشأة الأشعرية وتطورها (ص٣٢٠).

٩٥٢ بغية المرتاد (ص٤٤٨، ٤٥١)، بتصرف.

(ت: ٦٠٦هـ) وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني مادة فلسفية، وبذلك ازدادت الأشعرية بعدًا وانحرافًا.

فالغزالي مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني في "الإرشاد" و"الشامل" ونحوهما مضمومًا إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني. ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، ولهذا يقال: أبو حامد أمرضه "الشفا"، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك. [٩٥٣]

قال شيخ الإسلام رحمه الله – في موضع آخر: "وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه، وقالوا: مرضه الشفاء؛ يعني شفاء ابن سينا في الفلسفة". [٩٥٤]

وأما الرازي فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، فإن الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي، وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري (ت٤٣٦هـ)، وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، ونحوهما.[٩٥٥]

ولهذا يوجد في كلام الرازي والغزالي ونحوهما من الفلسفة مالا يوجد في كلام أبي المعالي الجويني وذويه، ويوجد في كلام الرازي والغزالي والجويني من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه، ويوجد في كلام أبي الحسن الأشعري من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذي أخذ أبو الحسن طريقته".[٩٥٦]

ويستشف من هذه النقول أن الأشعرية المتأخرة مرت بثلاثة أطوار:

الطور الأول: طور أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، فتصدى للإمامة في تلك الطريقة وهذبها ووضع لها المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة، وجعل هذه القواعد تبعًا للعقائد الإيمانية

---

٩٥٣ بغية المرتاد (ص: ٤٤٩)، بتصرف.

٩٥٤ مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥١).

٩٥٥ بغية المرتاد (ص: ٤٤٨)، بتصرف.

٩٥٦ بغية المرتاد (ص: ٤٥١)، بتصرف.

من حيث وجوب الإيمان بها[٩٥٧] وأسهم إلى حد كبير في تنظير المذهب الأشعري الكلامي وتنظيمه مما أدى إلى تشابه منهجي بين المذهب الأشعري والمذهب المعتزلي.

الطور الثاني: طور إمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ) فاستخدم الأقيسة المنطقية في تأييد هذه العقيدة، وخالف الباقلاني في كثير من القواعد التي وضعها. وإن كان الجويني قد استفاد أكثر مادته الكلامية من كلام الباقلاني، لكنه مزج أشعريته بشيء من الاعتزال استمده من كلام أبي هاشم الجبائي المعتزلي على مختارات له، وبذلك خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة.

الطور الثالث: طور الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) وابن الخطيب الرازي (ت: ٦٠٦هـ) وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني مادة فلسفية، وبذلك ازدادت الأشعرية بعدًا وانحرافًا.

أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ)

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، ولد بمدينة طوس (سنة: ٤٥٠ هـ).

توفي والده وهو صغير، وكان قد أوصى إلى صديق له صوفي بكفالة ولده محمد وأخيه أحمد، وأن يعنى بتعليمهما، وبقيا تحت رعاية هذا الرجل – وكان فقيرا– حتى نفد المال الذي تركه والدهما، فطلب منهما أن يذهبا إلى إحدى دور العلم، فبدأ الغزالي بالدراسة على الفقيه علي بن أحمد الراذكاني بطوس، وكان ذلك سنة ٤٦٥هـ ثم رحل إلى جرجان حيث طلب العلم على الشيخ الإسماعيلي – إسماعيل بن مسعدة –، فلما كان عام (٤٧٣ هـ)، اتجه أبو حامد إلى نيسابور يطلب العلم على أبي المعالي الجويني–رئيس المدرسة النظامية فيها–وأصبح أشهر تلاميذه وأكثرهم نبوغا، ولما توفي الجويني (سنة: ٤٧٨ هـ)، رحل إلى عسكر نيسابور واتصل بنظام الملك هناك وناظر العلماء وبهرهم واعترفوا بمكانته، فولاه نظام الملك التدريس في نظامية بغداد، فقدم الغزالي بغداد (سنة: ٤٨٤ هـ) وصار يدرس فيها الفقه والأصول وعلم الكلام،

[٩٥٧] مقدمة ابن خلدون (ص: ٤٦٥).

فتكونت له بذلك شهرة عالية وجاه عريض ومنزلة رفيعة، وفي أثناء ذلك أخذ يعيش صراعا باطنيا بينه وبين نفسه مما أدى إلى عزوفه عما هو في وميله إلى العزلة والتصوف، فرحل سنة ٤٨٨هـ عن بغداد – وترك أخاه أحمد يتولى التدريس مكانه – وتوجه إلى الشام فنزل دمشق، ثم ذهب إلى بيت المقدس، واستمرت عزلته هناك قرابة عشر سنين، حيث رجع إلى بغداد وأقام زمنا يسيرا ثم ارتحل سنة ٤٩٩هـ إلى نيسابور – بأمر من بعض سلاطينها – ليتولى الإمامة والتدريس في نظاميتها، ثم لم يلبث زمنا قصيرا حتى رجع إلى بلده طوس حيث بنى بجوار بيته مدرسة وخانقاه للصوفية، وأقبل على علوم الآخرة والحديث حتى توفي (سنة: ٥٠٥ هـ)". (٩٥٨)

والغزالي مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني في "الإرشاد" و"الشامل" ونحوهما مضمومًا إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني.

ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، ولهذا يقال: أبو حامد أمرضه "الشفا"، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك.

ذكر بعض العلماء أنَّ الإمام الغزالي أثناء اطلاعه على آراء الفلاسفة، تأثّر بهم وتبنَّى بعض مقالاتهم، ومن ذلك:

قال المازري (ت: ٥٣٦ هـ): "عرّفني بعض أصحابه أنّه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا، وهي إحدى وخمسون رسالة، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والعقل، فمزج ما بين العلمين، وذكر الفلسفة وحسَّنها في قلوب أهل الشرع بأبيات يتلوها عندها

---

٩٥٨ ذكر الغزالي جوانب مهمة من حياته في كتابه " المنقذ من الضلال " وهو من أهم المصادر ترجمته، انظره: (ص: ٧٧) وما بعدها – ت تحقيق صليبا عياد– وانظر: تبيين كذب المفتري (ص: ٢٩١) ، المنتظم (٩/ ١٦٨) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦) ، المستفاد (ص: ١٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢) ، وطبقات السبكي (٦/ ١٩١) ، والوافي (١/ ٢٧٤) ، واتحاف السادة المتقين (١/ ٦) ، والتاج المكلل (ص: ٣٨٨) ، والطبقات العلية في مناقب الشافعية للواسطي [ترجمة الغزالي] طبعت ضمن كتاب الأعسم الفيلسوف الغزالي (ص: ١٥٣–١٩٤) وغيرها، أما الكتب المعاصرة فكثيرة جدا.

وأحاديث يذكرها، ثُمَّ كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تآليف في علم الفلسفة وهو فيها إمام كبير، وقد أدته قوته في الفلسفة إلى أن حاول رد أصول العقائد إلى علم الفلسفة وتلطف جهده حتى تمَّ له ما لم يتم لغيره، وقد رأيت جملاً من دواوينه، ورأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر ما يشير عليه من الفلسفة". [٩٥٩]

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) : "التصوف المخلوط بالفلسفة، كما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه، مما هو مأخوذ من رسائل إخوان الصفا وأمثالهم ممَّن يريد أن يجمع بين ما جاءت به الكتب الإلهية والرسل المبلغون عن الله عزَّ وجلَّ، وما تقوله الصابئة المتفلسفون في العلم الإلهي". [٩٦٠]

قال أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ) : "شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيَّأهم بأهم، فما استطاع . [٩٦١]

وقال ابن تيمية: "وأبو حامد بين علماء المسلمين، وبين علماء الفلاسفة. علماء المسلمين يذمونه على ما شارك فيه الفلاسفة مما يخالف دين الإسلام. والفلاسفة يعيبونه على ما بقي معه من الإسلام، وعلى كونه لم ينسلخ منه بالكلية إلى قول الفلاسفة، ولهذا كان الحفيد ابن رشد ينشد فيه:

يوما يمان إذا ما جئت ذا يمن ... وإن لقيت معديا فعدناني". [٩٦٢]

وقال محمد بن الوليد الطرطوشي المالكي (ت: ٥٢٠هـ): "أما ما ذكرت من أبي حامد، فقد رأيته، وكلمته، فرأيته جليلًا من أهل العلم، واجتمع فيه العقل والفهم، ومارس العلوم طول عمره، وكان على ذلك معظم زمانه، ثُم بدا له عن طريق العلماء، ودخل في غمار العُمَّال، ثم

---

٩٥٩ طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ٢٤١).

٩٦٠ جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١٦٨).

٩٦١ سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٧).

٩٦٢ النبوات لابن تيمية (١/ ٣٩١).

تصوف، وهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين". [٩٦٣]

وقال الذهبي: "أبو حامد الغزالي: رجلٌ أتلفته الفلسفة، دخلها فأفسدت مؤلفاته، حتى قال تلميذه أبو بكر ابن العربي: «شيخنا أبو حامد بلع الفلسفة، وأراد أن يتقيأها فما استطاع». حتى إنه كان مفتوناً بعلم المنطق، ومما قال: «هو مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط به، فلا ثقة له بمعلوم أصلاً».

فأنكر عليه أبو عمرو بن الصلاح، وقال كلمة لطيفة جدًا من أجلها نقلت الفائدة، فقال: "فهذا مردود، إذ "كلّ صحيح الذهنِ منطقيٌ بالطبع"، وكم من إمام ما رفع بالمنطق رأساً". [٩٦٤]

قال ابن تيمية: "ولهذا صنف الكتب المضنون بها على غير أهلها، وهي فلسفة محضة، سلك فيها مسلك ابن سينا. ولهذا يجعل اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية إلى أمور أخرى قد بسطت في غير هذا الموضع". [٩٦٥]

وعن تقلباته العقدية يقول د محمد رشاد سالم بعد ذكر عقائد الغزالي الثلاث: "هذا هو السبب الذي جعل الغزالي يكتب كتبا للعامة، وكتبا أخرى للخواص، سماها أحيانا بالكتب المضنون بها على غير أهلها. وقد اختلف الباحثون في تعيين هذه الكتب الخاصة (أو المضنون بها على غير أهلها)، ولكنهم اتفقوا على أنه ألف كتبا من هذا النوع أودعها أفكارا لم يتمكن من التصريح بها لعامة الناس إشفاقا عليهم من الضلال. ولعل هذا التصريح في عناوين كتبه ورسائله مثل الاقتصاد في الاعتقاد، وإلجام العوام عن علم الكلام، والمضنون به على غير أهله". [٩٦٦]

ابن الخطيب الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)

---

[٩٦٣] سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٣٣٩) طبقات الشافعية (٦/ ٢٤٣).

[٩٦٤] سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٣٣٩).

[٩٦٥] النبوات لابن تيمية (١/ ٣٩٨).

[٩٦٦] مقارنة بين الغزالي وابن تيمية ص ١٦-١٧. وانظر: الجواب الصحيح (٥/ ٣٩). وشرح الأصفهانية (٢/ ٥٤٧).

هو محمد بن عمر بن الحسن بن علي، فخر الدين أبو عبد الله، القرشي البكري، الطبرستاني، الرازي،[٩٦٧] ولد (سنة: ٥٤٤ هـ)، تتلمذ على والده ضياء الدين المعروف بخطيب الري، ولذلك اشتهر ولده الفخر بابن خطيب الري.

والرازي مادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، فإن الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي، وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري (ت٤٣٦هـ)، وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، ونحوهما.[٩٦٨]

قال عنه ابن جبير في رحلته-كما نقل الصفدي-: "دخلت الري فوجدت ابن خطيبها قد التفت عن السنة وشغلهم بكتب ابن سينا وأرسطو".[٩٦٩]

ومن كتبه الفلسفية الواضحة كالمباحث المشرقية وشرح الإشارات، وشرح عيون الحكمة، وهذه الكتب نهج فيها الرازي نهج الفلاسفة وهو وإن ناقشهم فيها أحيانًا أو جعل فيها قسما للإلهيات فذلك لأن كتب الفلاسفة الإسلام نفسها فيها أشياء من هذا ولم تخرج كتبهم عن أن تكون كتبا فلسفية". [٩٧٠]

أما ما يدل على دخوله في الفلسفة فأمور:

أ - اهتمامه بكتب ابن سينا وغيره، ففي المباحث المشرقية اعتمد كثيرا على أقوال ابن سينا ونقلها، كما أنه شرح الإشارات، واختصرها، وشرح عيون الحكمة - وكلها لابن سينا - وقد

---

٩٦٧ الرازي نسبة إلى الري على غير قياس، انظر: الروض المعطار (ص: ٢٧٩) ، وانظر: قولا آخر في النسبة في حاشية المحصول (٣٢/١) ، والري مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان في منطقة الجبل -شمال إيران وجنوب بحر قزوين - انظر: معجم البلدان (١١٦/٣) ، والروض المعطار (ص: ٢٧٨).

٩٦٨ بغية المرتاد (ص: ٤٤٨)، بتصرف.

٩٦٩ الوافي بالوفيات للصفدي (٢٥١/٤).

٩٧٠ موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٥٧).

سبق نقل كلام الرازي في مدحه وأنه قال عنه أنه أحسن من نقل كتب الأقدمين من الفلاسفة، واهتمام الرازي بهذه الكتب بحد ذاته يدل على إعجابه بها، وهو وإن نقد بعض فصولها إلا أنه في نفس الوقت وافقهم على ما في الفصول الأخرى.

ب – لم يقتصر الأمر على شرح كتب الفلاسفة، بل دافع عنها، حتى أنه لما ورد بخاري وسمع أن أحدا من أهلها أورد إشكالات على إشارات ابن سينا، رد عليه وناقشه في قصة ذكرها القزويني،[٩٧١] كما أنه دافع عن عموم الفلاسفة فقال في إحدى المناسبات: "وإذا أمكن تأويل كلام القوم على الوجه الذي فصلناه فأي حاجة بنا إلى التشنيع عليهم وتقبيح صورة كلامهم". [٩٧٢]

جـ – لما ذكر الأقوال في المعاد وهل يكون للروح أو للجسد والروح ذكر قول القائلين بالمعاد الروحاني والجسماني معا – وقال بعد ذكر عنوان هذا الفصل –: " أعلم أن كثيرا من المحققين قالوا بهذا القول، وذلك لأنهم أرادوا الجمع بين الحكمة والشريعة" ،ثم قال بعد شرح قولهم: " فهذا المعنى لم يقم على امتناعه برهان عقلي، وهو جمع بين الحكمة النبوية والقوانين الفلسفية فوجب المصير إليه". [٩٧٣]، ونصوص المعاد من أوضح ما ورد بيانه في القرآن، ومع ذلك فالرازي يرى وجوب المصير إلى هذا القول لموافقته للقوانين الفلسفية.

د – موافقته لأقوال الفلاسفة في بعض المسائل التي اختصوا بها، وهو وإن رجع عن بعضها إلا أن أقواله وترجيحاته بقيت مدونة في كتبه، ومن أهم الأمثلة على ذلك:

---

٩٧١ انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (ص: ٣٧٨).

٩٧٢ المباحث المشرقية (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

٩٧٣ الأربعين في أصول الدين (ص: ٣٠٠-٣٠١).

١- قوله بالعقول المجردة، وأن لكل ملك نفسا، [٩٧٤] ويرى أن دليل المتكلمين على إبطال ما قاله الفلاسفة من وجود العقول المجردة دليل ضعيف. [٩٧٥]

٢- قوله بالمثل الأفلاطونية في بعض كتبه، فقد أثبتها في الملخص في الحكمة والمنطق، [٩٧٦]وقال في شرح الإشارات: "ما قامت الدلالة القاطعة على فسادها "، [٩٧٧] ولكنه في المباحث المشرقية أبطلها. [٩٧٨] [٩٧٩]

وقد خاض الرازي في هذه الأمور واجتهد في عرض مذاهبهم وأقوالهم وحججهم بأسلوبه، كما فعل الغزالي في مقاصد الفلاسفة، وكانت للرازي في أثناء عرضه لهذه الأمور ترجيحات وافق في بعضها مذهب الفلاسفة، ولم يكن في وقت من الأوقات فلسفيًا خالصًا". [٩٨٠]

وقد انتقده في ذلك بعض متأخري الأشعرية حتى قال السنوسي في شرح السنوسية الكبرى عنه "وقد يحتمل أن يكون سبب دعائه بهذا ما علم من حاله من الولوع بحفظ آراء الفلاسفة وأصحاب الأهواء وتكثير الشبه لهم، وتقوية إيرادها، ومع ضعفه عن تحقيق الجواب عن كثير منها على ما يظهر من تآليفه، ولقد استرقوه في بعض العقائد فخرج إلى قريب من شنيع أهوائهم، ولهذا يحذر الشيوخ من النظر في كثير من تآليفه". [٩٨١]

---

٩٧٤ شرح الإشارات (٢/ ١٢٩) ، والمباحث المشرقية (٢/ ٣٧٧،٣٧٩،٤٣٧).

٩٧٥ الأربعين (ص: ٦).

٩٧٦ انظر: فخر الدين الرازي للزركان (ص: ٥٠٦) -نقل عن مخطوطة الملخص -.

٩٧٧ شرح الإشارات (١/١٣٣).

٩٧٨ انظر: المباحث المشرقية (١/١١٠).

٩٧٩ المصدر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٦٤-٦٦٥).

٩٨٠ موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٦٠).

٩٨١ شرح السنوسية الكبرى (ص: ٤١).

وقال أيضا في شرحه لعقيدته الأخرى "أم البراهين": " وليحذر المبتدي جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة وأولع مؤلفوها بنقل هوسهم وما هو كفر صراح من عقائدهم التي ستروا نجاستها بما ينبههم على كثير من اصطلاحاتهم وعباراتهم التي أكثرها أسماء بلا مسميات، وذلك ككتب الإمام الفخر في علم الكلام، وطوالع البيضاوي ومن حذا حذوهما في ذلك، وقل أن يفلح من أولع بصحبة الفلاسفة". [٩٨٢]

أبو الحسن الآمدي (ت: ٦٣١ هـ).

هو: أبو الحسن علي بن أبي محمد بن سالم، سيف الدين الآمدي، ولد سنة ٥٥١هـ في آمد من ديار بكر، انتقل وهو شاب إلى بغداد فدرس بها، ثم تعرض لاتهام الفقهاء له بسبب ميله إلى العلوم العقلية فانتقل (سنة ٥٩٢ هـ) إلى مصر وبقي فيها مدرسا في بعض مدارسها وقد تعرض فيها أيضا إلى محنة أخرى حيث نسب إليه فساد العقيدة لغلوه في الفلسفة، ثم انتقل إلى حماة ودمشق حيث تولى مرتبة الأستاذية في المدرسة العزيزية ثم عزل عنها، ومات سنة ٦٣١هـ، من مؤلفاته الأحكام في أصول الأحكام، ومنتهى السول، مطبوعان، وله أيضا الإبكار، والغاية، ودقائق الحقائق وغيرها.[٩٨٣]

ومنهج الآمدي يقرب من منهج الرازي في بعض الأمور ومنها:

١-خلطه علم الكلام بالفلسفة، وهو يعنى كثيرا بالمصطلحات وبيانها.

٢-ميله إلى التصوف الفلسفي، حتى أنه قال في الأبكار في معرض بيانه أن المعرفة قد تحصل بعدة أمور فذكر منها " طريق السلوك والرياضة، وتصفية النفس وتكميل جوهرها حتى تصير متصلة بالعوالم العلوية، عالمة بها مطلعة على ما ظهر وبطن من غير احتياج إلى دليل ولا تعلم ولا تعليم ". [٩٨٤]

)أما ما خالف فيه الآمدي الرازي فأمور:

٩٨٢ شرح أم البراهين، مع حاشية الدسوقي عليها (ص: ٧٠-٧١) .

٩٨٣ انظر: أخبار العلماء للقفطي (ص: ١٦١)، وعيون الأنباء (ص: ٦٥٠)، ووفيات الأعيان (٣/٢٩٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٤)، وطبقات السبكي (٨/ ٣٠٦).

٩٨٤ أبكار الأفكار -مخطوط - (١/٢٧- أ) .

١ – منها: أنه مع غلبة الحيرة عليه حتى في الأصول الكبار إلا أن تناقضه أقل من تناقض الرازي، والآمدي يورد أدلة من سبقه بخلاف الرازي الذي يوردها ويستنبط من عنده أدلة أخرى جديدة، مما يوقعه في التناقض.

٢– والآمدي كثيرا ما يرد على الرازي، بل له كتاب لا يزال مخطوطا اسمه المآخذ على الإمام الرازي أو تلخيص المطالب العالية ونقده، [٩٨٥] كما رد عليه في مسألة حلول الحوادث وقول الرازي: إنها لازمة لجميع الطوائف. [٩٨٦]

٣– والآمدي لا يتزعزع يقينه في أن أدلة السمع ظنية لا تفيد اليقين، بخلاف الرازي الذي يشكك أحيانا في أدلة العقل فيحيل على أدلة السمع، وقدرد الآمدي عليه في هذه المسائل، فرد عليه في تعويله على إثبات صفة الكلام على أدلة السمع [٩٨٧] ، وكذلك في إثبات صفة السمع والبصر [٩٨٨] ، وفي إثبات الرؤية [٩٨٩] ، وبين صحة الدليل العقلي لها". [٩٩٠]

---

٩٨٥ غاية المرام (ص: ٤٥٦) ، في قائمة المراجع، وذكر المحقق أن لكتابه المآخذ نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة–رقم ٣ توحيد–.

٩٨٦ انظر: غاية المرام (ص: ١٨٧).

٩٨٧ انظر: غاية المرام (ص: ٩٠–٩١).

٩٨٨ انظر: غاية المرام (ص: ١٢٣).

٩٨٩ انظر: غاية المرام (ص: ١٦ض–١٧٤) .

٩٩٠ انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٧٨–٦٨١).

والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام، وجبرية في باب القدر، وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم، ولا يرون الخروج على الأئمة بالسيف موافقة لأهل الحديث وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى أهل السنة والحديث. [٩٩١]

والأشاعرة يخالفون أهل السنة في الكثير من مسائل الاعتقاد ومنها على سبيل المثال:

١- أن مصدر التلقي عندهم في قضايا الإلهيات (أي التوحيد) والنبوات هو العقل وحده، فهم يقسمون أبواب العقيدة إلى ثلاثة أبواب: إلهيات نبوات، سمعيات، ويقصدون بالسمعيات ما يتعلق بمسائل اليوم الآخر من البعث والحشر والجنة والنار وغير ذلك وسموها سمعيات لأن مصدرها عندهم النصوص الشرعية وأما ما عداها أي الإلهيات والنبوات فمصدرهم فيها العقل.

٢- زعمهم أن الإيمان هو مجرد التصديق، فأخرجوا العمل من مسمى الإيمان.

٣- بناء على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا توحيد الألوهية من تقسيمهم للتوحيد، فالتوحيد عندهم هو أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وواحد في صفاته لا نظر له. وهذا التعريف خلا من الإشارة إلى توحيد الألوهية، فلذلك فإن أي مجتمع أشعري تجد فيه توحيد الإلهية مختلا، وسوق الشرك والبدعة رائجة لأن الناس لم يعلموا أن الله واحد في عبادته لا شريك له.

٤- وبناء- كذلك- على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا الإتباع من تعريفهم للإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فحصروا الإيمان بالنبي في الأمور التصديقية فقط، ومن أجل ذلك انتشرت البدع في المجتمعات الأشعرية.

٥- خالفوا أهل السنة في أسماء الله وصفاته وهذا سيأتي بيانه.

---

٩٩١ انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥).

٦- خالفوا أهل السنة في باب القدر، فقولهم موافق لقول الجبرية.

٧- خالفوا أهل السنة في مسألة رؤية الله من جهة كونهم يقولون يرى لا في مكان.

٨- خالفوا أهل السنة في مسألة الكلام، فهم لا يثبتون صفة الكلام على حقيقتها بل يقولون بالكلام النفسي.

إلى غير ذلك من أنواع المخالفات.

٣. الماتريدية:

تُعَدُّ الماتريدية شقيقة الأشعرية، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة، ويصعب التفريق بينهما. ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلًا من أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم.[٩٩٢]

ولعل هذا التوافق مع كونه يرجع إلى سبب رئيس هو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما خاصة مع الأشعرية المتأخرة، هناك أسباب مهمة يرجع إليها يجب اعتبارها وأخذها في الحسبان ولعل أهمها التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى. فالماتريدية انتصرت بين الأحناف الذين كانوا متواجدين في شرق العالم الإسلامي وشماله فقل أن تجد حنفيا على عقيدة الأشاعرة إلا ما ذكر من أن أبا جعفر السمناني- وهو حنفي- كان أشعريا.

بينما نجد الأشعرية قد انتصرت بين الشافعية والمالكية وهم اليوم يتواجدون في وسط وغرب وجنوب وجنوب شرق العالم الإسلامي، فجل الشافعية والمالكية على الأشعرية.

---

٩٩٢ مفتاح السعادة (١٥١/٢، ١٥٢) تأليف: طاش كبرى زاده.

والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣ هـ) [٩٩٣] كان معدودًا في فقهاء الحنفية، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار[٩٩٤]، وقد نهج منهجًا كلاميًّا في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة، وعداده في أهل الكلام من الصفاتية من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأمثالهما. وقد تابع الماتريدي ابن كلاب في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها. [٩٩٥]

ومن المعلوم أن الأحناف وأهل المشرق عمومًا كانوا من أسبق الناس تأثرًا بعلم الكلام، فقد كانت بداية الجهم من تلك الجهات، وفي هذا يقول الإمام أحمد في معرض كلامه عن الجهم: «وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ...».[٩٩٦]

ومنهم:

أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي الجهمي المرجىء، (ت: ١٩٩ هـ) راوي كتاب "الفقه الأكبر" عن أبي حنيفة ولا يخفي تأثيره على الحنفية بسبب روايته للكتاب

والقاضي إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة من رؤوس فتنة القول بخلق القرآن ودعاتها، وكان ينسب هذا القول إلى أبيه وجده الإمام أبي حنيفة كذابا وزورا

وبشر بن غياث المريسي الحنفي الجهمي المرجىء (ت: ٢٢٨ هـ) إمام المريسية من فرق المرجئة ورافع لواء الجهمية بعد الجهم بن صفوان، وكان أبوه يهوديا وكفره عدد من أئمة السنة. والقاضي أحمد بن أبي دؤاد الحنفي المعتزلي (ت: ٢٤٠هـ) رأس فتنة خلق القرآن وتلميذ بشر المريسي وغيرهم كانوا من الأحناف، فلا غرابة أن يكون الماتريدي الحنفي من أولئك الذين ناصروا علم الكلام وسعوا في تأسيسه وتقعيده، إلى أن أصبح علمًا من أعلامه وصاحب إحدى مدارس الكلام التي صارت فيما بعد تعرف باسمه.

---

٩٩٣ انظر ترجمته في كتاب: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (٢٠٩/١) للدكتور شمس الدين الأفغاني.

٩٩٤ العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص٢٧٩) تأليف: عبد الله بن يوسف الجديع.

٩٩٥ مجموع الفتاوى (٤٣٣/٧)، كتاب الإيمان (ص٤١٤)، منهاج السنة (٣٦٢/٢).

٩٩٦ الرد على الجهمية (ص١٠٣-١٠٥).

فالماتريدي لا يبعد كثيرًا عن أبي الحسن الأشعري (في طوره الثاني) فهو خصم لَدُود للمعتزلة، إلا أنه كان متأثرًا بالمنهج الكلامي على طريقة ابن كلاب من الاعتماد على المناهج الكلامية في تقرير المسائل الاعتقادية شأنه في ذلك شأن أبي الحسن الأشعري، فكلاهما يعتبر امتدادًا لمدرسة ابن كلاب التي عرفت كمدرسة ثالثة بعد أن كان الخلاف دائرًا بين أهل السنة والجماعة من جهة، والجهمية والمعتزلة من جهة أخرى، فجاء ابن كلاب وأحدث منهجًا ثالثًا حاول فيه التلفيق بين النصوص الشرعية والمناهج الكلامية كما سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الكلابية.

فالمذهب الكلابي كان له وجوده في العراق والري وخراسان وكان له انتشار في بلاد ما وراء النهر التي كانت تغص بمختلف الطوائف والفرق.[٩٩٧]

ولم تتعرض الماتريدية للتطور الذي حصل على العقيدة الأشعرية والذي سبق بيانه في الحديث عن الأشعرية فالماتريدية بقيت على ما كانت عليه.

تأثر أبو منصور الماتريدي مباشرة أو بواسطة شيوخه بعقائد الجهمية من الإرجاء والتعطيل؛ وكذلك المعتزلة والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية ظنا منه أنها عقيدة أهل السنة". [٩٩٨]

ومرت الماتريدية بعدة أدوار تاريخية أهمها ما يلي:

(١) دور التأسيس ووضع الأصل: وهذا كان مرتبطا بحياة الماتريدي ما بين عامي (٢٣٨ – ٣٣٣ هـ)، وقد تميز هذا الدور بكثرة المساجلات بين الماتريدي وبين المعتزلة.

(٢) دور التكوين: وقد ارتبط هذا الدور بتلاميذ الماتريدي، ويمتد منذ وفاة الماتريدي إلى نحو عام (٤٠٠ هـ)، حيث انتشر تلاميذ الماتريدي، وبدءوا في نشر كلامه وأفكاره والانتصار لها والدفاع عنها.

---

[٩٩٧] انظر: «أحسن التقاسيم» للمقدسي (ص٣٢٣).

[٩٩٨] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ١٠٣-١٠٤).

(٣) دور الانتشار: وقد ارتبط ذلك بظهور أشخاص أكثروا من التأليف والكتابة عن الماتريدي وأفكاره وأصوله والانتصار لها، ويمكن اعتبار هذا الدور ممتدا ما بين (عام: ٤٠٠ هـ) حتى يومنا هذا، وقد ظهر فيه أمثال أبي اليسر البزدوي (ت: ٤٩٣ هـ)، وازداد انتشارها على يد أبي المعين النسفي (٥٠٨ هـ)، ونجم الدين عمر النسفي (ت: ٥٣٧ هـ)، وحافظ الدين عبد الله النسفي (ت: ٧١٠هـ). وهذا الدور كان من أهم أدوار الماتريدية، وشهد مناظرات بين الماتريدية والأشعرية، وخصوصا عند نور الدين أحمد بن محمد الصابوني (ت: ٥٨٠هـ).

وكذلك فقد شمل هذا الدور فترة الحكم العثماني بكاملها والتي شهدت تمكنًا وتسلطًا من الماتريدية على عموم الوظائف الدينية في ولايات الدولة العثمانية، وكذلك شهد انتشار مذهب الماتريدية في كثير من البلاد الإسلامية، وشهد ظهور كثير من أعلام الماتريدية كالتفتازاني (ت: ٧٩٢ هـ)، والجرجاني وابن الهمام (ت: ٨٦١ هـ) ومرورا بمحمد قاسم الديوبندي (ت: ١٢٩٧ هـ)، وأحمد رضا البريلوي (ت: ١٣٤٠ هـ)، ثم محمد زاهد الكوثري الماتريدي (ت: ١٣٧١ هـ)، وغيره. [٩٩٩]

ومن عقائدهم:

أولًا: مصادر التلقي.

ترى الماتريدية أن مصدر التلقي الأول في "معظم أبواب التوحيد هو العقل دون النقل؛ وذلك لأن الأدلة العقلية عندهم قطعية [١٠٠٠]، أما السمعية فإنها- بزعمهم- ظواهر ظنية. [١٠٠١]

---

٩٩٩ انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥٥، (ص: ١٢٦).

١٠٠٠ إشارات المرام (١٨٩، ١٩٩)، شرح العقائد النسفية (٥، ٤٢)، نشر الطوالع (٢٢٢).

١٠٠١ انظر: حاشية عبد الحكيم على الخيالي (ص ١٨٤) مع المصادر السابقة.

فقد قسم الماتريدية أصول الدين إلى "عقليات" و"سمعيات"، وبنوا على ذلك موقفهم من النقل في باب ما يسمونه "العقليات"، فأي نقل خالف عقولهم في "العقليات" إن كان من أخبار الآحاد ردوه، وإن كان من المتواترات حرفوه أو أولوه بشتى التأويلات الفاسدة، وأما ما يتعلق بالمعاد فلا يؤولونه". [١٠٠٢]

كما جعلت الماتريدية معظم مباحث الإلهيات "عقليات"، فجعلوا "السمع" تابعا للعقل فيها، ومن هذه العقليات تلك الصفات الثمان التي يسمونها صفات عقلية ثبوتية، كما يسمونها (صفات المعاني) أيضا. ويعتمدون في إثباتها على الحجج العقلية التي يرونها قطعية، أما النصوص الشريعة فيذكرونها للاعتضاد لا للاعتماد. [١٠٠٣]

قال الزبيدي عند كلامه عن صفتي الاستواء والنزول حيث أراد وضع قانون كلي لإبطال تلك الصفات فقال: وأجيب عنه بجواب إجمالي، وهو كالمقدمة للأجوبة التفصيلية، وهو أن الشرع إنما ثبت بالعقل. . . فلو أتى الشرع بما يكذبه العقل وهو شاهده لبطل الشرع والعقل معا، إذا تقرر هذا فنقول: كل لفظ يرد في الشرع. . . وهو مخالف للعقل. . . إما أن يتواتر أو ينقل آحادا، والآحاد إن كان نصا لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهرا فظاهره غير مراد، وإن كان متواترا فلا يتصور أن يكون نصا لا يحتمل التأويل، بل لا بد وأن يكون ظاهرا. . . والقاعدة عندهم: أن كل نص إذا أخبر به الصادق وهو أمر ممكن ولم يكن مخالفا فلا يؤول، كالبعث والنشر ونعيم الجنة وعذاب النار، أما إذا كان نصا دالا على

[١٠٠٢] الماتريدية للأفغاني (١/ ٥٣٧-٥٤٠٩).

[١٠٠٣] منهاج السنة: (٧/ ٣٧)، وشرح الطحاوية: (ص: ٢٣٧).

أمر محال مخالف للعقل- بزعمهم- فلا بد من تأويله، كعلو الله تعالى واستوائه على عرشه، ونزوله في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا". (١٠٠٤)

ويقولون: إن النصوص إذا كانت خلاف العقل، فإن كانت متواترة فهي وإن كانت قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة، فالعقل مقدم عليها؛ فلذلك الأدلة النقلية تؤول أو تفوض، أما الأدلة العقلية، فلا تأويل لها، بل تأويلها محال". (١٠٠٥)

أما مباحث المعاد والنبوات فجعلوها سمعية، ويعبرون عن السمعيات بالشرعيات أيضا.

وعرفوا الشرعيات بأنها أمور يجزم العقل بإمكانها ثبوتا ونفيا، ولا طريق للعقل إليها، وأما العقليات فهي ما ليس كذلك. (١٠٠٦)

وقد جعل بعضهم مباحث النبوات من قبيل العقليات. (١٠٠٧)

ثانيًا: لا يحتجون بأخبار الآحاد.

والماتريدية لا يحتجون بأحاديث الآحاد الصحيحة في الأحكام الشرعية العملية مطلقا بل حتى يكون الحديث مقبولا لديهم يجب أن يكون موافقا لقواعدهم وأصولهم التي قرروها وقد صرح به غير واحد منهم قال أبو زيد الدبوسي في (تأسيس النظر) :" الأصل عند أصحابنا أن خبر

١٠٠٤ انظر: النبراس في شرح العقائد النسفية (ص: ٣١٦ - ٣١٧).

١٠٠٥ شرح العقائد النسفية (ص ٥، ٤٢).

١٠٠٦ شرح المواقف: (٢/ ٣٠٩).

١٠٠٧ انظر: المسايرة مع شرحها لقاسم بن قطلوبغا: (ص: ٢١٦ — ٢٤٢).

الآحاد متى ورد مخالفا لنفس الأصول مثل ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه أوجب الوضوء من مس الذكر لم يقبل أصحابنا هذا الخبر لأنه ورد مخالفا للأصول". [١٠٠٨]

ثالثًا: قولهم بالمجاز.

فقد ذهبت الماتريدية إلى القول بأن المجاز واقع في اللغة والقرآن والحديث، قال ابن الهمام: "المجاز واقع في اللغة والقرآن والحديث"،[١٠٠٩] ودفعهم إلى ذلك اعتقادهم بأن حمل النصوص على معانيها الحقيقية يستلزم التجسيم والتشبيه، قال البياضي: "لما لم يكن حمل تلك النصوص على معانيها الحقيقية من الجوارح الجسمانية والتحيز والانفعالات النفسانية لمنع البراهين القطعية ولم يجز إبطال الأصل لعدم درك حقيقة الوصف بلا كيفية تحمل على المجاز من الصفات بلا كيفية". [١٠١٠]

وقال ابن القيم: "وإذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيما شرعيا ولا عقليا ولا لغويا فهو اصطلاح محض وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين .... ". [١٠١١]

وأما المسائل التي وافقت فيها الماتريدية المعتزلة فهى كما يلي:

القول بوجوب معرفة الله تعالى بالعقل.

١٠٠٨ تأسيس النظر: (ص: ١٥٦)، وانظر: ((الأصول)) لأبي الحسن الكرخي ملحقة بتأسيس النظر تحقيق مصطفى القباني: (ص: ١٦٦ – ١٧١).

١٠٠٩ التحرير: (ص: ١٦٨)، وانظر: تيسير التحرير لأمير بادشاه: (٢/ ٢١)، التوحيد: (ص: ٦٨، ٦٩).

١٠١٠ إشارات المرام: (ص: ١٨٧، ١٨٩).

١٠١١ مختصر الصواعق المرسلة: (٢/ ٥). الإيمان لابن تيمية: (ص: ٧٣) .

الاستدلال على وجود الله بدليل الأعراض وحدوث الأجسام.

الاستدلال على وحدانية الله تعالى بدليل التمانع.

القول بعدم حجية خبر الآحاد في العقائد.

نفي الصفات الخبرية والاختيارية.

القول بعدم إمكان سماع كلام الله.

القول بالحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى.

القول بالتحسين والتقبيح العقليين.

عدم جواز التكليف بما لا يطاق.

منع الاستثناء في الإيمان.

القول بأن معنى الإيمان والإسلام واحد". [١٠١٢]

والماتريدية وافقوا أهل السنة والجماعة في بعض أصولهم، لكنهم خالفوهم كذلك في أصول أخرى وقد سبق الكلام عنها كذلك، فهم كسائر الطوائف الأخرى التي خالفت أهل السنة في أمور، عندهم حق وباطل، لكنهم أبعد عن أهل السنة من الكلابية، فالكلابية كانوا أقرب منهم إلى أهل السنة والجماعة، وهؤلاء أبعد عن الحق من الكلابية، لكنهم على كل حال أقل شرا وأخف خطرا من الجهمية والمعتزلة وأشباههم، غير أنه ينبغي الحذر من المسائل التي خالفوا أهل السنة فيها، وينبغي الاحتياط من دعواهم أنهم أهل السنة والجماعة". [١٠١٣]

١٠١٢ فرق معاصرة لغالب عواجي (٣/ ١٢٣٣—١٢٣٥).

١٠١٣ انظر: مجلة البحوث الإسلامية، (العدد ٥٥)، (ص: ١٣٩=١٤١).

المبحث الثالث: المتأثرون بالفكر الفلسفي الإشراقي.

المطلب الأول: المدرسة الإشراقية المغربية.

المطلب الثاني: المدرسة الإشراقية المشرقية.

تمهيد

تنقسم هذه المدرسة إلى قسمين هما:

المدرسة الإشراقية المغربية.

والمدرسة الإشراقية الشرقية

ويحسن أعطاء نبذة عن كل واحدة منهما ولكن قبل ذلك يحسن إعطاء نبذة عن الأمور التي تجمعهما والفوارق بينهما فمما يجمعهما:

١-أنهما يجتمعان في الأخذ من المدرسة الإشراقية الإفلوطنية.

٢-أنهما يجتمعان في التستر تحت عباءة التصوف، ولكل واحد منهما مدارس صوفية تتبع له.

٣-أنهما يجتمعان في المسلك الباطني القائم على الرموز والإشارات الفلسفية.

٤-أنهما يجتمعان في أن مصادرهما لم تقتصر على الفلسفة الإشراقية اليونانية. فكلهما أضاف إلى ذلك ذلك فلسفات مشرقية أخرى كما سيأتي بيانه.

وأما الفوارق بينهما فمنها:

١-أن الفلسفة الإشراقية المغربية اتخذت مسلك الاتحاد بين الخالق والمخلوق ورفعت شعار القول بالوحدة بين الخالق والمخلوق.

بينما سلكت المدرسة الإشراقية المشرقية مسلك الحلول.

٢-أن الفلسفة الإشراقية المغربية لم تتأثر بالتشيع الإسماعيلي، مع تأثرها ببعض طروحات ابن سينا.

بينما المدرسة الإشراقية المشرقية كانت وليدة التشيع الإسماعيلي، فهي في حقيقتها امتداد لأقول ابن سينا.

المطلب الأول: المدرسة الإشراقية في المغرب:

ظهرت الإشراقية في المغرب قبل شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، وتمثلت في مذهب ابن مسرة الأندلسي الذي عاش في قرطبة من ٨٨٣م إلى ٩٣١م وكانت مدرسة تخلط التعاليم الإشراقية بفلسفة أنبادوقل.

وقد انتشرت تعاليم مدرسة قرطبة الإشراقية وتأثر بها المدرسيون في الغرب المسيحي مثل الكسندر هيلز Alex, Hales وريموند ال Raymond Lull وروجر بيكون Roger Bacon ودون سكوت Dunn Scotus وكذلك يظهر أثر نظرية النور الميتافيزيقية في الكوميديا الإلهية، فالخلق هو عبارة عن صدور النور الإلهي.

ابن مسرة (ت: ٣١٩ هـ).

ولابن مسرة[١٠١٤]، كتاب يسمى (توحيد الموقنين) يتكلم فيه عن الصفات الإلهية ووحدتها وتناهيها؛ والنبوة في نظره كما هي عند الفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، تكون في اشتداد الحياة الروحية والعقلية ثم ينتقل إلى الكلام عن العالم الظاهري عالم المادة وكيف أنه يشير إلى عالم روحى قائم به جواهر عقلية ذات معدن نوراني ويشير أيضا إلى اتحاد العقل الفعال بالعقل المنفعل في عملية المعرفة.

ويعد أقدم شخصية أندلسية صوفية فلسفية ظهرت خلال أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري وكان لها أثر كبير بعد ذلك في الحياة الروحية بهذه البلاد حتى ابن العربي الصوفي ومن والاه.

يذهب إلى القول بوجود روحانية تشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الإلهية، وتعتبر هذه المادة أول صورة برزت للعالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية.

[١٠١٤] ابن مسرة راجع ملحق دائرة المعارف الإسلامية بحث لأسين بلايسوس.

ويمكن أن نحدد مذهبه ونشاطه في النقاط التالية:

١ – أن والده معتزلي، وقد سقاه الاعتزال، وهو ذمي أسلم، فسقاه العقائد النصرانية التي لم يستطع أن ينفك منها.

٢ – أنه سافر إلى المشرق والتقى هناك بأرباب مختلف الملل والنحل التي كان لها رواج آنذاك

٣– الدفاع عن الآراء الفلسفية وسكبها في قوالب إسلامية.

٤ – اتفاقه التام مع الباطنية والشيعة الإسماعيلية. [١٠١٥]

ولم تمت هذه الأفكار، ولكنها تطورت على يد تلاميذه [١٠١٦] من بعده إلى أن اكتملت على يد ابن العربي الطائي.

فقد انتشر دعاة ابن مسرة بعد وفاته (ت: ٣١٩ هـ) يستميلون الناس إلى مذهبهم وينادون بأفكار كلها خليط من الاعتزال والفلسفة ومذهب الباطنية.

[١٠١٥] انظر: دراسات في الأدب الأندلسي: لإحسان عباس، (ص: ٢٣٦).

[١٠١٦] من جملة تلاميذه محمد بن أحمد الخولاني المعروف بابن الإمام (ت: ٣٨٠) قال عنه ابن الفرضي: كان مشهورا باعتقاد ابن مسرة ولا يتستر بذلك (تاريخ علماء الأندلس: ١/ ١٤٣، رقم الترجمة ٤٣٩)، وعبد العزيز بن حكم (ت: ٣٨٧) قال عنه ابن الفرضي: كان عالما بالنحو والغريب والشعر، مائلا إلى الكلام والنظر، شهر بانتحال مذهب ابن مسرة، فغض ذلك منه (ن، م: ٢٧٩، الترجمة رقم: ٨٣٦) وجاء إسماعيل بن عبد الله الرعييني فأدخل شيئا من التعديل على آراء المذهب كما وضعها ابن مسرة، كما أضاف إلى هذه النحلة القول بإباحة زواج المتعة (وهنا نلاحظ التأثير الشيعي)، وتحريم الملكية (وهذا من تأثير المزدكية) وإهدار دم كل من لا يمارس عقيدته، إضافة إلى الاعتقاد في الشيخ أنه يصنع المعجزات ويفهم لغة الطير وغيرها من الخرافات، انظر: بلاسيوس: ٣٩ ١ – ٨٩. P.P، وابن حزم: الفصل (٤: ١٩٩).

ومن سار على هذا النهج جماعة من كبار المتصوفة ذوي الاتجاه الفلسفي منهم أحمد بن محمد بن العريف (+ ٤٨١ – ٥٣٦ هـ)، وأحمد بن الحسين بن قسي (ت: ٥٤٥ هـ)، وعبد السلام بن أبي الرجال الإشبيلي (ت: ٥٣٦ هـ)، وكل هؤلاء وغيرهم ممن لم نقف على أخبارهم نشروا في الأندلس الأفكار الصوفية بما تحمل من آراء فلسفية غنوصية وباطنية ملحدة، وعلى هذا فإن الباحث في تاريخ الفكر الأندلسي لا يمكنه أن يفرق بين الاتجاه الفلسفي والاتجاه الصوفي، فكل واحد منهما يغترف من الآخر، ويسيران إلى هدف واحد. ولهذا نجد تجاوبًا شديدًا بين المتصوفة السابقين وبين الفلاسفة في هذا العصر أمثال ابن محمد طفيل القيسي (ت: ٥٨١ هـ) صاحب كتاب أسرار الفلسفة المشرقية؛ وأبي بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصائغ وابن باجه (ت: ٥٣٣ هـ).

وقد عبر لسان الدين بن الخطيب الأندلسي عن هذا التقارب بين الفلسفة والتصوف فقال: "فالكل دائرة مفروضة، وهالة حول قمر الحق معروضة، تعود الخطوط عن محيطها المبدد إلى مركزها المحدد، فالفيلسوف يروم التشبه بالعلة الأولى ويعني بها ذات الحق، وأن يتحد بالثانية وهي مرآة وجه الحق، والإشراقي يروم التجوهر بنور الأنوار المعبر عنه بالحق، والاتصال به إما بواسطة من الحق، أو بغير واسطة من الحق". [١٠١٧]

ومن الفلاسفة المتصوفة الذين عرفوا بقولهم بوحدة الوجود، وقبل الحديث عن أشهر هؤلاء يحسن إعطاء نبذة موجزة عن هذا الفكر:

وحدة الوجود مذهب فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه–تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا–صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

[١٠١٧] روضة التعريف بالحب الشريف: (٢/ ٦٣٠ – ٦٣١) .

ونحن نوضح هذا المذهب لأن آثاره وبعض أفكاره لا زالت مبثوثة في فكر أكثر أهل الطرق الصوفية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، وفي أناشيدهم وأذكارهم وأفكارهم.

والمذهب موجود في الفكر النصراني واليهودي أيضًا، وقد تأثر المنادون بهذا الفكر من أمثال: ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وبالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من إغريقية ونصرانية وفارسية الأصل ومنها المذهب المانوي والمذهب الزرزادشتي وفلسفة فيلون اليهودي [١٠١٨] وفلسفة الرواقيين.

وفكرة وحدة الوجود قديمة جدًا، فقد كانت قائمة بشكل جزئي عند اليونانيين القدماء، وهي كذلك في الهندوسية الهندية. وانتقلت الفكرة إلى بعض الغلاة من متصوفة المسلمين من أبرزهم: محي الدين ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني. ثم انتشرت في الغرب الأوروبي على يد برونو النصراني وسبينوزا اليهودي.

ومن أبرز الشخصيات وأفكارهم:

ابن عربي ٥٦٠هـ – ٦٣٨هـ:

ومن أتباع المدرسة الإشراقية في المغرب ابن عربي وابن سبعين الصقلى، ويعتبر ابن العربي أكبر ممثلي المدرسة الإشراقية في الأندلس تلك المدرسة التي أسسها ابن مسرة، والوجود في نظره واحد إذ هو متجل عن الجوهر الإلهي الواحد، أي أنه يعتنق مذهب وحدة الوجود، أما الديانات فكلها متكافئة، أي أنه يعتنق فكرة وحدة الأديان التي يدافع عنها شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، أيضا، والفتوحات الملكية هو الكتاب الذي يمثل مذهبه وبه ٥٦٠ فصلًا والفصل رقم ١٦٧ وعنوانه كيمياء السعادة يضع تصوير رمزيًا لصعود الإنسان إلى السماء

[١٠١٨] فيلون اليهودي كان نحو ٢٠ ق. م–٤٠م. وكان من أسرة غنية بالاسكندرية من ضمن الجالية اليهودية التي بها، وقد درس الفلسفة وشرح التوراة بالرمز والتأويل وفق الفلسفة اليونانيةخاصة مذهب أفلاطون. الموسوعة الفلسفية (ص ٣٥٦).

ويذكر أسين بلاسيوس في كتابه عنه ص ٤٧ أن دانتي تأثر تأثرا واضحا بهذا الفصل الذي يصف فيه ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، الصعود إلى الفردوس وكذلك في الرسالة التي يصف فيها المعراج (الإسراء إلى مقام الأسرى) فهو يبين فيها رحلة النفس إلى العالم الأعلى حيث تتكشف لها حقيقة الكون .

وكذلك (ترجمان الأشواق وذخائر الأعلاق)[١٠١٩]، نجد أن لها تأثيرا كبيرًا على دانتي خصوصا حينما يعرض للمقابلة بينه وبين بياتريس في الكوميديا الإلهية، ونجد في كل مؤلفات ابن العربي أثرًا واضحًا للإشراقية في شرح نصوص الحكم [١٠٢٠] للقاشاني نجده يتكلم عن المعنى الباطن لوجود النبي شيث فيقول: ولما كان مقامه أنزل من مقام الوالد وقاصرًا عن مرتبة أحدية الجمع التي لأبيه لم يثبت المعاد الروحاني لأن القلب من حيث ما فيه سنح النفس لا يتجرد بالكلية عن التعلق البدني، وإن تجرد عن الحلول فيه لا يتجرد عن العلاقة بالكلية إلا من حيث أنه روح وفي مرتبته ولهذا كان أول من أثبت التناسخ وقال بالمعاد الجسماني، وانتسب إليه الإشراقيون، وهذا الذي يسمونه بلسانهم (أجاثا ذيمون)[١٠٢١]، صاحب الشريعة والناموس وأنذر وحذر عن الانحطاط عن مرتبة الإنسان إلى درجات الحيوانات العجم.

وإذن فهذا النص يثبت اتصال ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، بالإشراقية في المشرق على الرغم من أنه ينقل نقلًا غير دقيق عن شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، في مشكلة التناسخ إذ إن شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، المقتول لم ينف أو يؤيد التناسخ ولكنه اعتبر أن الحجج على طرفي النقيض متعادلة.

وقال ابن تيمية أيضًا: "لهذا ذكر ابن عربي في أول الفتوحات ثلاث عقائد:

١-عقيدة مختصرة من إرشاد أبي المعالي بحججها الكلامية.

٢-ثم عقيدة فلسفية؛ كأنها مأخوذة من ابن سينا وأمثاله.

[١٠١٩] نشره نيكولسون. نقلًا عن الفلسفة الإشراقية عند السهروردي ص: ٤٠.

[١٠٢٠] نشره الدكتور أبو العلا عفيف مع شرح واف طبعة القاهرة ١٩٤٨ ، وراجع أيضا شرح عبد الرازق القاشاني طبعة القاهرة ١٣٢١ هـ ص ٤٣ - ٤٤..

[١٠٢١] أجاثا ذيمون وهو مصري. طبقات الأطباء ١/ ١٦.

٣-ثم أشار إلى اعتقاده الباطن الذي أفصح به في فصوص الحكم؛ وهو وحدة الوجود، فقال: وأما عقيدة خلاص الخاص فتأتي مفرقة في الكتاب" . [١٠٢٢]

وقال ابن تيمية: "لهذا ذكر ابن عربي في الفتوحات له أربع عقائد:

الأولى: عقيدة أبي المعالي وأمثاله مجردة عن الحجة.

[الثانية]: ثم هذه العقيدة بحجتها.

[الثالثة]: ثم عقيدة الفلاسفة.

[الربعة]: ثم عقيدة المحققين؛ وذلك أن الفيلسوف يفرق بين الوجود والممكن والواجب. وهؤلاء يقولون: الوجود واحد. والصوفي الذي يعظمه هؤلاء هو الصوفي الذي عظمه ابن سينا، وبعده المحقق". [١٠٢٣].

وقال ابن تيمية أيضا: "وابن عربي له أربع عقائد:

الأولى: عقيدة أبي المعالي وأتباعه مجردة عن حجة.

والثانية: تلك العقيدة مبرهنة بحججها الكلامية.

والثالثة: عقيدة الفلاسفة؛ ابن سينا وأمثاله الذين يفرقون بين الواجب والممكن.

والرابعة: التحقيق الذي وصل إليه؛ وهو أن الوجود واحد. وهؤلاء يسلكون مسلك الفلاسفة الذي ذكره أبو حامد في ميزان العمل [١٠٢٤]؛ وهو: أن الفاضل له ثلاث عقائد: عقيدة مع العوام يعيش بها في الدنيا؛ كالفقه مثلا. وعقيدة مع الطلبة يدرسها لهم؛ كالكلام. والثالثة: سر لا يطلع عليه أحد إلا الخواص ". [١٠٢٥]

ولخص د محمد رشاد سالم في كلام ابن عربي الذي ذكر فيه أن له ثلاث عقائد؛ فقال: "ذكر ابن عربي العقيدة الأولى في ج ١ ص ٣٤ من كتاب الفتوحات المكية، وذكر في آخرها (ص: ٣٨): "هذه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد وأهل النظر ملخصة مختصرة"

[١٠٢٢] كتاب الصفدية (١/ ٢٦٧).

[١٠٢٣] الرد على المنطقيين (ص: ٥٢٢). وانظر: بغية المرتاد (ص: ٤٤٦).

[١٠٢٤] كتاب ميزان العمل للغزالي (ص: ٤٠٥-٤٠٨).

[١٠٢٥] كتاب النبوات (١/ ٣٩٦-٣٩٧).

ثم قال بعد ذلك مباشرة: "ثم أتلوها إن شاء الله بعقيدة الناشئة الشادية ...

ثم أتلوها بعقيدة خواص أهل الله من أهل طريق الله؛ من المحققين أهل الكشف والوجود.

وجردتها أيضا في جزء آخر سميته المعرفة، وبه انتهت مقدمة الكتاب.

وأما التصريح بعقيدة الخلاصة فما أفردتها على التعيين لما فيها من الغموض، لكن جئت بها مبددة في أبواب هذا الكتاب مستوفاة مبينة، لكنها كما ذكرنا متفرقة ... إلخ. [١٠٢٦] وتنتهي مقدمة الكتاب (ص: ٤٧)" والطبعة التي أشار إليها د: محمد رشاد سالم هي طبعة دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٣٢٩ هـ.

قال ابن تيمية عن فلاسفة الصوفية: "ومعلوم أن أصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، وهم ألحدوا في الأصول الثلاثة؛

أما الإيمان بالله: فجعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وهذا غاية التعطيل.

وأما الإيمان باليوم الآخر: فادعى ابن عربي أن أصحاب النار يتنعمون في النار، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة، وأنه يسمى عذاباً من عذوبة طعمه...

وأما الإيمان بالرسل: فقد ادعوا أن خاتمَ الأولياء أعلم بالله من خاتم الأنبياء، وأن خاتم الأنبياء هو وسائر الأنبياء يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، وهذا مناقض للعقل والدين". [١٠٢٧]

وقامت حول ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، مدرسة تتبع تعاليمه تأثر بها كثيرون من صوفية الغرب والشرق ونشأت عن هذه الحركة طريقة صوفية في شمال إفريقية هي الشاذلية ومؤسسها أبو الحسن الشاذلي وهي طريقة تقوم على تعاليم إشراقية.

الناس في الحكم على ابن عربي أقسام ثلاثة: [١٠٢٨]

[١٠٢٦] تعليقه على كتاب الصفدية (١/ ٢٦٨).

[١٠٢٧] الصفدية (١/ ٢٤، ٢٤٥).

[١٠٢٨] ينظر: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (١/ ١٤٩)، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين (١/ ٨٦-٨٧).

القسم الأول: من نص على تكفيره؛ بناء على كلامه في كتابه (فصوص الحكم) وغيره، وممن صرَّح بتكفير ابن عربي: أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) في تفسيره، وسعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢ هـ)، وسراج الدين البلقيني (ت: ٨٠٥ هـ)، والعلامة ابن الجزري الشافعي (ت: ٨٣٣ هـ)، والحافظ السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ)، والشيخ ملا علي القاري (ت: ١٠١٤ هـ)، وغيرهم.

وقد حكم ابن المقري بكفر من شكَّ في كفر طائفة ابن عربي، وقال الحافظ أبو زرعة العراقي: "لا شكَّ في اشتمال (الفصوص) المشهورة على الكفر الصريح الذي لا يُشكّ فيه، وكذلك (فتوحاته المكية)؛ فإن صحَّ صدور ذلك عنه واستمر عليه إلى وفاته فهو كافر مخلَّد في النار بلا شكٍّ". [١٠٢٩]

القسم الثاني: من يجعله من أكابر الأولياء، ومن جملة من يغالي فيه: الفيروزابادي صاحب القاموس (ت: ٨١٧ هـ)، وابن كمال باشا (ت: ٩٤٠ هـ)، وعبد الوهاب الشعراني (ت: ٩٧٣ هـ)، وعبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١ هـ)، وإبراهيم بن حسن الكوراني (ت: ١١٠١ هـ)، والشيخ عبد الغني النابلسي (ت: ١١٤٣ هـ). وهؤلاء انخدَعوا بما ظهر من بعض أحوال ابن عربي من الجوع والسهر والانعزال، مع ما في بعض كلامه من الحسن والفوائد، ومن وقف منهم على كلامه في (الفصوص) اجتهد في تأويله وحمله على محامل بعيدة.

القسم الثالث: من اعتقد ولايته، وحرَّم النظر في كتبه؛ ومن هؤلاء: السيوطي (٩١١هـ)، وابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩ هـ)، وابن عابدين (ت: ١٢٥٢ هـ). وهؤلاء لم يجدوا تأويلًا سائغًا لكلامه الدال على الكفر الصريح، فحرَّموا النظر في كتبه جملة؛ خشيةَ الافتتان به.

وحتى يتجلَّى لنا حقيقةُ أمر ابن عربي بطريق الإنصاف وعدم المجازفة فإني أورد فيما يلي طرفًا من كلامه في (فصوص الحكم)، ثم أُتبعُه بنقضِ أهل العلم له، مع بيان خطرِ انحرافه وخروجِه عن رسم الشريعة.

طرفٌ من كلام ابن عربي في (فصوص الحكم) الدال على الكفر الصراح:

[١٠٢٩] تنبيه الغبي (ص: ٨٧).

١- تخبطُّه في جانب التنزيه والتشبيه:

يقول ابن عربي: "اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عينُ التحديد والتقييد، فالمنزه إما جاهل وإما صاحب سوءِ أدب، ولكن إذا أطلقاه وقالا به فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه، ولم ير غير ذلك، فقد أساء الأدب، وأكذب الحقّ والرسل وهو لا يشعر، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض". [١٠٣٠]

وقوله: "وإن أخذنا {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١] على نفي المثل تحقَّقنا بالمفهوم وبالخبر الصحيح أنه عينُ الأشياء، والأشياء محدودة وإن اختلفت حدودها، فهو محدود بحدّ كلّ محدود، فما تحدّ شيئًا إلا وهو حدّ للحق، فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صحَّ الوجود، فهو عين الوجود". [١٠٣١]

٢- إيمان ابن عربي بأن الله إنسان كبير:

ويقول أيضًا: "ولا شكَّ أن المحدَث قد ثبت حدوثه، ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفة، ما عدا الوجوب الذاتي، فإن ذلك لا يصح في الحادث، وإن كان واجبَ الوجود، ولكن وجوبه بغيره، لا بنفسه". [١٠٣٢]

ثم قال: "فوصف نفسه لنا بنا، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا، وإذا شهدنا شهد نفسه، ولا شك أنا كثيرون بالشخص والنوع، وأنا وإن كنا على حقيقة واحدةٍ تجمعنا؛ فنعلم قطعًا أن ثَمَّ فارقًا به تميزت الأشخاص بعضُها عن بعض، ولولا ذلك ما كانت الكثرة في الواحد". [١٠٣٣]

وقد تعقب العلماء مقولات ابن عربي في الفصوص:

[١٠٣٠] فصوص الحكم (١/ ٦٨، ٧٢، ٧٨، ٨٣).

[١٠٣١] جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٨٧).

[١٠٣٢] فصوص الحكم (١/ ٦٨، ٧٢، ٧٨، ٨٣).

[١٠٣٣] فصوص الحكم (ص: ٥٤).

يقول ابن دقيق العيد: سألت الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن ابن عربي فقال: "هو شيخُ سوء، كذَّاب، يقول بقِدَم العالم، ولا يحرِّم فرجًا". [١٠٣٤]

ويقول الحافظ الذهبي -تعقيبًا على كلام العز بن عبد السلام-: "ولو رأى كلامَه هذا [يعني: الذي ذكره في ترجمته نقلًا عن كتابه (فصوص الحكم) لحكم بكفره، إلا أن يكون ابن العربي رجع عن هذا الكلام، وراجع دينَ الإسلام، فعليه من الله السلام". [١٠٣٥]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال ابن عربي الطائي -وكان من غلاة هؤلاء الجهمية يقول بوحدة الوجود – قال:

وكلُّ كلام في الوجود كلامُه   سواء علينا نثره ونظامه". [١٠٣٦]

ويقول الحافظ الذهبي -بعد أن ذكر طرفًا من كلام ابن عربي-: "تعالى الله عمَّا يقول علوًّا كبيرًا، أستغفر الله، وحاكِي الكفر ليس بكافر". [١٠٣٧]

ويقول الحافظ ابن كثير: "وله كتابه المسمَّى بـ: (فصوص الحكم)، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح". [١٠٣٨]

ويقول الحافظ ابن حجر: "من أمعن النظر في (فصوص الحكم) أو أنعم التأمل لاح له العجَب؛ فإن الذكيَّ إذا تأمَّل من ذلك الأقوال والنظائر والأشباه، فهو أحد رجلين: إما من الاتحادية في الباطن، وإما من المؤمنين بالله الذين يعدّون أن هذه النحلة من أكفر الكفر". [١٠٣٩]

ويقول البقاعي: "وينبغي أن يعلم أولًا أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة، وهي: أنه لا شيء سوى هذا العالم، وأن الإله أمر كلِّيّ لا وجود له إلا في ضمن جزئياته، ثم إنه يسعى في إبطال

[١٠٣٤] تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦/ ٣٨٠)، والوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ١٢٥).

[١٠٣٥] تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦/ ٣٨٠).

[١٠٣٦] مجموع الفتاوى (١٧/ ٨٤).

[١٠٣٧] تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦/ ٣٨٠).

[١٠٣٨] البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٨٢).

[١٠٣٩] لسان الميزان (٧/ ٣٩٢).

الدين من أصله، بما يحلّ به عقائد أهله؛ بأن كلّ أحد على صراط مستقيم، وأن الوعيد لا يقع منه شيء، وعلى تقدير وقوعه فالعذاب المتوعَّد به إنما هو نعيم وعذوبة، ونحو ذلك!!". [١٠٤٠]

ويقول الشيخ تقي الدين السبكي: "ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وابن سبعين والقطب القونوي والعفيف التلمساني... فهؤلاء ضلال جهّال، خارجون عن طريق الإسلام، فضلًا عن العلماء". [١٠٤١]

ويقول القاضي شرف الدين الزواوي المالكي: "وأما ما تضمَّنه هذا التصنيف من الهذيان، والكفر والبهتان، فهو كله تلبيس وضلال، وتحريف وتبديل، فمن صدَّق بذلك أو اعتقد صحته كان كافرًا ملحِدًا، صادًّا عن سبيل الله، مخالفًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم". [١٠٤٢]

مما تقدم يتضح جليًّا: أن في بعض مقولات ابن عربي في كتابه (فصوص الحكم) وغيره كفرًا صُراحًا لا يحتمل التأويل؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مقالة ابن عربي -صاحب (فصوص الحكم)- وهي مع كونها كفرًا، فهو أقربهم [يعني: من ينتمي إلى مذهب الاتحادية] إلى الإسلام؛ لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرًا، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيَّل فيه الحق تارةً والباطل أخرى، والله أعلم بما مات عليه". [١٠٤٣]

اللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك به، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. [١٠٤٤]

ومن الذين تأثروا بالاشراقية في شمال إفريقية:

ابن سبعين: (ت: ٦١٣ هـ).

[١٠٤٠] ينظر: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (١/ ١٩).

[١٠٤١] النجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (٦/ ٢٨٥-٢٨٦).

[١٠٤٢] ينظر: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (١/ ١٥٦-١٥٧).

[١٠٤٣] مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٣).

[١٠٤٤] المصدر: مقال بعنوان حقيقة ابن عربي الصوفي، مقال منشور في موقع سلف للبحوث والدراسات

.

هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين، ولد سنة ٦١٣، ومات سنة ٦٦٨ بمكة ويعد من فلاسفة الصوفية ومن القائلين بوحدة الوجود. [١٠٤٥]

فابن سبعين يظهر من أجوبته في الرسائل الصقلية أنه يقول بأن الله هو حقيقة الأشياء كلها، ونستطيع أن نستشف من كلامه هذا السر الصوفي الذي انحدر إليه من ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ).

قال ابن تيمية: "والذين سلكوا خلف أبي حامد الغزالي، أو ضاهوه في السلوك؛ كابن سبعين، وابن عربي، صرحوا بحقيقة ما وصلوا إليه، وهو أن الوجود واحد، وعلموا أن أبا حامد لا يوافقهم على هذا، فاستضعفوه، ونسبوه إلى أنه مقيد بالشرع والعقل". [١٠٤٦]

قال ابن تيمية-في معرض حديثه عن الغزالي: "ولهذا لما سلك خلفه ابن عربي، وابن سبعين، كان ابن سبعين في كتاب ((البد)) وغيره، يجعل الغاية هو المقرب؛ وهو نظير المقرب في كلام أبي حامد، ويجعل المراتب خمسة: أدناها الفقيه، ثم المتكلم، ثم الفيلسوف، ثم الصوفي الفيلسوف؛ وهو السالك، ثم المحقق". [١٠٤٧]

[١٠٤٥] انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٥). وشذرات الذهب (٥/)٣٢٩. والأعلام (٣/ ٢٨٠)، وانظر: مقدمة تحقيق بغية المرتاد (ص: ١٣٥-١٤٤).

[١٠٤٦] النبوات لابن تيمية (١/ ٣٩١).

[١٠٤٧] النبوات لابن تيمية (١/ ٣٩٥-٣٩٦)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وهم يرتبون الناس طبقات؛ أدناهم عندهم الفقيه، ثم المتكلم، ثم الفيلسوف، ثم الصوفي؛ أي صوفي الفلاسفة، ثم المحقق. ويجعلون ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة في الثانية، وأبا حامد وأمثاله من الصوفية من العشرة، ويجعلون المحقق هو الواحد". الرد على المنطقيين (ص: ٥٢٢). وانظر: كتاب الصفدية (١/ ٢٦٨). وشرح الأصفهانية (٢/ ٥٤٧-٥٤٨)، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلاما طويلا - في موضع آخر - بين فيه معنى المحقق؛ فقال: "لهذا كان هؤلاء؛ كابن سبعين ونحوه يعكسون دين الإسلام؛ فيجعلون أفضل الخلق: المحقق عندهم؛ وهو القائل بالوحدة. وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهوديا أو نصرانيا، بل كان ابن سبعين، وابن هود، والتلمساني، وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية؛ كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقا إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين، ويقولون لمن يختص بهم من النصارى واليهود

ابن الفارض (ت: ٦٣٢ هـ)

هو عمر بن علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري الدار والمنشأ والوفاة، يكنى بأبي حفص، وأبي القاسم، ولقب بشرف الدين، ولد سنة ٥٦٦هـ، [١٠٤٨] وقيل: ٥٧٦هـ، [١٠٤٩] واشتهر بابن الفارض؛ [١٠٥٠] لأن أباه سكن مصر، فكان يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام فلقب بالفارض، [١٠٥١]

أجمع الذين ترجموا لابن الفارض على أنّه حموي الأصل، مصري المولد والدار والوفاة. [١٠٥٢]

«ولد بمصر، ونشأ فيها، وترعرع في ظلّها، وأقام الشطر الأكبر من حياته بها، ودفن بأرضها، فهو مصري في مولده، مصري في نشأته وتربيته، مصري في حياته ومماته » [١٠٥٣]

وابن الفارض من غُلاة الصوفية، بل من ملحديهم القائلين بالحلول والاتحاد، (ت: ٦٣٢ هـ). وابن الفارض من القائلين بالاتحاد والحلول وذلك في قصائدة المشهورة في ديوان شعره. ومن أشهر قصائده التي صرح فيها بمذهبه هذا قصيدته التائبة الكبرى المسماة (نظم السلوك) فقد بين فيها بعبارات واضحة لا لبس ولا غموض فيها فكرته التي منها استمد هذا المذهب وعليها بنى هذا القول الفاسد.

قال عنها الذهبي: "فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد، والذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى، وأعذنا من الهوى.

إذا عرفتم التحقيق لم يضركم بقاؤكم على ملتكم، بل يقولون مثل هذا للمشركين عباد الأوثان) . كتاب الصفدية (١/ ٢٦٨-٢٦٩.

[١٠٤٨] وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ١٤٩).

[١٠٤٩] وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٤٥٥).

[١٠٥٠] وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٤٥٤)، ديباجة الديوان (ص: ٣).

[١٠٥١] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٦/ ٢٨٨).

[١٠٥٢] ابن الفارض والحبّ الإلهي، لمحمد مصطفى حلمي (ص: ٣٦).

[١٠٥٣] ابن الفارض والحبّ الإلهي، لمحمد مصطفى حلمي (ص: ٣٦).

فيا أئمة الدين: ألا تغضبون لله ؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله". [١٠٥٤]

قال أيضًا: "عمر بن علي المعروف بابن الفارض، حدث عن القاسم بن عساكر. ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة، فتدبر نظمه، ولا تستعجل، ولكنك حسن الظن بالصوفية، وما ثم إلا زي الصوفية، وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبادة فلسفة وأفاعي، فقد نصحتك، والله الموعد". [١٠٥٥]

قال البقاعي: "وممن كفره قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، وقاضي القضاة محقق زمانه شمس الدين القاياتي، ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسي الشافعي والعلامة علاء الدين القلقشندي الشافعي، والشيخ يحي العجيسي المالكي والعلامة شمس الدين البلاطنيسي الشافعي شيخ الشاميين في وقته، وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندي الحنفي ابن صاحب الهداية، والعلامة الصوفي كمال الدين ابن إمام الكاملية الشافعي، والعلامة شهاب الدين بن قر الشافعي, والعلامة أبو القاسم النويري المالكي، كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم.

فهؤلاء أعيان العلماء في عصر ابن الفارض، وفي كل عصر أتى بعده طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا؛ وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة التي هي عمدة الإسلام١، فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة على من قال بكفره، أما من لم ندركه فبشهادة الكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائليها. وأما من أدركناه فبشهادة الكتب في بعضهم، وشهادة الثقاة في باقيهم٢، هذا إلى ما شهدت به شروح التائية كما يأتي.

[تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر]

[١٠٥٤] سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٨).

[١٠٥٥] لسان الميزان لابن حجر (٦/ ١٢٣).

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الكفر متواترة تواترًا معنويًا. وقد علم بهذا عذر من كفره، لو لم يكن له سند غير هذا، فكيف وقد تأيد هذا بما في كلامه وكلام ابن عربي من الطامات التي منها منابذة العقل والشرع كما مضى؟". [١٠٥٦]

ومن كفريات ابن الفارض:

[رب ابن الفارض أنثى]

قال البقاعي: "وأما ما في التائية من ذلك فقال فيها مخاطبا لله تعالى -كما أجمع عليه شراحه- بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها وهي نحو سبعمائة بيت". [١٠٥٧]

[وحدة الأديان عند ابن الفارض]

وعلى هذا الأصل المخبث الخبيث -وهو الاتحاد بين جميع الكائنات، وأنه لا غير, ولا غيرية في شيء من الوجود- فرع صحة كل دين؛ لأن الفاعل عنده إنما هو الله، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عداه باطل، فصار المحامي له خاذلا لمن ينصره٤، فإن من كفر ابن الفارض ساع جهده في نصر دين الإسلام، وتأييد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وأغلب المحامين له يعتقدون أن دين الإسلام -القائل بضلال ما عداه- هو الحق، ويسعون في نصر من يصوب كل ملة، ويصحح كل نحلة، وهم لا يشعرون أنه قال في تصويب جميع الأباطيل. شعر

ومن شعره في وحدة الأديان:

وإن عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار من ألف حجة

[١٠٥٦] كتاب مصرع التصوف (٢/ ٢١٦-٢١٧).

[١٠٥٧] كتاب مصرع التصوف (٢/ ٢١٨).

فما عبدوا غيري، وإن كان قصدهم ... سواي، وإن لم يعقدوا عقد نيتي". [١٠٥٨]

[معاندته للتوحيد الحق]

وقد عاند التوحيد الحق في قوله:

ولو أنني وحدت ألحدت وانسلخ ... ت من آي جمعي مشركا بي صنعتي.

قالوا في شرحه: "لو أنني أثبت وحدة الذات الحق المطلوب المحبوب، ونفيت كثرة نسبه عنه، كما أثبتت ونفت المنزهة، وبعض الفلاسفة، لكنت مائلا عن سنن الاستقامة؛ لأني أثبت لنفسي وغيري وجودا يقابل وجود الحق" وهذا عين الإلحاد والشرك، فليس وراء هذا كفر، فإن كان هذا مما يفهمه المنازع٣، كما يفهم الذاب عن الشارع، فقد علم منابذته لله، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وإن كان لا يفهمه، ويدعي أن له معنى حسنا، فيكفيه أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء، وهو أصول الدين الذي في الزلة فيه ذهاب الروح والدين". [١٠٥٩]

العفيف التلمساني (٦١٠-٦٩٠ هـ)

هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي [١٠٦٠] التلمساني، عفيف الدين الملقب بالعفيف التلمساني (ت: ٦٩٠ هـ).

١٠٥٨ كتاب مصرع التصوف (٢/ ٢٤٠-٢٤١) فغلاة الصوفية آمنوا بوحدة الأديان -سماويها ووضعيها- لإيمانهم بوحدة الوجود، فرب الصوفية عين المسلم وعين المشرك وعين المجوسي، ولذا قالوا: الإسلام عين الشرك عين المجوسية عين البهائية، ولذا أيضا قالوا بنفي العذاب في الآخرة، إذ الإله لا يمكن أن يعذب نفسه!!.

١٠٥٩ كتاب مصرع التصوف (٢/ ٢٤٢-٢٤٣).

١٠٦٠ (كومي) بالميم، نسبة إلى (كومة) وهي قبيلة صغيرة منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان، كما في ابن خلكان، ويسميها المغاربة (كومية) كما في المعجب. .

تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال. وكان يتصوف ويتكلم على اصطلاح (القوم) يتبع طريقة ابن عربي في أقواله وأفعاله. واتهمه فريق برقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية. وصنف كتبا كثيرة، منها (شرح مواقف النفزي) و (شرح الفصوص) لابن عربي". [1061]

من أشنع القائلين بوحدة الوجود وإسقاط الشرائع والأديان والأخلاق

قال ابن تيمية: "وحدثني كمال الدين المراغي؛ أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب قال – وكنت أقرأ عليه في ذلك–فإنهم كانوا قد عظموه عندنا ونحن مشتاقون إلى معرفة (فصوص الحكم، فلما صار يشرحه لي أقول: هذا خلاف القرآن والأحاديث، فقال العفيف: ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صافٍ حتى تتلقى هذا التوحيد!". [1062]

قال ابن تيمية: "وَالتِّلْمِسَانِيُّ الْمُلَقَّبُ بِالْعَفِيفِ، كَانَ مِنْ أَفْجَرِ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَذَقَ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةِ.

وَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابُ " فُصُوصُ الْحِكَمِ " لِابْنِ عَرَبِيِّ قِيلَ لَهُ: هَذَا الْكَلَامُ يُخَالِفُ الْقُرْآنَ، قَالَ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ، وَإِنَّمَا التَّوْحِيدُ فِي كَلَامِنَا فَقِيلَ لَهُ: إِذَا كَانَ الْوُجُودُ وَاحِدًا، فَلِمَاذَا تَحْرُمُ عَلَيَّ أُمِّي وَتُبَاحُ لِي امْرَأَتِي؟

فَقَالَ: الْجَمِيعُ عِنْدَنَا حَلَالٌ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الْمَحْجُوبُونَ قَالُوا: حَرَامٌ، فَقُلْنَا: حَرَامٌ عَلَيْكُمْ

قال ابن تيمية: "كان التِّلِمْساني مرةً مريضًا فدخل عليه شخصٌ ومعه بعض طلبة الحديث، فأخذ يتكلَّم على قاعدته في الفِكْر أنه حِجَاب، وأن الأمر مدارُه على الكَشْف، وغرضُه كشفُ

[1061] مصادر ترجمته: النجوم الزاهرة (٨/ ٢٩)، والبداية والنهاية (١٣/ ٣٢٦)، وآداب اللغة (٣/ ١١٩)، وشذرات الذهب (٥/ ٤١٢) ونعته "بأحد زنادقة الصوفية"، وفوات الوفيات (١/ ١٧٨).

[1062] مجموع الفتاوى (٢/ ٢٤٥).

الوجود المطلق، فقال ذلك الطالب: فما معنى قول أم الدرداء: «كان أفضلُ عمل أبي الدَّرداء التفكُّرُ»، فتبرَّم بدخول مثل هذا عليه، وقال للذي جاء به: كيف يدخلُ عليَّ مثل هذا؟ ! ثم قال: أتدري يا بنيّ ما مَثَل أبي الدرداء وأمثاله؟ مَثَل أقوامٍ سمعوا كلامًا وحَفِظُوه لنا حتى نكونَ نحن الذين نفهمُه ونعرفُ مرادَ صاحبه، ومَثَلُه بَرِيدٌ حمَل كتابًا من السُّلطان إلى نائبه"

وقال ابن تيمية: "وحدثني الثقة عن الفاجر التلمساني أنه كان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وإنما التوحيد في كلامنا". [١٠٦٣]

وقال ابن تيمية: "وقد قال مرة شيخهم الشيرازي لشيخه التلمساني وقد مر بكلب أجرب ميت: هذا أيضا من ذات الله؟ فقال: وثم خارج عنه؟ ومر التلمساني ومعه شخص بكلب فركضه الآخر برجله فقال: لا تركضه فإنه منه وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين". [١٠٦٤]

قال ابن تيمية: وقيل له: ما الفرق بينكم وبين النصارى؟ فقال: النصارى كفروا بالتخصيص، يعني أنهم لو قالوا بالاتحاد العام لما كفروا

قال الذهبي: وكان يتُهم بالخمر والفسق والقيادة

وكان المزي وقد لزمه في شبابه فلما تبين له انحلاله واتحاده تبرأ منه وحط عليه

قال أبو حيان: وَخَرَجَ التِّلْمِسَانِيُّ مِنَ الْقَاهِرَةِ هَارِبًا إِلَى الشَّامِ مِنَ الْقَتْلِ عَلَى الزَّنْدَقَةِ

قال الصفدي: وَكَانَ ابن تيمية مغرىً بسبّ ابْن عَرَبِيّ محيي الدّين والعفيف التلمساني وَابْن سبعين وَغَيرهم من الَّذين ينخرطون فِي سلكهم وَرُبمَا صرح بسب الْغَزالِيّ وَقَالَ هم قلاووز

[١٠٦٣] مجموع الفتاوى (٢/ ٢٠١).

[١٠٦٤] مجموع الفتاوى (٢/ ٣٠٩).

الفلاسفة أَو قَالَ ذَلِك عَن الإِمَام فَخر الدّين سَمعته يَقُول الْغَزالِيّ فِي بعض كتبه يَقُول الرّوح من أَمر رَبِّي وَفِي بَعْضهَا يدسّ كَلَام الفلاسفة ورأيهم فِيهَا وَكَذَلِكَ الإِمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ كَانَ كثير الحطّ عَلَيْهِ.. وسمعته يَقُول عَن نجم الدّين الكاتبي الْمَعْرُوف بدبيران بِفَتْح الدَّال الْمُهْملَة وَكسر الْبَاء الْمُوَحدَة وَهُوَ الكاتبي صَاحب التواليف البديعة فِي الْمنطق فَإِذا ذكره لَا يَقُول إِلَّا دبيران بِضَم الدَّال وَفتح الْبَاء وسمعته يَقُول ابْن المنجس يُرِيد ابْن المطهّر الحلّي". [١٠٦٥]

قال ابن خلدون: "حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات لابن عربي والبد لابن سبعين وخلع النعلين لابن قسي وعلى اليقين لابن برخان وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالحريق بالنار والغسل بالماء". [١٠٦٦]

صدر الدين القوني (٦٠٦-٦٧٢ هـ)

واسمه: محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على، الشهير بالقونوي. ويلقب بصدر الدين وكنيته أبو المعالي.

ولد القونوي في محافظة ملاطية في الأناضول (سنة: ٦٠٦ هـ)

وكان أبوه اسحق ذا مكانة حتى انه كان يدعى من أشراف السلاجقة نسبًا.. نشأ صدر الدين في أسرة غنية تبدو عليه آثار الثراء.

علاقته بابن عربي

١٠٦٥ الوافي بالوفيات (٧/ ١٣).

١٠٦٦ الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد (ص: ٦٨).

وكان والده مجد الدين إسحق بن يوسف الرومي صحب الشيخ محي الدين منذ أن تعرّف عليه في مكة (سنة: ٦٠٠ هـ)، فلما توفي مجد الدين الرومي والد صدر الدين (سنة: ٦١٥ هـ) وهو صغير آن ذاك ظل يتيمًا وأمه ثيب ثم تزوجت أمه بأستاذه ابن عربي على ما يروى، وكانت مناسبته بأستاذه تؤيد هذه الرواية. أخذ الشيخ محيي الدين على عاتقه تربيته وتعليمه، ولا يعرف زمن التحاقه بأستاذه ابن عربي ولكن إقامة ابن العربي بملاطية كانت في (سنة: ٦١٨ هـ) وكان عمر القونوي يتراوح بين الحادية أو الثانية عشر حينما تتلمذ عليه وذهب معه إلى دمشق ولم يفارقه إلى أن توفى.

فهو أوائل تلاميذ ابن عربي الذين كان لهم دور كبير في نشر علوم الشيخ الأكبر، وهو تلميذه وربيبه، وظل القونوي بعده في دمشق وشكل حلقة تدريسية لفترة، ثم أنتقل منها إلى حلب (سنة: ٦٤٠ هـ)، ومنها خرج مسافراً إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ثم ذهب إلى مصر وظل بها مدة.. والتقى بمصر بابن سبعين الذي كان يقول بوحدة الوجود، ومن تلاميذه فخر الدين إبراهيم العراقي (ت: ٦٨٦ هـ)، وهو شاعر فارسي المولد، ولكنه انتقل إلى عدة مناطق في الهند والجدير بالذكر أن العراقي امتزج في فكره وكتاباته مؤثران رئيسيان؛ أحدهما: تأثير القونوي، والثاني تأثير مدرسة الإشراق للسهروردي، وكان قد تعلم تعاليم الطريقة السهروردية على يد شيخه بهاء الدين زكريا الملتاني.[١٠٦٧]

وممن تأثر به سعيد الدين الفرغاني (ت: ٦٩٩ هـ)

وينتمى الفرغاني إلى الطريقة الصوفية السهروردية. وكان انتماؤه إليها من خلال نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي (ت: ٦٧٨ هـ)، وهو تلميذ شهاب الدين عمر السهروردي. ودرس لاحقا على صدر الدين القونوي، ثمّ على محمد بن سكران البغدادي وآخرين. وفي (سنة: ٦٤٣ هـ) (وربّما سنة: ٦٤٠ هـ) اصطحب الفرغاني القونوي وعددًا من العلماء الآخرين من الأناضول إلى مصر.[١٠٦٨]

[١٠٦٧] كتاب منزلة صدر الدين القونوي وأثره في الفكر الإسلامي ، لحمادي ذويب (ص: ١٥)

[١٠٦٨] كتاب منزلة صدر الدين القونوي وأثره في الفكر الإسلامي ، لحمادي ذويب (ص: ١٨)

وممن تأثر به مؤيد الدين الجندي (ت: ٧٠٠).

وهو من الذين تتلمذوا مباشرة على صدر الدين القونوي، وله عدة كتب في التصوف الفلسفي باللغتين العربية والفارسية، وكان لجندي دور مهم في انتقال تأثير ابن عربي والقونوي من خلال تلاميذه ومنهم عبد الرزاق الكاشاني الذي درس شرح الفصوص عليه". [١٠٦٩]

وتوفي صدر الدين القونوي (سنة: ٦٧٣ هـ) وقيل: (سنة: ٦٧٢ هـ) ودفن في بلدة قونية أمام الجامع المسمى باسمه. وهي نفس الفترة التي توفي فيها جلال الدين الرومي ونصير الدين الطوسي. [١٠٧٠]

كما كان صدر الدين القونويّ صديقًا لجلال الدين الروميّ مؤلّف المثنويّ الشهير، كانت تربطه بجلال الدين الرومي رابطة قوية ويعتقد كل في الآخر. أوصى الرومي بأن يصلى القونوي على جنازته بعد وفاته من بين علماء قونية.

كما كان أستاذًا لقطب الدين الشيرازي شارح فلسفة السهروردي.

وكان لصدر الدين تأثير على نشر الفكر الصوفي في بلاد الروم وبلاد فارس. وله تأثير في عدد من الطرق الصوفيّة كالشاذليّة والنقشبندية وغيرها.

وله مؤلفات كثيرة أغلبها يدور في فلك الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، فقد قام صدر الدين القونوي بشرح العديد من كتب الشيخ محيي الدين والتعليق عليها وأغلب مؤلفاته ما تزال مخطوطة.

ترك صدر الدين القونوي العديد من الكتب والمصنفات نذكر منها: "النفحات"، "تحفة الشكور"، "تجليات"، "تفسير الفاتحة"، "تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي"، "التوجه الأتم الأعلى نحو الحق جل وعلا"، "جامع الأصول"، "الرسالة المرشدية"، "الرسالة الهادية"، "شرح أسماء الله الحسنى"، "فكوك النصوص في مستندات حكم الفصوص للشيخ الأكبر"، "اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية"، "كشف السر"، "كشف أستار جواهر الحكم المستخرجة الموروثة من جوامع الكلم في شرح الأربعين"، "المفاوضات"، "مفتاح أقفال القلوب لمفاتيح الغيوب"،

[١٠٦٩] كتاب منزلة صدر الدين القونوي وأثره في الفكر الإسلامي ، لحمادي ذويب (ص: ٢٢)

[١٠٧٠] انظر ترجمته في كتاب طبقات الأولياء لابن الملقن (ص: ٤٦٧-).

"مفتاح الغيب"، "موارد ذوي الاختصاص إلى مقاصد سورة الإخلاص"، "النصوص في تحقيق الطور المخصوص"، "نفثة المصدور وتحفة المشكور"، "النفحات الإلهية".

جلال الدين الرومي (ت : ٦٧٢ هـ)

جلال الدين الرومي هو "شاعر فارسي توفي سنة (٦٧٢ هـ)، ودفن بقونية وهو صاحب الطريقة المولوية بتركيا.

ويتميز أصحاب هذه الطريقة بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفي حلب وفي بعض أقطار المشرق. [١٠٧١]

وهو من مشاهير الصوفية الذين سلكوا طريق القول بوحدة الوجود، والحلول والاتحاد ، وهي من الأصول الإلحادية التي قال بها من قال من ضلال الصوفية.

يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- نقلا عن شيخ الرومي التلمساني. "وأما صاحبه -أي صاحب التلمساني وهو-الصدر الرومي-فإنه كان متفلسفًا فهو أبعد عن الشريعة والإسلام ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخي القديم -يعني ابن عربي-متروحنا متفلسفا والآخر فيلسوفا متروحنا-يعني الصدر الرومي-فإنه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربي في كتاب مفتاح غيب الجمع والوجود وغيره يقول إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين والجسم المطلق والجسم المعين؛ والمطلق لا يوجد إلا في الخارج مطلقا لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة. فحقيقة قوله: إنه ليس لله سبحانه وجود أصلًا ولا حقيقة ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات؛ ولهذا يقول

[١٠٧١] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٥٩).

هو وشيخه: "إن الله تعالى لا يرى أصلا وأنه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة: عين وجوده – تعالى الله عما يقولون. (وأما) الفاجر التلمساني: فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر؛ فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي". [١٠٧٢]

وقال جلال الدين الرومي في إحدى قصائده:

انظر إلى العمامة أحكمها فوق رأسي

بل انظر إلى زنار زاردشت حول خصري

فلا تنأ عني لا تنأ عني

مسلم أنا ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي

توكلت عليك أيها الحق الأعلى

ليس لي سوى معبد واحد

مسجداً أو كنيسة أو بيت أصنام

ووجهك الكريم فيه غاية نعمني

فلا تنأ عني لا تنأ عني !!". [١٠٧٣]

وقد أسس الرومي طريقة صوفية بدعية ، تسمى الطريقة (المولوية) ، على نفس طريقه في البدعة والضلالة ، بل بلغوا من ضلالهم ، كما ذكر الشيخ حسين مخلوف، مفتي الديار المصرية ، رحمه الله : " ومنها سجودهم أثناء الذكر لأسماء هؤلاء الأئمة ولأشياخهم كما يفعل المولوية عند

[١٠٧٢] مجموع الفتاوى (٢/ ٤٧١).

[١٠٧٣] ينظر: "دراسات في التصوف" ، صالح الرقيب (ص: ١٩٥).

ذكر على وجلال الدين الرومي ويحاولون تأويل السجود بأنه ليس سجود عبادة وإنما هو سجود تكريم واحترام " اهـ من "فتاوى الأزهر".

وقد جمع أخباره وأفكاره، وأقواله المؤلف التركي المعاصر: محمد القونوي، في كتاب حمل عنوان: (أخبار جلال الدين الرومي) ، ذكر فيه عنه مستبشعات من الأقوال والأفعال والأفكار فليراجع.

والله أعلم. [١٠٧٤]

عبد الكريم الجيلي (٧٦٧-٨٢٦ هـ)

واسمه عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الربعي نسبا القادري طريقةً، وكنيته قطب الدين. لقّب بـ «الجيلي أو الجيلاني»، نسبة إلى جيلان (العراق) بلدة أسرته. وُلد فيها «قرب المدائن وهي موطن جده من أمه الشيخ عبد القادر الجيلاني ولقب الجيلي لشهرة أهل أمه وورد في المصادر أنه سبط الجيلاني؛ أي من أولاد بناته» سنة ٧٦٧ هـ.

عرف عن الجيلي أنه كان مولعًا بالسفر. فقد رحل وهو في سنّ الشباب عن *بغداد* ليسافر إلى *بلاد فارس*. وهناك أتقن *اللغة الفارسيّة*، ومن هناك رحل إلى *الهند*، فتعلّم لغتها، وتأمّل في عقائد أهلها. وقابل معلّمي دياناتهم، وتعرّف أسرار عباداتهم ثمّ درس عقائدهم. ومن الهند انطلق إلى *جزيرة العرب*، وبدأ يتجوّل في ما حولها من بلاد، إلى أن حطّ ترحاله في *اليمن*، فوصل مدينة *زبيد* سنة ٧٩٦ هـ، إذ كان له من العمر ٣٠ عاماً. وفي هذه المدينة التقى شيخ الصوفيَّة، *شرف الدين بن إسماعيل الجبرتي*، الذي كان له تأثير كبير عليه. رحل الجيلي من اليمن *مكّة المكرّمة*، حيث وصلها أواخر سنة ٧٩٩ هـ.

وصل الجيلي سنة ٨٠٣ هـ، إلى القاهرة في مصر، وبعد ذلك غادر متوجّهًا إلى *غزّة* في *فلسطين*. ثمّ انطلق منها، من جديد، إلى اليمن، حيث وصل مدينة زبيدة (سنة:

[١٠٧٤] ينظر: فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (١٤/ ٣١، بترقيم الشاملة آليا).

٨٠٥ هـ). ومنها انطلق ليزور باقي مدن اليمن. ليعود بعدها من جديد إلى *زبيد*، حيث أنهى فيها كتابه «الإنسان الكامل». وفيها توفّي (سنة: ٨٢٦ هـ).

قال الشوكاني: "وأما الجيلي فكتابه المسمى الإنسان الكامل كافل لك ببيان حاله أي كافل لا تجد في كتب القوم مثله في التصريح بالاتحاد والإلحاد لأن الرجل أمن من المخاوف التي كان أصحابه يخافونها لما رآه من عدم قيام العلماء بما أوجب الله عليهم من نصر الشريعة وقطع دابر من رام تكديرها متفوها وتحققه من إطباق العامة وكثير من الخاصة على أن القوم من الصفوة المصطفاة وإذعانهم لكل مشعبذ وإن كان لا يدري من صناعة الشعبذة إذا قام بعهدة النهيق قائلا هو هي تاركا للواجبات منغمسا في المحرمات متمخلعا متوقحا متلوثا بالنجاسات غير متنزه عن القاذورات كثير الوقوف في المزابل والرباطات مشتملا على جبة قذرة كدرة فهذا ولي الله المجاب الدعوة الذي يرحم الله به العباد ويستنزل به الغيث إنا لله وإنا إليه راجعون...

فمن تنفسات الجيلي في كتابه المذكور في الباب السابع قوله فأول رحمة رحم الله بها الوجود أن أوجد العالم من نفسه قال الله تعالى {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ} [الجاثية: الآية: ١٣]، ولهذا سرى وجوده في الموجودات فظهر كماله في كل جزء وفرد من أجزاء العالم ولم يتعدد بتعدد مظاهره بل هو واحد في جميع تلك المظاهر وسر هذا السريان أن خلق العالم من نفسه وهو لا يتجزأ فكل شيء من العالم هو بكماله واسم الخليقة على ذلك الشيء بحكم العارية لا كما يزعم من زعم أن الأوصاف الإلهية هي التي تكون بحكم العارية إلى العبد وأشار إلى ذلك بقوله

(أعارته طرفا رآها به ... فكان البصير بها طرفها)

فإن العارية ما هي في الأشياء إلا نسبة الوجود الخلقي إليها فإن الوجود الحقي لها أصل فأعار الحق خلقه اسم الخليقة ليظهر بذلك أسرار الإلهية ومقتضياتها من التضاد فكان الحق هيولى العالم

قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [الحجر: الآية: ٨٥]، فمثل العالم مثل الثلج والحق سبحانه الماء الذي هو أصل الثلج فاسم الثلج على ذلك المعتقد معار واسم المائية عليه حقيقة وقد نبهت على ذلك في القصيدة المسماة بالبوادر العينية بقولي

(وما الخلق في التمثال إلا كثلجة ... وأنت لها الماء الذي هو نابع)

(ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ... ويوضع حكم الماء والأمر واقع)

(تجمعت الأضداد في واحد النهى ... وفيه تلاشت فهو عنهن صادع)

انتهى

وكتابه المذكور مشحون بهذا الهذيان وهو من الصراحة بالاتحاد بحيث لا يلتبس إلا على بهيمة فإن شككت فيما حكيناه فعليك بالكتاب المذكور وهذا المثال مشهور عند القوم لا ينكره أحد منهم بل ربما جاوزه بعضهم فقال إن العالم كالموج والباري عز وجل كالبحر والموج ليس غير البحر صرح بذلك الجامي في شرح نقش الفصوص لابن عربي". [١٠٧٥]

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل "ونؤمن بأن الصوفية في ((الإنسان الكامل)) للجيلي هي الصوفية في ((الفتوحات والفصوص)) لابن عربي، هي الصوفية في ((تائية)) ابن الفارض، هي الصوفية

١٠٧٥ كتاب الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد (ص: ٥٦-٥٩).

عند ((فيلون)) اليهودي، و ((أفلوطين)) المسيحي ، هي الصوفية ((الغنوصية)) و ((الباطنية))". [١٠٧٦]

فمن أقوال الجيلي: "إن الحق تعالى هو حقيقة عيسى وحقيقة أمه، وحقيقة روح القدس، بل حقيقة كل شيء".[١٠٧٧]

ويقول الجيلي: "ليس حقيقة النفس إلا الروح، وليس حقيقة الروح إلا الحق فافهم". [١٠٧٨]

يقول الجيلي: "لهذا الجوهر عرضان؛ الأول: الأزل، والثاني: الأبد .

وله وصفان؛ الوصف الأول: الحق، والوصف الثاني: الخلق، وله نعتان؛ الأول: القدم، والنعت الثاني: الحدوث، وله اسمان؛ الاسم الأول: الرب، والاسم الثاني: العبد". [١٠٧٩]

وقد تأثر بالنزعة الإشراقية في المغرب أناس مثل:

أبو مدين شعيب بن الحسين (٥٠٩-٥٩٤ هـ).

أبو مدين شعيب بن الحسين المغربي الأنصاري الأندلسي والمعروف باسم سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني وكانت له في الغرب مكانة صوفية مرموقة وهو أستاذ ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، وقد ذكر المستشرق سبنسر تريمنجهام في كتابه «الطرق الصوفية في الإسلام» أن طريقة أبي مدين استمرت من خلال تلميذه عبد السلام بن مشيش (المتوفى عام ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨ م)، وأبو سعيد الباجي، ومن أعظم تلاميذه البارزين أبو الحسن الشاذلي الذي أسس الطريقة الشاذلية والتي انتشرت في شمال إفريقيا من المغرب العربي الي مصر، كما كان لها أتباع في سوريا

١٠٧٦ مقال للشيخ عبد الرحمن وكيل رحمه الله ، وقد كتبه في ((مجلة الهدي النبوي)) العدد الأول سنة ١٣٨١ هـ تحت عنوان: ((زندقة الجيلي)).

١٠٧٧ انظر الإنسان الكامل للجيلي (١/ ٨٦).

١٠٧٨ انظر الإنسان الكامل للجيلي (٢/ ٤٧).

١٠٧٩ انظر الإنسان الكامل للجيلي(١/ ١٧).

وبلاد العرب كافة. لذلك فإن الشيخ أبو مدين الغوث شعيب ابن الحسين يعتبر قطب الأقطاب كما يزعمون. ويعد الشيخ شعيب الرجل الثاني بعد عبد القادر الجيلاني في تسلسل أخذ الطريقة الشاذلية لأبي الحسن الشاذلي الذي أخذ عن الشيخ عبد السلام بن مشيش عن أبي مدين شعيب عن عبد القادر الجيلاني، والتي آلت لأبي العباس المرسي. ويعد الجد الأكبر لآل مدين الأسرة الصوفية بمصر ولقبه أبو مدين التلمساني نسبة إلى ابنه مدين الأول، وتلمسان المدينة التي توفي بها

وبعده أيضًا تلميذه عبد السلام بن مشيش (٥٥٩-٦٢٢ هـ).[١٠٨٠]

هو عبد السلام بن سليمان بن أبي بكر بن علي العلمي الإدريسي.

عالم متصوف عاش في زمن الخلافة الموحدية ولد بمنطقة بني عروس بالقرب من مدينة طنجة وانتقل بعدها للعيش بجبل العلم قرب العرائش وهناك توفي، يعد أحد أعلام الصوفية وأستاذ المتصوف أبي الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية.

ونسبت إليه الصلاة المعروفة بالصلاة المشيشية، وجاء فيها بعض العبارات المخالفة للشريعة كقوله: "وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها".

وأبو العباس المرسي (٦١٦-٦٨٦ هـ)

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي، ولد في مدينة مرسية في الأندلس عام (٦١٦ هـ)، منه حصل على لقب المرسي.

وعزم أبوه على الحج لبيت الله الحرام فجمع أهله واستقلوا المركب حتى إذا قاربوا الشاطئ التونسي هبت عليهم ريح عاصفة أغرقت السفينة غير أن أبا العباس وأخاه نجا من الغرق.

وقصدا تونس وأقاما فيها واتجه أخوه محمد إلى التجارة واتجه أبو العباس إلى تعليم الصبيان الخط والحساب والقراءة وحفظ القرآن الكريم.

وهناك تلقَّى أبو العباس المرسي التصوف على يد شيخه الصوفي الأشهر أبي الحسن الشاذلي الذي التقى به أبو العباس في تونس (سنة ٦٤٠ هـ)، وقال له: "يا أبا العباس ما

[١٠٨٠] جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢/ ١٩.

صحبتك إلا لتكون أنت أنا، وأنا أنت" [١٠٨١]وبعدما قد تزوَّد بعلوم عصره كالفقه والتفسير والحديث والمنطق والفلسفة، جاء أوان دخوله في الطريق الصوفي وتلقيه تاج العلوم.
وصحَّت صحبة أبي العباس المرسي لشيخه الشاذلي، وصار من بعده إماماً للطريقة الشاذلية، وكان قبلها قد تزوج أبو العباس من كريمة الشاذلي.
وفي عام (٦٤٢ هـ) انتقل مع شيخه الشاذلي من تونس إلى مصر عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب.

تولَّى أبو العباس مشيخة الطريقة الشاذلية بعد وفاة أبي الحسن الشاذلي (سنة: ٦٥٦ هـ) وكان عمره آنذاك أربعين سنة وظلَّ يحمل لواء العلم والتصوف حتى وفاته، بعد أن قضى أربعةً وأربعين عاماً في الإسكندرية، سطع خلالها نجم الطريقة الشاذلية في الآفاق.

وأقام أبو العباس المرسي بالإسكندرية ثلاثة وأربعين عامًا، وقد تلقى على يديه وصاحبه الكثير ومنهم البوصيري وابن عطاء الله السكندري وياقوت العرشي وابن اللبان والعز بن عبد السلام وابن أبي شامة .. وغيرهم .

توفي في ٢٥ ذو القعدة (سنة: ٦٨٦ هـ) ودفن في الإسكندرية". [١٠٨٢]

ابن باجه (٤٨٧- ٥٣٣ هـ)[١٠٨٣]

هو أبو بكر محمد بن يحيى الملقب بابن الصائغ أو ابن باجه، ويعرفه علماء الغرب باسم افمباس. من أشهر علماء العرب في الأندلس، وكان مشهورًا بالطب والرياضيات والفلك، ويشبه الفارابي في تفوقه في الموسيقى، لا سيما التوقيع على العود. وقد ولد بسرقصة، ولما شب تحول إلى أشبيلية بعد أن استولى ألفونس الأول مدينة سرقصة (عام: ٥١٢ هـ)، فهجرها ابن باجه فيمن

[١٠٨١] لطائف المنن، تأليف: ابن عطاء الله السكندري، (ص: ٩٢).

[١٠٨٢] ابن الصباغ في درة الأسرار ص ١٤٦. وانظر ترجمته في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف.

[١٠٨٣] راجع طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ووفيات الأعيان وأخبار الحكماء ص: ٤٠٦. ونفح الطيب ج٤ ص ٢٠١ ومونك ص ٣٨٣، عاش سنة ١١١٨م في إشبيلية.

هجرها من العرب، وكان اشتغل بأشبيلية أمدًا ثم سافر إلى غرناطة وأقام بها حينًا ثم رحل إلى المغرب، وقد قضى ابن باجه ولم يبلغ مبلغ الكهول (عام: ٥٣٣ هـ).

وقد أطنب ابن أبي أصيبعة في حياة الحكيم ابن باجه في كتابه عيون الأنباء، وذكر أن أبا الحسن علي الغرناطي كان تلميذ ابن الصائغ وصديقه. وقد جمع نصيبًا من مؤلفاته وكتب لهذه المجموعة مقدمة ذكر فيها أن ابن الصائغ أول من انتفع بحكمة المشارقة من العرب (فلاسفة الشرق هكذا يسمى ابن سينا والفارابي والغزالي لتمييزهم عن فلاسفة الغرب من العرب كابن طفيل وابن باجه وابن رشد) وهذه الرواية لا ريب فيها؛ لأن مؤلفات هؤلاء الحكماء انتشرت في الأندلس منذ ولاية الحكَم الثاني ٩٦١–٩٧١ فيكون ابن باجه أول من أشاع العلوم الفلسفية في الأندلس بغير نزاع.

كان من جملة تلاميذه أبو الوليد محمد بن رشد، و أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام الغرناطي، وقد صحب أستاذه ابن باجه مدة ودرس معه واشتغل عليه وحضر وفاة ابن باجه ودفنه في فاس سنة ٥٣٣هـ.

قال عنه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان: "إن الأديب أبا بكر بن الصائغ هو قذى في عين الدين وعذاب لأهل الهدى. وقد اشتهر بين أهل عصره بهوسه وجحوده واشتغاله بسفاسف الأمور، ولم يشتغل بغير الرياضيات وعلم النجوم، واحتقر كتاب الله الحكيم وأعرض عنه. وكان يقول بأن الدهر في تغير مستمر، وأن لا شيء يدوم على حال، وأن الإنسان كبعض النبات أو الحيوان، وأن الموت نهاية كل شيء ... الخ

وله كتب كثيرة منها ما هو في المنطق، وكتاب في النفس ورسالته في تدبير المتوحد، ورسالة الاتصال، ورسالة الوداع. وقد تكلم في هذه الرسالة على العوامل التي تؤثر في الإنسان وتدفع العقل على التفكير، وشرح غاية الوجود الإنساني وغاية العلم وهما التقرب من الله والاتصال بالعقل الفعَّال الصادر عنه جل وعلا. ثم أضاف المؤلف جملًا مبهمة في خلود النفس وغرس بذور المذهب الذي توسع فيه ابن رشد وهو مبدأ وحدة النفوس، وكان له من الشأن لدى علماء النصرانية.

وهو الذي كان يتكلم عن إشراق العقل الفعال وعن السعداء الذين يبلغون الحياة الأزلية وكيف أنهم يصبحون أنوارًا. وقد لام الغزالي الذي أضل نفسه وأضل سواه بزعمه في «المنقذ» أن الخلوة

تفتح للذهن عالم المعقولات وتظهر للمتأمل أمورًا إلهية ليس وراء رؤيتها لذة، وأنها هي الغاية التي يسعى إليها المتأملون.

وذكر أن أصل هذه الفكرة راجع إلى أحد فلاسفة اليهود في القرن الرابع عشر وهو موسى الزبوني شارح رسالة حي بن يقظان.

ويظهر أن غاية ابن باجه من رسالة تدبير المتوحد أن يثبت قدرة الإنسان المتوحد المنتفع بحسنات الحياة البعيد عن مفاسدها على الاتصال بالعقل الفعَّال بمجرد نمو قواه الفكرية، ولكن ابن باجه لا يوصي بالخلوة أو الوحدة المطلقة، إنما يرشد الإنسان المشتغل بشئون الحياة إلى سبل الوصول إلى الكمال وهو يشير إلى إمكان ذلك لرجل بمفرده أو لعدة رجال في درجة واحدة من الفكر وهم ذوو مقصد واحد، وقد يستطيع ذلك أهل بلد بأسره لو كانت حياتهم تابعة لشروط الكمال. ولم تخف على ابن باجه صعوبة هذا الأمر فأوصى المتوحد بالعيش في أغزر المدن علمًا، أي في أقرب المدن إلى الكمال وأجمعها لأهل الفضل والحكمة". [١٠٨٤]

ابن الطفيل (ولد بين سنتي ٤٩٥ و ٥٠٥–٥٨١ هـ)

واسمه أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي.

ولد بمدينة «وادي آش»، وتسمى اليوم (Guadix) وتبعد مسافة ٥٣ كيلومترًا من قرطبة.

درس الفلسفة والطب علي يد أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها، وتولى منصب الوزارة، وكان طبيبًا خاصًّا للأمير يوسف أبي يعقوب ابن عبد المؤمن، ثاني أمراء أسرة المهدي المتوفى (سنة: ٥٨٠هـ) ، كما كان معاصرًا لابن رشد وصديقًا له.وقد انتهز ابن طفيل فرصة تقربه من الأمير فجلب إلى القصر مشاهير حكماء عصره، وهو الذي قدم إلى الأمير، حكيم الأندلس ابن رشد، وكان الأمير طلب منه يومًا أن يرشده إلى عالم خبير بمؤلفات أرسطو ليطلب إليه تفسيرها وتحليلها تحليلًا جليًّا، فطلب ابن طفيل إلى ابن رشد أن يقوم بهذا العمل، واعتذر للأمير عن إنجازه بكبر سنه، فلبى ابن رشد هذا الطلب وقام بتحليل كتب أرسطو.

وتوفي (سنة: ٥٨١ هـ) بمدينة مراكش

[١٠٨٤] المصدر: تاريخ فلاسفة الإسلام، دراسة شاملة عن حياتهم وأعمالهم ونقد تحليلي عن آرائهم الفلسفية، الفصل الخامس (ابن باجة).

وهو أيضا من الذين تأثروا بالاشراقية في الأندلس وتظهر أيضا هذه النزعة بوضوح في قصة حي بن يقظان وقد تأثر فيها بقصة حي بن يقظان عند ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، والقصة تشبه أن تكون تمثيلا للعقل الإنساني الطبيعي الذي يشرق عليه نور من العالم العلوي، وتصور القصة تدرج الانسان، بدون تأثير المجتمع، في طلب المعرفة وتتكلم عن الرياضات الصوفية على صورتها المتبعة عند أهل الشرق وكما أوصى بها أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.)، وأهل المذهب الأفلاطوني الجديد.

ويظهر من هذا الكتاب أن ابن طفيل كان من الإشراقيين، وقد حاول بطريق التأمل أن يحل معضلة كبرى شغلت حكماء وقته، وهي علاقة النفس البشرية بالعقل لأول، فإنه لم يقنع برأي الغزالي الذي اكتفى في الاتصال بالتصوف، إنما اتبع رأي ابن باجه وأظهر نمو الفكر الإنساني درجة فدرجة في شخص إنسان منقطع بعيد عن مشاغل الحياة سليم من آثارها وأدرانها، واختار ابن طفيل مخلوقًا لم يعلم من الحياة شيئًا، وقد نما عقله في الانفراد المطلق بذاته، وتنبه فكره بقوته وبدافع من العقل الفعَّال، فأحاط بفهم أسرار الطبيعة وحل أعضل المسائل الإلهية: هذا ما أراده ابن طفيل من كتابه «حي بن يقظان»". [١٠٨٥]

ابن عباد الرندي (٧٣٣ –٧٩٢ هـ). [١٠٨٦]

ابن عباد الرندي صوفي أندلسي، ولد في مدينة رُندة قرب قرطبة في جنوب أسبانيا (سنة: ٧٣٣ هـ).

وكان ابن عباد من أسرة نبيلة في المدينة جمعت بين جلالة الجاه الاجتماعي وبين التقوى والفقه في الدين. فأبوه، أبو اسحق إبراهيم، كان قاضيًا وخطيبًا مفوها، يعظ الناس في مسجد رندة. وعن أبيه هذا، أخذ ابن عباد القرآن ومبادىء العربية. وعن خاله الشيخ الفقيه القاضي عبد الله الفريسي أخذ العربية، وعن الشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن على بن أبي الحسن الرندي

[١٠٨٥] المصدر: تاريخ فلاسفة الإسلام، دراسة شاملة عن حياتهم وأعمالهم ونقد تحليلي عن آرائهم الفلسفية، الفصل السادس (ابن الطفيل).

[١٠٨٦] ابن الصباغ في درة الأسرار ص ١٤٦.

علم القراءات. ثم ارتحل الصبي إلى بلاد المغرب وتلقى العلم في بلاد كثيرة من أهمها: فاس وتلمسان وسلا وطنجه. "وأخذ في طريق الصوفية والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه، وتكلم في علم الأحوال والمقامات والعلل والآفات". [١٠٨٧] وقد أخذ التصوف خصوصًا على الشيخ الصالح الورع أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، وأقام معه ومع أصحابه في مدينة سلا سنين عديدة، "لوجدان السلامة معهم" على حد تعبيره. [١٠٨٨]

كما لقى في طنجه الشيخ الصوفي أبا مروان عبد الملك ولازمه كثيرًا. وقرأ خصوصًا كتاب "قوت القلوب" لأبي طالب المكي، وهو إلى جانب "إحياء علوم الدين" للغزالي.

وبعد أن أقام في "سلا" سنين عديدة انتقل إلى مدينة "فاس" بعد وفاة أستاذه أحمد بن عاشر، وعين خطيبًا بجامع القرويين في مدينة فاس، وبقى في هذا المنصب خمس عشرة سنة خطيبًا، إلى أن توفي في فاس رابع رجب (سنة: ٧٩٢ هـ).

وأشهر مؤلفاته هو شرحه لمتن كتاب "الحكم" لاحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هجرية، وهو كتاب يتضمن جملًا قصيرة فيها خلاصة التصوف، وإن لم يكن مرتبًا ترتيبًا منطقيًا.

وكان ابن عباد من اتباع الطريقة الشاذلية التي أسسها أبو الحسن الشاذلي ثم تلميذه أبو العباس المرسي، لكنه في شرحه على "الحكم العطائية" لا يقتصر على الشاذلية، بل يورد أقوال أعلام التصوف دون استثناء.

المطلب الثاني: المدرسة الإشراقية في المشرق.

الحلاج (ت: ٣٠٩ هـ) الذي قال عنه الذهبي في ترجمته: "هو: الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله–ويقال: أبو مغيث–، الفارسي، البيضاوي، [١٠٨٩] الصوفي. وكان جده محمي مجوسيًا. نشأ الحسين بتستر، فصحب سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣ هـ)، وصحب

[١٠٨٧] "نفح الطيب" (٣/ ١٧٥).

[١٠٨٨] "نفح الطيب" (٣/ ١٧٦).

[١٠٨٩] البيضاء: مدينة ببلاد فارس.

ببغداد الجنيد (ت: ٢٩٧ أو ٢٩٨ هـ)، وأبا الحسين النوري (٢٩٥ هـ)، وصحب عمرو بن عثمان المكي (ت: ٢٩٧ هـ). وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة. وكان يصحح حاله أبو العباس بن عطاء (ت: ٣٠٩ هـ)، ومحمد بن خفيف (ت: ٣٧١ هـ)، وإبراهيم أبو القاسم النصر آباذي (ت: ٣٦٧ هـ). وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لما سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وإلى الشعبذة والزوكرة،[١٠٩٠] وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال. نسأل الله العصمة في الدين". [(١٠٩١)]وقال عنه النديم (ت: ٣٨٥ هـ): "قرأت بخط أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر "طيفور": الحسين بن منصور الحلاج، وكان رجلًا محتالًا مشعبذًا، يتعاطى مذاهب الصوفية ويتحلى ألفاظهم ويدعى كل علم، وكان صفرًا من ذلك. وكان يعرف شيئًا من صناعة الكيمياء، وكان جاهلًا مقدامًا متدهورًا جسورًا على السلاطين مرتكبًا للعظائم، يروم إقلاب الدول، ويدعي عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة. وفي تضاعيف ذلك يدعي أن الإلهية قد حلت فيه، وأنه هو هو، تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علوا كبيرا. قال: وكان يتنقل في البلدان، ولما قبض عليه سلم إلى أبي الحسن علي بن عيسى، فناظره فوجده صفرًا من القرآن وعلومه ومن الفقه والحديث والشعر وعلوم العرب. فقال له علي بن عيسى: "تعلمك لطهورك وفروضك أجدى عليك من رسائل لا تدري أنت ما تقول فيها. كم تكتب ويلك إلى الناس: "ينزل ذو النور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته، ما أحوجك إلى أدب". وأمر به فصلب في الجانب الشرقي بحضرة مجلس الشرطة وفي الجانب الغربي. ثم حمل إلى دار السلطان فحبس، فجعل يتقرب بالسنة إليهم، فظنوا أن ما يقول حق". [(١٠٩٢)] ومن أبرز أعلام هذه المرحلة:

[١٠٩٠] جاء في تاج العروس (١١/ ٤٣٩) عن شيخه الطيب الفاسي ونسبه إلى المقري صاحب نفح الطيب "أن الزواكزة من يتلبس فيظهر النسك والعبادة، ويبطن الفسق والفساد".

[١٠٩١] انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣-٣١٤).

[١٠٩٢] انظر: الفهرست (١/ ٦٧٥-٦٧٦).

شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)

وهو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السُّهْرَوَرْدي (بالفارسية: شهاب الدين سهروردى) ويلقب بشهاب الدين، واشتُهر باسم السُّهْرَوَرْدي المقتول تمييزًا له عن صوفيين آخرين هما: شهاب الدين عمر السهروردي (ت: ٦٣٢ هـ)، مؤلف كتاب «عوارف المعارف» في التصوف، وصاحب الطريقة السهروردية.

أما الآخر فهو أبو النجيب السهروردي (ت: ٥٦٣ هـ).

ولد في سهرورد الواقعة شمال غربي إيران، وقرأ كتب الدين والحكمة ونشأ في مراغة وسافر إلى حلب وبغداد، وكان مقتله بأمر صلاح الدين بعد أن نسب البعض إليهِ فساد المعتقد وظن صلاح الدين أن السهروردي يفتن ابنه بالكفر والخروج عن الدين وكان مقتله في قلعة حلب سنة (٥٨٦ هـ).

وقيل إنه إسماعيلي العقيدة والفكر، خاصة في مرحلة شبابه حينما انتدب داعيًا للمدرسة الإسماعيلية النزارية.

وقد عنه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: "الشهاب السهروردي الفيلسوف، صاحب السيمياء، قتل لسوء معتقده،... وقال عنه ابن خلكان: ويُلقَّب بالمؤيد بالملكوت، وكان يُتهم بانحلال العقيدة والتعطيل، واعتقاد مذهب الحكماء، واشتهر ذلك عنه، فأفتى علماء حلب بقتلهِ لما ظهر لهم من سوءِ مذهبه". [١٠٩٣]

ويطلق اسم الإشراقيين بالأخص على السهروردي صاحب مدرسة الإشراق، وله مصنفات منها: التلويحات اللوحية والعرشية، والألواح العمادية وهياكل النور وأتباعه، ففي أواسط القرن السادس الهجري، شرح شهاب الدين السهروردي أفكار أفلاطون بعد أن هواها ودافع عنها، وبذلك أسس الفلسفة الإشراقية في البلاد الإسلامية ونقد الفلسفة المشائية.

قال ابن تيمية:" السهروردي المقتول على الزندقة صاحب «التلويحات» و «الألواح» و «حكمة الإشراق»، وكان في فلسفته مستمدا من الروم

١٠٩٣ لسان الميزان لابن حجر (٤/ ٢٦٤).

الصابئين والفرس المجوس، وهاتان المادتان هما مادتا القرامطة الباطنية ومن يدخل فيهم من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم". [١٠٩٤]

وقال ابن تيمية: "وأما القدماء –أرسطو وأمثاله– فليس لهم في النبوة كلام محصل. والواحد من هؤلاء يطلب أن يصير نبيًا، كما كان السهروردي المقتول يطلب أن يصير نبيًا، وكان قد جمع بين النظر والتأله، وسلك نحوًا من مسلك الباطنية، وجمع بين فلسفة الفرس واليونان، وعظم أمر الأنوار، وقرب دين المجوس الأول، وهي نسخة الباطنية الإسماعيلية، وكان له يد في السحر والسيمياء، فقتله المسلمون على الزندقة بحلب في زمن صلاح الدين". [١٠٩٥]

وقال ابن تيمية: "ولهذا كان من أصلهم أن النبوة مكتسبة، وكان السهروردي المقتول يطلب أن يكون نبيًا، وكذلك ابن سبعين، وغيره". [١٠٩٦]

وقال ابن تيمية: "ولهذا كان أكابر هؤلاء يطمعون في النبوة، فكان السهروردي المقتول يقول: لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذر". [١٠٩٧]

وجمع شمس الدين الذهبي في سير أعلام النبلاء طائفة من أخبار السهروردي، ونقل موقف الفقهاء القاضي بقتلهِ، وأضاف معلِّقًا: "أحسنوا وأصابوا". [١٠٩٨]

وقال ابن كثير في طبقات الشافعيين: "إنما ذكرته في الطبقات ليعرف حاله، وليفرق بينه وبين الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ الصوفية، وأحد الصالحين الآتي ذكره في الطبقة التاسعة، وله من المصنفات التلويحات اللوحية والعرشية، وكتاب هياكل النور، وكتاب المعارج، وكتاب حكمة الإشراق، وكتاب المطارحات، وكتاب اللمحة وغير ذلك من الكتب المشتملة على

[١٠٩٤] نقض المنطق لابن تيمية (ص: ٢٧٩–٢٨٠).

[١٠٩٥] منهاج السنة النبوية (٨/ ٢٤ – ٢٥).

[١٠٩٦] النبوات لابن تيمية (٢/ ٧٠٢–٧٠٣).

[١٠٩٧] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١٣١٨).

[١٠٩٨] سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢١٠ – ٢١١).

الفلسفة، وعلم الأوائل التي ساقها، قدر الله بسببها إلى قتله، وجعله مثلة بين الناس يرتدع به من كان على طريقته، ومنهجه، ولو أنه اقتفى بالآثار النبوية والأخبار المصطفوية المنقولة بالسند الصحيح عن خير البرية لأحسن من هذه البلية ولرفع يوم القيامة إلى الجنة العلية، ولكن كان ما وقع به مقدورًا، وكان على جبينه مسطورا". [١٠٩٩]

وقد تأثر السهروردى بالفكر الفارسي القديم؟ ويذكر القطب الشيرازي في شرح حكمة الإشراق: "والمصنف عطف بأطراف منها [كتب الفرس] ورآها موافقة للأمور الكشفية الشهودية استحسنها وكمالها وهي قاعدة الشرق في النور والظلمة، ليست كقاعدة كفرة المجوس القائلين بظاهر النور والظلمة وأنهما مبدآن أولان لأنهم مشركون لا موحدون". [١١٠٠]

وتأثر كذلك بالفكر اليوناني أو بما كان يعرف بالتراث الهليني، وقد كانت الأفلاطونية المحدثة هي المذهب التلفيقي الذي اختار من كل مذهب ما يتفق والنزعة الصوفية التي امتاز بها أفلوطين، فقد كانت له مدرسة في التربية الروحية، وكان له أتباع ومريدون فتناولت هذه المدرسة الأرسطية المتأخرة والأفلاطونية المتأخرة والرواقية، وأضافتها إلى السحر والتنجيم والأساطير وكل ماعرف عن الشرق من تراث روحى، وأخرجت مذهبا يموج بمختلف الآراء وشتى النظريات، فقد تضمن آراء العرفانيين وكان أفراد كثيرون منهم يتابعون دروس أفلوطين، وتأثر المذهب بمعتقدات فارس نتيجة للاحتكاك الثقافي الذي كان ملحوظا بين الفرس والروم. وعلى هذا فإن الأفلاطونية المحدثة كمذهب تجمع مختلف الآراء والنظريات، ففيها آراء أرسطو إلى جانب آراء أفلاطون (عاش بين ٤٢٧ ق.م. – ٣٤٧ ق.م.).

كما تأثر بالزرادشتية ولم تكن الزرادشتية هي المصدر الوحيد الذي تأثر به شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، فهو كما يقول عن نفسه إنه متأثر بحكمة فارس وبابل والهند واليونان ومصر القديمة، ويقصد من هذا الخليط ما كان يزاوله حكماء هذه الدول من مجاهدات ورياضات نفسية للوصول إلى الله. غير أنه تأثر في فلسفته بالفكر الفارسي إلى حد ما كما بينا، وكذلك بالأفكار البابلية القديمة عن النجوم وله كتب في الدعاء للنجوم والكواكب تشهد هذا

[١٠٩٩] طبقات الشافعية لابن كثير (١/ ٧٣٥).

[١١٠٠] مقدمة حكمة الإشراق (ص: ١٩).

التأثر. والمصدر المباشر لعبادة النجوم هم الصابئة الذين لا يزالون في بعض أجزاء العراق إلى الآن[١١٠١]، وكذلك الفيثاغوريون المحدثون الذين رتبوا للنجوم دعوات خاصة، ويمكن أن يكون الصابئة قد تأثروا بالفيثاغورية في هذا. ويمكن أن يكون شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، قد استعار تخطيط الوجود النوراني من الأستاق الفارسي بالإضافة إلى مذهب الصابئة في النجوم .

والمدرسة الإشراقية في فارس استمرت بعد شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، ومن أشهرهم:

محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي، الملا صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ)

وكان أقوى معبر عن النزعة الإشراقية، من القائلين بوحدة الوجود، من أهل شيراز، فارسي المحتد. [١١٠٢]

ولصدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ) شراح عديدون منهم ملا هادى السبزوارى[١١٠٣]. سنة ١٨٧٨م، وتستمر المدرسة الإشراقية بعد ملاصدرا، فمن أفرادها حاجى ملا أغا الدربندى وملا نصر الدين، حيث ترك الملا صدرا طائفة من الطلاب والمتعلمين كان أبرزهم تلميذه الملا محسن فيض الكاشاني وهو محمد بن مرتضى المعروف بمحسن فيض (ت: ١٠٩١هـ). غلبت على الفيض نزعتان النزعة إلى الفلسفة العالية والنزعة إلى التصوف. فدرس كتب الفلاسفة واصبح فيلسوفا من كبار الفلاسفة ومارس التصوف حتى

[١١٠١] The Mandæans of Iraq and Iran. By E. S. Drower, Oxford ١٩٣٧

[١١٠٢] الأعلام للزركلي (٥/ ٣٠٣).

[١١٠٣] راجع : براون : تاريخ الفرس الأدبي ص: ٣٧-٣٩.

أصبح صوفيا من جماعة المتصوفين، وقد ذهب مذهب أستاذه في تقديس ابن العربي والثناء عليه والنقل من كتبه. [١١٠٤]

الملا عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهيجي (ت: ١٠٥١ هـ)

ومن الذين تأثروا بمدرسة الملا صدرا عالم آخر وفيلسوف صوفي هو الملا عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهيجي (ت: ١٠٥١ هـ) المتكلم الشاعر وصاحب التصانيف في الحكمة والكلام. وكان كالمحسن فيض صهرا للملا صدرا وخليفة من خلفائه في الفلسفة الإشرافية وله في هذه الفلسفة كتاب (شرح الهياكل في حكمة الإشراق) وكتاب (الشوارق في الحكمة)تلك الفلسفة التي ارتبطت بالصوفي الشهير السهروردي على الأخص والتي أصبحت ذات لون إسلامي خاص". [١١٠٥]

وتعتبر الإشراقية مذهبا للفكر وطريقة السلوك، فإلى جانب المذهب الروحي تقوم طريقة النوربخشية[١١٠٦] . وهي من الطرق الصوفية التي انتشرت في فارس ، وهناك طريقة مركزها كربلاء في العراق تسمى السهروردية لها عميد في صحراء كربلاء وتكية يزار فيها كل عام حين يجتمع رسل السهروردية. ولكن الشك والغموض يحيطان بهذه الطائفة إذ إن الجانب النظري قد إنتفى أو كاد من تعاليمها وبقيت طريقة السلوك الصوفي ما يجعل من الصعب إرجاع إسنادها إلى شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، دون غيره من المشابهين له في اللقب". [١١٠٧]

على أن الإشراقية في فارس كانت عاملًا مهمًا في نشأة البهائية[١١٠٨]، وفي بلورة العقائد الشيعية ذلك أن مدرسة النجف الشيعية قد تعاونت تعاون وثيقًا مع أصفهان وشيراز وقزوين. والدليل على مدى الارتباط الوثيق بين الإشراقية والمذهب الشيعي هو أن عالما متكلما مثل ابن أبي

[١١٠٤] الفلسفة الإسلامية المتأخرة لجواد علي، مجلة الرسالة، العدد (٦٣٤) (ص: ١٠).

[١١٠٥] الفلسفة الإسلامية المتأخرة لجواد علي، مجلة الرسالة، العدد (٦٣٤) (ص: ١١).

[١١٠٦] راجع ملحق دائرة المعارف الإسلامية – مادة « إشراقيون ، بقلم دى بور ص ٩٨، وراجع أيضًا "طرائق الحقائق" لمعصوم على شاه ج٢ ص ١٤٣ طبع طهران سنة ١٢٩٠هـ..

[١١٠٧] الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي .٣٧-٣٨

[١١٠٨] راجع جوبينو (الدين والفلسفة في آسيا الوسطى) ج٢ نصوص طويلة عن البهائية ونشأتها.

جمهور،[١١٠٩] الأحسائي كان له مجهود كبير في الربط بين الآراء الشيعية والأفكار الإشراقية وأن ابن أبي جمهور هذا هو الذي مهد السبيل لتفكير ملاصدرا.

ومما يثبت ذلك أن الشيخ أحمد الأحسائي وهو منشيء، مدرسة شيخي الإشراقية سنة ١٨٢٧ م – ١٢٤٢هـ وشارح ملاصدرا يذكر أثناء شرح نص لصدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ)، عن العقل الأول "وكذلك كلام ابن أي جمهور في المجلى نقلا عن الإشراقيين راضيا به ونافيا لما خالفه". والمجلى كتاب يتعرض لأصول الدين حسب المذهب الشيعي.

على أن مدرسة ملاصدرا لم تكن المدرسة الإشراقية الوحيدة بل هناك المدرسة التي عكفت على شرح مؤلفات شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، وأحيت فكره وتمثلته. فهناك:

شمس الدين الشهرزورى المتوفى سنة (١٢٥٠ م – ٦٨٧ هـ)، وقد تناول الشهرزورى في آخر فصل من تواريخ الحكماء[١١١٠]، حياة السهروردى المقتول وكتبه بالتفصيل. وقد شرح الشهرزوري حكمة الإشراق وهو يتكلم في هذا الشرح عن فخر الدين الرازى (ت: ٦٠٦ هـ)، وهو يذكر أنه وضع كتاب المباحث المشرقية وأنه في هذا الكتاب لا يشير إلى شيء من الإشراقية إذ إن الرازى–على حد قوله–غير قادر على استجلاء المعنى الباطن فهو إذن عاجز عن أن يكون حكيما متألهًا كالسهروردى مثلا . وقد تأثر **ابن كمونه الإسرائيلي (ت: ٦٧٦ هـ)** بالشهرزورى وكذلك كان **نظام الدين الهروى (٦٧٩ هـ)** من شراح السهروردى

وجلال الدين الدوائي (ت: ٩٠٧ هـ) الذي انقلب إلى التشيع بعد حلم رآه وكان إشراقيًا نشيطا مجتهدا، وقد شرح الدواني الهياكل.

وهناك شارح آخر هو **غياث الدين منصور بن محمد الحسيني الشيرازي الدشتكى (ت: ٩٤٩ هـ)** وقد شرح الهياكل، وكان غياث الدين يتسقط أخطاء الدوائي ويعارضه وقد شرح

[١١٠٩] لابن أبي جمهور كتاب بعنوان (المجلى) انتهى من تحرره في جمادى الثاني سنة ٨٩٥ هـ، مايو ١٤٩٠ م.

[١١١٠] تواريخ الحكماء (مخطوط بجامعة فؤاد).

ودود الدين التبريزى الألواح العمادية (سنة ٩٣٠ هـ) ولخصه تحت اسم الإشراق، وكان عمله يظهر فيه الأثر الشخصي.

وقد تأثر بالإشراقية غير هؤلاء كثيرون من مفكري الفرس نذكر منهم **الأبهري المتوفي سنة ٦٦٣** هـ.

وكذلك **نصر الدين الطوسي سنة ٦٧٢ هـ** – في نظرية فيض العقول. [١١١١] .

ونصير الدين الطوسي هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسن الطوسي، الفيلسوف الكبير، والفلكي المشهور، كان إسماعيليًّا وبنى مرصدًا في قلعة ألموت، وبعد استيلاء هولاكو عليها صار من حاشيته، وانتقل إلى مذهب الإمامية، ولا يدري هل كان انتقاله تقية أم عن قناعة.

وتوفي في ذي الحجة (سنة ٦٧٢ هـ)، وقد نيَّف على الثمانين**.** [١١١٢]

يرى ابن تيمية أن الطوسي ملحد، [١١١٣] بل من رؤوس الملاحدة، [١١١٤] وأنه لم ينفق عند المشركين من التتر إلا بأكاذيب المنجمين، ومكايد المحتالين، المنافية للعقل والدين**.** [١١١٥]

وأكثر ابن تيمية من الرد عليه في كتبه، مثل «درء التعارض» و«الصفدية» و«منهاج السنة»، واطَّلع من كتبه على كتاب «شرح إشارات ابن سينا».

وقد عاصر ابن تيمية جماعة من تلاميذ الطوسي، وجرى له جدال مع أحدهم وهو: الحسين بن يوسف بن المطهر الشيعي، المتكلم الإمامي، وكان له اشتغال بالعلوم العقلية، وكتب كتابًا

[١١١١] راجع شرح الهداية لملا صدرا ص: ٢٦٦-٢٦٧.

[١١١٢] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (٧: ٥٩١- ٥٩٢).

[١١١٣] درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٧٨)، (١٠/ ٤٤).

[١١١٤] درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٦٧).

[١١١٥] درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٦٧-٦٨).

لملك المغول يدعوه فيه إلى التشيّع سماه: «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة»، وتوفي (سنة ٧٢٦ هـ)". [١١١٦]

وقد ردَّ عليه ابن تيمية بكتابه المشهور «منهاج السنة النبوية»، وذكر الصفدي أن ابن تيمية كان يسمي ابن المطهر «ابن المنجس". [١١١٧]

المبحث الرابع: المتأثرون بالفكر الفلسفي الباطني.

المطلب الأول: ألقاب الباطنية:

ألقاب الباطنية تمثل الأوصاف التي اتصفوا بها، وكان لكل لقب أطلق عليهم سبب، فمن ألقابهم:

١. **الباطنية:** ولقبوا به لدعواهم أن لظواهر القرآن وأخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وتلك البواطن رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعس عقله عن الغوص في الخفايا والأسرار والبواطن، أبتلي بالأغلال والآصار التي يعنون بها التكليفات الشرعية، التي تنحل عمن ارتقى إلى علم الباطن فيستريح من أعبائه.

٢. **القرامطة:** ولقبوا بهذا اللقب نسبة إلى رجل يقال له حمدان المعروف بقرمط لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه، كان أحد دعاتهم وقادتهم، فسمي أتباعه قرامطة وقرمطية. وكان ظهوره بسواد الكوفة في سنة أربع وستين ومائتين ٢٦٤هـ. وكان ظهوره بسواد الكوفة، فاشتهر مذهبه بالعراق، وقام ببلاد الشام صاحب الحال، والمدثرالمطوق. وقام أبو سعيد الجنابي بالبحرين، وعظمت دولته ودولة بنيه، حتى أوقعوا بعساكر الخلفاء العباسيين، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز، وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض.

[١١١٦] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (٢/ ١٥٨).

[١١١٧] الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (١٣/ ٨٥).

فدخل جماعة من الناس في دعوتهم، ومالوا إلى قولهم الذي سموه علم الباطن، وهو تأويل شرائع الإسلام، وصرفها عن ظواهرها إلى أمور زعموها من عند أنفسهم، فضلوا وأضلوا عالما كثيرا.

وقيل غير ذلك في تاريخ ظهور حمدان هذا في تسمية بقرمط، يقول الوطواط " ظهر في أيام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨هـ من سواد الكوفة، رجل أحمر العينين يسمى كرميته، فاستثقلوا هذه اللفظة، فخففوها وقالوا قرمط. ثم ذكر أنواع تعاليمه وبدعه الفاسدة، وذكر أن المعز الفاطمي وقائده جوهر، قد حاربا القرامطة حروبا دامية سنة ٣٦٢هـ ."

ويقول إبن خلكان: " والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة، يقال له قرمط بكسر القاف، ولهم مذهب مذموم، وكانوا قد ظهروا في سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد، وقيل كان ظهورهم في سنة ٢٧٨هـ ."

ويرى أبو الفداء " أن ظهورهم كان في هذه السنة أي سنة ٢٧٨هـ في سواد الكوفة، وأن الرجل الذي دعاهم إلى مذهبه كان شيخا وقد تمرض بقرية من سواد الكوفة، فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية إسم لحمرة العين. فلما تعافى الشيخ المذكور سمي بإسم ذلك الرجل الذي آواه ومرضه. ثم خفف فقالوا قرمط. ودعا قوما من أهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل إلى دينه، فأجابوه ."

ولايهمنا أكان الرجل الذي دعا القرامطة هو نفس الرجل المسمى بقرمط أو غيره، ولكنه سمي بإسم قرمط، وإنما يهمنا أن نعرف تاريخ ظهورهم في أي سنة كان، لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت أم لا. وقد رأيت إختلاف الروايات في تحديد زمان ظهورهم. والأرجح أنه كان

في سنة ٢٧٨هـ، أي بعد انقضاء زمن الأئمة الميامين، وفي أثناء الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر ". [١١١٨]

وقد ذكرهم الأشعري بقوله: "القرامطة يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بن أبي طالب، وأن عليا نص على إمامة إبنه الحسن، وأن الحسن بن علي نص علىإمامة أخيه الحسين بن علي، وأن الحسين بن علي نص على إمامة إبنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين نص على إمامة إبنه محمد بن علي، ونص محمد بن علي على إمامة إبنه جعفر، ونص جعفر على إمامه إبنه محمد بن إسماعيل، وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به، واحتجت في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم". [١١١٩] [١١٢٠]

٣. **الخرمية**: ولقبوا به نسبة إلى أصل هذا اللفظ "خرم" وهو اسم اعجمي بمعنى الشئ المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان بمشاهدته ويهتز لرؤيته، وهذا اللقب دال على حاصل مذهبهم وزبدته، فإنه راجع إلى طي بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع اللذات، وطلب الشهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات، وربما كان سبب إطلاق هذا اللقب ما سيأتي عند الحديث عن لقب "البابكية".

٤. **البابكية**: نسبة إلى زعيم من زعمائهم وطاغية من طغاتهم يسمى بابك الخرمي، ظهر سنة إحدى ومائتين بناحية أذربيجان، وكان زنديقا حارب جيوش المسلمين فهزمهم فاستطار شره وعلا أمره فخافه الناس، وبقي عشرين سنة يعيث في الأرض فسادا، فقتل مائتي ألف وخمسة

[١١١٨] الشيعة في التاريخ (ص: ٢٣١ - ٢٣٤).

[١١١٩] مقالات الإسلاميين (١/ ٩٨).

[١١٢٠] المصدر: كتاب الشيعة والتشيع (ص: ٢٣٣-٢٣٥).

وخمسين ألفاً وخمسمائة، وكان إذا علم أن أحداً عنده بنت جميلة أو أخت طلبها منه، فإن بعثها إليه وإلا أخذها عنوة، واشتدت وطأته على جيوش المسلمين حتى مزق جندهم وبددهم، إلى أن أذن الله بهلاكه وزوال أمره، فبعث المعتصم بالله جيوشا لحربه فهزموه وأتباعه، وأخذوا بابك وصلبوه، فتفرق أمر أتباعه وتشتتوا شذر مذر، ويذكر المؤرخون أنه بقيت من البابكية جماعة، يقال: إن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سرجهم وشموعهم ثم يثب كل رجل إلى إمرأة فيظفر بها، ويزعمون أن من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد.
٥. الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق الذي يزعمون أنه إمامهم، ويرون أن أدوار الإمامية انتهت به، إذ كان هو السابع بمحمد –صلى الله عليه وسلم–.

وقد مرت بعدة أدوار:

١ – دور الستر: من موت إسماعيل بن جعفر سنة: ١٤٣ هـ إلى ظهور عبيد الله المهدي، وقد اختلف في أسماء أئمة هذه الفترة بسبب السرية.

٢ – بداية الظهور: يبدأ بظهور الدولة الإسماعيلية في اليمن سنة: ٢٦٦ هـ، وامتد نشاطها إلى شمال أفريقيا، واكتسبت شيوخ كتامة، يلي ذلك ظهور علي بن الفضل الذي ادعى النبوة وأعفى أنصاره من الصوم والصلاة.

٣ – دور الظهور: يبدأ بظهور عبيد الله المهدي الذي كان مقيما في سلمية بسوية ثم هرب إلى شمال أفريقيا واعتمد على أنصاره هناك من الكتامين، وأسس أول دولة إسماعيلية في المهدية بأفريقيا (تونس)، واستولى على بعض ضواحي مصر سنة ٢٩٧ هـ، وتتبع بعده الفاطميون إلى أن كان آخرهم المستنصر بالله (أبو تميم) المتوفى سنة ٤٨٧ هـ.

وبوفاته انقسمت الإسماعيلية قسمين: نزارية شرقية، ومستعلية غربية، والسبب في هذا الانقسام أن إمامهم المستنصر قد نص على أن يليه ابنه نزار لأنه الابن الأكبر. ولكن الوزير الأفضل بن

بدر الجمالي نحى نزارا وأعلن إمامه المستعلي، وهو الابن الأصغر، كما أنه في نفس الوقت ابن أخت الوزير. وقام بإلقاء القبض على نزار ووضعه في سجن وسد عليه الجدران حتى مات. وبموته تم الانقسام فعليا في صفوف الإسماعيلية إلى إسماعيلية نزارية وإسماعيلية مستعلية:

أما الإسماعيلية المستعلية: فهم حكام مصر من سنة ٤٨٧ إلى سنة ٥٥٥ هـ، حتى أزال الله دولتهم على يدي صلاح الدين الأيوبي.

ومن بقاياهم في العصر الحاضر: البهرة. فهم إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب، ولذا يسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر.

وهم يقولون بوجود أئمة مستورين من نسل الطيب بن الآخر بن المستعلي، لا يعرف عنهم شيء، حتى إن أسماءهم غير معروفة، وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفون. والإمام الحالي المستور عندهم يسمونه ميرزا طاهر سيف الدين ـ كما هو مسطور في كتاب الأنساك للبهرة الذين يأتون إلى المدينة ـ ثم هؤلاء البهرة انقسموا فرقتين:

١ – البهرة الداودية: نسبة إلى الداعي قطب شاه داود: وهم في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري، وداعيتهم يقيم في بومباي. وقد وجد في الآونة الأخيرة في دولة بنغلاديش أتباع وأنصار له يسمون أنفسهم طاهريون. وهم أثرياء الناس في بنغلاديش.

٢ – البهرة السليمانية: نسبة إلى الداعي سليمان بن حسن، وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم.

وأما الاسماعيلية النزارية: فمن فرقهم:

١ – الحشاشون: وهم إسماعيلية نزارية بالشام وفارس وبلاد الشرق، وكان في مصر وقت حرمان نزار شخص فارسي هو الحسن بن الصباح الذي كان حاجا إلى الإمام المستنصر، ولما شاهد ما حدث من الانقسام عاد إلى بلاد فارس داعيا إلى الإمام المستور، واستولى على قلعة الموت سنة ٤٨٣ هـ، وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية، وهم الذين عرفوا بالحشاشين (لكثرة أكلهم الحشيش)، وانتهت دولتهم، وسقطعت قلاعهم أما جيش هولاكو المغولي الذي قتل آخر زعمائهم ركن الدين خورشاه سنة ١٢٥٥ م. ولهم أتباع إلى الآن في إيران وسوريا والهند، وفي أجزاء من أواسط روسيا السوفيتية. كما أن أسرة أغاخان تدعي كونها من نسل الحشاشين.

٢ – إسماعيلية الشام: لقد ظلوا خلال هذه الفترات الطويلة في سوريا، ولا يزالون في بعض أماكن من الشام، وهؤلاء يعرفون أيضا بالسنانية.

٣ – الإسماعيلية الآغاخانية: ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وأول دعاتهم يسمى بحسن علي شاه، وهو آغاخان الأول الملقب من قبل الحكومة البريطانية المستعمرة. وآخر دعاتهم الموجود حاليا هو كريم الآغاخان الرابع، وقد درس في إحدى الجامعات الأمريكية. ولا يزال له أتباع في بومباي وإيران، وفي بعض الدول الأوروبية والأميريكية.

فهؤلاء كلهم على اختلاف فرقهم ونحلهم من الإسماعيلة الباطنية". [1121]

٦. المحمرة: ولقبوا به لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك الخرمي، ولبسوها وكان ذلك شعارهم، وقيل: سببه أنهم يقررون أن كل من خالفهم من الفرق وأهل الحق حمير.

[1121] الشرك بين القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (١/ ٨١١-٨١٤).

٧. التعليمية: ولقبوا بذلك لأن مذهبهم قائم على إبطال الرأي وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا من خلاله.

٦-الدروز

الدروز: فرقة باطنية فرخها العبيديون، وهذا الاسم نسبة إلى الرجل الثاني في هذه الفرقة وهو محمد بن إسماعيل الدرزي المشهور بنشتكين المقتول (سنة ٤١١ هـ)، وهو أول من أله الحاكم العبيدي المنصور بن عبد العزيز المتوفى (سنة ٤١١ هـ)، علانية، والدروز وإن كانوا فرعًا من فروع الباطنية لهم مظاهرهم الخاصة من جهة نسبهم ونسبتهم والزمن الذي ظهروا فيه. والظروف التي ساعدتهم على الظهور. ونذكر فيما يلي مجمل ذلك وحكم العلماء فيهم :

مبادؤهم :

(أ) يقولون بالحلول، فهم يعتقدون أن الله حل في علي رضي الله عنه ثم حل في أولاده بعده واحداً بعد واحد حتى حل في الحكام العبيدي أبي على المنصور ابن العزيز ويؤمنون برجعة الحاكم وأنه يغيب ويظهر.

(ب) التقية، (أي النفاق والتستر) فهم لا يبينون حقيقة مذهبهم إلا لمن كان منهم بل لا يفشون سرهم إلا أمنوه ووثقوا به من جماعتهم.

(ج) عصمة أئمتهم ، فهم يرون أن أئمتهم معصومون من الخطأ والذنوب بل ألهوهم وعبدوهم من دون الله كما فعلوا ذلك بالحاكم.

(د) دعواهم إلى الباطن، فهم يزعمون أن لنصوص الشريعة معاني باطنية هي المقصود منها دون ظواهرها وبنوا على هذا إلحادهم في نصوص الشريعة وتحريفهم لأخبارها وأوامرها ونواهيها. أما إلحادهم في الأخبار فإنهم أنكروا ما لله من صفات الكمال وأنكروا اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء من جنة ونار واستعاضوا عن ذلك بما يسمى التقمص أو تناسخ الأرواح وهو انتقال روح الإنسان أو الحيوان عند موته إلى بدن إنسان أو حيوان آخر عند بدء خلقه لتعيش فيه منعمة أو معذبة وقالوا دهر دائم وعالم قائم وأرحام تدفع وأرض تبلع، وأنكروا الملائكة ورسالة الرسل واتبعوا المتفلسفة المشائين أتباع أرسطو في مبادئه ونظرياته.

وأما إلحادهم في نصوص التكليف من الأوامر والنواهي فإنهم حرفوها عن موضعها فقالوا الصلاة معرفة أسرارهم لا الصلوات الخمس التي تؤدى كل يوم وليلة، والصيام كتمان أسرارهم لا الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، والحج زيارة الشيوخ المقدسين لديهم ، واستحلوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واستحلوا نكاح البنات والأمهات إلى غير ذلك من التلاعب بالنصوص وجحد ما جاء فيها مما علم بالضرورة أنه شريعة لله فرضها على عباده ، ولذا قال فيهم أبو حامد الغزالي وغيره : ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض .

(هـ) النفاق علي الدعوة والمخادعة فيها: فهم يظهرون التشيع وحب آل البيت لمن يدعونه وإذا استجاب لهم دعوه إلى الرفض وأظهروا له معايب الصحابة وقدحوا فيهم، فإذا قبل منهم كشفوا له معايب علي وطعنوا فيه، فإذا قبل منه ذلك انتقلوا به إلى الطعن في الأنبياء، وقالوا إن لهم بواطن وأسرارًا تخالف ما دعوا إليه أممهم، وقالوا إنهم كانوا أذكياء وضعوا لأممهم نواميس شرعية ليتحققوا بذلك مصالح وأغراضاً دنيوية .. إلخ .

وسئل شيخ الإسلام عما يُحكم به في الدروز والنصيرية فأجاب :

هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم، بل ولا يقرون بالجزية، فإنهم مرتدون عن دين الإسلام، ليسوا مسلمين، ولا يهود، ولا نصارى لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس، ولا وجوب صوم رمضان، ولا وجوب الحج ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرها. وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين.. كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين، بل هم الكفرة الضالون، فلا يباح أكل طعامهم ، وتسبى نساؤهم، وتؤخذ أموالهم. فإنهم زنادقة مرتدون لا تقبل توبتهم، بل يقتلون أينما ثقفوا ، ويلعنون كما وصفوا ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ. ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم، ويحرم النوم معهم في بيوتهم، ورفقتهم، والمشي معهم، وتشييع جنائزهم إذا

علم موتها، ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم لا المقام عليه. والله المستعان وعليه التكلان". [1122]. [1123]

٧- النصيرية

وفي حياة علي بن محمد الهادي المكنى بأبي الحسن، ظهرت من الشيعة فرق أخرى، قالت:

بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئا من ذلك. وكان يقوي أسباب هذا النميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات. فلما توفي قيل له في علته وقد اعتقل لسانه: لمن هذا الأمر من بعدك؟

فقال: لأحمد.

فلم يدروا من هو.

فافترقوا ثلاث فرق.

فرقة قالت: أنه (أحمد) إبنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وفرقة قالت: أحمد بن أبي الحسين محمد بن محمد بن بشير بن زيد.

فتفرقوا، فلا يرجعون إلى شيئ.

[1122] مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦١-١٦٢).

[1123] المصدر: من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، "مجلة البحوث الإسلامية"، (٣٦/ ٨٥-٨٩).

وادعى هؤلاء النبوة عن أبي محمد فسميت النميرية أو النصيرية. [١١٢٤]

ولقد ذكر الشهرستاني النصيرية في ملله، وذكر مذهبهم أنهم يقولون: "إن الله قد ظهر بصورة أشخاص، ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الألهية عليهم، وإنما أثبتنا هذا الإختصاص لعلي دون غيره، لأنه كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي–صلى الله عليه وسلم–، أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر. وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقتال المنافقين إلى علي. وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم، وقال: ولولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم وإلا لقلت فيك مقالا. وربما أثبتوا له شركة في الرسالة. إذ قال: فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله ألا وهو خاصف النعل، فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من أدل الدليل على أن فيه جزء آلهيًا وقوة ربانية. أو أن يكون هو الذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيده، وأمر بلسانه. وعن هذا قالوا كان هو موجود قبل خلق السموات والأرض. قال كنا أظلة على يمين العرش، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الأظلال هي حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقًا لا ينفصل عنها، سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم. وعن هذا قال أنا أحمد، الضوء من الضوء. يعني لا فرق بين النورين، إلا أن أحدهما أسبق والثاني لا حق به. قال له وهذا يدل على نوع شركة.

فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الآلهي.

[١١٢٤] فرق الشيعة للنوبختي (ص: ١١٥، ١١٦) .

والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة. [١١٢٥]

وذكر الرازي أن هذه الطائفة موجودة في حلب ونواحي الشام إلى يومنا هذا. [١١٢٦]

ونحن نقول: إنها موجودة حتى اليوم في سوريا وتركيا، ويعرفون بالعلويين.

وأما النصيرية فيقولون: إن محمد بن النصير النميري لم يدع النبوة، بل إنه كان بابا للإمام الحادي عشر الحسن العسكري. [١١٢٧]

ويقولون: أنه كان ينافسه رجل اسمه أبو يعقوب إسحاق بن محمد النخعي، فادعى هو الثاني هو الباب للحسن العسكري.

فالحاصل أن هؤلاء الذين يقولون ويصرحون بألوهية علي، وكان رسول الله هو رسوله هو. كما يقولون:

إن عليا أرسل جابر بن يزيد الجعفي في قضاء غرض له، فلما أن وصل إلى الوضع المقصود، رأى علي بن أبي طالب جالسا على كرسي من نور، والسيد محمد (يعني سيدنا محمدا) عن يمينه، والسيد سلمان (يعني الصحابي الجليل سلمان الفارسي) عن شماله، ثم التفت جابر إلى ورائه فرآه هكذا. ثم التفت عن يمينه فرآه هكذا. ثم نظر إلى السماء فرآه في السماء والملائكة حوله يسبحون بحمده ويسجدون له". [١١٢٨]

١١٢٥ الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٥ – ٢٦).

١١٢٦ إعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص: ٦١).

١١٢٧ تاريخ العلويين للطويل (ص: ٢٠٢).

١١٢٨ الباكورة السليمانية (ص: ٨٧).

وتوفي علي بن محمد هذا بسر من رأى في رجب سنة أربع وخمسين". [١١٢٩]

المطلب الثاني: عقائد الباطنية:

مذهب الباطنية كاسمه مستبطن غير ظاهر، وإنما عرفت مذاهبهم وعقائدهم-مع حرصهم وتشددهم في إخفائها-عن طريق من أسلم منهم، أما هم فينكرون تلك المذاهب، ويظهرون لكل ذي ملة أو مذهب ما يحب، فإن أتوا النصارى أظهروا لهم القول بالتثليث وأكدوا لهم ألوهية المسيح، وإن أتوا اليهود أظهروا لهم بغض المسلمين والنصارى، وإن التقوا بزاهد أظهروا الزهد في الدنيا ومجانبة أهلها، فهم يلبسون لكل حالة لبوسها، حتى إذا أمن لهم ألقوا عليه شبهاتهم، ودعوه إلى الدخول في مذهبهم، وكشفوا له عقائدهم، بعد حرص وتحر شديد خشية أن يرتد عنهم. فمن عقائدهم:

١. قولهم بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة السابق واسم المعلول التالي، وأن السابق هو الخالق بواسطة التالي لا بنفسه، وهو مذهب مأخوذ عن الكفار من الثنوية والمجوس في قولهم بإلاهين \" إله النور وإله الظلمة \" فلم يغيروا سوى الأسماء.

٢. اعتقادهم أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه قوة قدسية من السابق بواسطة التالي.

٣. اعتقادهم أن القرآن عبارة عن تعبير النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – عن المعارف التي فاضت عليه وتسميته كلام الله من باب المجاز.

[١١٢٩] كتاب الشيعة والتشيع-فرق وتاريخ لإحسان إلهي ظهير (ص: ٢٥٥-٢٥٨).

٤. اعتقادهم أن لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق، يُرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والأخبار والمعقولات، واتفقوا على أن الامام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على الحقائق في كل الأمور، إلا أنه لا ينزل عليه الوحي، وإنما يتلقى ذلك من النبي، فإنه خليفته وبإزاء منزلته، ولكل زمن إمامه ولا يخلو زمن من إمام.

٥. اعتقادهم أن لكل شريعة نبوية مدة زمنية، إذا انصرمت بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته، ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار، وأن شريعة النبي – صلى الله عليه وسلم – نسخت بمجيء الإمام السابع جعفر بن محمد – وفق زعمهم –.

٦. اتفق الباطنية على إنكار القيامة والبعث والنشور، وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار، وحصول الإنسان من نطفة وتولد النبات، وتولد الحيوانات لا يتصرم أبدا الدهر، وأن السموات والأرض لا يتصور انعدام أجسامهما، وقالوا عن القيامة: إنها رمز لخروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر.

٧. أنكروا الجنة والنار، وقالوا معنى المعاد عود كل شئ إلى أصله، والإنسان مركب من العالم الروحاني والجسماني، أما الجسماني فينحل إلى ما تركب منه، ويعود كل خلط إلى أصله وطبيعته، وذلك هو معاد الجسد، وأما الروحاني وهو النفس فإنها إن كانت صالحة – وفق مذهبهم – اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها وفي ذلك سعادتها، فأما النفوس المنكوسة فإنها تبقى أبد الدهر في العالم الجسماني، تتناسخها الأبدان فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام فلا تفارق جسدا إلا ويتلقاها جسد آخر، وهذا عين مذهب البراهمة الهندوس.

٨. يعتقدون الإباحية المطلقة، والتفلت التام من التكاليف الشرعية، ويرون أنها أغلال وآصار انحلت عنهم لاتباعهم الإمام المعصوم.

٩. اعتقاد بعضهم ألوهية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وقالوا وإنما ظهر في صورة الناموس ليؤنس خلقه، وفيه قال قائلهم:

أشهد أن لا إله إلا * حيدرة الأنزع البطين

ولا حجاب عليه إلا * محمد الصادق الأمين

ولا طريق إليه إلا * سلمان ذو القوة المتين

نماذج من تأويلات الباطنية:

سبق أن دين الباطنية قائم على تحريف ظواهر الكتاب والسنة إلى معان مستبطنة، فمن أمثلة تحريفاتهم الساذجة:

قالوا: إن معنى الزنا ليس هو إيلاج فرج في فرج محرم، وإنما المراد به إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد، وعليه فلا يرى الباطنية حرجا في استباحة الزنا، وزعموا أيضا أن الطهور ليس هو الوضوء المعروف، وإنما المراد به التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الإمام.

وزعموا إن الصيام ليس معناه الإمساك عن المفطرات في وقت مخصوص، وإنما الصيام الامساك عن كشف السر.

أما الطواف بالبيت سبعا فقالوا هو الطواف بمحمد – صلى الله عليه وسلم – إلى تمام الأئمة السبعة، وأولوا الصلوات الخمس بأنها أدلة على الأصول الأربعة وعلى الإمام، وعليه فلا حاجة لأداء هذه الصلوات المعهودة عند المسلمين.

ومن نماذج تأويلاتهم لمعجزات الأنبياء، تأويلهم طوفان نوح – عليه السلام – بأنه طوفان العلم الذي أغرق المتمسكين بظواهر الكتاب والسنة، وأن نار إبراهيم – عليه السلام – التي ألقي

فيها هي عبارة عن غضب النمرود، وليست نارا حقيقة، وزعموا أن جن سليمان هم باطنية ذلك الزمان والشياطين هم الظاهرية الذين كلفوا بالأعمال الشاقة، إلى آخر هذيانهم الذي يضحك الثكلى، لسخافة عقلوهم وسذاجتها". [١١٣٠]

المطلب الثالث: القواسم المشتركة بين الرافضة والباطنية.

ومن هذه القواسم المشتركة بينهما:

- اتخاذ حب آل البيت وسيلة لنشر بدع وأفكار ضالة.

- الدفاع عن حق آل البيت في الخلافة.

- استعمال التقية والسرية والتكتم في حالة الاستضعاف، وعند الظهور والغلبة ينادون بآرائهم جهارا نهارا، ويعلنون ما كانوا يخفون.

- الاستدراج والحيلة: فهم يظهرون الإسلام وحب آل البيت والعفاف والتقشف، وترك الدنيا والإعراض عن الشهوات، وذلك لاستمالة العوام من الناس إليهم، ويخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفروا منه بالانقياد والموالاة لهم.

- تقديس السلالات والبيوتات الفارسية: تصل عقيدة الباطنية والرافضة إلى حدود تقديس السلالات والبيوتات الفارسية. فلما دخل قوم من الفرس في الإسلام وتشيعوا اعتقدوا بوجود طبقة كهنوتية تقوم بخدمة الدين وأنها ظل الإله على الأرض، ونظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولآل بيته نظرة كسروية توازي نظرتهم إلى الملوك الساسانيين بأنهم يستحقون التقديس

[١١٣٠] الباطنية أصولهم وعقائدهم لأمير سعيد مقال منشور على موقع مداد.

والتعظيم، ومن ثم قالوا بأن أحق الناس بالخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته. [١١٣١]

- عقيدتهم في القرآن الكريم: يعتقدون بتحريف القرآن الكريم، وفي زعمهم أن القرآن الموجود المنقول عن الصحافة لا يخلو من تحريف وتغيير ونقص وزيادة. [١١٣٢]

- السعي لهدم عقيدة أهل السنة والجماعة: بالاستقراء لتاريخ الإسلام قديما وحديثا، ندرك هدف الباطنية والرافضة الكبير، وهو هدم الدين الصحيح وزعزعة مبادئ العقيدة الصحيحة في نفوس أهل السنة، كي يتمكن أصحاب هذه الفرق المارقة من إظهار الإلحاد أو البدع بدلا من التوحيد، عن طريق أفكار خرافية أو تأويلات باطنية للنصوص الشرعية، سيما ما يتعلق منها بالإمامة وعقيدة الإمام الغائب، والقبورية والنذر والذبح لغير الله تعالى، وطلب قضاء الحوائج من الأموات، وتأويل قضايا الغيب والحلال والحرام وإشاعة الإباحة.

- موالاتهم لأعداء الإسلام من التتار والصليبيين الذين احتلوا المشرق الإسلامي، كما والوا الفرنجة في أوربا، فبجلوهم وأكرموهم واحترموهم وقدموا لهم العون على المسلمين، ناهيك عن الفتن والمؤامرات وسفك الدماء، وهتك الأعراض، ومصادرة الأموال وأعمال النهب والسلب التي قاموا بها ضد أهل السنة، وتطفح بها كتب التاريخ والسير والتراجم والطبقات". [١١٣٣]

[١١٣١] صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية، لأبي الحسن الندوي، (ص:٨٠-٨١) (بتصرف).

[١١٣٢] صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية، لأبي الحسن الندوي، (ص:٧٤-٧٦) (بتصرف).

[١١٣٣] المصدر: مقال بعنوان: علاقة الرافضة بالباطنية، لمحمد مخزون، مقال منشور على موقع مجلة البيان الرقمية .

الخاتمة

وبعد سياق هذه المعلومات عن العلاقة بين المدارس الفلسفية والفرق المنحرفة يمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط الآتية:

أولًا: أن المدارس الفلسفية كان لها الأثر الواضح على العديد من الفرق المخالفة، ويعود السبب في ذلك أن تلك الفرق إنما هي في حقيقتها امتداد لتلك الفلسفات، وإن حاولت التستر بستار الإسلام، التخفي تحت ستار التصوف أو التشيع ونحو ذلك من المسميات التي ادعتها تلك الفرق.

ثانيًا: أن اليقين الذي يتحصل لمن تمسك بالعقيدة الصحيحة باعتبارها تحمل الإجابات السليمة عن جميع الأسئلة والإشكالات التي يتم طرحها فيما يتعلق بأمور الإلهيات والنبوات واليوم الآخر، يقابله أنواع من الشك وألوان من الباطل لمن سلك مسلك تلك الفلسفات، والتي لا تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا.

ثالثًا: أن المدارس الفلسفية مع تعددها وكثرتها واختلاف أماكنها وتنوع مشاربها إلا أنها تدور حول محورين هما:

الإلحاد المادي: المتمثل في المدرسة المشائية وما دار في فلكها.

الإلحاد الروحي: المتمثل في الفلسفية الإشراقية وما دار في فلكها.

رابعًا: أن فساد التصور عند تلك الفسلسفات نتج عنه معتقدات فاسدة أضرت بمن حملها وتبناها من الفرق المخالفة، بما أوجب خروج أغلب تلك الفرق من دائرة الإسلام والحكم على معتنقيها بالكفر المخرج من الملة.

خامسًا: تكمن خطورة تلك الفلسفات المنحرفة بأنها تظهر بين الفينة والأخرى بمسميات جديدة، وبأساليب متنوعها، ويدعمها في ذلك الفلسفات الإلحادية الحديثة، الغربية والشرقية.

والتي تسعى اليوم بكل ما أوتيت من إمكانيات مادية في نشر تلك الأفكار المنحرفة، ويساعدها في ذلك وسائل التقنية الحديثة وما تمتلكه من إمكانيات وأدوات في النشر في عالم مكشوف لا تستطيع الحواجز منعه أو حتى الحد منه.

سادسًا: أن المحاولات جارية ومستمرة لإحياء أفكار بعض تلك الفرق المخالفة المتأثرة بالفلسفة، بالأخص المراكز الاستشراقية ومراكز الأبحاث الجامعية المتواجدة في العالم الغربي، ويساندها أقسام الفلسفة في الجامعات الموجودة في العالم العربي والإسلامي، والتي غالبًا ما يرأسها تلاميذ أولئك المستشرقين ومن تخرج من تلك الجامعات الغربية، وكل إناء بما فيه ينضح، مما يؤكد ضرورة التصدي لها وفضح مخططاتها وبيان مكرها.

سابعًا: تمس الحاجة إلى المزيد من البحوث التي تربط بين دور تلك الفلسفات في انحراف الفرق المخالفة، فما حواه هذا البحث يشكل جزءً يسيرًا في بيان تلك العلاقة والصلة بين الطرفين، والحاجة تمس إلى بحوث أخرى أكثر شمولًا وتفصيلًا تشرح تلك العلاقة على وجه يزيد الأمر بيانًا ودقة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، فالحمد لله أولًا وأخرًا وظاهرًا وباطنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.